

بسم الله الرحمن الرحيم

نشأة النحو العربي

يذكر كثير من الدارسين أن النحو العربي نشأ لحفظ القرآن من اللحن، وهم يذكرون في ذلك روايات كثيرة عن أبي الأسود الدؤليّ في وضعه للنحو من نفسه أو من أخذه له من الإمام عليّ سلام الله عليه؛ إذ وضع له أبواباً وقال له: انح هذا النحو. ومنه جاءت التسمية المعروفة إلى اليوم (النحو).

وذكروا أن الخطوة الأولى في النحو جاءت عن ضبط أبي الأسود لحركات الحروف (الفتحة، والضمة، والكسرة)، وكانوا يسمونها تنقيط القرآن؛ أي ضبط الحركات اللازمة لكل حرف من كلماته.

وذكروا أن الحركات الاصطلاحية أخذت عن أبي الأسود ولم يكن هذا العمل يهدف إلى حفظ النص من اللحن فقط كما يظن البعض، بل يهدف إلى أن لا تتكوّن قراءات مختلفة وأن لا تكون هنالك شكوك في مؤدى الكلمات فيختلف المعنى بسببه.

لقد قرأ المسلمون القرآن وفهموه جيداً ولكن الإمام عليّ (ع) وأبو الأسود خافوا على من يدخل في الإسلام من غير العرب حيث لا توجد لهم خلفيّة في اللغة، خافوا أن يشوش عليه الفهم أو القراءة حين يتعلم، لقد قدموا إليه تلك القواعد الواضحة البينة لتبعده في المستقبل عن الوقوع في الخطأ.

أما مقولة بعض الدارسين المعاصرين؛ إن النحو العربي نشأ متأثراً بنحو اليونان أو الهند، هذه المقولة تريد أن تسوّق للآراء الواردة من الغرب أو من الشرق لأن العرب كما يقول أبو نواس وهؤلاء مثله: ليس الأعراب عند الله من أحد.

لقد كان المستشرق "وليتمان" أكثر إنصافاً من هؤلاء الدارسين المعاصرين العرب حين قال: {ونحن نذهب في هذه المسألة مذهباً وسطاً... وهو أنه أبدع العرب علم النحو في الابتداء، وأنه لا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه، ولكن لما تعلم العرب الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العراق تعلموا شيئاً من النحو}.

بينما نجد بعض الدارسين أمثال أحمد أمين وشوقي ضيف - ولم أقرأ عن غيرهما- يستنكران على الإمام علي (ع) أن يكون له هذا الدور، في حين نجد أن الأئمة النحاة كابن الأنباري والسيرافي وابن كثير والقفطي وابن القيم الجوزية وغيرهم كثير ذكروا ذلك ذكراً مسلماً به.

بدء وضع النحو العربي

بدأ وضع النحو العربي منذ القرن الأول للهجرة، وتتابعت أئمة النحو الأوائل من ابن أبي العلاء الحضرمي وعيسى بن عمر النخعي وأبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب... وصولاً إلى الخليل بن أحمد فسيبويه اللذين هما حقاً توسعا فيه وكانا هما اللذان وضعوا صورته المعروفة.

كل هؤلاء النحاة كانوا من البصرة، فتأسس النحو البصري على أيديهم، هم وضعوا أصول القياس للنحو، فكانت عندهم القواعد المطردة لتشمل المنطوقات والمرويات والقراءات العامة دون الأخذ بالمروي الشاذ أو النادر أو القليل فكان تشكل المذهب البصري.

وتوالى الأعلام في النحو في مقابل ذلك في الكوفة وكانوا جلهم من القراء مثل الكسائي وعاصم وحمزة، والنحاة المستقلين مثل ثعلب والأخفش وأتباعهم.

ونشأ الخلاف بين هاتين المدرستين؛ الكوفيون يحفظون النصوص الكثيرة ويعتمدون عليها كلها ويقبلون بها، وأولئك لا يقبلون بكل هذه

الروايات ولا يرضون إلا بما تكثر عندهم الشواهد على صحته ويتجنبون ما لا ينطبق على مقاييسهم.

وتتابع النحاة فجاءت الكتب الطوال العراض؛ جاء الفارسي والمبرد والمازني وابن جني وغيرهم، ثم توالى الكتب الطوال العراض في المغرب كما هي في المشرق، فوجدنا النحاة الكثرين كابن مضاء وابن الحاجب وأبو جعفر ابن صابر وغيرهم.

إغلاق باب الاجتهاد

توقفت الآراء الجديدة وجاءت أكثر الكتب التي تُولف في النحو من أقول هؤلاء وهؤلاء، وصار ما بعد ذلك كله مأخوذاً ممن سبق؛ جاء فيما بعد على شكل موجزات ثم شروح فتعليقات وحواش كلها تحكي عما تقدم وكأن باب الاجتهاد في النحو قد أُغلق.

وما وصل إلينا إلى العصور الحاضرة إنما جله بحسب المدرسة البصرية، فمن يدرس في الجامعات اليوم لا يجد محيداً عن نهجهم إلا قليلاً فيما يتعلق بكثرة الشواهد وتوضيح الأمثلة وجعلها متوافقة مع كلام المعاصرين.

وفي العصر الحديث ألفت الكتب المدرسية المبسطة للتعليم فغلب عليها أو على تطبيقاتها الطرائق الحديثة في التعليم، ولكنها في مضمونها لم تحد عن خطة الأقدمين في شيء، وأيضاً رافقتها الكتب الطوال العراض: كالنحو الوافي لعباس حسن، وجامع دروس اللغة العربية للغلاييني والمحيط في أصوات اللغة العربية ونحوها وصرفها لمحمد الانطاكي والنحو الواضح لأحمد خوص،....

وقد نجد بعض نحاة العصر كالنحاة القدماء ينتقدون فكرة جزئية صغيرة يرجحون رأي هذا الناحي أو ذاك دون أن يضعوا لأنفسهم منهجاً

جديداً في خطته يسيرون عليها، وقد نجد منهم من يقدم باباً من النحو على باب، ويسير على خطة يوضحها، ولكن إذا ما تتبعته إلى النهاية تتوصل إلى نفس ما تتوصل إليه من الكتب القديمة. كلها تحتاج إلى الوقت الطويل، كلها تعج بأخطاء السابقين، لقد رسخ في أذهانهم أن ما ورثوه من النحو هو الصواب فما فكروا، هل من خطأ فيه؟، هل من منهج أوضح أو أفضل؟. لقد آمنوا بصحته إيماناً مطلقاً، فلم يعد يجوز لهم الخروج عليه، منطلقين من قاعدة ورثوها أيضاً مفادها أن النحو علم نضج واحترق؛ فانسد باب الاجتهاد فيه لديهم. فكان ما وصل إليهم كوثن مقدس لا يجوز المساس به مع أنه لا يضر ولا ينفع في شيء، حقاً لقد أحرقوه!؟.

الأسباب التي جعلتني أهتم بالنحو

إن السبب الأول أو الأسباب الأولى التي دفعت بي للاهتمام بالنحو، هي أنني:

في سن التاسعة من عمري كنت على معرفة بسيطة في الإعراب الذي كان يدرس في مدرستنا الابتدائية (مدرسة مورك¹) من قبل معلم كان على ما يظهر أنه محب للإعراب ذلك أنه كان يعطي دروساً إضافية في الحصص الأخيرة من أغلب الأيام، كان هذا المعلم من مدينة حماة وكان يدعى "محمد طربين"، لقد كان يحب من تلاميذه أن يكونوا أقوىاء في الإعراب.

كان المعلم وحيداً، ولم يكن يوجد في المدرسة آنذاك سوى نحو من خمسة وثلاثين تلميذاً يشغلون الصف الأول والثاني، وكلهم في غرفة واحدة. وكان يُبقي في الصف الثاني التلاميذ المستحقون للترقيع إلى الثالث

¹ مورك: قرية تقع على طريق دمشق - حلب، تبعد عن مدينة حماة 30 كم شمالاً.

إذ لم يكن ثمة صفوف أعلى، يبقون في الثاني ليتمكنوا أكثر في الحساب والقراءة والخط والإملاء والإعراب، ولم يكن عدد هؤلاء المستحقين للترقيع يزيد على ستة أو سبعة.

وأعود فأقول كان هذا المعلم محباً للنحو، وكانت كلمة نحو لها وزن مقدر، فيقال في القرية فلان يعرف النحو أو نحوي!. كان هذا المعلم في آخر حصة يكتب جملة على السبورة مثل: سعيدٌ مجتهدٌ، أو ينجحُ المجذُّ، أو أحبُّ مدرستي، أو استيقظُ باكراً،...، كان يطلب من التلاميذ إعرابها، وأن يصفق لمن يكون إعرابه صحيحاً، ولا أخفي ما في نفسي أنني كنت أغبط هؤلاء التلاميذ الذين يصفق لهم، فصرت أنتبه للإعراب بشكل جيد، وقد حظيت مرة واحدة بالتصفيق فسرت لذلك وصرت أتابع دروس المعلم هذا في الإعراب، وشيئاً فشيئاً صرت ملماً به على قدر مقبول لدي فيه.

أخرجت من المدرسة في سن الثالثة عشر وكان ذلك في عام 1943 بعد أن ظللت في الصف الثاني ثلاث سنوات. ومرت السنون.

كانت المدرسة مجاورة لدارنا وكان كل معلم يأتي للمدرسة من بعده كان يحتاج لخدمات للمدرسة من تنظيف وحوائج كانت تقوم بها عائلتي. كنت لا أنقطع عن الاتصال بالتلاميذ لأسألهم وأتعرف على معلوماتهم، وكنت كثيراً ما أطلب إعراب بعض الجمل الصعبة منهم.

وبعد عام 1945 صار يضاف للمدرسة صفوف أخرى ثالث فرابع خامس. وصار تلاميذ الصف الخامس يتجهزون لفحص الشهادة الابتدائية (السرثيكا).

وبحكم مجاورتي للمدرسة لم تتقطع صلتي بالتلاميذ أثناء الفرص، إذ لم يكن للمدرسة سور، ومع أنني كنت أكبر من كبار السن في المدرسة بما لا يقل عن أربع سنوات إلا أنني لم أكن أشعر بخرج من ذلك، وكان عندي من المعلومات المدرسية أكثر منهم فيما يظهر لي؛ إني عندما أتذكر حالي إذاك أجدني في نظري الآن امرأً عجيباً: امرؤ في التاسعة عشر يختلط بمن دونه في السن بما لا يقل عن خمس أو ست سنوات، الحقيقة عندما أتذكر ذلك أجدني سخيلاً جداً، غير أن ذلك لم يكن يخطر لي على بال.

وبحكم مجاورتنا للمدرسة وبحكم صلة المعلمين المتعاقبين بذوي، حضر أحد المعلمين إلى دارنا فوجدني أقرأ في قصة من قصص بني هلال، والقراء في القرية آنذاك قليل، رأني أقرأ فطلب مني أن أسمعه قراءتي فأسمعته فبدأ إعجابه بصحة قراءتي، فسألني شيئاً في الحساب فأجبتة، فاستحسن ذلك أيضاً، ثم سألني إعراب جملة (المدرسة جميلة) فأعربتة، وطلب مني كتابة كلمات فيها ألف مقصورة وفيها همزات متوسطة فكتبها صحيحة فشجعني وقال: اذهب إلى المدرسة غداً وأتوسط لمعلم الصف الخامس أن يقبلك وتتقدم للشهادة، وكان.

حصص في المدرسة

في الحصة الأولى التي كانت (حساب) أعطى المعلم الدرس وفي آخر الحصة أعطانا مسألة لنحلها على الدفاتر ولما شاهد المعلم حلولنا أخرجني إلى السبورة لحلها، فاعترض أحد التلاميذ على حلي فأخرجه وطلب منه حلها أيضاً فحلها بطريقة مغايرة لحلي إنما كان الجوابان متماثلان، لكن كان حلي بعمليات حسابية أقل، فصوّاب المعلم الحلين بشيء من الرضى. وفي الحصة الثانية أعطانا (مقطوعة إملائية) فيها كثير من الهمزات المتوسطة والمتطرفة، ثم بدأ التصحيح على السبورة، وكان من الكلمات

التي أملت كلمة (هيئة) وقد كتبها أحد التلاميذ على السبورة بصورة (هياؤه) ولم يعترض عليه المعلم، فرفعت إصبعي وقلت خطأ فأخرجني فكتبتها بصورة (هيئة)، فسأل المعلم عن قاعدة الهمزة هذه، فأجاب تلميذٌ كتب على ألف لأنها مفتوحة وما قبلها ساكن، وسألني المعلم عن سبب كتابتي لها على ياء فقلت: تكتب الهمزة المسبوقة بياء ساكنة على نبرة، فلاحظت أن المعلم قد انتبه للقاعدة فقال: صح وقال الجوابان جيدان فسكتُ ولم أناقش، ولكن كأن قد ظهر على عدم الموافقة.

وفي الحصة الثالثة أعطى المعلم (قراءة)، كان يسأل عن فهم الدرس وشرح مفرداته وسألهم إعراب بعض الكلمات، وسألني المعلم إعراب (الأزهار تفتحت)، فأعربتُها، ولكن حضرني سؤال كان يدور في ذهني: لماذا لا تكون الأزهار هي الفاعل، وكيف يكون الفاعل ضميرها؟، سكتُ ولم أجرؤ أن أسأل المعلم عن ذلك.

وكانت الحصة الرابعة (رياضة) فلم أحضرها، ولكن بعد أن خرج المعلم من الصف إلى الإدارة جاءني المعلم الذي توسط لي بالقبول على كبر سني، وقال: سنك غير قانونية ولا يتحمل المدير ولا معلم الصف وجودك، فقلت: عفواً.

أخذت دفترتي وريشتي ودواتي وعدت إلى البيت، ولكن المعلم الذي توسط لي شجعني على اقتناء كتب الصف الخامس والدراسة لأتقدم لنيل الشهادة، وفعلاً وجدت رغبتني بذلك قوية وصرت أستعير من بعض التلاميذ كتب (التاريخ، والجغرافيا، والأشياء) ريثما أحضر المعلم (جزاه الله خيراً) الكتب اللازمة كلها، فأخذتها وكأني وجدت كنزاً ودفع له والذي ثمنها فيما بعد وشكره.

فقرة معترضة

وهنا أريد أن أسجل فقرة معترضة يتطلبها الحال، وهي حكاية:
كان والدي يحب أن نقرأ له القصص الشعبية؛ قصص بني هلال،
وقصة الزير سالم وقصص ألف ليلة وليلة، كان أخي يقرأها لوالدي ولمن
يسهر عندنا، وكنت أنا أقرأها لنفسي، وحدث أن أخذني والدي معي إلى
حماة لشراء لوازم للبيت إذ لم يكن في قريتنا حوانيت لأكثر ما نحتاجه
آنذاك. نزلت مع والدي إلى حماة فاشترى حوائجه ومر بي في طلعة
الدباغة فقرأت على الواجحة (مكتبة العبيسي) فطلبت من والدي أن ندخلها
لشراء لوازم لي، طلبت من صاحب المكتبة كتاب نحو من الكتب القديمة
فأحضر لي كتاباً كبيراً فقرأت عنوانه: حاشية العدوي على شذور الذهب
لابن هشام، فطلبت من والدي أن يشتريه لي، فطلب صاحب المكتبة
خمسین قرشاً، ولم يكن لدى والدي سوى ليرة سورية، إذا دفع والدي ثمن
الكتاب فلن يتبقى معنا أجره العودة إلى القرية بالسيارة، إذ كانت أجره
السيارة إذ ذاك خمسین قرشاً. وجدت أن ثمن الكتاب كان ضخماً.
عدنا إلى القرية بدون الكتاب، كان والدي يريد أن يلبي رغبتني،
ولكن...، عدنا إلى القرية وفي نفسي غصة مؤلمة؛ وتمر الليالي وفي كل
ليلة يغلبني البكاء والنشيج فيستيقظ أهلي على بكائي ويسألونني عن السبب
ويلح والدي فلا أجيب، ويتكرر بكائي عدة ليال، ويلح والدي بالسؤال وبعد
جهد جهيد قلت: أريد كتاب النحو، فكان من أمر والدي أن أرسل في
الصباح أخي (أحمد) إلى حماة لشراء ذلك الكتاب ولم يكن يملك والدي
سوى ليرة سورية واحدة، أعطاها لأخي وأعلمه عن المكتبة، فذهب إلى
حماة دافعاً نصف الليرة أجره للسيارة.

اشترى أخي الكتاب، كان أخي يأمل أن يرجع إلى القرية مع أحد عرباتها التي تنزل إلى حماة لبيع الجبس (البطيخ الأحمر)، ولكن لم يجد يومها أي عربة فعاد إلى القرية مشياً على قدميه يحمل الكتاب إليّ. وأنا كلما أتذكر قصة أخي يبدو في مخيلتي كم كان أخي يرغب بتلبية طلبي، إنني لا أذكر أبداً أنه بدا عليه شيء من الانزعاج لما ناله من مشقة، بل على العكس رأيتَه يقدمه لي مسروراً. كان الذهاب إلى حماة والإياب منها مشياً مألوفاً يومها.

وبعد رحت أنكب على الكتاب فأجده أحاجٍ وطلاسم، ولكن بما كنت أعرفه من قبل صرت أفهم عليه شيئاً فشيئاً، وأجدني حين أتذكر ذلك كأني كنت أحل رموز حجر الرشيد، ولكن كنت أجد في الكتاب أبياتاً معربة من الشعر فأحفظ ذلك وأطرحه على تلاميذ المدرسة فيصعب عليهم إعراب الكثير من ذلك، فأجد في نفسي التفوق عليهم.

وأعود، جاء إلى دارنا أحد معلمي المدرسة فوجدني أقرأ في قصة من قصص بني هلال فسألني في الحساب والإملاء والإعراب، فأعجبته قراءتي ومعلوماتي فشجعني على الدراسة لنيل الشهادة، وقبل هذا كانت صلتني بالتلاميذ شبه دائمة، كان أحد التلاميذ متفوقاً وكان له خال إمام مسجد يعلمه من غريب الإعراب، فإذا به ذات يوم يسألني قائلاً: أعرب: (أبيك والشيطان في النار)، قلت: هذا خطأ، قال: هذا أنت لا تعرفه، وعاد ساخراً مني يتضحك هو وزميل له. عرفت فيما بعد أن الجملة تكتب هكذا (أبي كوى الشيطان في النار)، ولو أعطانيها مكتوبة لما عسر عليّ إعرابها.

وأعود فأقول درست جيداً ونزلت إلى فحص الشهادة الابتدائية للعام الدراسي 1949-1950 في حماة، كان وجودي بين المتقدمين للشهادة

لافتاً، فأكبر المتقدمين لها كان في تقديري لا يزيد عمره عن خمس عشرة سنة، بينما كنت أنا في سن التاسعة عشر، ولوجودي المتميز بينهم كانوا يجتمعون عليّ ويسألوني في كل مادة يتقدمون لها فأجيب على أسئلتهم بأجوبة مقبولة لديهم، كان هذا إلى أن جاعني أحدهم وسألني عن إعراب (والسما والطارق)، ولم يكن قد مر عليّ إعراب هذه الواو فقلت لا أعرف ورحت منكسراً.

ثم إنني قرأت كتب دراسة الشهادة المتوسطة (البروفيه) أحضرت لها كتبها كلها، طبعاً من مخلفات الطلاب الناجحين، واشترت كتب الرياضيات للصفين الثامن والتاسع، وكتب اللغة الإنكليزية من السادس إلى التاسع، وتقدمت لفحص العام الدراسي 1951-1952، وقبل الفحص التقى بي طالب فسألني قائلاً سمعت إنك شاطر في النحو، قلت: يعني. فذهب وعاد مع زميل له فسألاني إعراب (وقليل ما هم)، وأكد عليّ إعراب (ما) قلت ليس لدي شيء عن (ما) هذه، فبدا عليهما الهزاء مني.

نجحت في الفحص وتقدمت لمسابقة تعيين المعلمين، فقبلت وعينت في محافظة القامشلي في قرية اسمها (دودان) أهلها أكراد، تعرف عليّ إمام مسجد القرية وهو كردي ولكنه يجيد العربية، يخطب بها بشكل جيد، ثم يترجم للأكراد معاني الخطبة، هكذا فهمت حين حضرت له صلاة جمعة ذات مرة.

ومع الإلفة بي علمت أنه يجيد الإعراب فإذا به يوماً يسألني عن إعراب البيت التالي:

إِنَّ هَذَا الْمَلِيحَةَ الْحَسَنَاءَ وَأَيَّ مَنْ أَضْمَرْتُ لَخْلِ وَفَاءِ

تذكرت أنني قرأت هذا البيت في حاشية العدوي ولكني لم أستوضح إعرابه، ولما سكتُ شرح لي معنى البيت وإعرابه، ففهمته منه أكثر من

الكتاب، يا لله هؤلاء الأكراد يفهمون العربية أفضل منا نحن العرب!، وتذكرت أن أكثر أساتذة النحو قديماً كانوا غير عرب، كسيبويه والفارسي وابن جني وغيرهم.

نقض مقالة تتردد في كثير من كتب النحو عن سبب نشأته

في هذه المقدمة أرى لزاماً علىّ أن أنقض مقالة قرأتها كثيراً تقول (إن علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وفقه وأصول وكلام وغيرها أن الواقع لنشأتها هو من أجل فهم النص القرآني)، أنا أعجب كيف تمر هذه المقولة على ذي تفكير ولو كان عادياً؛ كيف تمر عليه دون أن يحاكمها راجعاً إلى عقله في قبولها، هذا عدا عن سواهم من المتقنين الذين يحترمون العقل. ذلك إلا أن يكونوا منساقين مع كلام قائلها لقداسة لها عندهم، إذ لا يجوز أن نقترّب منها بنقد أبداً. باسم القداسة في الكثير من المواقف ترك البديهي من الأفكار، بل ترك الواضح منها، ولم يجرؤ أحد على القول بنقض أو اعتراض.

إن فكرة التقديس لأي شيء خدرت أغلب العقول وجرفت فيمن جرفت النحاة، فأصبح النحو مقدساً، لأن فلاناً من الأفاضل قال به، يا لله ما علاقة ذلك بالقداسة؟!.

هذه الأفكار التي ألصقوها بفهم النص القرآني أبعدت الكثير من الدارسين عن محاكمة هذه المقولة؛ لقد جعلتهم يسلمون بها تسليماً فلا يعترضون ولا يناقشون ولا يفكرون.

إن القرآن جاء واضحاً بيّناً فهمه العرب سكان المدن، وفهمه العرب سكان البادية، وأجزم أن غير العرب كلهم فهمه، وبقي النص القرآني على مر الأيام وتتابع الداخلين في الدين مفهوماً كل الفهم حتى لدى العوام في

البلاد كلها إلى اليوم. وهنا أريد أن أسأل أهل المقولة من لا يفهم: الحمد لله رب العالمين، يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، إن فرعون علا في الأرض، حرمت عليكم أمهاتكم،...، فمن ينخدع بعد أن هذه الكتب الطوال العراض من العلوم المذكورة في المقولة أنها وضعت لفهم النص القرآني. كلا بل هي التي شوّهت النص القرآني وأدخلته في المعنى عليه، ومثل ذلك صار في كتب التفسير والحديث.

وأقول مرة أخرى إن كتب النحو الطوال العراض لم تفد في النحو وغيره سوى البلبلة، فحتى أفضل الخطباء زادت أخطاؤهم فيما يتكلمون. كان هذا استطراداً لا أريده، ولكن وجد من طلب مني: كيف نفهم اللغة وكيف نطبقها؟، فجررت للكلام السابق جراً. إني لا أحب أن أكتب في هذه المواضيع. يا سيدي الدكتور¹ أنت من طلب مني أن أكتب هذه المقدمة، وهنا أشكرك على ما أبديت من تقدير للكتاب فجزاك الله عني خيراً.

قصة توزيع الكتاب

إني أذكر هنا أنني وزعت من كتابي المذكور أكثر من مئة نسخة هدايا؛ أهديتها لمن أظن أنهم يحبون مطالعة هذا النوع من الكتب، فما وجدت بعد نحو سنتين من ذلك من قال شيئاً فحسبت أنه قد دفن في الدُروج المهملّة أو ألقى في حاويات القمامة، وقد أرسلت نسخاً منه لأساتذة في الجامعات ومدرسين اللغة العربية قدّرت أنهم يحبون مطالعة أمثاله فما جاءني من رد لا بالإيجاب ولا بالسلب.

طلب مني معلم معرفتي عنه أنه محب لقراءة الجديد في النحو، فأهديته نسخة، وبعد نصف عام التقيت به وسألته: هل قرأت الكتاب؟، أريد أن

¹ الدكتور رائق النقري أستاذ المنطق الحيوي لهندسة وإدارة معرفية-جامعات باريس، الجزائر، واشنطن، القاهرة.

أستضيفك، أريد أن تطلعني على ما لفت نظرك فيه، فقال: لم أقرأه بعد، وصادفته بعد شهرين فأعدت عليه قولي السابق فأعاد: ما قرأته بعد. فأهملت أمره.

يا سيدي الدكتور لقد وجدتك استثناء، لم أهدك نسخة من الكتاب ولا أدري من أين وصلت إليك النسخة منه. فأنت أظهرت تقديراً عالياً للكتاب وشجعتني على كتابة مقدمة له ووعدتني أن توصل هذا الكتاب لمن يقدره حق قدره فشكراً شكراً، وعندي استثناء آخر ممن أهديتهم نسخة منه هو السيد سهيل منصور؛ مدرس للغة العربية في اللاذقية، أبدى إعجابه وأثنى فجزاه الله خيراً، واستثناء ثالث هو الأستاذ محمد خير الصيادي كان في السبعينيات مديراً للمركز الثقافي في حماة، هذا اعتذر لي هاتفياً وقال: كتابك هذا يدخل في الدراسات العليا ولست ممن يستطيع القول فيه، وطلب مني إيصاله للدكتور مازن مبارك؛ أستاذ للغة العربية في جامعة، ولم يتسنى لي فعل ذلك.

الصعوبات التي واجهتها في تأليف الكتاب وتوزيعه

كان اهتمامي الكبير في النحو منذ الطفولة حتى الآن دافعاً قوياً على مطالعة كتب النحو، ولما كنت لا يعجبني الكثير من الإجراءات النحوية، كنت أهتم بقراءة آراء النحاة فيها، فأجد عند بعضهم ما كنت أراه هو الصواب فأسجل رأيه هذا وتابعت ذلك حتى تكونت لدي فكرة تامة لخطة كتابي هذا (المنهج)، ومما أفادني في وضع الخطة أيضاً مطالعتي لكثير من الكتب التي تبحث في الحروف مع ما فيها من توسع واسترسال: مثل كتاب الجنى الداني للمرادي ومغني اللبيب لابن هشام ومعاني الأدوات والحروف لابن قيم الجوزية.

بعد أن وضحت لدي فكرة خطته وجدت أن لا بد لي من مراجعة جميع الكتب التي كونت فكرته لدي للتأكد من وقوعها في مظانها، ولا بد لي من تنسيقها وترتيبها بشكل مقبول، ولا بد من تجميع الأدلة لها بالشواهد من الآيات والأحاديث والأبيات الشعرية من دواوين قائلها أو من كتب النحو الموجودة فيها - إن الشواهد الموجودة في كتب النحو كلها إن لم أقل كلها غير منسوبة لقائل مطلقاً، مما اضطرني البحث عنها في كتب كنت قرأتها أو في كتب أتوقع أن أجدها فيها، ثم لا بد من قبول عقلي للفكرة في جميع مواضيعها، لا بد من هذا لقبوله من قبل القارئ، ولا بد من تجميع الأدلة وشرحها وتوضيحها ليرضى في تقديري من سيطلع عليها، ذلك أن فكرة الكتاب جاءت جارية عكس التيار الجارف الهادر منذ بدء النحو إلى اليوم. أما الصعوبات التي أراها في طريق وصول هذا الكتاب للعمل به - وهي الأهم - إذ لا قيمة لخطة دون تطبيقها.

إنه لمن السهل عليّ أن أطبع آلاف النسخ وجعل ثمنها زهيداً؛ ثمن الكلفة، يبقى الواقع هل ستشتري هذه النسخ أم ستبقى في مخازن المكتبات لا تقرأ.

كيف يُشتري كتاب لا يعطي للناشر أو الموزع فائدة مادية، إن الصدمة ستكون من قلة المشتريين.

لأن هذا الكتاب لن يحصل قارئة طالباً درجات ولا يفيد في امتحاناته، ولأن قارئة مدرساً أو أستاذاً يجد فيه خروجاً أو معاداة لما درّس هو أو أُلّف أو أُملى في هذا الموضوع، إن لسان حالهم سيقول كيف يأتي مجهول ليفسد علينا آمالنا ومؤلفاتنا؟،

ولأن قارئه عادياً سوف يبهت لهذا فلا يمكن أن يقبل بعد طول عهده بما علم أن يُؤتى بجديد يغيّر معرفته، وهذا قد يكون قد قرأ كتباً كثيرة، ألفها في نظره أفاذاً، رسخت فكرتها لديه.

بقي بعد كل من ذكرت محب للحق عاشق للفكرة الصائبة، قرأ من قبل فلم يرض عن كثير ممن قرأ، بحث فلم يجد الجواب المقنع، فمثل هذا إن وقع على كتابي أو وقع كتابي عليه قرأه وراجع قرأته، فهذا واجد فيه ضالته.

بقي أن يقع كتابي عليه أو أن يقع هو على كتابي، إن وقع هذا على كتابي وأيده وناصره، فأرى أنه سيحاصر أو يطارد، أو تقع ثورة، وما أكثر ما أبيد من ثوار!

هذه هي الصعوبات التي واجهتها والتي أتوقعها لهذا الكتاب: وأشد ما أخشاه ألا يصل كتابي هذا إلى طالبي الحق.

اللهم صل على محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، اللهم أنت وليي في الدنيا والآخرة، أنت الحق ومُحقُّ الحق وأنت خير الوارثين.

من دواعي تأليف الكتاب

إن من دواعي تأليف هذا الكتاب هي كثرة قواعدهم الواهية:

- فتجد أنهم في بحث الكلمة المستقلة- وضعوا للأسماء أكثر من ألف وزن، مع أن بعضها لا يوجد من مفرداته سوى كلمة واحدة. في حين أنها تختصر في ثلاثين وزناً.
- وتجد أنهم في بحث الكلمة المسلوكة- وضعوا مئات القواعد، فاقراً إن شئت ألفية ابن مالك؛ فستجد أنك تفني العمر فلا يتم لك حفظها متصلاً فضلاً عن فهمها وتطبيقها. في حين أنها تختصر في عشر قواعد.

- وتجد أنهم - في معاني صيغة فاعل- مثلاً وضعوا أكثر من عشرة معان، وهكذا في كثير غيرها، فأنى للدارس أن يحفظ كل ذلك. في حين أنها تُحتوى في قاعدة واحدة.
- وتجد أنهم -في معاني الحروف- يضعون للحرف الواحد عدة معان، كل هذا لعدم الإحاطة بالمعنى العام الجامع لها، مما يجعل الدارس لا يثق بهذه المعاني ولا يستطيع تطبيقها. في حين أني حصرت للحرف الواحد في الوضع الواحد معنى واحد.
- ولأنهم -لقواعدهم- يضعون استثناءات جمّة. في حين أن هذه القواعد تحتاج إلى تركيز فلا يخرج عنها شيء.
- ولأنهم -في تعابيرهم- تجد اللبس والبعد عن المعقول، فمثلاً يسمون بعض الكلمات؛ أسماء أفعال، وهذا يستدعي تسمية: أفعال أسماء، وحروف أسماء،...إلى آخر ما تقتضيه القسمة المنطقية. وقد بينت أن هذه التعابير غير مقبولة، وصححت منها ما هو قابل للتصحيح، وأبدلت ما كان خطأ بالصواب.
- أنهم -في الإعراب- يقولون مرفوع لفظاً منصوب محلاً، ومجرور لفظاً منصوب محلاً، ويسمون فاعلاً ما ليس بفاعل في الواقع، وما هو فاعل في الواقع غير فاعل.
- أنهم في قولهم عن كلمة أنها اسم- في حين أنها حسب قواعدهم لا ينطبق عليها شيء من قواعدهم للاسم، وعن كلمة أنها فعل ولا ينطبق عليها شيء من قواعدهم للفعل.
- أنهم - في تعابيرهم- تجد لبس، فيقولون هذه كلمة زائدة لازمة، وهذا اسم في لباس حرف، وهذا اسم في لباس فعل، وأشباه ذلك.

ثم إن اهتمامي بالنحو خاصة ولسان العرب عامة أت من محبتي لموطني أولاً ولقومي ثانياً، هذا اللسان الذي أراه العامل الأساس لتوحيد العرب ما أروع ما قال نيابة عنه سليمان العيسى:

إذا تقطعت الأرحام بينكمُ وقد تراكمت الأسوار والحجب
إذا التستم من الدنيا هويتكمُ وضاع خلف تخوم الغربية النسب
فلا تخافوا... لكم صدر يضمكمُ ستلتقون على صدري، أنا العرب

مثال صارخ

- هم يقولون في إعراب (فعلت): (فعل-): فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، و(تُ): ضمير بارز متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل. فالكلمة عندهم مركبة من فعل واسم مضمرة.

وأنا أقول في إعراب (فعلت): فعل ماض مبني على الضم، فالكلمة مفردة.

وتأتي المناقشة:

1- العرب تقول (فعلت) وتقول (أنا فعلت)، وهنا يكون مع الفعل الواحد ذاته ضميران هما (أنا) و (تُ)، وهذا إشكال في القواعد.

2- العرب تقول (فعلت) وتقول (انفعلت)، وهنا يكون (ان-) من (انفعلت) بدون إعراب عندهم مع أنها أدت معنى المطاوعة. كما أدت (تُ) معنى المتكلم المفرد ولها عندهم إعراب. وهذا عدم اطراد في القواعد.

3- العرب تقول (فعلت) وتقول (أفعل) وهنا -عندهم- يكون في الأولى كلمتان، ويكون في الثانية كلمة واحدة، مع أن الهمزة

(أ) في أول المضارع تؤدي معنى المتكلم المفرد كما أن التاء
(ت) تؤدي نفس المعنى. الهمزة ليس لها إعراب وهي عندهم
جزء من الكلمة، بينما التاء لها إعراب وهي كلمة ثانية. وهذا
انفصام في القواعد.

4- هذا وناهيك عن كلام كثير مكرر غير محبذ في القواعد.

الجديد في هذا الكتاب

النحو الحق (النحو على قواعد جديدة)

إن من يطالع هذا الكتاب سيجد فيه ما لا يوجد في أي كتاب نحو آخر
قديم أو حديث.

فالجديد في هذا الكتاب كما لخصته في مقدمته هو:

- تعديل في معاني الكثير من الحروف.
- تصحيح في ما اعتبره كثير من النحاة لبعض الحروف أنها أسماء
أحياناً ولبعض أنها أفعال انطلاقاً من رفض أن تحمل الكلمة أيّاً كانت
هُويّتين.
- رفض وبيان أن ليس هنالك ما يسمى بأسماء الأفعال.
- اعتماد وتوضيح أن الأفعال قسمان فقط ماض وحاضر (مضارع).
- اعتماد وتوضيح أن صيغ الأفعال (فعلتُ إلى فعلن) و(أفعلُ إلى يفعلن)
أن كلاً منها كلمة واحدة لا كلمتان.
- أخذ بالقول أن مصدر الاشتقاق هو الفعل الماضي.
- اعتماد وتوضيح بأن الألف في الثلاثي من الأفعال والأسماء وما اشتق
منهما في نحو: (قام، باع، خاف،...، دار، باب،..) اعتمادها أصلية لا
منقلبة عن واو أو ياء.

- اعتماد وتوضيح أن الضمائر قسمان لا غير.
 - اعتماد وتوضيح أن العوامل هي الحروف لا غير.
 - اعتماد وتوضيح أن الرفع في جميع أحواله وضع أصلي لم يأت به عامل.
 - أخذ القواعد من الألفاظ - طبعاً بحسب استعمالات العرب لها، لا من غير ذلك - لأنها مسموعة بالأذن خطاباً، ومبصرة بالعين قراءة.
 - هذا إلى تصحيح الكثير من الآراء السائدة المغلوطة في النحو.
- يجد القارئ كل ذلك أثناء مطالعة الكتاب مع أدلتي النقلية والعقلية، تاركاً له الحكم على ذلك.

خطة الكتاب

جعلت هذا الكتاب قسمين:

- 1- قسم الكلمة المستقلة، وهذه يسميها النحاة بالكلمة المفردة، وهو قسم الصرف.
 - 2- قسم الكلمة المسلوكة، وهذه يسميها النحاة بالكلمة المركبة، وهو قسم النحو.
- أما قسم الكلمة المستقلة فيتألف من أربعة مواضيع:
- 1- بنى الحروف ومعانيها.
 - 2- بنى أشباه الحروف ومعانيها.
 - 3- صيغ الأفعال والمتصرفات منها، والمعاني التي تؤديها كل صيغة منها.
 - 4- صيغ الأسماء والمتصرفات منها، والمعاني التي تؤديها كل صيغة منها.

وأما قسم الكلمة المسلوكة فيتألف من تسعة مواضيع:

- 1- تحديد الآخر وما يلحقه أثناء السلك.
 - 2- العوامل: ما هي؟ وما عمل كل منها؟.
 - 3- المرفوعات: الرفع وضع أصلي؛ ما له من عوامل.
 - 4- الجوزم: (لم، لما النافية، لام الأمر، لا الناهية، إن الشرطية ظاهرة ومقدرة).
 - 5- الخوافض: (من، إلى، عن، على، في، الباء، اللام ظاهرة ومقدرة، الكاف، الواو، حتى، رب).
 - 6- نواصب المضارع: (أن، لن، كي، إذن، لام التعليل، فاء السببية، واو المصاحبة، حتى الغائية أو (المخالفة)).
 - 7- نواصب الاسم: (إن وأخواتها، لا التعميم، يا وأخواتها، إلا وأخواتها في الاستثناء، واو المعية).
 - 8- المنصوبات بنزع الخافض: (في، من، لام التعليل، لام الاختصاص، الباء، الكاف).
 - 9- النواسق: (الواو، الفاء، ثم، إلا، حتى، أي، أو، أم، بل، لكن، لا).
- وبذلك جاء كتابي؛ كتاب النحو الحق، مخالفاً لكتب النحو قديمها وحديثها، يفيد ما تفيد بيسر وسهولة، محققاً الغاية التي وجد من أجلها؛ ألا وهي سلامة النطق فالمعنى، والحمد لله رب العالمين.

النحو الحق
(النحو على قواعد جديدة)
مقدمة

محمد علي بن محمد رستاوي
سورية- حماة- مورك
في 16 صفر 1401هـ،
الموافق لـ 26 كانون الثاني 1981م
هاتف: 033-567185

موافقة وزارة الإعلام

تاريخ: 2003/5/8

رقم: 74590

بسم الله الرحمن الرحيم

1. خطبة الكتاب

الحمد لله رب العالمين القائل: يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل: يسروا ولا تعسروا، وعلى آله
والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

هذا الكتاب ألفتُه في النحو سهل يسير، ذلك أنني فيه:

- اتخذت الاعتبار الصحيح للكلمة.
 - اهتديت للعامل الحق في الكلام.
 - فتكون بحوث هذا الكتاب كما يلي:
 - بحث الكلمة - المفردة طبعاً - بحسب ما اتخذته من اعتبار.
 - بحث ما يتفرع عن الكلمة بهذا الاعتبار، وأكثر ذلك في تصحيح
اعتبار الضمائر.
 - بحث العوامل - في الكلام طبعاً - بحسب ما اهتديت إليه.
 - بحث ما ينتج عن ذلك.
- وبما ذكرت جاء هذا الكتاب مختلفاً عن كتب النحو قديمها وحديثها،
ولكنه يفيد ما تفيده بيسر وسهولة.
- وقد سميت كتابي هذا **النحو الحق** (النحو على قواعد جديدة)، وأرجو من
الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد، كما أرجو منه تعالى أن ينفع به
مطالعيه، آمين.

2. تقديم

إني أقدم هذا الكتاب:
إلى الذين لا يقبلون عن الحق بديلاً.
وإلى الذين تغلب عليهم صفتان: محبة الاطلاع على الجديد، وإعمال
العقل في ما يطلعون عليه.
وإلى الذين يعودون إلى الصواب متى ظهر لهم غير مصرين على خطأ
وهم يعلمون.
أما الذين يقدسون القديم لقدمه، وإنما التقديس للحق لا غير.
والذين قعدت همتهن عن أن يدرسوا ويقارنوا ويمحصوا مكتفين بما
حفظوا¹.
والذين استوى عندهم الحق والباطل، وما أشد الحق على من وجدوا
آباءهم على أمة وهم على آثارتهم مقتدون!.
فلست أقدم إليهم هذا الكتاب.
وأولى لمن كان من هذه الفئات، إذا قرأ تقديمي هذا، أن لا يطالع هذا
الكتاب.

¹ إن على القارئ أن لا يأخذ الأشياء على ما هي عليه، أخذاً أياها مسلماتٍ لا تتناقش،
قابلاً بها على عجزها وبجرها، تاركاً لسواها مما قد يكون أجمل أو أيسر أو أصح،
بل عليه أن يتمعن في الأقوال كلها ليأخذ الأكثر فائدة ويترك ما دونه.

3. الجديد في هذا الكتاب

- تعديل في معاني الكثير من الحروف.
- تصحيح في ما اعتبره كثير من النحاة لبعض الحروف أنها أسماءً أحياناً ولبعض أنها أفعالٌ انطلاقاً من رفض أن تحمل الكلمة أياً كانت هُوَيْتَيْنِ.
- رفض وبيان أن ليس هنالك ما يسمى بأسماء الأفعال.
- اعتماد وتوضيح أن الأفعال قسماً فقط ماضٍ وحاضر (مضارع).
- اعتماد وتوضيح أن صيغ الأفعال (فعلتُ إلى فعلن) و(أفعلُ إلى يفعلن) أن كلاً منها كلمةٌ واحدة لا كلمتان.
- أخذ بالقول أن مصدر الاشتقاق هو الفعل الماضي.
- اعتماد وتوضيح بأن الألف في الثلاثي من الأفعال والأسماء وما اشتق منهما في نحو: (قام، باع، خاف،...، دار، باب،..) اعتمادها أصلية لا منقلبة عن واو أو ياء.
- اعتماد وتوضيح أن الضمائر قسماً لا غير.
- اعتماد وتوضيح أن العوامل هي الحروف لا غير.
- اعتماد وتوضيح أن الرفع في جميع أحواله وضعٌ أصليٌ لم يأت به عاملٌ.
- أخذ القواعد من الألفاظ - طبعاً بحسب استعمالات العرب لها، لا من غير ذلك - لأنها مسموعة بالأذن خطاباً، ومبصرة بالعين قراءة.
- هذا إلى تصحيح الكثير من الآراء السائدة المغلوطة في النحو.
- وبنتيجة ذلك كان هذا الكتاب ذا منهج مختلف عن المناهج كلها، يختصر النحو إلى التلث على الأقل.

الجزء الأول

النحو الحق

النحو على قواعد جديدة

1- الكلمة مستقلة (الصرف)

محمد علي رستاوي

1.1. الكلمة في اللغة¹

تطلق الكلمة في اللغة العربية على (العبارة المفيدة):
قال سبحانه وتعالى: «كلا إنها كلمة هو قائلها»، أطلقها على العبارة:
«رب ارجعون لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت». وقال: «كبرت كلمة تخرج
من أفواههم إن يقولون إلا كذباً»، أطلقها على قولهم: «اتخذ الله ولداً».
وقال رسول الله (ص) لقريش وقد سألوه: ماذا تريد منا؟، قال: (كلمة
تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم)، وعندما سألوه: ما هي؟، أجاب:
(أن تقولوا: لا إله إلا الله). ففسرها بهذه العبارة المفيدة.

ومما كتب الوليد بن عقبة إلى معاوية من أبيات:
فألق إلى الحي اليمانيين كلمة ينال بها الأمر الذي أنت راغبه
ثم فسر هذه الكلمة بقوله:
تقول: أمير المؤمنين أصابه عدو، ومالاهم عليه أقاربه²

¹ الحق أن يقال (الكلمة في اللسان؛ لسان العرب)، ولكن مشياً مع الدارج قلنا الكلمة في اللغة، مع أن اللغة من لغا، ولغا: أخطأ وقال باطلاً.
² أمير المؤمنين: أراد به الخليفة عثمان على غير ما أمر به. مالاهم: مالاهم: أعانهم، والملا: الفئة القوية من القوم.

1.2. الكلمة في الاصطلاح

لما كان معنى الكلمة في اللغة غير معناها الذي يراد لها في الاصطلاح، كان لابد من تعريفها فيه، فتعريفها فيه يخضع لاعتبارات واضعیه. وبحسب ما لدى واضع الاصطلاح عن المعرف من اعتبار يأتي تعريفه له. ومن هنا يأتي الاختلاف في تعريف الشيء الواحد بين النحاة وأمثالهم.

وأقول في اصطلاحي:

(الكلمة) لفظة مترابطة حروفها مستقلة عن غيرها وضعت لمعنى، مثل: (في، إن، كتب، كتبت، يكتبان، قلم، أقلام، زيد، أنتن،...).
إن هذه الألفاظ كلمات، كل منها لفظة مترابطة حروفها مستقلة عن غيرها وضعت لمعنى.

وعليه يكون في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أربع كلمات، لأن كلاً من: (قل) و(هو) و(الله) و(أحد)؛ لفظة مترابطة حروفها، مستقلة عن غيرها، موضوعة في اللغة لمعنى.

وعليه يكون في قوله (ص): (الآن حمى الوطيس) ثلاث كلمات، ويكون في مطلع معلقة امرئ القيس: (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل...) سبع كلمات¹.

أما المعنى الموضوع لكل كلمة، فإنه يعرف من متون اللغة؛ أي من المعاجم، كما يعرف الكثير منه من التعلم في المدارس، ومن مطالعة الكتب التي تتعرض لذلك، وكذلك من العامية الحاضرة حين عرضها على ما نسمع من فصيح.

¹ لم أعدّ (كتبت) كلمتين، لما ذكرت من تعريف الكلمة، ولأسباب سيأتي ذكرها في هذا الكتاب. وكذلك كلاً من (يكتبان) و(قفا) عددتها كلمة واحدة انسجاماً مع خطة هذا الكتاب.

1.3. فصل الكلمات ووصلها

لما كان أكثر ما يُطَّلَع على الكتاب منظوراً لا مسموعاً كان من المفيد أن أنبّه على قاعدة فصل الكلمات ووصلها بالخط العربي.

فأقول: الأصل أن تكتب كل كلمة بصورة لفظها منفصلة عما قبلها وعما بعدها مع الاعتبار بالابتداء بها والوقوف عليها، ولهذا:

لما كان هنالك كلمات لا يصح الوقوف عليها في نظر واضعي الخط العربي، وهذا حال حروف المعاني التي بنيتها من حرف هجائي واحد، ك: (همزة الاستفهام أو همزة النداء، وباء الجر، وسين الاستقبال،...): (أ، ب، س،...) وصلوها بما بعدها.

ولما كان هنالك كلمات لا يصح الابتداء بها - في نظرهم - وهذه حال الضمائر: (ني، نا، ك، ك،...) وصلت بما قبلها.

فيكون - مثلاً - في الآية الكريمة: ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ خمس كلمات لا أربع، لأن في: (برب) كلمتين، هما باء الجر و(رب).

ويكون في قول الحارث بن حلزة اليشكري:

أذنتنا ببينا أسماء رب ثاوي يمل منه الثواء¹
اثنتا عشرة كلمة، لأن في (أذنتنا) كلمتين، هما: (أذنت)، والضمير (نا)،
وفي (ببينا) ثلاثاً هي: باء الجر، و(بين)، والضمير (ها)، وفي (منه)
كلمتين هما: (من)، والضمير (ه).

اقتراح، أقول:

في الخط العربي نجد لكل حرف في رسمه ميزتان:

¹ آذن: أعلم. البين: المفارقة والبعد. أسماء: علم على امرأة يتغزل بها. الثاوي: المقيم.

الأولى: أن كلاً منها حين يوجد في آخر الكلمة يكون له رسمٌ متميز خاص به يدل على انتهاء الكلمة،
الثانية: أن كلاً منها يوصل في الكلمة الواحدة بما بعده فتتفرد بذلك كل كلمة عن الأخرى،
ولكن نجد الأحرف: (ا، د، ذ، ر، ز، و) خالية من هاتين الميزتين، وبذلك يُلبس على القارئ تمايز الكلمات بعضها عن بعض، لذلك كان من الأولى أن توضع لهذه الأحرف حين تكون في آخر الكلمة دالة تميزها عما هي في غير الآخر، فمثلاً لو كتب كما يلي: (ا، د، ذ، ز، ر، و)؛ لعرف بذلك انتهاء الكلمة.

1.4. أقسام الكلمة

1.4.1. مقدمة

إن ما يحتاج أن يُعبّر عنه إما غرض وإما حدث وإما شيء، لا يُخرج عن ذلك بحال.

أ- أما الأغراض فقد وضع العرب للتعبير عنها كلمات وجيزة، تتألف - في الغالب- من حرف هجائي أو حرفين، وهي قليلة العدد لا تبلغ الثمانين، ولكنها وافية بمقتضيات البيان على أوسع نطاق.

ب- وأما الأحداث فقد وضعوا للتعبير عنها الألف من الكلمات التي تتألف من ثلاثة أحرف هجائية فما فوق. وهذه الكلمات بسبب كثرتها تعبر عن أبسط الحركات وأجلّها وما بين ذلك، وتعبر عن أدق الأحاسيس وعن أبعد التصورات وما إلى ذلك.

ت- أما الأشياء فقد وضعوا لها أيضاً الألف من الكلمات التي تتألف من ثلاثة أحرف هجائية فما فوق. وبذلك لم يتركوا صغيراً ولا كبيراً مهما كان إلا وقد وضعوا له اسماً، ثم زادوا فوضعوا صفات تحيط بكل ناحية من أشكال المسميات وأوضاعها.

ثم هم فوق ذلك تصرفوا بالكلمات الدالة على الأحداث والأشياء تصرفاً واسعاً، فولدوا منها معاني كثيرة، فأدوا بها أغراضاً أخرى غير الأغراض المؤداة بالحروف، وبذلك لم يتركوا معنى يطوف حول المعنى الأصلي للأحداث والأشياء إلا استحدثوا له صيغة جديدة مع المحافظة على حروف المادة الأصلية، إذ زادوا فيها حرف هجاء أو أكثر من الأحرف السهلة النطق؛ حروف العبارة (سألتمونيها)، فكانت لهم ثروة من الكلمات واسعة جداً.

ولكنهم من جهة الكلمات الدالة على الأغراض لم يتصرفوا بها في شيء، ذلك أن التصرف بالأحداث والأشياء كان من أجل المعاني الجديدة التي يقتضيها البيان، بينما الأغراض بذاتها موضوعة أصلاً للبيان.

1.4.2. توضيح

لقد وُجد بالاستقصاء أن الكلمات جمعاء تنحصر في ثلاثة أنواع تبعاً للمعاني التي وضعت لها.

أ- كلمات معانيها تدل على أغراض، كل كلمة منها وضعت لغرض، مثل: (فَ، عَن، لَمْ، إِلَّا، لَيْتَ، نَعَمْ، ...) . فالفاء للتعقيب، و(عَن) للتجاوز، و(لَمْ) للنفي، و(إِلَّا) للاستثناء، و(لَيْتَ) للتمني، و(نَعَمْ) للمصادقة،... وهذه - كما هو واضح - (أغراض).

ومعاني هذه الكلمات ليست موجودة في أبنيتها؛ أي في حروف مبانيها، بل هي أعلام على هذه المعاني، قد وضعت لها التسمية من خارج حروفها، فهي كلمات عَوَاقِر لا يشتق منها، ولا هي مشتقة من غيرها. فحين نقول: إن الفاء للتعقيب، فإننا نستنبط لها هذه التسمية من تتبعها في الكلام لفهم ما يقصد بها. فكل كلمة منها تدل على معنى غير موجود في لفظها. هذا النوع من الكلمات هو ما يسمى بالحروف؛ حروف المعاني. فكل كلمة منها تدعى (حرفاً).

ب- كلمات معانيها تدل على أحداثٍ مُزْمَنَةٍ، إنما أحداثها انتهت قبل التحدث عنها، فكل كلمة منها تدل على حدث مضي؛ وقع زمنه قبل التكلم به، مثل: (كَتَبَ، قَرَأْتُ، جَاءُوا، أَقْبَلْنَا، لَعِبْتُمْ، ...)، وكل كلمة منها تسمى (فعالاً ماضياً).

كلمات معانيها تدل على أحداثٍ مُزْمَنَةٍ، إنما أحداثها لم تنته حين التحدث عنها - مثل سابقتها - بل هي مستمرة فيه، فكل كلمة منها تدل

على حدث لم ينته حين التحدث عنه، مثل: (يكتبُ، أقرأ، يجيئون، يقبلن، تلعبون،...) . وكل كلمة منها تسمى (فعلًا مضارعًا).

فما يسمى بالفعل - إذن - نوعان، لأنه: إما أن يدل على حدث انتهى، وإما أن يدل على حدث لم ينته. هذا بالنسبة لدلالته على الزمن. هذا النوع من الكلمات؛ (الأفعالُ)، الكلمة منها واحدة من قبيلة، لها أقارب كثر، تشاركها في المعنى الذي تدل عليه، مثل: (كَتَبَ، أَكْتُبُ، كَاتَبَ، انْكُتَبَ، اسْتُكْتُبَ،...).

ت - كلمات معانيها تدل على أشياء؛ أي كلمات كل منها وضع للدلالة على شيء، مثل: (رجل، كتابة، مهذبان¹، زيد، دمشقي،...).

فكل كلمة منها تدل على (شيء): ذات أو معنى، وكل كلمة منها تدعى: (اسمًا).

هذا النوع من الكلمات؛ (الأسماءُ)، الكلمة منها واحدة من أسرة، لها إخوة وأخوات، تشاركها في حروفها الأصلية وفي المعنى الذي تدل عليه، مثل: (رجل، رجلان، رجال، رُجِيل، الرجل،...)، وقد تكون مشتقة من الفعل مثل: (كتابٌ، مكتوبٌ، كاتبٌ،...) من الفعل (كتب).

كلمات معانيها تدل على أغراض خاصة؛ فهي أشبه بالحروف، ولكنها تقع مواقع الأسماء، مثل: (هُوَ، هذا، الذي، مَنْ، أين،...) سميتها (الأسماء الغرضية).

إذن فبين الاسم والفعل قرابة قوية. أما الحرف فلا يمت إلى أي واحد منهما بصلة.

وإذن فأقسام الكلمة ثلاثة: (الحرف، الفعل، الاسم).

¹ (متنى مهذب).

وأوضح تعريف لها من جهة المعنى، هو: الاسم؛ ما دل على مسمى،
والفعل؛ ما دل على حركة المسمى، والحرف؛ ما جاء لمعنى.

آراء النحاة: في أقسام الكلمة

- 1- البصريون: اسم وفعل وحرف.
- 2- الكوفيون: اسم وفعل وأداة. وإنما قالوا ذلك لسببين:
- أن هذا النوع من الكلمات إذا سمّيناه بالحروف؛ فإنّ الحروف تطلق على الأصوات التي تتركّب منها الكلمات.
- أن هذا النوع من الكلمات يستعان به على التعبير عن الأغراض، وما يستعان به هو (الأداة).
ورأي الكوفيّين هذا - **لديّ** - وجيه.
- 3- وقد زاد أبو جعفر بن صابر قسماً رابعاً سماه (الخالفة)، وهو اسم فعل.
- 4- وقال الفراء في (كلا): ليست اسماً ولا فعلاً ولا حرفاً.
- 5- ثم إن الحصري انتقد هذا التقسيم: (اسم، وفعل، وحرف)، فدعا إلى تكثير أنواع الكلمات.

النحو الحق
النحو على قواعد جديدة
2- الحروف

محمد علي رستاوي

2.1. مقدمة

إن ما يهمننا من الحروف في النحو هو بحثها في حالتين:

- 1- بحثها كلمات مستقلة.
 - 2- بحثها كلمات مسلوكة في الكلام.
- فنبحث في الحالة الأولى أبنيتها، ثم الأغراض التي وضعت لها؛ أعني المعاني التي تؤديها.
- ونبحث في الحالة الثانية أعمالها وإهمالها.

2.2. أبنية الحروف

الحروف بحسب أبنيتها تتكون من مقطع أو مقطعين، وتنقسم بحسب حروف هجائها وحركاتها إلى:

أ- حروف تتكون من حرف هجاء واحد

- 1- مفتوح قصير، هي: (أ، ت، س، ك، ل، ف، و).
- 2- مكسور قصير، هي: (ب، ل).
- 3- مفتوح طويل، هي: (لا، ما، ها، وا، يا).
- 4- مكسور طويل، هي: (إي، في).

ب- حروف تتكون من حرفي هجاء

- 1- مفتوح قصير فساكن، هي: (أم، أن، أو، أي، بل، عن، قد، كي، لم، لن، لو، هل).
- 2- مكسور قصير فساكن، هي: (إن، إذ، من).
- 3- مضموم قصير فساكن، هي: (مذ) فقط.

4- مفتوح قصير فمفتوح طويل، هي: (أما، ألا، أيا، بلى، حشا¹، خلا، عدا، على).

5- مكسور قصير فمفتوح طويل، هي: (إلى، إذا).

ت- حروف تتكون من ثلاثة أحرف هجاء

1- مفتوح قصير فساكن فمفتوح قصير، هي: (أنّ، عل²، سوف، لیت، لیس).

2- مكسور قصير فساكن فمفتوح قصير، هي: (إنّ، بئس، نعم).

3- مضموم قصير فساكن فمفتوح قصير، هي: (ثمّ، ربّ، منذ).

4- مفتوح قصير فساكن فمفتوح طويل، هي: (أما، حتّى، كلا، لما، لولا، لوما).

5- مكسور قصير فساكن فمفتوح طويل، هي: (إما، إيا، إلا).

6- مفتوحين قصيرين فساكن، هي: (نعم، أجل).

7- مكسور فمفتوح قصيرين فساكن، هي: (إذن).

8- مفتوح طويل فمكسور قصير فساكن، هي: (لكن).

توضيحات على واقع الحروف، أقول:

1- لم يدخل أحد من النحاة في حروف المعاني ما يزداد في الأبنية الأولى للفعل ولا للاسم من حرف أو حرفين أو ثلاثة؛ كزيادة ألف (فاعل) للدلالة على المشاركة، وزيادة ياء (فُعِيل) للدلالة على التصغير، مع أن الحروف المزادة تؤدي إلى معاني هي صنو المعاني المؤداة بحروف

¹ (وهي لغة في حاشا).

² (وهي لغة في لعل).

المعاني سواء بسواء. وإنما كان ذلك لأنها واقعة في حدود بنية الكلمة المفردة؛ فلا تتفصل عنها لفظاً ولا خطأً، وليس لها تأثير إعرابي على آخرها.

2- هنالك ما يذكره كثير من النحاة على أنه من حروف المعاني، ولكني لا أرى له ذلك فلم أذكره بين هذه الحروف، مثل: (الـ) التعريف و(ها) التنبيه، وألف الإنكار، ونون التنوين، وهاء السكت. وقد بينت في أماكن متفرقة سبب ذلك.

3- هنالك بعض الحروف قد اعتبرها بعض النحاة أفعالاً، مثل: (ليس، نِعْمَ،...)، وهنالك بعض آخر قد اعتبرها البعض أسماء، مثل: (لما، إذا،...)، فلم أرَ لهن ذلك. ومثل هذين فإنني سوف أذكر أدلتي على حرفيتهن عند عرض واقعهن.

4- هنالك حروف سأذكرها - في بحث معاني الحروف - مدرجة مع بعض من الحروف المذكورة في عنوان واحد منها؛ لأنها مختصرة من هذا الحرف، أو مثقلة عليه، أو منقلبة عنه، أو لأنها تحمل معناه فهي أخته، أو لأنها نظيرته فلهما أحكام واحدة، أو لأنها مركبة منه مع آخر، فتذكر معه استطراداً.

5- يلاحظ في أبنية الحروف التي تتكون من ثلاثة أحرف هجائية أن فيها الحرف الثاني:

آ- إما مشدداً؛ أي من جنس الثالث، وهي: (أَنَّ، عَلَّ، إِنَّ، ثُمَّ، رَبَّ، أُمَّ، كَلَّا، حَتَّى، إِمَّا، إِلَّا، إِيَّا).

ب- وإما حرف لين، وهي: (سوف، لبيت، لات، ليس). ونادر غير ذلك. فأبنية الحروف على العموم تختلف عن أبنية الأفعال والأسماء.

2.3. معاني الحروف

2.3.1. حروف تتكون من حرف هجاء واحد

- أ -

1- الهمزة (أ)

تأتي الهمزة في الكلام في وضعين فيؤدى بها غرضان هما النداء والاستفهام.

أ- الهمزة والنداء

الهمزة حرف نداء، تنادى به الأسماء القريبة، قال امرؤ القيس فالحطّيبنة فهدبة بن الخشم:

أ فاطم مهلاً بعضَ هذا التدلّلِ وإن كنتِ قد أزمعتِ صرّمي فأجملي¹
أ دار سلّيمي بالروانك فالعرف أقمّت على الأرواح والديّم الوطفِ²
أ ذا العرشِ، إني عانئذ بك مؤمن مقرّ بزلاتي إليك أتوب³

ب- الهمزة والاستفهام

الهمزة حرف استفهام، يستفهم به عن مضمون الجملة فيقدم عليها، كما في الآيات الكريمة التالية: ﴿أ رأيت الذي يكذب بالدين؟﴾، ﴿أ لم نشرح لك صدرك؟﴾، ﴿أ نذا كنا عظاماً نخرة؟﴾.

وإنما قلت: إن الهمزة يستفهم بها عن مضمون الجملة ولا يستفهم بها عن المفرد، لأنك تقول في الاستفهام (لمن قال لك: مررتُ بزيد): أ بزيد؟. فتبقى جزء الكلام كما لو أنه في الجملة تامةً وتقول (لمن قال: إن تأتني آتاك): أ إن تأتني آتاك؟، تبقى الكلام لا تغير فيه شيئاً.

¹ أزمع: صمم. صرّمي: قطعي؛ مفارقتي.

² الديم: الأمطار، الوطف: الطويلة.

³ عانئذ: ملتجئ.

2- التاء (ت)

التاء حرف قسم خصّوه بلفظ الجلالة، كما في الآيتين الكريمتين: ﴿تالله﴾
تفتاً تذكر يوسف حتى تكون حرضاً، أو تكون من الهالكين، ﴿تالله لقد
آثرك الله علينا﴾.

وحكى الأخفش دخولها على (ربّ الكعبة) و(ربّي)، قالوا: تَرَبَّ الكعبة،
وتَرَبّي. ومن الشاذ: تالرحمن وتحياتك.

3- السين (س)

راجع بحث (سوف).

4- الكاف (ك، كَأَنْ، كَأَنَّ)

هذه الأحرف كلها للتشبيه. ومعنى التشبيه فيها مستمد من الكاف،
فالغرض الذي وضع له هذا الحرف (ك) هو التشبيه. ولكن العرب:
1- خصصوا الكاف (ك) للأسماء، تقول: خالد كالأسد، وليلى كالبدر،
ونتلو: ﴿أفجعل المسلمين كالمجرمين﴾، ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾، ﴿أفمن
كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون﴾.

2- وخصصوا (كأن) بالفعلين (قد فعل، ولم يفعل)، قال:

لا يَهولنك اصطلاء لظى الحر ب، فمحذورها كأن قد ألمّا
وقال تعالى: ﴿فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس﴾.

3- وخصصوا (كأن) للمحكي عنه (المبتدأ)، نحو: قول امرئ القيس:

كأنَّ أباناً في أفانين ودقه كبير أناس في بجاد مزمل¹
كأنَّ مكاكيَّ الجِواءِ غُدِيَّةً صُبْحن سِلافاً من رحيق مففل²

¹ أبان: جبل. أفانين: ضروب. الودق: المطر. البجاد: كساء مخطط. مُزَمَّل: ملفف.

² المكاكي: نوع من الطيور المغردة. السلاف: الخمر الصافية. مففل: فيه فلفل.

كأنَّ السباع فيه غرقى عشية بأرجائه القصوى أنابيش عُصل¹

آراء النحاة: في الكاف

- 1- مذهب سيبويه أن الكاف لا يكون اسماً إلا في الضرورة.
- 2- ومذهب الأخفش والفرسي ومن تبعهما يجوز أن يكون اسماً في الاختيار.
- 3- ومذهب ابن مضاء أنها اسم أبدأً.

الكاف لا يكون اسماً أبدأً، أقول:

1- لعدم النظير، فما من اسم يكون من حرف هجائي واحد، حتى ولا من حرفين. أما نحو: (يد، فم، أب،...)، فكل النحاة قالوا: إن هذه الأسماء ثلاثية الأصل. فكيف يمتنعون عن جعل الاسم على أقل من ثلاثة أحرف، ثم يقولون عن كلمة مكونة من حرف هجاء واحد: إنها اسم؟! أما الياء والكاف والهاء في نحو: (لي، لك، له، كتابي، كتابك، كتابه، أكرمني، أكرمك، أكرمه)؛ فإن هذه الضمائر كناية عن الأسماء لا أسماء مباشرة.

قال سيبويه: {أعلم أنه لا يكون اسم مظهر على حرف أبدأً، لأن المظهر يسكت عليه وليس قبله شيء، ولا يلحق به شيء، ولا يوصل إلى ذلك بحرف ولم يكونوا ليحذفوا بالاسم فيجعلوه بمنزلة ليس باسم ولا فعل وإنما يجيء لمعنى}.

2- لأن هذه الكلمة موضوعة لغرض هو التشبيه، وهذه سمة الحروف لا سمة الأسماء.

¹ الأنابيش، الواحد أنبوش: ما ينبش. العُصل: البصل البري.

3- لأن ما يقولون فيه باسميتها لم يفارقه معنى الحرف الذي هو التشبيه، وإنما قالوا ذلك لوقوع الكاف في مواقع إعرابية. وواضح في جميع هذه أن الكاف داخل على المشبه به، والموقع الأعرابي هو للمشبه المحذوف، ففي قول العجاج فالأعشى فجميل - وهي من شواهدهم على اسميتها:-

يضحكن عن كالبرد المنهم تحت عرّانين أنوف شـم¹
أنتتهون؟ ولن ينهي ذوي شطط كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل²
لو كان في قلبي كقدر قلامه حب لغيرك ما أنتك رسائلي³
أي يضحكن عن أسنان كالبرد، ولن ينهي ذوي شطط شيء كالطعن، ولو كان في قلبي فراغ كقدر قلامه. وحذف الموصوف كثير في اللغة متى عرف بما يوصف به، وإنهم يستغنون عن الموصوف بصفته، ولولا هذا لكان عليهم أن يجعلوا (جلا) في قول سحيم:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني
اسما لأنه وقع موقع المضاف إليه، وأن يجعلوا (يحرّفون) في الآية الكريمة: «من الذين هادوا يحرّفون الكلم...» اسماً لأنه وقع موقع المحكي عنه. وكذا (كان، ونام) لا تكونان اسمين لدخول الجار عليهما في البيتين؛ وهما من شواهد النحو:

كل امرئ يوماً يصير إلى (كان)
والله ما ليلى بـ (نام) صاحبه ولا مخالط الليان جانبه
ولا أحد من النحاة يقول ذلك.

¹ المنهم: الذائب. العرنين: أول كل شيء.

² الشطط: تجاوز الحد.

³ القلامه: ما يقلم من الظفر؛ أي ما يقص.

4- ثم لاحظ أنه لا يوجد لها أسرة شأن بقية الأسماء.

5- اللام المفتوحة (إِ)

اللام المفتوحة حرف تأكيد؛ يؤكد بها مضمون الجملة، ولهذا:

1- لزمت مع القسم ظاهراً ومقدراً، نحو: «وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين»، «لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون»، «كلا لئن لم ينته نسفعا بالناصية». وكان لزومها لتظاهر القسم، لأن كليهما تأكيد.

2- ولزمت مع (إن)، نحو: «وإن كنا عن دراستهم لغافلين»؛ كأنه قال: ما كنا عن دراستهم إلا غافلين، وكان لزومها لحصر (إن) في النفي، فقد أعطت اللام هنا معنى (إلا).

1- وجاءت مع تالي (إن)، نحو: «إن في ذلك لَعبرة لمن يخشى»، «إن هذا لهُو القصص الحق». يؤتى بها زيادة في التأكيد، لأن (إن) لتأكيد المحكي عنه، وهي لتأكيد مضمون الجملة.

2- وجاءت مع (نعم، وبئس، ورُبُّ، وسوف) لتأكيد معانيهن؛ المدح، والذم، والتقليل، والوعد، نحو: «ولنعم دار المتقين»، «لبئس المولى ولبئس العشير»، وقول جميل:

فَلرب عارضة علينا وصلها بالجد تخلطه بقول الهازل،

«إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فأسوف تعلمون».

3- وجاءت مع المحكي عنه في بداية الجملة، نحو: «ولعبد مؤمن خير من مشرك»، «لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله». يؤتى بها للتأكيد من أول الجملة وهذا هو الأصل، وإنما أخرجت فيما سبق للابتداء بمؤكد غيرها.

4- وقد جاءت في جواب (لو، ولولا، وإذا)، نحو: «وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا»، «لولا رهطك لرجمناك»، «إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات»؛ يؤتى بها لتأكيد أجوبتهن.

ثم إن هذه اللام:

1- لا تدخل على الضمائر المتصلة، ذلك أن الحروف التي تدخل على هذه الضمائر محدودة؛ هي حروف الخفض، وحروف المحكي عنه، لذلك فتحوا لام الخفض المكسورة مع الضمائر هذه لأنهم اللبس بينهما.

2- ولا تدخل على حروف النفي، لأن أغلب حروف النفي مبدوءة باللام: (لا، لم، لماً، لن، لات، ليس). فيستثقل اجتماع اللامين؛ كما قال ابن النحاس.

- ولا تباشر الماضي غالباً، بل تفصل عنه بـ (قد) غير أن دخولها على المفردات لا يعنى تأكيد ما دخلت عليه منهن، بل تأكيد الجمل التي هنَّ فيها.

لهذه اللام تسميات لا حاجة لنا بها

لقد سمي النحاة هذه اللام بأسماء كثيرة؛ هي:

- 1- لام ابتداء، في نحو: لزيد قائم.
- 2- ولام مزحقة، في نحو: إن زيداً لقائم.
- 3- ولام فارقة، في نحو: إن كان زيداً لقائماً.
- 4- ولام زائدة، في نحو: زيد قائم.
- 5- ولام جواب، في نحو: والله لزيد قائم، وإن لأكرمناك، ولو قام لقمتم، ولولا زيد لقمتم، والله لأفعلن.
- 6- ولام موطئة، في نحو: «لئن أخرجتم لنخرجن معكم». وقد زادوا على ذلك وفرعوا.

وأقول:

الحق أن هذه اللام كلها لام واحدة، لأنها كلها تفيد التوكيد؛ معناها كلها التوكيد. والأصل أن تأتي تسمية الحروف من المعاني التي تحملها، فما دامت تحمل معنى واحداً فليكن لها اسم واحد.

ثم إن ما قرروه من أن هذه اللام تعلق (ظن وأخواتها) عن العمل، نحو: علمتُ لزيدٍ مسافراً، ومن أنها تمنع النصب على الاشتغال، نحو: زيدٌ لأكرمته، ولزيدٌ أكرمتُ أباه.

إن كل ما قرروه عن ذلك ليس له بحث فيما سأسرد من قواعد، والتي ستبين أن التعليق والنصب على الاشتغال أمران خارجيان لا حاجة إليهما في دراسة النحو.

لأنني سأقرر أن العمل لا يكون إلا للحروف. وخاصة الحروف التي ينصب معناها على كلمة من المعريين: الاسم والمضارع.

ولأنني سأوضح أن هذه المنصوبات وأمثالها إنما هي منصوبة بنزع الخافض.

6- الفاء (ف)

الفاء حرف تعقيب¹، تدل على أن هذا وقع عقب هذا. وهو يدخل على الجمل والمفردات، تقول: مررت بحمص فحماة، وأكرمت زيدا فشكر. قال امرؤ القيس:

تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة فشيذرا²
ولهذا المعنى؛ معنى التعقيب:

¹ أقول: الأدق أن يقال؛ الفاء حرف ردف؛ تجعل ما بعدها رديفاً لما قبلها.

² اللبانة: الحاجة من غير فقر.

1- جاءت مع تالي (أما)، نحو: «فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث». ذلك لأن تالي (أما) يحتاج إلى تفصيل يعقبه.

2- وجاءت مع جملة الجزاء، نحو: «إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل»، «من عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها»، «فإذا فرغت فانصب، وإلى ربك فارغب». ذلك أن الشرط يحتاج إلى جواب عقبه، والجواب تعقيب للشرط، فتميز بالفاء جملته عن المفرد.

- ولهذا انفردت الفاء - عن بقية حروف العطف أخواتها - بالتفصيل عن الجمل، نحو: «إنا أنشأناهن إنشاء، فجعلناهن أبكارا».

- ولهذا المعنى صح مجيئها مع (إذا) الفجائية، نحو: «فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة»، «فألقاها فإذا هي حية تسعى». ذلك أن المفاجأة تعقب سريع.

- وصح مجيئها بعد المقدمات، نحو: «إنا أعطيناك الكوثر، فصلي لربك وانحر»، «أ رأيت الذي يكذب بالدين، فذلك الذي يدع اليتيم».

- وصح مجيئها مع ثاني المترابطين، نحو: «وربك فكبر»، «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما».

وقد كثر استعمالها مع الأماكن المتقاربة كأن بعضها يعقب بعضاً، قال امرؤ القيس فزهير فعبيد بن الأبرص:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل¹
أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمنتلم²

¹ سقط اللوى، والدخول، وحومل: أماكن.

² أم أوفى: كنية حبيبة الشاعر. دمنة الدار: ما اسود من آثرها. حومانة الدراج، والمنتلم: مكانان.

أقفر من أهله ملحوب فالقطيبات فالذنوب¹
وهذا كثير في الشعر الجاهلي.

للفاء معنى واحد، أقول:

يتبين مما قدمت فمثلت به للفاء؛ أن للفاء معنى واحداً هو التعقيب. فليست في بعضٍ للتعقيب، وفي بعضٍ للاستئناف، وفي بعضٍ زائدة، وفي بعضٍ جوابية وإن جاءت فيما يتطلب الجواب. لأن الأصل أن يسمى الحرف بالمعنى الذي يحمله في الجميع. ومعنى التعقيب ملاحظ فيها جميعاً.

آراء النحاة: في نحو: (خرجت فإذا زيد بالباب)

1- أبو عثمان المازني: الفاء زائدة، وعليه الفارسي. ولا أقبل القول بالزيادة مطلقاً.

2- مبرمان: عاطفة، وهذا قوي عند ابن جني. وهو ما أراه.

3- الزيايدي: هي للجزاء، وعليه الزجاج. وهذا بعيد في تقديري.

7- الواو (و)

تأتي الواو في الكلام في ثلاثة أوضاع فيؤدى بها ثلاثة معانٍ.
1- الأول يكون لها في أول الكلام قبل الأسماء الظاهرة، فتكون فيه للتعظيم.

2- الثاني يكون لها في أثناء الكلام محضرة فيه ما بعدها مع ما قبلها، فتكون للمعية.

3- الثالث يكون لها في أعقاب الكلام ناسقة فيه ما بعدها مع ما قبلها، فتكون فيه للنسق.

¹ ملحوب، والقطيبات، والذنوب: أماكن.

أ- الواو حرف تعظيم

به تعظم الأسماء الظاهرة. أما الأسماء المضمرة فلا يصح تعظيمها، لأنها كناية عن الأسماء الظاهرة.

1- ويكون تعظيمها إذا كانت معارفَ بأن يُقسَمَ بهن، نحو: «والعصرِ، إن الإنسان لفي خسر إلا...»، «والعادياتِ ضبحاً»، وقال امرؤ القيس فابن أبي ربيعة:

فلا وأبيك ابنة العامري لا يدعى القوم أني أفر¹
من رسولي إلى الثريا؟ فإني ضقت ذرعاً بهجرها: والكتاب²
2- ويكون تعظيمها إذا كانت نكراتٍ بأن يُنمَدَحَ بهن: قال امرؤ القيس فليبيد فعمرو بن كلثوم:

وليلِ كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي³
وجذورِ أيسار دعوت لحتفها بمغالق متشابه أعلامها⁴
وأيامٍ لنا غرٌّ طـووال عصينا المَلَك فيها أن ندينا⁵
ثم إن هذه الواو تُفتتح بها القصائد، فلا يصح أن تكون عاطفة - كما يقول كثير من النحاة - لا على شيء أسقطه الراوي، ولا على شيء في نفس الشاعر، لأن هذا رجم بالغيب. والقواعد إنما تبنى على الثوابت.

ب- الواو حرف معية

¹ ابنة العامري: هي هر بنت سلامة بن عزن. القوم: هنا بنو تميم. أفر: انهزم.

² الثريا: امرأة يرأسها.

³ سدوله: ستوره؛ يعني ظلامه. يبتلي: يختبر؛ يمتحن.

⁴ الأيسار: أصحاب الميسر. المغالق: سهام الميسر.

⁵ ندين: نخضع.

في هذا تحضر الاسم مع الحدث، وتحضر الجملة مع الحدث، وتحضر المضارع مع النفي أو الطلب، وتحضر المحكي عنه مع ما يقترن به.

1- الأول، نحو: سرتُ والجبلُ، ووصلتُ والشمسُ،

2- والثاني، نحو: خطبَ القائدُ والناسُ حشودًا، وقعدَ وهو يبتسمُ،

ورجعتُ -وهي غاضبةٌ- هندُ،

3- والثالث، نحو: اجتهدُ وتنتبهَ، ولا تمشِ وتنافستُ،

4- والرابع، نحو: أنتَ والأيامُ...، وكلُّ امرئٍ وعملهُ...، والغائبُ

وحجتهُ....

هذه الواو يسمونها مرة بواو المعية ومرة بواو الحال و مرة بواو

الاعتراض؛ والمعنى واحد.

وهي لا تدخل على الضمائر المتصلة العائدة على الاسم المنصوب،

مثلها مع الضمائر مثل (إلا، لا، يا) معها. وسيأتي عليها توضيح في

نواصب الأسماء.

ت- الواو حرف نسق

في هذا تنسيقُ الأسماء مع الأسماء وتنسيقُ الأفعال أو الأسماء المشتقة من

الأفعال مع الأفعال، وتنسيقُ الجمل مع الجمل.

1- الأول، نحو: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسانِ وإيتاءِ ذي القربى

وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغىِ يعظكم لعلكم تذكرون﴾.

2- والثاني، نحو: ﴿لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد﴾، ﴿أو لم يروا

إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن﴾.

3- والثالث، نحو: ﴿إن الإنسان لربه لكنود، وإنه على ذلك لشهيد﴾.

وهذه الواو تختص فيما يقتضي اثنين، نحو: ترافقَ زيدٌ وعمرو، وسيانَ

حضوركَ وغيابكُ، وجمعتُ هذا وهذا، والمالُ بينَ زيدٍ وأخيه.

وهي في النسق من أكثر الحروف دوراناً في الكلام، فلا يستطيع قائل أن يقول مقالاً مترابطاً بعيداً عن التفكك إلا بها.

ثم إن منسوقها الأكثر فيه أن يكون للمشاركة في زمن الحدث، وكثيراً ما يكون متأخراً عنه، وربما جاء متقدماً عليه. ولكن الجمهور يرى أنها لمجرد الجمع، بينما يرى قُطرب والرَبَعي وثعلب والفراء وأبو عمرو الزاهد والشافعي أنها تفيد الترتيب. وهذا هو الأصل في النسق.

آراء النحاة في واو رب (واو التمدح)

- 1- البصريين: حرف عطف؛ تعطف على شيء مقدر أو شيء في نفس الشاعر، والجر بـ (رب). وقد تابعهم على هذا الكثير.
- 2- الكوفيين والمبرد: ليست بحرف عطف، والجر بها لا بـ (رب)، بدليل افتتاح القصائد بها.

1- الباء (ب)

الباء حرف إصاق، يختص بالأسماء فيلصقها بالأحداث؛ أي يجعل حركة الحدث آتية إلى الاسم ملتصقة به، ولكن الإصاق يكون بالمباشرة أو بالسبب أو بالاصطحاب.

1- الأول، نحو: «وما لكم لا تؤمنون بالله»، «وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر»، «ومبشراً برسول يأتي من بعدي»،

2- والثاني، نحو: «يخربون بيوتهم بأيديهم»، «فأنجيناهم والذين معه برحمة منا»، «ذلك جزيناهم بما كفروا»، «ولا تشتروا آياتي ثمناً قليلاً». وتقول: كتبتُ بالقلم، ولعبتُ بالكرة، وبالله لأكرمك، واشتريتُ الكتابُ بدينار، وعاقبتُ زيداَ بإهماله.

3- الثالث، نحو: «قيل يا نوح اهبط بسلام منا»، «وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن». وتقول: خرجَ بسيفه، وأقبلَ بالشر، وجاءَ بالمدهشات.

وقد ذكر النحاة للباء معاني كثيرة، ولكنها جميعاً تعود إلى معنى الإصاق، ولما لم يكن لها مواقع مختلفة في الكلام لم يكن لها معاني مختلفة، والأصل إبقاء الحرف على موضوع واحد في مثل هذا.

وقد قال سيبويه: «باء الجر إنما هي للإلحاق والاختلاط، تقول: خرجتُ بزید ودخلتُ به وضربتُهُ بالسوط، ألزقتُ ضربك إياه بالسوط. فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله».

2- اللام المكسورة (لـ)

أ- اللام (لـ) أولاً؛ لام الخفض

هذه اللام مكسورة، ولكنها تفتح مع الضمائر عدا ياء المتكلم، وتفتح مع المستغاث به والمتعجب منه؛ تفتح تخفيفاً لأن اللبس مع اللام المفتوحة هنا مستبعد.

اللام هذه تأتي في الكلام في ثلاثة أوضاع فتكون لثلاثة معانٍ: قبل الأسماء بعد (يا)، قبل الأسماء مرتبطة بالذوات أو الأحداث، قبل المضارع أو المصدر (اسم الحدث).

1- الأول: تكون فيه للاستغاثة أو التعجب، قال مهلهل بن ربيعة التغلبي فأمية بن أبي عائذة الهذلي ففرار الأسدي:

يا لبكر! انشروا لي كليياً يا لبكر! أين أين الفرار؟!¹

ألا يا قومي لطيف الخيال أرق من نازح ذي دلال²

يا لعطافنا ويا للرباح! وأبي الحشرج الفتي النفاح³

ويقولون: يا للماء والعشب!، إذا تعجبوا من كثرتهما.

2- والثاني: تكون فيه للنسبة تنسب بها الأحداث⁴ إلى الأسماء، تقول: الكتاب لزيد، فتنسب الكتاب لزيد. قال تعالى: ﴿الله ما في السماوات وما في الأرض﴾، ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، ﴿بأن ربك أوحى لها﴾، ﴿يخرون للأذقان بيبكون﴾، ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾، ﴿فعال لما يريد﴾.

¹ يطلب منهم أن يحيوا أخاه، يعجزهم ويتهددهم ويستغيث لهم على أنفسهم.

² الطيف: الصورة في النوم. أرق: منع النوم.

³ يرثي رجالاً من قومه. النفاح: الكثير العطاء.

⁴ المقصود من الأحداث هنا هو الأفعال، وما يشتق منها، من الأسماء، وأسماء الذوات.

وتقول: كتبتَه لخمس خلون من رمضان.

3- الثالث: تكون فيه للتعليل، نحو: «يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم»، «وما كان الله ليطلعكم على الغيب»، «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً»، «يريد الله ليبين لكم». وتقول: جئت للعلم، كما تقول: جئت لأتعلم.

القول في معاني هذه اللام

هذه اللام ذكر لها النحاة معاني كثيرة، أشهرها:

1- الاستحقاق، نحو: الحمد لله.

2- الاختصاص، نحو: المنبر للخطيب.

3- التملك، نحو: وهبت لزيد كتاباً.

4- شبه الملك، نحو: «جعل لكم من أنفسكم أزواجاً».

5- الملك، نحو: الكتاب لزيد.

ويلاحظ أن هذه المعاني كلها تدخل في دائرة النسبة (الاختصاص)، فهي من نوع واحد.

6- التعليل، نحو: «لتكونوا شهداء على الناس».

7- توكيد النفي، نحو: «وما كان الله ليطلعكم على الغيب».

8- الصيرورة، نحو: «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً».

9- التعدية، نحو: «يريد الله ليبين لكم».

ويلاحظ أن هذه المعاني كلها تدخل في دائرة التعليل إذا نحن تجاوزنا البادء من المعاني.

10- التعجب، نحو: يا لله!، والله دره فارساً!.

11- القسم والتعجب، نحو قول الخناعي:

الله يبقى على الأيام ذو حيدٍ بمُشخَرٍ به الظَّيَّانُ والآس¹

12- الاستغاثة، نحو: يا للفتيان للنوائب.

ويلاحظ أن هذه المعاني من نوع واحد، وإنما يفهم منها هذا أو ذاك من السياق.

13- موافقة (إلى، على، في، عند، بعد، من، عن، مع). وهذه أمثلة

لهن على الترتيب:

موافقة (إلى)، نحو: «بأن ربك أوحى لها»، موافقة (على)، نحو:

«يخرون للأذقان»، موافقة (في)، نحو: «ونضع الموازين القسط ليوم

القيامة»، موافقة (عند)، نحو: كتبته لثلاث بقين من شوال، موافقة (بعد)،

نحو: «أقم الصلاة لدلوك الشمس»، موافقة (من)، نحو: سمعت له صراخاً،

موافقة (مع، وعن)، نحو: قول متمم بن نويرة فأبي الأسود الدؤلي:

فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً إنه لدميم

وأقول:

الحق أن هذه المعاني على أصلها، وإنما رأوا بها ما تقدم، لأن الأفعال كثيراً ما تتصل بالحروف المذكورة، ولبعضها شهرة بأحد الحروف أكثر من غيره، فكأنهم يريدون أن يقصروا كل حرف على ما اشتهر به، بينما اللغة غير ذلك، وكأنهم يقولون: يستعمل هذا الحرف وأمثاله فوضى، أو أن العرب تستعمله اعتباراً.

¹ الله يبقى: والله لا يبقى. على الأيام: مدى الدهر. ذو حيد: عنى به وعل متفرد.

مشخر: جبل عال. الظيان والآس: نباتان.

والذي أوقعهم في ذلك سعة معاني حروف الخفض وكثرة دورانها، ثم
تفريغهم المعاني المتقاربة، وجمعهم النوادر من الشواهد.
وهنا أنقل ما قال المرادي صاحب كتاب (الجنى الداني في حروف
المعاني) بعد أن عد للام هذه ثلاثين معنى: {التحقيق أن معنى اللام، في
الأصل، هو الاختصاص. وهو معنى لا يفارقها وقد يصحبه معاني آخر
وإذا تَوُمِّلت سائر المعاني المذكورة وجدت راجعة إلى الاختصاص.
وأشكال الاختصاص متعددة؛ ألا ترى أن من معانيها المشهورة التعليل،
قال بعضهم: هو راجع إلى معنى الاختصاص، لأنك إذا قلت: جئت
للإكرام، دلت اللام على أن مجيئك مختص بالإكرام إذ كان الإكرام سببه،
دون غيره. فتأمل ذلك. والله أعلم.}

ب- اللام (لـ) ثانياً؛ لام الأمر:

اللام هذه مكسورة، ولكنها تسكن إذا سبقت بالواو أو الفاء أو ثم، وقد قال
ابن مالك: {إن تسكينها هو الرجوع بها إلى الأصل. وهي لا تدخل إلا
على المضارع. وبنو سليم يفتحونها}.
هذه اللام حرف أمر؛ الغرض الذي وضعت له هو الأمر، تقول: لنقف
إجلالاً لأرواح الشهداء؛ توجه بذلك أمراً.
بهذه اللام يأمر المتكلم نفسه، نحو: قوموا فلأصل لكم، ويأمر بها نفسه
ومن معه، نحو: «وقال الذين كفروا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم»، وقد
يأمر بها المخاطب، كقراءة: «وبذلك فلتنفروا»، وبها يأمر الغائب، نحو:
«فليدع ناديه»، «ثم ليقطع فليُنظر...». وبها يؤمر أبداً إذا كان المضارع
مبنياً للمجهول، تقول: لتعن بحاجتي، أو ليغن بحاجتي، ولتتره بفعلك.
ولكن الكثير جداً حذفها مع المخاطب خاصة، تحذف فيبقى الغرض
واضحاً. ذلك لأن الأمر للمخاطب هو الأصل.

وحذفها مع المخاطب لا يدخل على الأمر أي ليس، تقول: قم، سر، قف،
امش،...؛ بدلاً من: لتقم، لتسر، لتقف، لتمش،.... وهكذا.

1- (لا، لات، لئس)

هذه الأحرف كلها بمعنى واحد: هو النفي.

- لا:

تأتي في الكلام مفردة أو مكررة بالشكل: (لا...ولا...).

أ- أما المفردة:

1- فتدخل على اسم الجنس نكرة فتنفي جميع أفرادها، تقول: لا رجل في الدار، فتنفي جميع الرجال، قال تعالى: ﴿كلا، لا وزر﴾، ﴿لا إكراه في الدين﴾.

2- وتدخل على الفعل المضارع:

فتكون للنفي فقط، نحو: ﴿قل يا أيها الكافرون، لا اعبد ما تعبدون﴾، ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾، ﴿فما لهم لا يؤمنون﴾.

وتكون للنفي والطلب؛ طلب ترك الفعل، نحو: ﴿ولا تخونوا أماناتكم﴾، ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾، ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرون أولياء﴾. وهذه قد تأتي مع الفعل الماضي، إنما في الدعاء فقط، قال:

لا بارك الله في الغواني لا يصحين إلا لهن مطلب

3- وتدخل على الثواني؛ أي هي حرف عطف، فتنفيها وتؤكد الأوائل،

تقول: جاء الأمير لا نائبه، ومررت بزيد لا بأخيه. قال امرؤ القيس:

كأن دثاراً علقت بلبونه عقاب تنوفى لا عقاب القواعل¹

ب- وأما المكررة:

¹ دثار: اسم راعي إبل امرئ القيس. لبونه: ناقته الحلوب. تنوفى: الجبل العالي. القواعل: جبال منخفضة.

1- فتدخل على الماضي وعلى الجملة الاسمية، قال تعالى: ﴿فلا صدق ولا صلى﴾، ﴿لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾.

2- وتدخل على التتمات من السير والأحوال والنعوت، تقول: زيد لا شاعرٌ ولا أديبٌ، وتقول: قبلت هند الزواج لا راضيةً ولا ساخطةً، وقال تعالى: ﴿وظل من يحموم لا باردٍ ولا كريم﴾.

- وتكرر (لا) المفردة ولكن جوازاً، نحو: ﴿لا حول ولا قوة إلا بالله﴾. وتقول: لا أوافق على هذا ولا أعارض.

- وتأتي (لا) مفردة مستقلة في الجواب حاملة عكس معنى السؤال؛ تُسأل: هل سافرت إلى القدس؟ فتجيب: لا.

- لات:

هي (لا) ألحقوا بها التاء وخصوها بالزمان، كما في قوله تعالى: ﴿فنادوا، ولات حين مناص﴾، وقال محمد بن عيسى التميمي فأبو زيد الطائي:

ندم البغاة و لات ساعة مندم والبغي مرتع مبتغيه وخيم
طلبوا صلحنا و لات أوانٍ فأجبنا أن لات حين بقاء

- ليس:

حرف نفي محوّل عن (لا)، ويخصونها بالجملة الاسمية، تقول: ليس زيدٌ بمسافرٍ، أو ليس زيد مسافراً، كما تقول: ما زيد بمسافر، أو: ما زيد مسافراً.

1- وبنو تميم يقولون: ليس الطيب إلا المسكُ، بالرفع، كما يقولون: ما الطيب إلا المسكُ.

2- وقد ينفي بها العرب الفعل، كقولهم: ليس يدري زيدٌ شيئاً، وليس خلق الله مثله. هي هنا مثل: (لا، وما) النافيتين، كأنهم قالوا: لا يدري زيد شيئاً، وما خلق الله مثله.

3- وقد تستعمل نافية للجنس، قال حسان:

والقوم خلفك قد تركت قتالهم تـرجو النجاة، وليس حين ذهاب

4- وقد تستعمل في الاستثناء، قال تأبط شراً فالأحوص فرؤية:

لا شيء أسرع مني ليس ذا عُذْرٍ وذا جناح بجنب الريد خفاق¹
فما ترك الصنع الذي قد صنعته ولا الغيظ مني ليس جِداً وأَعْظُماً
عددت قومي كعديد الطيس إذ ذهب القوم الكرام ليسي²
5- وقد تستعمل في العطف مثل (لا)، قال لبيد:

وإذا جوزيت قرضاً فاجزه إنما يجزي الفتى ليس الجمـل
ومثله في الأثر: أعطيت الراية لرجل كرارٍ ليس فرارٍ.

ثم إن السيرة معها كثيراً ما تكون بالباء - ومن المطرد حذف الباء هذه
فانتصاب السيرة - وربما اعتبرت غير ذات باء فجاءت مرفوعة، كقول
هشام بن عقبة:

هي الشفاء لدائي لو ظفرت بها وليس منها شفاء النفس مبذول

أ- حروف تتركب مع (لا)

تدخل (هل) على (لا) فتصبحان (هلاً) فتختص بالفعل.

1- وتكون للملامة مع الماضي، قال عنتره فأبو قيس بن الأسلت:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

هلا سألت الخيل إذ هي قلصت ما كان إيطائي وإسراعي³

2- وتكون للتحضيض مع المضارع، قال المخبّل السعدي:

هلا تُسَلِّي حاجة علقَتُ علقَ القرينة حبلها جَدْم¹

¹ العذر: خصل الشعر على وجه الفرس. الريد: الشمراخ الأعلى من الجبل.

² الطيس: الرمل.

³ سألت الخيل: يعني فرسان الخيل. قلصت: تجمعت على بعضها؛ يعني من الخوف.

وربما قلبوا هاء (هلاً) همزة فأصبحت (ألاً).

3- وتدخل (لو) عليها فتصبحان (لولا).

وتستعمل هذه مع الفعلين مثل (هلاً) للمعنيين السابقين، قال تعالى: ﴿قال: رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾، ﴿نحن خلقناكم فلولا تصدقون﴾.

وتستعمل (لولا) مع الاسم لجعله مانعاً لوقوع الحدث - ويسمى هنا النحاة حرف امتناع لامتناع - قال مهلهل بن ربيعة:

فلولا الريحُ أسمعَ أهلَ حَجْرٍ صليلَ البيضِ تفرعُ بالذکور²
وربما جعلوا مع (لو) (ما) بدلاً من (لا) لنفس المعاني.

ب- (ليس) حرف أبدأ، أقول:

إن (ليس) حرف، وبه قال الفارسي وابن السراج وابن شقير وجماعة. قال ابن السراج: {أنا أفتي بفعلية (ليس) تقليداً منذ زمن طويل ثم ظهر لي حرفيتها}.

والذي يؤكد أنها حرف:

1- أنها جاءت لمعنى - هو النفي - والمعاني إنما تؤدي بالحروف، ثم إن النفي كله جاء بالحروف: (لم، لن، لما، إن، لا، لات)، فكيف تشذ هي عنهن؟.

2- أنها مجردة من الزمان. والزمان شيء مقرر - عندهم - في حد الفعل، فكيف هذا؟.

¹ القرينة: الدابة تقرن مع أخرى في حبل. جزم: مقطوع.

² حجر: مدينة باليمامة. تفرع: تضرب. الذكور: عنى بها السيوف القوية.

- 3- أن هذا الوزن (فَعَلَ) لم يأت له نظير في الأفعال أبداً، فلم يقولوا: خَيْفَ وَلَا طَوَّلَ، بل قالوا: خاف وطال.
- 4- أنها تدخل على الفعل، وتستعمل نافية للجنس وعاطفة مثل (لا) في ذلك، وتستعمل في الاستثناء. وهذا شأن الحرف.
- 5- أن الأفعال بمئات الألوف وكلها متصرفة، أما هي و(خلا، عدا، عسى، نعم، بئس) فقط جامدة. وهؤلاء في فعليتهن مقال.
- 6- أنها وهؤلاء لا يقعن شرطاً ولا عهداً، فلا يقال: إن ليس زيد مسافراً أسافر، ولا يقال: جاء الذي ليس بمسافر. هذا مع أن جميع الأفعال الماضية والمضارعة تقع هذين فلم؟!.
- 7- أن (قد) تدخل على جميع الأفعال الماضية والمضارعة عدا هؤلاء. فلم أيضاً؟!.
- أما مجيء لواحقها: (ت، نا، ت، ...) مثل لواحق الفعل، فهذا لا يقرر فعليتها، إذ لا شيء من هذا في حد الفعل. هذا مع ملاحظة أن فاء الفعل الماضي - مع هذه اللواحق - تكون إما مضمومة، نحو: قُلْتُ وُطِلْتُ، وإما مكسورة، نحو: بَعْتُ ونِمْتُ، بينما (ليس) مفتوحة أبداً، فنقول: (لَسْتُ، ولسنا، ولست، ...).

2- (ما)

(ما) حرف يأتي في الكلام في ثلاثة أوضاع فيؤدى بها ثلاثة أغراض: الأول لها مع الجمل، والثاني لها مع الحروف وشبه الحروف، والثالث لها بعد الأحداث.

- 1- الأول تكون فيه لنفي مضمون الجملة، نحو قوله تعالى: ﴿ما هو بالهزل﴾، ﴿ما أغنى عني ماليه﴾، ﴿ما هن أمهاتهم﴾، ﴿ما لهم من قوة﴾،

﴿وما يكذب به إلا كل معتدٍ أثيم﴾. و(ما) النافية هذه كثيراً ما يقوون نفيها بـ (إن) النافية، كما في قول دريد:

ما إن رأيت ولا سمعت به كالسيوم طالي أينق جرب¹

2- والثاني تكون فيه لتأكيد معنى الحرف، وذلك:

بعد (إن وأخواتها)، وبعد (ربّ، الكاف) فتؤهلهن للدخول على الجمل، وبعد (من، عن، الباء)، وبعد (إنّ) الشرطية، وبعد: (أين، متى، أيّ، إذ، إذا، حيث) في الشرط.

قبل (خلا، عدا، حاشا)،

وبين المتضايقين - لأن هنالك حرف مقدر - وسيأتي على هذا إيضاح.

ومن مجيئها بين المتضايقين، قولُ عنترَةَ فامرئ القيس فابن الرومي:

يا شاةَ ما قنصٍ لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم²

ألأرب يوم لك منهن صالح ولا سيماً يومٍ بدارةٍ جُلجُل³

إذا لعبا في ملعب لك لذعا فؤادي بمثل النار من غير ما قصد⁴

إذ الأصل في هذا؛ شاة لقنص، فتكون (ما) داخلة على حرف مقدر. أي

شاة لما قنص. وهكذا.

3- الثالث تكون فيه للبيان؛ فهي بمعنى (أن) المصدرية، تقول: هذا أجر

ما عملت؛ أي أجر عملك. قال تعالى: ﴿ودوا ما عنتم﴾، ﴿قد بدت البغضاء

من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾؛ أي ودوا عنتم، وإخفاء صدورهم

أكبر من بغضهم لكم.

¹ طالي الناقة الجرباء: داهنها بالهناء (القطران) مداواة لها.

² الشاة: عنى بها المرأة.

³ دارة جُلجُل: غدير بعينه.

⁴ لذع: حرق.

3- (ها)

(ها) حرف للتنبية، فإذا قيل: هذا زيد، يكون القائل قد طلب إلى من يحدثه أن ينتبه لما يشير إليه.
وهو يختص بأسماء الإشارة التي للقريب؛ أي المجردة من الكاف: (هذا، هذه، هذان، هاتان، هؤلاء، هاهنا). وندر في المقرون بالكاف، كقول طرفة:

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هذالك الطرف الممدد¹
1- ولكنه قد يفصل عن اسم الإشارة بالضمير، نحو: «ها أنتم أولاء تحبونهم». وجاء: «ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم»، بتكرير (ها) زيادة في التنبية.

2- وقد يفصل عنها بـ (إن)، قال النابغة الفحطية:
ها إنَّ تا عذرةٌ لو أنها نفعت لكن صاحبها قد تاه في البلاد²
غضبتُم علينا أن قتلنا بخالد بني مالك! ها إنَّ ذا غضبٍ مُطرٍ³
3- وقد فصل عنها بالقسم في قول زهير:
تَعَلَّمَنَ ها لعمر الله ذا قسماً فاقصد بذرْعك وانظر أين تتسلك⁴
4- ومن المشهور فصلها عنه بكاف التشبيه، فيقولون: هكذا؛ أي كهذا.

¹ بني غبراء: عنى بهم الفقراء. الطرف: البيت من جلد.

² عذرة: معذرة؛ اعتذار.

³ مُطرٍ: متجاوز للقدر.

⁴ الذرع: السير. تتسلك: تدخل، يريد لا تدخل فيما لا يعينك.

وكثيراً ما يحذف اسم الإشارة عنها في النداء مع (أي، وأيّة) تقول: يا أيها الرجل، يا أيّتها المرأة، وقد لا يحذف كقول ذي الرمة:
ألا أيُّ هذا الباخع الوجد نفسه بشيءٍ نَحْتُهُ عن يديكَ المقادير¹

(ها) ليست حرفاً مستقلاً، أقول:

الحق أن (ها) جزء من اسم الإشارة وإنما كان حذفها منه لكثرة الاستعمال ووضوح المعنى بدونها. لاحظ تلازمهما، ولاحظ أن (هذا) في كلامهم أكثر من (ذا) وكذا الباقي، ولاحظ أن العوامل تخترقها فتعمل في اسم الإشارة، تقول: هذان متحابان، ثم تقول: إن هذين متحابان. فيكون اعتبار (ها) حرفاً مستقلاً من التجاوز.

4- (وا)

(وا) حرف للندب؛ تندب به المُتَفَجِّعة فقيدها، ويندب به المتوجع ما يؤلمه. يمدون آخر المندوب بالألف انسياقاً مع صراخ الحزن والألم الواقعين بهم، ويختمونه بهاء السكّت. ف (هندٌ) تقول: وا أبتاه! تندب فقده، تريد أن تتأديه لفجيعتها، و(سعدٌ) يقول: وا رأساه! ينادي من يشفق عليه لألم رأسه، كأمه مثلاً؛ يسمع أمه أن رأسه يؤلمه.
رووا: وا عبد المطلباه!، وا مثنياه!؛ لا مثنى اليوم للخيل، وا مُعْتَصِماه!، وا إسلاماه!.

ثم إن (وا) في الندبة محرفة عن (يا) بسبب حالتي الحزن والألم اللذين غيّرَا لفظ الياء إلى أختها الواو. وقد جاء التّفجّع بـ (يا) في قول جرير بن الخطّفي يرثي عمر بن عبد العزيز:

حُمِّلَتْ أماً عظيماً فاصطبرت له وقمت فيه بأمر الله، يا عمرا!

¹ بخع الوجد نفسه: قتلها حزناً.

5- (يا، أيا، هيا، أي، أ)

هذه الأحرف كلها للنداء، تأتي قبل الأسماء، و(يا) أكثرها استعمالاً، وهي عامة، تكون لنداء البعيد والقريب والمتوسط. وتكون في النداء المَحْض وفي نداء التعجب والاستغاثة والندبة، وتستعمل ثابتة في النداء ومقدرة، فهي أصل لهن. أما الباقيات فمخصصات في النداء المَحْض: (أيا، هيا) مخصصتان لنداء البعيد منه، و(أ، أي) مخصصتان لنداء القريب منه.

- يلاحظ أن هذه الأحرف كلها بمعنى واحد. وغير (يا) مأخوذ من (يا).
- ويلاحظ أن (أيا) هي (يا) زادوا عليها الهمزة لتطويل الصوت، لأن البعيد يحتاج إلى مد الصوت. والساهي والغافل كالبعيد، تقول: أيا زيد، والمنادي إلى جوارك إذا كان ساهياً أو لاهياً. وقد قالوا: هيا زيد! بقلب الهمزة هاء، كما قالوا: لهنَّك، في لأنك، وكما قالوا: هراق الماء، في أراق. وتأتي (يا) قبل الحروف فتكون معها للتنبيه، نحو: «يا ليتها كانت القاضية»، يا رَبَّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة.

1- (إي) والله

(إي) حرف تأييد؛ تؤيد به مضمون كلام المُسْتَخْبِر، فإن قلت مُسْتَخْبِرًا: أحب الدراسة؟. فقلتُ لك: إي والله؛ فأنا أؤيد حبي للدراسة. قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ: أ حَقُّ هُوَ، قُل: إِي وَرَبِّي، إِنَّهُ لِحَقٌّ﴾. وتُلْحَقُ (إي) بِـ (والله) أو (وربي) توكيداً لذلك.

2- (في)

(في) حرف للظرفية، تجعل الاسم الذي بعدها ظرفاً يحتوي ما يتعلق به، فإذا قلت: الكتاب في الدرج؛ تكون قد جعلت الدرج ظرفاً للكتاب محتوي داخله، وإذا قلت: مكثت في البيت؛ فأنت تعني أن مكوثك كان داخل البيت. فالبيت ظرفك.

قال سيبويه: {أما (في) فهي وعاء، تقول: هو في الجراب وفي الكيس، وهو في بطن أمه، وكذلك هو في الغل، لأنه جُعِلَ إذ أدخله فيه كالوعاء له. وكذلك هو في القبة وفي الدار. وإن اتسعت في الكلام فهو على هذا، وإنما يكون كالمثل ي جاء به يقارب الشيء وليس مثله}.

وإنما ذكرت قول سيبويه لأؤكد رفضي لما ذكره الكوفيون ومن تابعهم عليه من جعلهم لـ (في) وغيرها من حروف الخفض معاني كثيرة. فجعلوا لها - بالإضافة إلى معنى الظرفية - معني المصاحبة والمقايسة والتعليل ومرادفة (إلى، على، الباء، من)، مع أن الأصل أن يكون للحرف الواحد في الوضع الواحد معنى واحد. وهذه بعض أمثلتهم لهذه المعاني

على الترتيب: «ادخلوا في أمم»، «فما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع»،
«فذلكن الذي لمتني فيه»، «فردوا أيديهم في أفواههم»، «ولأصلبناكم في
جدوع النخل». وقال زيد الخيل فامرؤ القيس:

ويركب يوم الروع منا فوارس بصيرون في طعن الأباهر والكلى¹
وهل يعمن من كان أحدث عهده ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال.

¹ الأباهر: جمع أبهر؛ وهو عرق في المتن.

2.3.2. حروف تتكون من حرفي هجاء

- أ -

1- (أم، أو)

أ- (أم):

حرف لضم المتباعدين، يجمعون بها بين المتباعدين أو المتضادين، ويكررونها للأبعد فالأكثر بعداً. فمن قال: إنها لأبل أم شاء؛ قصد إلى المباعدة بينهما، ومن قال: أ مررت بصالح أم طالح؟، سأل عن أحب وأبغض الممرور بهما. وهذان متباعدان بل متضادان.

لاحظ الآيات التالية: «سواء عليهم أ أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون»؛ فالإنذار وعدم الإنذار على طرفي نقيض. «تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه»؛ لاحظ كم هو بعيد بين كون القرآن الكريم منزلاً من رب العالمين وبين أن يكون مفترى من قبل محمد (ص)، وكذلك قوله تعالى: «أ فسحر هذا أم أنتم لا تبصرون» والخطاب لأهل النار، لاحظ كم هو بعيد بين نار يحترقون فيها، وبين أن تكون وهماً.

ثم لاحظ حين تكرر (أم) في قوله تعالى: «قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم، قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار»، فأن تستوي الظلمات والنور أبعد من أن يستوي الأعمى والبصير، أما أن يكون لله شركاء فأشد بعداً من كل ما سواه.

ثم لاحظ قول الحارث بن حلزة يشكري:

أعلينا جناح كندة أن يغـ.....نمَ غاـزيمهم ومنا الجزاء؟
أم علينا جرّى إيداد كما نيب.....طَ بجوزَ المحمّل الأعباء؟
أم علينا جرّى حنيفة أم ما جمعت من محارب غيراء؟
لاحظ الانتقال من البعيد فالأبعد.

ومما قدمت يظهر أننا لسنا بحاجة لتسمية (أم) بمتصلة ومنفصلة ولا
لغيره.

ب- (أو):

حرف لضم المتقاربين، يجمع بين مفردين متقاربين؛ يضمهما ويقصد
أحدهما، فلما بعده مشاركة في الحكم مثل ما قبله، لأن كليهما مهياً له، فإذا
قالوا: جالس الحسن أو ابن سيرين؛ عنواً: جالس هذا الصنف، وإذا قلت:
تزوج هنداً أو أختها؛ قصدت بذلك أنهما مثلان، وإذا قالوا: انتظر ثلاث
دقائق أو أربع؛ عني بذلك بين هذين التقديرين، أي ما يقارب هذه وهذه.

انتبه للأمثلة: «لبثنا يوم أو بعض يوم»، «وقالوا شاعر أو مجنون»،
«وقالوا: كونوا هوداً أو نصارى»، «وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون»،
«قم الليل إلا قليلاً نصفه أو أنقص منه قليلاً». وقال لبيد فطرفة فأخر¹:

تمنى ابنتاي أن يدوم أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر؟
ولكن مولاي امرؤ هو خانقي على الشكر والتسأل أو أنا مفتدي²
قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم ما بين ملجم مهره أو سافع³

¹ الشاهد هذا عن لسان العرب.

² خانقي: عاصر حلقي. التسأل: السؤال.

³ الصريخ: المستغيث، يصرخ طالباً النجدة. سافع: أخذ بناصية الفرس.

ولكن (أو) تضم المتباعدين إذا أريد سهولة ضمهما حتى كأنهما متقاربان، نحو: «إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله»، «قل من يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضرراً أو أراد بكم نفعاً». أما ما قيل من أن (أو) للشك أو الإبهام بعد الخبر، وللإباحة أو التخيير بعد الطلب - وذكروا لها معاني أخرى - فذلك شيء يفهم من سياق الكلام لا منها هي.

لاحظ أنها بعد النفي؛ ما بعدها مثل ما قبلها، نحو: «ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً»، فهذا بمعنى ولا كفوراً.

مما قدمت يظهر أن (أو) و(أم) تملآن ساحة الجمع؛ للمتقاربين (أو)، والمتباعدين (أم). وقد اجتمعا في قول صفيّة أم الزبير:

كيف رأيت زبراً أأقطاً أو تمرأ أم قرشياً صقراً؟

2- (أن، أن)

هذان الحرفان للتبيين - وأصلهما (أن) - فالغرض الذي وضعا له واحد؛ هو التبيين، تقول: يهمني أن تنجح؛ فتبين بـ (أن) ما يهكم، وهو هنا النجاح. وقد توزّع المبيّن بينهما، فكانت:

أ- (أن) للمبيّن:

1- فعلاً مضارعاً مجرداً أو موصولاً بـ (لم، لن، لا نافية أو ناهية، لام الأمر ظاهرة أو مقدره، س، سوف)، نحو: «هل لك إلى أن تزكى»، «أحسب أن لم يره أحد»، «إنه ظن أن لن يحور»، «وحسبوا ألا تكون فتنة»، «وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل أن لا تتخذوا من دوني وكيلاً»، «وأوحينا إلى أم موسى أن اقذفيه»، «علم أن سيكون منكم مرضى».

2- فعلاً ماضياً مجرداً أو موصولاً بـ (قد، لو، إذا الشرطية)، نحو: «ومن آياته أن خلقكم من تراب»، «ونودي أن بورك من في النار ومن حولها»، «ونعلم أن قد صدقتنا»، «وأن لو استقاموا على الطريقة»، «وقد أنزلنا في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها».

3- جملة اسمية مجردة أو موصولة بالأحرف (عسى، ليس، رب)، نحو: «وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين»، «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى»، «وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم»، وقول الشاعر:

تبينت أن ربَّ امرئٍ خيل خائناً أمينٌ، وخوَّانٍ يُخال أميناً
والخلاصة أنّ (أن) يبيّن بها الفعل وما وصل بحرف، فتلزم الحروف المتقدمة.

ب- (أنّ) للمبين:

اسماً محكياً عنه، نحو: «ألم يعلم بأنّ الله يرى»، «أولم يكفهم أنّا أنزلنا عليك الكتاب».

توضيحات على هذين الحرفين، أقول:

يتبين مما قدمت:

1- أنّ (أنّ) نوع واحد، لأن معناها مع الجميع واحد، هو التبيين. أما تسميات النحاة لها بـ (مصدرية، ومخففة من الثقيلة، ومفسرة، وزائدة) فإنها تشتت للموضوع الواحد، لأن الحرف يجب أن يسمى بمعناه فقط لا بأي اعتبار آخر. هذا هو الأصل في تسمية الحروف.

2- ليست (أنّ) حرف استقبال، رافضاً لقولهم ذلك، لأنهم يقولون: {أنّ} حرف مصدري ونصب واستقبال، أرفض ذلك: لأنها تستعمل مع الماضي والحاضر والمستقبل، ولأنها تدخل على حروف الاستقبال: (لن، س، سوف)، فهي تستعمل مع الأزمنة بحسب الحروف الداخلة عليها، فإذا دلت

على المستقبل - وما هنالك حرف استقبال - فتلك الدلالة مفهومة من سياق الكلام لا من (أن).

3- ليست (إن، وأن) حرفاً واحداً، بل هما حرفان مختلفان. معنى (أن) التبيين لا غير - لاحظ عدم دخول لام التوكيد معها -، ومعنى (إن) التوكيد لا غير. فالقول بأنهما حرف واحد معناه التوكيد لا يتفق مع الواقع، ثم لاحظ أن (إن) المكسورة الهمزة تكون في أول الجملة؛ بينما (أن) المفتوحة الهمزة لا تكون إلا في سياق الكلام؛ أي بعد كلام يحتاج إلى تبيين.

4- إن (أن، وأن) معناهما واحد. إنما كل واحد منهما لنوع من الكلمات أو الجمل¹، تقول: أحب أن يرافقني أخوك، وأحب أن أخاك يرافقني. ونقرأ: «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى».

حذف (أن)، أقول:

إن (أن) لكثرة دورانها في الكلام ووضوح معنى التبيين على ما بعدها،
1- قد يستغنى عنها قليلاً في الشكل العام، نحو: «أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون»، «ومن آياته يريكم البرق»، «وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله».

2- ويستغنى عنها كثيراً بعد ظروف الزمان لكثرة دوران هذه، نحو: «سلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً»، والأصل: يوم أن ولدت،...، ونحو: «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون». وقد تظهر، قال لبيد فكثير:

لئن أن دعا ديك الصباح بسحرة إلى قدر ورد الخامس المتأوب¹

¹ لاحظ ورودهما في الشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

نظرت إليها نظرة وهي عاتق على حين أن شبت وبان نهودها²
ومنه قوله تعالى: ﴿فلما أن جاءه البشير﴾، وقول العرب: كان ذلك منذ أن
الله خلقه. ذلك لأن (لما، ومنذ) لهما تعلق بالزمان.
وكذلك بعد أفعال المقاربة³ يكثر حذفها، قال تعالى: ﴿يكاد البرق يخطف
أبصارهم﴾، وتظهر كما في قوله:
كادت النفس أن تفيض عليه إذ غدا حشو رِيْطَة و برود⁴
3- ويستغنى عنها كلية:
- بعد أفعال الشروع⁵، نقول: أخذ الشاعر ينشد، وطفق الأمير يخطب،
والأصل: أخذ الشاعر أن ينشد. وهكذا.
- بعد (حيث) من ظروف المكان خاصة لكثرة استعمالهم لها، نحو:
﴿ومن حيث خرجت فَوَلَّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾، والأصل: من
حيث أن خرجت....
- بعد كلمة سواء، نحو: ﴿سواء عليهم أ أنذرتهم أم لم تنذرهم﴾،
والأصل: سواء عليهم أن أنذرتهم....
4- ولكن لم يرد الاستغناء عنها بعد الظرفين: (قبل، وبعد)، فيجب
ذكرها، نحو: ﴿من قبل أن نذل ونخزى﴾. وكذلك بعد حروف الخفض،
نحو: ﴿هل لك إلى أن تزكى﴾، ﴿وما نحن بمسبوقين على أن نبدل
أمثالكم﴾.

¹ المتأوب: المراجع.

² عاتق: شابة أول ما أدركت.

³ أفعال المقاربة هي: كاد، أو شك، كرب.

⁴ رِيْطَة: ملاءة رقيقة.

⁵ أفعال الشروع هي: شرع، طفق، انبرى،...

3- (أي)

تأتي (أي) في الكلام في وَضْعين فيؤدى بها غرضان.
الأول: قبل الأسماء فتكون لنداء القريب، تقول: أي بنيّ كن مهذباً مع
جلسائك. وقد تقدمت.

الثاني: بعد ما يحتاج إلى بيان أو توضيح أو تأكيد، فتكون حرف تفسير؛
تفسر بها المفردات وتفسر بها الجمل، فيوضح بما بعدها معنى ما قبلها.
فإذا قيل: هذا ليث؛ أي أسد، فقد فسرت كلمة (ليث) بما هو دارج أكثر
منها. وهكذا في الجمل، كما في قول الشاعر:

وترمينني بالطرف أي أنت مذنبٌ وتقلينني لكنّ إيّاك لا أقلّي
ولكن العربي كثيراً ما يفسر مستغنياً عن حرف التفسير، فما يفسره يكون
على معنى (أي)؛ يحذف حرف التفسير لوضوح المعنى المقصود، ولكثرة
ما يحتاج للتفسير.

فإذا قيل: جاء زيد؛ أخوك، يكون قد فسر المقصود من زيد بأنه أخوك.
ثم إن هذا الحرف يُكثّر استعماله الكتابُ لا الشعراء، لأن البلاغة
الإيجاز، والتكرار عي.

4- (بل)

(بل) حرف تصحيح، تصحح بما بعده ما ذكرت قبله، تقول: جاء زيد بل
أخوه، فتصحح بـ (بل) أن الآتي أخو زيد لا زيد، وفي قوله تعالى: ﴿أم
يقولون به جنه بل جاءهم بالحق﴾، صحح لهم أن محمداً جاءهم بالحق لا
أن به جنه.

ويكررون (بل) تصعيداً في التصحيح، قال تعالى على لسان قريش: ﴿أ
أنزل عليه الذكر من بيننا﴾، ثم صحح لهم: ﴿بل هم في شك من ذكرى﴾،
ثم صعد في التصحيح فقال: ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾.

وقد قال سيبويه: {أما (بل) فترك شيء من الكلام وأخذ في غيره}، فالأخذ في غير المتروك إنما هو من أجل التصحيح في المتروك. وهنا أذكر أن النحاة يقولون: (بل) حرف إضراب. يقصدون الإضراب عن الحكم السابق إبطالاً له أو تركاً له، فيسمونه بالمعنى الذي صار للجملته أو الحكم الذي قبله. وإنما يسمى الحرف أي حرف بالمعنى الذي يبرزه فيما يليه من اسم أو فعل أو جملة ولا يكون ذلك من غيره. وهذا ما مشى عليه النحاة في تسمية القسم الأكبر من الحروف، قالوا: (في) للظرفية، والظرف بعدها، وقالوا: (لا) حرف نفي، والمنفي ما بعدها، وقالوا: (يا) حرف نداء، والمنادى ما بعدها، وقالوا: الفاء للتعقيب، والمعقب به ما بعدها، وقالوا: (ليت) للتمني، والمتمني ما بعدها. وهكذا.

5- (عن)

(عن) حرف تنحية؛ تنحي به ما على الأسماء، يقال: أزاح القلح¹ عن أسنانه، أي نحاه، وقالوا: فلان يرمي السهم عن القوس، لأنه يباعده، لاحظ الآيات: «عن صلاتهم ساهون»، «ووضعنا عنك وزرك»، «فأنت عنه تلهي».

قال سيبويه: {أما (عن) فلما عدا الشيء، وذلك قولك: أطعمه عن جوع؛ جعل الجوع منصرفاً عنه²}.
 ثم؛ إنَّ (عن) حرف دائماً - كما قال الكوفيون - لأن الكلمة لا يصح أن تحمل هويتين. أما جعله اسماً لدخول (من) عليه كما في قول القطاميّ

فقطري:

¹ القلح: رواسب صلابة تعلوا الأسنان.

² المجاوزة، نحو: سافرت عن البلد، ورغبت عن الجدل.

فقلت للركب لما أن علا بهم من عن يمين الحميّا نظرة قبل
فلقد أراني للرماح دَريئةً من عن يميني تارة وشماليا
فهذا لأنهم أرادوا معنى (عن).
وقد ذكر الكوفيون وغيرهم لها معاني كثيرة.

6- (قد)

(قد) حرف تقريب؛ يقرب زمن الفعل من الحال، يقول المؤذن: قد قامت الصلاة، يعني قرب قيام الصلاة. ويقول المعلم: قد يقرع الجرس، يعني يقرب قرع الجرس. فهو يقرب زمن كل من الفعلين الماضي والمضارع. و(قد) تدخل على الماضي والمضارع؛ فمن دخولها على الماضي: «قد أفلح من تركي»، «ونعلم أن قد صدقتنا»، «لقد خلقنا الإنسان في كبد»، ومن دخولها على المضارع: «قد نرى تقلب وجهك في السماء»، «قد نعلم ما أنتم عليه»، وقالوا: قد يصدق الكذوب.

قال الخليل: {إن قول القائل: قد فعل، كلام لقوم ينتظرون الخبر}.
والمنتظر إنما ينتظر لما يكون قريباً.

وقال سيبويه: {أما (قد) فجواب هل فعل؟} وقال: {أما (قد) فجواب لمّا يفعل}. قوله الأول لتقريب زمن الماضي، وقوله الثاني لتقريب زمن المضارع.

وقال أبو حيان: {الذي تلقيناه من أفواه المشايخ أن (قد) حرف تحقيق إذا دخلت على الماضي وحرف توقع إذا دخلت على المضارع}.
ثم إن (قد) تقع في الكلام موقعاً آخر، تدخل فيه على الأسماء - وهذا قليل - ويكون معناها الاكتفاء.

قالوا: قد زيدَ درهمٌ، كما قالوا: لزيدِ بستانٌ، فسيتعلمونها حرف خفض.
وقالوا: قد زيداً درهمٌ، فتكون مثل: إنَّ زيداَ أسد. ويلاحظ مما ذكرت أنني
لا أوافق أن (قد) في هذين اسم.

7- (كي)

(كي) حرف تعليل، تجعل المضارع علة للحدث. تقول: جئتُ كي أتعلّم،
فتجعل التعليل علة للمجيء، لاحظ الآيات: «وأشركه في أمري، كي
نسبحك كثيراً»، «فرددناك إلى أمك، كي تقر عينها ولا تحزن»، «كي لا
يكون دولة بين الأغنياء منكم»، «لكيلا تأسوا على ما فاتكم».
من الشاهدين الأخيرين ظهر جواز فصل (كي) عن المضارع بـ (لا)،
ومن الشاهد الأخير ظهر جواز مظاهره (كي) للام التعليل.
وأقول: أن اللام قد اكتسبت التعليل من (كي) لأن اللام لها معنى آخر
ترجع إليه أو معانٍ آخر.
ولا تكون اللام للتعليل إلا مع المضارع وأسماء الأحداث وهذا شأن
(كي).

8- (لم، لن)

(لم، لن) حرفا نفي يدخلان على المضارع،
أ- تنفي (لم) حدوثه في الزمن الواقع قبل زمن التكلم؛ فتكون حرف
انقطاع؛ ينقطع به حدوث الفعل، فإذا قلت: لم يأكل المريض، أفهمت عدم
وقوع الأكل من المريض حتى زمن التكلم عنه.
ب- وتنفي (لن) حدوثه في الزمن الواقع بعد التكلم فيستمر إلى ما بعد
ذلك؛ فتكون حرف استمرار؛ يستمر به حدوث الفعل في المستقبل، فإذا
قلت: لن أرجع إلى هذا العمل، أفهمت عدم رجوعك إلى ذلك العمل في
المستقبل.

قال تعالى: ﴿فإن لم تفعلوا - ولن تفعلوا - فاتقوا النار﴾.
لاحظ في الآية كيف جاءت بـ (لم، ولن): (لم) لعدم فعلهم ذلك في الماضي، و(لن) لعدم فعلهم ذلك في المستقبل.

9- (لو)

(لو) حرف افتراض، تفترض به أمراً غير كائن وتبني على افتراضك هذا، تقول لابنك الذي لم ينجح: لو نجحت لقدمت لك هدية عظيمة، فأنت افترضت النجاح افتراضاً - والنجاح لم يقع - وبنيت على افتراضك النجاح تقديم الهدية.

وهذا معنى قول سيبويه: {(لو) لما كان سيقع لوقوع غيره}، وعبارة أكثر النحاة عن (لو): إنها حرف امتناع لامتناع. لاحظ الآيات: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾، ﴿ولو نشاء لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض﴾، ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾، ﴿لو أن لنا كرة فكنون من المحسنين﴾، ﴿وكونوا شهداء بالحق ولو على أنفسكم﴾.

يتبين مما ذكرت من الأمثلة أن (لو) دائماً للافتراض. أما ما يذكر لها من: (معنى الامتناع، ومعنى الشرط، ومعنى التمني، ومعنى التقليل)؛ فكل ذلك يفهم من سياق الكلام لا من (لو).

أما ما يذكر لها من تسمية بالمصدرية، فهذه التسمية ليست لمعنى فيها عند القائلين بها، بل لتقديرهم لها مع ما بعدها بمصدر.

10- (هل)

(هل) حرف استفهام للسؤال عن الأحداث الموجبة فقط، يستفهم بها عن مضمون الجملة؛ فعلية، نحو: هل قام زيد؟، واسمية، نحو: هل زيد قائم؟، فتساوي الهمزة في ذلك. أما الأحداث المنفية والذوات فلها الهمزة.

يَسْتَفْهَمُ بِهَا مَنْ هَجَسَ فِي نَفْسِهِ وَقَرَعَ مَا يَسْتَفْهَمُ عَنْهُ، فَيَقُولُ مَنْ يَعْلَمُ
الْقِيَامَ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ زَيْدًا فَاعَلَهُ: هَلْ قَامَ زَيْدٌ؟ فَيَجَابُ بِـ (نعم) أَوْ (لا). فـ
(هل) حرف تأكُّد من الظن. قال أبو ذُوَّادٍ مرتين:

هل ترى من طعائن باكرات كالعَدُولِيَّ سيرهن أنقحام¹؟

هل عرفت الدار قفراً لم تحل بين أجماد خفاف فالرَّجَلُ²؟

وَيَسْتَفْهَمُ بِـ (هل) المتأكِّد قاصداً النفي، ويعرف ذلك:

- بحصر حدث جملتها بِـ (إلا)، نحو: «وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ»، «هل

جزاء الإحسان إلا الإحسان».

- بعطف جملتها على جملة خبرية، كقول امرئ القيس:

وإن شفائي عبـرة مِهْرَاقَةَ وهل عند رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مَعُولٍ؟³

- بدخول الباء على سيرة المحكي عنه، كقول الفرزدق:

يقول إذا أفلولى عليها و أقردت ألا هل أخو عيش لذيد بـدائم؟⁴

¹ الطعائن: الواحدة طعينة، المرأة في اليهودج. باكرات: ذاهبات في البكور. العَدُولِي: نوع من السفن.

² حالت الدار: تحولت: تغيرت. أجماد خفاف، والرَّجَلُ: موضعان.

³ عبرة مِهْرَاقَةَ: دمعة مسكوبة. المعول: المتكل عليه.

⁴ اقلولى: ركب. أقردت: استرخت، تماوتت.

1- (إن)

(إن) تأتي في الكلام في وضعين فيؤدى بها غرضان. الأول لها مع الجملة فتكون للنفي، والثاني لها مع حدثين فتكون للتعليل.

أ- (إن) حرف نفي، ينفي مضمون الجملة، فإذا قلت: إن هذا إلا كذب، فأفصد نفي المشار إليه عن كل شيء إلا الكذب.

ويكون لها ذلك مع (إلا)، نحو: «إن أنا إلا نذير». ف (إن) منتقض نفيها بـ (إلا)، فهي مثل (ما) في الآية: «ما أنا إلا بشر مثلكم».

ويكون لها ذلك مع (لما) التي بمعنى (إلا)، نحو: «إن كل نفس لما عليها حافظ».

ويكون لها ذلك مع اللام؛ فتكون اللام بمعنى (إلا) أيضاً، نحو: «إن كدت لتردين».

وقد جاءت بعد (ما) النافية مؤكدة لها، كما في قول فرّوة بن مُسيك:

فما إن طبنا جبن؛ ولكن منايانا ودولة آخرينا

ب- (إن) حرف تعليل، يُعلّق فعلاً على فعلٍ آخر، تقول لابنك: إن تتجحّ أقدمُ لك هديةً ثمينةً؛ معلقاً تقديم الهدية على نجاحه.

وهذا التعليق يكون في المستقبل، ويبقى لها وإن كان الفعل ماضياً، نحو: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾، ﴿وإن تعودوا نعد﴾، ﴿وإن عدتم عدنا﴾. ولكن هذا التعليق لا يكون لها إلا في الحوادث المحتملة، وإلا فلا معنى للتعليق، فلا يصح أن تقول: إن تشرق الشمس آتاك، فهذا له (إذا) الدالة على التوقيت، لأن شروق الشمس آتٍ لا محالة فلا يدخل في الشرط.

2- (إذ، إذما)

(إذ) حرف معناه اللحظية، تقول: جئتم إذ أنتم متفقون. تعني أن مجيئك كان لحظة اتفاقهم، قال تعالى: ﴿إلا تتصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن﴾، وقالت الخنساء:

كأن لم يكونوا حمىً يتقي إذ الناس، إذ ذاك، من عزّ بزاً¹

هذا الحرف يختص بالجمل:

فيدخل على الجمل الاسمية، نحو: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل﴾.

ويدخل على الجمل الفعلية، نحو: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين﴾، ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾.

وإذا علمت الجملة التي بعده يستغنى عنها ويصير هذا الحرف إلى (إذ)، مثل: يومئذ وحينئذ.

وهذا الحرف:

¹ البز: ما يسلبه المنتصر من خصمه، من عز بز: من غلب سلب.

يأتي بعد أسماء الزمان فيكون بمعنى (أن)، نحو: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾؛ فتؤول مع ما بعدها بمصدر يكون هو المضاف إليه لاسم الزمان المذكور.

ويأتي هذا الحرف للتعليل، وللمفاجأة، نحو: ﴿ولن ينفعم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾، (بينما نحن جلوس عند رسول الله (ص) إذ طلع علينا رجل...).

ويأتي هذا الحرف مع (ما) للشرط، كما في قول عباس بن مرداس: إذ ما أتيت إلى النبي فقل له حقاً عليك إذا اطمأن المجلس ثم؛ إن (إذ) لها الزمان الماضي، وأختها (إذا) لها الزمان المستقبل.

3- (من، م)

(من) حرف يستعمل في الكلام في وضعين فيؤدى به غرضان.

1- الأول: أن يكون ما بعده مستقلاً عما قبله، ما قبله تام بنفسه، فيكون ما بعده بداية للأحداث، تقول: جئت من دمشق؛ تقصد أن (دمشق) كانت بداية لمجيئك. ومنه: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام﴾، ﴿نزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾، ﴿الذين أوتوا العلم من قبل﴾.

2- والثاني: أن يكون ما بعده نكرة يطلبها نفي ما قبله، فيكون للاستغراق، تقول، ما جاءنا من رجل: قاصداً أنه لا رجل ولا أكثر جاءكم، ومنه: ﴿ما مسنا من لغوب﴾، ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾، ﴿هل من مزيد﴾.

- وأما (م) فهي مختصرة من (من)، جاءت في الشعر خاصة مع الأسماء ذات (ال) خاصة، كقول المرقش الأكبر فخويصة الرئامية فمرضاي بن سعدة فصخر الهذلي:

ما شاق قلبي مِ الحوادثِ إلـ لا صاحبي المتروك في تَعْلَمُ¹
عشرون مُقْتَبلاً ومثل عَدِيدِهِمْ صَيَابَةٌ مِ القومِ غيرِ أَشَايِبِ²
كذلك أَفْلاذُ الفَنِيدِ وما ارتمت به بين جالِيهَا الوَيْيَةُ مِ الوزرِ³
كَأَنَّهُمَا مِ الآنِ لم يَتَغَيَّرَا وقد مر للدارين من بعدنا عَصْرُ⁴

آراء النحاة: في معاني (من)

لقد ذكر الكوفيون وكثير من النحاة لـ (من) معاني كثيرة منها:

- 1- التبويض، نحو: «حتى تنفقوا مما تحبون»؛ أي بعض ما تحبون.
 - 2- بيان الجنس، نحو: «في جيدها حبل من مسد».
 - 3- البديل، نحو: «أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة»؛ أي بدل الآخرة.
 - 4- التعليل، نحو: «وإن منها لما يهبط من خشية الله»؛ أي بسبب خشيته الله.
 - 5- معنى الباء، نحو: «ينظرون من طرف خفي»؛ أي بطرف خفي.
 - 6- معنى (على)، نحو: «ونصرناه من القوم»؛ أي على القوم.
 - 7- معنى (في)، نحو: «أروني ماذا خلقوا من الأرض»؛ أي في الأرض.
- ولم يثبت أكثر النحويين لـ (من) جميع المعاني التي ذكرها الكوفيون، ولكنهم وافقوهم في كثير منها، وتأولوا الباقي على التضمين وغيره.

¹ تعلم: اسم موضع.

² المقتبل: أول الشباب. الصيابة: خلاصة القوم وصميمهم. أشايب: أخلاط.

³ الأفلاذ، واحدها فلذة: القطع. الفئيد: الشواء، والمفاد: السفود. الجالان: الناحيتان،

يقال: جال البئر، وجول البئر. الوئية: العميقة، يقال: قدر وئية: أي قعيرة.

⁴ عصر: أزمان.

وقد ذهب المبرد وابن السراج والسُهَيْلي وغيرهم إلى أنها لا تكون إلا لابتداء الغاية، وأن سائر معانيها التي تذكر ترجع إلى ابتداء الغاية، وقالوا: {ألا ترى إلى التبويض وهو أشهر معانيها راجع إلى هذا المعنى، فإذا قلت: أكلت من الرغيف، إنما أوقعت الأكل على أول أجزائه فانفصل}. فمأل الكلام عندهم إلى ابتداء الغاية.

وقد ذهب الزمخشري في مفضله إلى هذا فقال: {ف (من) لابتداء الغاية. كقولك: سرت من البصرة. وكونها مَبْعُضَةٌ في نحو: أخذت من الدراهم، ومبينة في نحو: «فاجتنبوا الرجس من الأوثان»، ومزيدة في نحو: ما جاءني من أحد، راجع إلى هذا المعنى}. وأنا أذهب مذهب المبرد ومن تابعه.

- ت -

1- (مذ، منذ)

(مذ) حرف لابتداء الزمن، ولا يستعمل في غير الزمن، فموقعها من الزمان موقع (من) من المكان، نقول: ما رأيتك منذ يومين؛ أي من بدء يومين، وطبعاً - بسبب النفي - حتى الآن. قال امرؤ القيس فأبو ذؤيب:

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان¹
 قالت أميمة: ما لجسمك ناحلاً؟ منذ ابتذلت، ومثل مالك ينفع²
 وأما (مذ) فمختصرة من (مذ)، لأن معناهما واحد، قال الحطبي فالزبير بن العوام:

هل تعرف الدار مذ عامين أو عام دار لهند بجزع الخرج فالذام¹

¹ الرسم: آثار الديار. عفت: درست؛ انمحت. آياته: علاماته.

² أميمة: امرأة يخاطبها. ابتذلت: أهملت نفسك.

نادى عليّ بأمرٍ كنت أعرفه: قد كان عمرُ أبيك الخير مذ حين
وهما تدخلان على الأسماء فتخفضانها. وتدخلان على الجمل، ولكن لا
يظهر العمل على الجمل، قال الفرزدق فالأعشى فزهير:

ما زال مذ عقدت يداه إزاره فسمأ فأدرك خمسة الأشبار²
ومازلت أبغي المال مذ أنا يافع وليداً وكهلاً حين شبت وأمردا³
لمن الديار بقنة الحجر أقوين مذ حجج ومذ دهر
والأولى أن يكون التقدير: مذ أن عقدت.

وروا: أنه يجوز رفع الاسم بعدهما، قالوا: ما رأيتَه منذ أو مذ يومان،
فتكونان داخلتين على جملة حذف أحد ركنيها؛ أي منذ أو مذ هو يومان.
يعني بِـ (هو) الوقت. وعليه يكون قد جاء قول الفرزدق في رواية:

سعى الناس مذ سبعون عاماً ليقلعوا بآل أبي العاصي الجبال الرواسيا

(منذ، ومذ) حرفان أبداً، أقول:

(منذ، مذ) عند كثير من النحاة تكونان حرفين إن وليهما اسم مجرور،
وتكونان اسمين إن وليهما اسم مرفوع أو جملة، قال ابن مالك في ألفيته:
{و(مذ ومنذ) اسمان حيث رفعا أو أوليا الفعل، كَجِئْتُ مذ دَعَا}
والحق أن أي كلمة لا يجوز أن تحمل هويتين: (فالكلمة: إما اسم، وإما
فعل، وإما حرف).

¹ الجزع: ما انتشى من الوادي، وجزع الوادي: قطعه إلى الجانب الآخر. الخرج والدام:
موضعان.

² الإزار: ثوب يلبس فوق الثياب.

³ أبغي: أطلب. يافع: دون المراهقة.

و(منذ، ومذ) حرفان أبدأً، ولا يصح أن يكونا اسمين بحال، لأن كلاً منهما موضوعة لغرض، ولا شيء يسمى (منذ أو مذ) والغرض الذي وضعا له هو البداية من الزمان¹.

والذي يمنع الاسمية فيهما:

أن الفعل بَعْدَهُمَا لا يصح أن يكون معه ضمير يعود عليهما شأن كل الأسماء، فلا يصح: مذ كم سرت فيه أو فيها؛ كما يصح: يوم الجمعة سرت فيه، واللييلة سرت فيها.

وأن الفعل يوصل بهما إلى (كم، ومتى)، فنقول: مذ كم سرت؟، كما نقول: بكم اشتريت؟، وتقول: مذ متى تنتظر؟، كما نقول: إلى متى تنتظر؟. ولاختصاصيهما بالزمان تراءى للبعض أنهما اسما زمان، مع أنهما لا ينطبق عليهما شيء من خصائص الأسماء.

¹ تقدم أن (مذ) مختصرة من (منذ)؛ فهما حرف واحد، لاحظ أنهما لمعنى واحد مثل: (من، م).

- ث -

1- (ألا، أما)

(ألا، وأما) حرفا تنبيه؛ ينبه بهما في أول الكلام، فهما صرختان للغافل كي ينتبه لما يُلقى عليه. ويأتيان مستقلين عن الكلام، غير أن (أما) لما وقع و(ألا) لما يقع، فهما تملآن ساحة الزمان. إلا أن استعمالهم لـ (أما) قليل. قال تعالى: ﴿ألا، إنهم هم السفهاء﴾، ﴿ألا، يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم﴾، وقال خارجة بن قُليح المَلِّي فابو كبير الهذلي:
ألا طرفتنا والرفاق هجود فباتت بعِلات النوال تجود

ألا طرقت ليلي لقي بين أرحل شجاه الهوى والناس فهو عميد¹
أما والذي أبكى وأضحك والذي أمت وأحيا والذي أمره الأمر
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منه لا يروعهما الذعر²
ثم إن (ألا، وأما) هذين حرفان بسيطان، ولكن همزة الاستفهام تدخل
على (لا، ما) النافيتين فتكون لهما صورتها، كما في قول قيس ابن
الملوح العامري فالشريف الرضي:

ألا اصطبار لسلمى أم لها جلد؟ إذاً ألقى الذي لاقاه أمثالي³
أما كنت مع الحي صباحاً حين ولينا لنا كل غلام همه أن يرد أحياناً⁴
غير أن الاستفهام بهما قد يُعطيها معاني كالعرض والتضيض، كما
في الآية: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾، والتوبيخ أو التمني وسوى ذلك،
كما في قول حسان بن ثابت:

ألا طعان، ألا فرسان عادية؟! ألا تجشؤكم خلف التناير؟!⁵

2- (أيا) راجع (يا).

3- (بلى)

(بلى) حرف معناه الرد يقع بعد النفي فيرده إلى للإيجاب، تقول لمن قال
(لم يقم زيد، أو أما قام زيد): بلى. تقصد أن زيدا قام، فترد النفي وتؤكد
الإيجاب. لذلك إذا قيل لك: ليس لك وديعة عندي، فقلت: بلى، تكون قد

¹ طرقت: زارت ليلاً؛ زار خيالها. هجود: نيام. لقي: مطروح، يقصد نفسه. النأي:
البعد. عميد: أتلفه الحب.

² يروعهما: يخيفهما، والروع: الخوف.

³ الجلد: الصبر والتماسك.

⁴ الحين: الموت، يقصد الموت في ملاقات الأعداء.

⁵ التجشؤ: التقيؤ، يقصد من شدة الفرع، يرميهم بالجبن.

رددت نفيه وأكدت أن لك عنده وديعة، أما إذا قلت: نعم، تكون قد صدقت نفيه، فليس لك من وديعة عنده.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ظَنَّنَ أَنْ لَنْ يَحُورَ¹ بَلَى﴾، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى﴾. فـ (بلى) في الآية الأولى أعطت معنى؛ إنه سيحور، وفي الآية الثانية أعطت معنى؛ إنك ربنا.

بلى لا تقع إلا بعد النفي، أقول:

إن (بلى) لا تقع إلا بعد النفي. أما قول الجحافِ ردّاً على الأخطل:
ألا سائل الجحاف: هل هو ثائر؟ بقتلى أصيبت من سليم وعامر
بلى سوف نبكيهم بكل مهند ونبكي عميراً بالرماح الخواطر²
فإنه جاء في رواية لا يؤخذ بها لمخالفتها للعام من استعمال (بلى) ويجب
البقاء مع الرواية التي جاءت:
نعم سوف نبكيهم بكل مهند
وبذلك نكون مع الوضع الصحيح، ونكون قد تركنا الوضع الشاذ
المخالف له³.

4- (خلا، عدا)، و(حاشا ولغاتها)

أ- (خلا، و(عدا)):

حرفان معناهما الاستثناء، تستثنى بهما بعض الأسماء من حكم مجموعها، يقال: حضر الطلاب خلا اثنين أو عدا اثنين؛ مقصوداً

¹ يحور: يرجع.

² خطر الرمح: اهتز، فهو خاطر، والجمع خواطر.

³ إن رواية بيت الجحاف جاءت بـ (بلى) في كتب النحو، وجاءت بـ (نعم) في كتاب الأغاني.

إخراجُهما من حكم مجموع الطلاب، فهما لم يحضرا في حين حضر من
هما في عدادهم من الطلاب، قال ليبيد ورووا:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم - لا محالة - زائل
أبنا حيمم قتلا وأسراً عدا الشمطاء والطفل الصغير
وهذان الحرفان جاء الاستثناءُ بهما في كثير من المنقول منصوباً، وعليه
اقتصر سيبويه، ولكن الأخفش نقل الخفض أيضاً.

ب- (حاشا):

حرف معناه التنزيه؛ ينزه به بعض الأسماء عن حكم ما هو من جنسه،
نحو: أخطأ الناس حاشا عيسى بن مريم، تنزه (عيسى) عليه الصلاة
والسلام عن الخطأ من بين الناس. قال تعالى: ﴿حاش لله﴾، وقال الأقيشير،
وفي لسان العرب وتاج العروس لحسان:

في فتية جعلوا الصليب إلههم حاشاي إني مسلم معذور¹
حشا رهط النبي فإن منهم بحوراً لا تكدرها الدلاء²

(خلا، عدا، حاشا) أحرف لا غير، أقول:

1- (خلا، عدا):

يزعم كثير من النحاة أن (خلا، و عدا) فعلان إذا نصبا - فعلان ماضيان
جامدان - والحق أنهما حرفان أبداً.
- لأن الفعل معناه في حروفه، فلا يكون لفظه: (خلا أو عدا) ومعناه
الاستثناء.

¹ معذور: مختون؛ طاهر.

² البيت الذي في اللسان والتاج هو في ديوان حسان هكذا:

لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء

- لأنهما يلزمان لفظاً واحداً، فلا ضمير فيهما - والكلام على افتراض
أنهما فعلان - نقول: حضر النساء خلا أو عدا هينداً، وتقاتل الجيشان خلا
أو عدا قائديهما. هذا الافتراض أربكهم في تقدير المسند إليه، فأعادوه إلى
المصدر للفعل السابق أو إلى فاعله أو إلى البعض المفهوم مما قبله أو
المستثنى منه، وقد اضطرهم إلى القول بأنه محذوف ولا يمكن ظهوره.

- لأن (خلا، وعدا) المستعملين فعلين فعلاهما لازمان، نقول: خلا البيت
من أهله، وعدا الغزال عدواً سريعاً، فلا وجه لتعديهما هنا.

ثم هم يحتمون فعليتهما إذا سبقتا بـ (ما)، كقول لبيد فأخر:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
تمل الندامى ما عداني فإنني بكل الذي يهوى النديم مولع
مع أن الجرّمي والكسائي والفراسي والربيعي أجازوا الخفض بهما مع
وجود (ما).

- ثم لئلا يكون لهما هويتين وهما تحملان المعنى نفسه. حيث دليل
حرفيتهما مساواتهما للحروف في الدلالة على معنى مفهوم جنسه من غير
لفظه.

2- (حاشا) بلغاتها:

(حاش) مع اللام، أي في نحو: (حاش لله)، قال عنهما الكوفيون والمبرد
وابن جني: هي فعل. فكان هذا الفعل يحمل ضميراً لا مرجع له عند
أكثرهم، وكان بلا فاعل عند الفراء، وعند بعضهم استعمل استعمال
الحروف.

وقال عنها الزجاج وابن مالك: هي اسم مصدر، فهي مثل: سقياً لك،
ولعاً لك. ولما كان هذا غير منون؛ جعله ابن مالك مبنياً لشبهه بـ (حاشا)
الحرفية. فانظروا إلى علة هذا البناء!.

أما (حاشا) بدون اللام؛ فهي عند سيبويه وأكثر البصريين: حرف جر فقط، وعند المازني والجرمي والمبرد والزجاج: تجر فهي حرف، وتنصب فهي فعل، وهي عندهم مثل: (خلا، عدا).
وأكرر هنا إن معنى الكلمة يفرض أنها حرف، فهي دائماً للتنزيه مع اللام وبدونه إن خفضت وإن نصبت. ولكن هذا لا يتعارض مع قولهم: حاشيت زيدا، أحاشيه؛ فهذا فعل اشتق من لفظ (حاشا) كما قالوا: سوفت من (سوف).

5- (على، ع)

(على) حرف معناه الاستعلاء، تجعل الأسماء التي بعده مَعْلُوءَةً بالأحداث، تقول: كتبوا اسمي على الجدران، ومشوا على الطريق، وجلسوا على الكراسي؛ أي: مستعلين الكتابة على الجدران،...، وتقول: اطلعت على أمر كذا وشهدت عليه، فهذا كأنك استعليت ذلك.

قال تعالى: ﴿على سرر متقابلين﴾، ﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾، ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾، ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾.

أما (ع) فمختصرة من (على) كما في قول حسان يرثي جعفر بن أبي طالب (رض) فالفرزدق.

عَ الخير بعد محمد لا شبهه بشر يُعد من البرية جُلّها
وما سبق القَيْسي عن سوء فعلة ولكن طفت عَ الماء غُرلة خالد¹
وقد استأثرت (ع) بالأسماء المحلاة بـ (ال) في عاميتنا الحاضرة؛
فنحن نقول: الكتاب ع الطاولة، وكنت ع السطح، ورحت ع الطريق.

¹ الغرلة: جلدة الصبي التي تقطع في الختان.

ثم إن البصريين ومن لف لفهم يجعلون (على) اسماً في مثل قول مزاحم العقيلي:

غدت من عليه بعدما تم خمسهَا تَصِلُّ وعن قبض ببداء مجهل
فإنما أرفض ذلك لأن الشاعر إنما أراد هنا معنى (على).

- ج -

1- (إلى)

(إلى) حرف معناه الانتهاء، تجعل الأسماء نهاية للأحداث تستقر عندها، يقول الطالب: قرأت الكتاب إلى الصفحة المئة، يقصد أن الصفحة المئة كانت نهاية قراءته.

قال تعالى: ﴿إِن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾، ﴿وَيُنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾، ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾.

و(إلى) في الانتهاء لا تدخل ما بعدها في حكم ما قبلها، فإن فهم شيء من ذلك فإنه يكون راجعاً إلى سياق الكلام. لأن هذه مهمة حروف العطف لا مهمة غيرها.

والنحاة ذكروا لـ (إلى) و(على) معاني أخرى - شأن حروف الخفض - ولكن الحق قصر الحرف الواحد في الوضع الواحد على معنى واحد.

2- (إذا)

(إذا) حرف يأتي في الكلام في وضعين فيؤدى به غرضان.

1- الأول: يكون له في أول الكلام داخلاً على الجمل الفعلية معلقاً حدثها على حدث آخر، فهو حرف توقيت وشرط، مثل: (إن)، ولكنه آتياً من متيقن أو كالمتيقن. تقول: إذا جئتي أكرمتك، تشرط مجيئه لتكرمه. قال امرؤ القيس:

إذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت برياً القرنفل¹
إلى مثلها يرنو الحليم صباية إذا ما اسبكرت بين درع ومجول²
2- الثاني: يكون له ضمن الكلام داخلاً على الجمل الاسمية فيكون للمفاجأة. تقول خرجت فإذا جاراي يختصمان، تعنى أنك فوجئت بذلك عند خروجك.

قال تعالى: «فألقاها فإذا هي حية تسعى»، «ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين»، «فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة». والمفاجأة تعني سرعة حصول ما بعد الحرف مترتباً على ما قبله.

آراء النحاة: في (إذا) الفجائية

1- الكوفيون: هي حرف، وعليه الأخفش واختاره الشلوّيين في أحد قوليه، وإليه ذهب ابن مالك وأكد صحته، ورجحه ابن هشام لأنهم يقولون: خرجت فإذا زيدٌ بالباب.

¹ تضوع المسك: انتشرت رائحته. الريا: الرائحة.

² اسبكرت: اعتدلت واستقامت. درع المرأة: قميصها. المجول: ثوب تلبسه الجارية الصغيرة.

2- الزجاج والرياشي: هي ظرف زمان، واختاره ابن طاهر وابن خروف. ونسب إلى المبرد، والتقدير عندهم: خرجت فزيد واقف وقت خروجي.

3- المبرد والفارسي وابن جني: هي ظرف مكان مستدلين على ذلك بوقوعها خبراً عن الجثة (الذات)، نحو: خرجت فإذا زيد. والتقدير عند هؤلاء: خرجت فزيد واقف في الحضرة.

وللنحاة آراء في (إذ) قريبة من آرائهم في (إذا).

(إذا) حرف أبدأ، أقول:

والذي أراه أن (إذا) حرف أبدأ.

1- لأنه موضوع لمعنى، والمعاني إنما تؤدي بالحروف. هو علم على معنى، فلم تأت دلالاته على المفاجأة ولا على التوقيت من جهة خارجة عنه. أي لم تأت دلالاته على المفاجأة من (ف، ج، ع)، ولم تأت دلالاته على التوقيت من (و، ق، ت).

2- لأنه في التوقيت (الشرط) لا ضمير في جوابها يعود عليها كما هو معروف في الضمائر العائدة على الأسماء الشرطية. إنما نرى الضمير في جوابها يعود على المسند إليه في الشرط لا عليها.

3- لأن (إذا) تربط بين حدثين برابط السببية شأن حرف الشرط (إن)؛ بينما في أسماء الشرط فلا توجد السببية بين حدثيها، لأن الأسماء لا تقيم علاقة سببية بين حدثين.

4- لأن كل الأحكام التي يختص بها الحرف (إن) تسرى على (إذا) مثل تقديم المسند إليه على الفعل، تقول: إن زيد جاء...، وإذا زيد جاء....

2.3.3. حروف تتكون من ثلاثة أحرف هجاء

- أ -

1- (أنّ) راجع (أنّ).

2- (سوف، س)

(سوف) حرف معناه الوعد؛ يجعل المضارع موعوداً به تقول: سوف أجتهد، واعدأً بالاجتهاد، قال تعالى: ﴿كلا سوف تعلمون﴾، ﴿سوف يحاسب حساباً يسيراً﴾.

وأما (س) فلها نفس معنى (سوف)، فهي مختصرة منها. قال تعالى: ﴿سيفلّ ناراً حامية﴾، ﴿سيذكر من يخشى﴾، ﴿سندعو الزبانية﴾.

وإنما كانت مختصرة من (سوف)، لأن العرب عبروا عن المعنى الواحد
الواقع في وقت واحد بكل منهما، قال:

وما حالة إلا سيصرف حالها إلى حالة أخرى وسوف تزول
أما دعوى البصريين أن زمن (سوف) أطوال من زمن السين، لأن
حروفها أكثر فدعوى تردها اللغات الكثيرة لـ (سوف) ولـ (رُبَّ)
وغيرهما.

أما كون (سوف) للاستقبال - كما يقول النحاة - فهذا آتٍ لها من الوعد،
لأن الوعد إنما ينفذ في المستقبل.

وقد خص العرب سوف بدخول لام التوكيد عليها، نحو: ﴿ولسوف
يرضى﴾.

3- (عَلَّ، لَعَلَّ)، لَيْتَ

أ- (عَلَّ)

حرف معناه الترجي؛ تترجى به من الأسماء المحكي عنها ممكناً، يقول
المكروب: عل الفرج قريب، يقول ذلك آملاً به. قال العجبر السلولي فنافع
بن سعد الطائي فسعد بن قرط:

لك الخير عللنا بها عل ساعة تمرُّ، وسهواء من الليل تذهل¹
ولست بلوام على الأمر بعد ما يفوت، ولكن عل أن أتقدما
تربص بها الأيام، عل صرُوفها سترمي بها في جاحم مُتسعر²
أما (لعل) فهي (عل) زيدت عليها اللام؛ لام التوكيد، وتجنباً لمشابهة
الفعل (عل) بمعنى شرب ثانية، فغلبت عليها، وكثر استعمالها، قال تعالى:

¹ سهواء: غفوة.

² الجاحم: الجمر الشديد الحرارة.

﴿وما يدريك لعله يزكى﴾، ﴿لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾، ﴿لعل الساعة قريب﴾.

ولكن قالوا: هي في التنزيل بمعنى (كي) لاستحالة الشك على الله تعالى، فمن ذلك كثير من نهايات الآيات: ﴿للكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾، ﴿واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾، ﴿وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون﴾.

ب- (ليت)

حرف معناه التمني؛ يُتمنى به من الأسماء المحكي عنها مستحيلاً أو بعيداً، قالوا: (ليت الشباب يعود)، وهذا مستحيل، وقالوا: (ليتنا نثري)، لاستبعادهم ذلك. وفي التنزيل: ﴿يا ويلتا! ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً﴾. وكثيراً ما يأتي قبلها (يا) تنبيهاً على بعد التمني، نحو: ﴿يا ليتني متُّ قبل هذا﴾، ﴿يا ليتها كانت القاضية﴾، ﴿يا ليتنا نردُّ ولا نكذب بآيات ربنا﴾. مما تقدم يظهر أن (عل أو لعل، ليت) تملآن ساحة الأمل؛ للقريب (عل أو لعل)، وللبعيد (ليت).

4- (ليس) راجع (لا).

- ب -

1- (إِنَّ)

(إِنَّ) حرف معناه التوكيد؛ يؤكد به المحكيُّ عنه فإذا قلت: إِنَّ زَيْدًا مسافرٌ، فأنت تؤكد أن زيدا - لا عمراً ولا بكرةً ولا سواهما - هو المسافر. وهي لا تقع إلا في بدايات الجمل، نحو: «إِنَّا أعطيناك الكوثر»، «ألا؛ إِنَّ أولياء الله لا خوف عليهم»، «والعصر!، إِنَّ الإنسان لفي خسر إلا...».

وتختص (إِنَّ) - من بين أخواتها - بمصاحبة لام التوكيد، لأنها واللام بمعنى واحد، فيزداد التوكيد بهما. ولكن اللام لا تصحبها مع النفي أو الشرط، فلا يقال: إِنَّ زيدا لما يقوم، ولا إِنَّ زيدا لئن يقيم أقم، ولا تصحبها مع الماضي عارياً من (قد)، فلا يقال: إِنَّ زيدا لقام، بل يقال: إِنَّ زيدا لقد قام.

2- (بئس، نعم)

(بئس) حرف معناه الذم؛ تدم به السيرة، فهو مختص بالسيرة، تقول: زيد رجل، وتدمه فتقول: زيدٌ بئس رجلاً، أو: بئس رجلاً زيدٌ، وتقول: زيد هو الرجل، وتدمه فتقول: زيد بئس الرجل، أو: بئس الرجل زيد، فتستغني بـ (بئس) عن الضمير؛ ضميرِ الفصل، قال تعالى: ﴿جزأؤهم جهنم، وبئس المصير﴾، ﴿بئس للظالمين بدلاً﴾، ﴿بئس ما تأمركم به أحلامكم﴾. وقد تلحق (بئس) التاء، تقول: بئس أو بئست فعلتك هذه، بينما هي تبقى بصيغة التذكير والإفراد مع جميع أنواع المسند إليه؛ فتقول: الزيدان بئس صديقين، والهنديات بئس الفتيات!.

أما (نعم) فحرف معناه المدح، يقابل (بئس). هي مثلها في جميع استعمالاتها، نحو: ﴿ولنعم دار المتقين﴾، وقال الأخطل:
نعم المجير سِمَاكٌ من بني أسد بالقاع إذ قتلت جيرانها مُضِرُّ

آراء النحاة: في (نعم، بئس)

قال البصريون: إن (نعم) - ومثلها (بئس) - فعل ماضي جامد، بحجة دخول التاء عليها، كما في قول ذي الرمة:
أو حرة عَيْطَلٌ تَبْجَاءُ مُجْفَرَةٌ دعائم الزور، نعمت زورق البلاد¹،
وعليه الكِسَائِي.
وقال الكوفيون: إن كلاً منهما اسم، بحجة دخول الجار عليهما، كما في قول حسان:

ألستم بنعم الجار يؤلف بيته لذي العرف ذا مال كثير ومعدماً²

¹ عيطل: طويلة العنق. التبجاء: الواسعة الوسط. ومثله المجفرة. الزور: أعلى الصدر.

² المعدم: الذي لم يبق لديه شيء.

(نعم، بئس) حرفان، أقول:

الحق أن كلاً منهما حرف:

1- لأن كلاً منهما كلمة موضوعة لغرض، هذه للمدح، وتلك للذم. وما وضع لغرض فهو حرف.

2- لأن كلاً منهما لا يتصرف. وهذا شأن الحروف، لا الأفعال ولا الأسماء.

3- لأن لام التوكيد تُبأشرها كما تبأشر الحروف، بينما هذه اللام تفصل عن الفعل الماضي بـ (قد)، نحو: «تالله لقد أترك الله علينا»، إن زيداً لقد قام.

4- لأن لام القسم يستدعي حرفاً في أول جملة المقسم عليه، نحو: والله لا يذهب شيخي باطلاً، والله إن زيداً مسافر، والله لزيد مسافر، والله لأسافرن أو: لسوف أسافر، أو: لقد سافرت، والله لنعم الرجل زيد.

5- لأن (يا) تدخل عليهما، نحو: يا نعم المولى، ويا نعم النصير. تدخل عليهما كما تدخل على بعض الحروف، نحو: «يا ليتني مت قبل هذا»، يا رب هيجا هي خير من دعة. والذي يبعد كونهما فعلين

1- أنهما مجردان من الحدث والزمان، وهذا شيء أساسي في حد الفعل لا بد منه أصلاً.

2- أنهما لا تتصرفان شأن الأفعال كلها:

أما جعلهما مع (ليس، عسى، خلا، عدا) - وكل من هؤلاء مجرد من الحدث والزمان - متقابلات بجمودهن مع آلاف الأفعال المتصرفية: فشيء ملفت للنظر.

ثم إن فعل التعجب لا يؤخذ منهما: من (نعم، وبئس) ولا من الفعل المبني للمجهول.

3- أن وَرَئِهُمَا (فَعْلٌ) في العام لا في الضرورة ولا في الشذوذ، وهذا لا يوافق - كما هو واضح - وزن الفعل. ويدخل في الشذوذ ما جاء عن بني تميم أنهم يجعلون كل فعل وزنه (فَعْلٌ) مما عينه حرف حلق على: (فَعْلٌ). ذلك أن هذا غير موجود لدى شعرائهم، طالع منها ما شئت فلن تعثر على طائل، ويدخل في الضرورة قول عمران بن حطان الذهلي:

من الأزد إن الأزد أكرم أسرة يمانية قَرَّبُوا إذا انتسب البشر

مع أن الرواية الشائعة هي: ... يمانية طابوا....

4- عدم التحاق الضمائر بهما شأن الأفعال كلها، تقول: الزيدان جاءا وذهبا وطابا نفسين وكرما أبوين، ولا تقول: الزيدان نعمتا رجلين أو بئسا رجلين، بل تقول: الزيدان نعم رجلين أو بئس رجلين.

5- أنهما لا تقعان شرطاً ولا عهداً، فلا يقال مثلاً: إن نَعَمَ الرجل زيد- أسافر، ولا يقال: جاء الذي نعم الرجل زيد. هذا في حين أن جميع الأفعال تقع شرطاً وتقع عهداً.

6- أن (قد) لا تدخل عليهما.

ومثل (نعم، وبئس) في هذين الأخيرين (ليس، عسى، خلا، عدا).

7- ثم إن الكلمة لا تكون اسماً بدخول الجار عليها، إذ ليس في حد الاسم شيء من هذا؛ فكلمة (نام) لا تصيح اسماً لأن أحدهم قال:

والله ما لي لي بـ (نام) صاحبه كلا ولا مسَّ اللَّيْلَانَ جانبه

كما أن الكلمة لا تصير فعلاً بدخول التاء عليها، لأن ذلك ليس شيئاً في حدِّ الفعل، فكلمة (رُبِّ) لا تصير فعلاً لأن التاء تدخل عليها. أورد أبو زيد في نوادره:

يا صاحبا رُبِّتَ إنسان حسن يسأل عنك اليوم أو يسأل عن
و كلمة (مسلم) لا تصير فعلاً لأن أحدهم قال:
الله نجاك بكفِّي مُسَلِّمَتُ من بعد ما وبعد ما وبعد متُ

- ت -

1- (ثم)

(ثم) حرف معناه التراخي؛ يُراخى به ما بعده عما قبله، تقول: جاء زيد
ثم عمرو. فتدل بـ (ثم) على تراخي عمرو عن زيد في المجيء،
والتراخي قد يعني تباعد ما بين الأمرين، قال تعالى: ﴿قل الله ينجيكم منها
ومن كل كرب ثم أنتم تشركون﴾.
وقد يلحقون بـ (ثم) التاء مفتوحة أو ساكنة، كما في قول عبدة بن
الطبيب بعد أن ذكر أكلهم الصيد:

ثُمَّتَ قَمْنَا إِلَى جَرْدِ مَسْوَمَةٍ أَعْرَافُهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلَ

ثم إن:

- مذهب الجمهور أن (ثم) للترتيب والتراخي، وهو الحق.
- ومذهب الفراء والأخفش وقطرب أنها لا ترتب، فهي بمنزلة الواو، كما
في الآية الكريمة: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم خلق منها زوجها﴾.
- ومذهب ابن مالك إلى أنها قد تقع موقع الفاء كما في قوله أبي دؤاد:

كهز الرُدَيْنيُّ تحت العَجاج جرى في الأنايب ثم اضطرب

2- (رُبّ)

(رُبّ) حرف معناه لا تستبعد ذلك فقد كان، فإذا قلت: رب رجل فينا يحمل الضيم، كان المعنى: لا تستبعد ذلك فقد كان، قال الأعشى:
رب رِفد هَرَقته ذلك اليو م، وأسرى من معشر أقتال
وتختص (رب) عن أخواتها من حروف الخفض بـ:
- أنه يلزم تصديرها، فهي مثل واو القسم، ومثل (كم) الخبرية في تعظيم ما بعدهن.

- وأنها لا تتعلق بشيء حتى ولا بمحذوف، فهي مستقلة.
- وأن الكلام معها على شيء مضى، ولا يمنع أن يرد المضارع بعدها، كالأية: «ربما يود الذين كفروا لو كانوا مؤمنين».
- وأن ما بعدها نكرة موصوفة.

- وأن مَحْفُوضها اسم ظاهر نكرة، وقلّ مجيئه مضمراً مذكراً مفرداً مفسراً، كما قل مجيئه معرفاً، كما في الرواية وقول أبي دؤاد:
ربه فتيةٌ دعوت إلى ما يورث المجد داعياً فأجابوا
ربما الجامل المُوْبِل فيهم والعناجيج بينهن المهار
ولهذه الأسباب وغيرها قال الكوفيون: إنها اسمٌ.

وقد ذكروا لـ (رب) لغات كثيرة، يصادف الدارس منها الكثير. وتلحقها (ما) فتؤهلها للدخول على الجمل، كالأية المذكورة، وتأتي مع (يا) تنبيهاً على توكيد ما يطلب عدم استبعاده، وهو كثير. كما في قول أبي البقاء الرندي:

يا رب أمٍ وطفلٍ حيلٍ بينهما كما تفرق أرواحٍ وأبدانُ

3- (منذ) راجع (مذ).

- ث -

1- (أما... ف)

(أما) حرف معناه التفصيل؛ يُفصّل أحكام الجمل مكرراً مع كل منها، وهو في كل جملة يرتبط بالفاء فيقصد بهما ارتباط أمر بآخر، تقول: أما زيد فشهم، وأما هند فمهذبة. فصلّت بـ (أما) أمر كل من زيد وهند، وقصر هو والفاء أمر كل منهما على شيء. قال تعالى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث﴾.

إن ارتباط (أما) بالفاء يشبه ارتباط حرف النفي بـ (إلا) قبل تمام الكلام، فقولك: (أما زيد فمنطلق) يشبه قولك: (ما زيد إلا منطلق)، وقوله تعالى: ﴿إن هذا إلا نذير﴾.

أما قول النحاة: {إن (أما) حرف فيه معنى الشرط، مؤول بـ (مهما يكن من شيء)} فبعيد.

- لأنها دائماً تستعمل مكررة، وليس شيء من أحرف الشرط كذلك.

- لأنها تدخل على حرف الشرط، كما في الآية: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ .
- ولأن تأويلها بـ (مهما يكن من شيء) عند سيبويه تأويل معنى، لاحظ أنه ينقل الفاء عن موضعها¹.

2- (حتى)

(حتى) حرف معناه الغاية؛ يبلغ في كل شيء غايته، أي نهايته، فيبلغ بالماضي نهاية الماضي، وبال مضارع نهاية المضارع، ويبلغ بالأسماء غاياتها، تقول: عمل زيد حتى كل، ويعمل حتى يكل، ويعمل يومه حتى المساء، وعمل حتى إذا كل استراح، وبنى زيد الجدار حتى آخر لبنة، قاصداً الغاية في الكل.

فالأول نحو: ﴿الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾، ﴿فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها﴾.

والثاني نحو: ﴿فلا تفعد معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾، ﴿ولن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾، ﴿يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً سقناه إلى بلد ميت﴾ .

ونرى أن (إذا) تأتي مع الفعلين الماضي والمضارع عقب (حتى) لأن (إذا) للمستقبل بحسب ما قبله.

والثالث نحو: ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾، ﴿قتول عنهم حتى حين﴾. وقول عثمان: (لقد اجتراً عليّ الناس حتى الصبيان).

ويلاحظ أن (حتى) في هذا القسم تؤدي معنيين من معاني الغاية.

¹ في نحو قولك: (أما اليوم فإني منطلق، وأما إلى الوطن فإني راجع). فالظرف والمجرور - في قول الجمهور - متعلقان بالحرف (أما). ولا نظير لتعليقها بالحرف إلا في النادر. وهما - في قول المبرد - متعلقان بالخبر.

الأول: إذا خفضت تكون إلى الآخر من غير أن يتحتم دخول الآخر فيما قبله،

والثاني: إذا عطفت تكون إلى الآخر مدخلة له فيما قبله.
فإذا قلت: أكلت السمكة حتى رأسها فخفضت؛ تكون قد أكلتها ولم تأكل رأسها، أما إذا قلت ذلك فنصبت (رأسها)؛ تكون قد أكلتها جميعاً مع الرأس.

و(حتى) في جميع أقسامها: خافضة أو عاطفة أو ناصية للمضارع أو مهمله لها ذات المعنى. أما هذه الأشياء فتعلق بما تدخل عليه لا بها هي. فلا حاجة بنا للتسميات التي يسميها بها النحاة. لأن تسمية الحرف يجب أن تكون له من معناه لا من غيره شأن أغلب الحروف.

3- (كلا)

(كلا) حرف معناه الرد؛ يرد بما بعده مضمون الجملة قبله، فتعطي عكس معناها، بل هو يردُّ مضمون الجملة بشدة، تقول: أنا أخون؟!...، تريد أن تزجر وتردع عن اعتقاد ما قبل كلا.
قال تعالى: ﴿يحسب أن ماله أخلده؛ كلا﴾، ﴿أهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر؛ كلا﴾.

وقد يكون ما يردع عنه مفهوم من سياق الكلام، نحو: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين؛ كلا إن كتاب الفجار لفي سجين﴾.

آراء النحاة: في (كلا)

- 1- مذهب البصريين والخليل وسيبويه: أنها حرف ردع وزجر.
- 2- ومذهب الكسائي وتلميذه نصير بن يوسف ومحمد بن أحمد بن واصل: إلى أنها تكون بمعنى (حقاً).
- 3- مذهب النضر بن شميل: أنها بمعنى (نعم).

- 4- وركب ابن مالك هذه المذاهب الثلاثة، فجعلها مذهباً واحداً. قال في التسهيل: (كلا) حرف ردع وزجر، وقد تؤول بـ (حقاً) وتساوى (إي) معنى واستعمالاً.
- 5- وذهب أبو حاتم إلى أنها تكون ردّاً للكلام الأول، وتكون للاستفتاح بمعنى (ألا)، ووافقه الزجاج.
- 6- وذهب عبد الله بن محمد الباهلي إلى أنها تكون على وجهين: أحدهما تكون لرد الكلام قبلها، فيجوز الوقف عليها، وما بعدها استئناف. والآخر أن تكون صلة للكلام فتكون بمعنى (إي).

4- (لما)

- (لما) حرف يأتي في الكلام في وضعين فيؤدى به غرضان. الأول: يكون فيه مع المضارع فتكون حرف نفي، والثاني: يكون فيه مع الفعل الماضي فيكون فيه للتحائين.
- الأول: (لما) حرف نفي، به يكون للانتظار، ينتظر به وقوع مَنفِيها، وهي ترتبط بجملة قبلها ذات حدث حاليّ أو قريب من الحالي، تقول: قُرِعَ الجرس ولما تحضر المعلمة، لأن حضورها منتظر، قال تعالى: ﴿كلا لما يقض ما أمره﴾، وقال الممزق العبدي فعمرو بن كلثوم فالنابغة الذبياني.
- فإن كنت مأكولاً فكن خير أكل وإلا فأدركني ولما أمزق إليكم - يا بني بكر: -! إليكم ألما تعلموا منا اليقينا
أزف الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكان قد¹

¹ أزف: قرب. كأن قد: أي كأن قد زالت.

و(لما) هذه يجوز حذف الفعل بعدها في الاختيار، لأن في الكلام الذي قبلها إشعاراً به ودليلاً عليه.

الثاني: (لما) حرف تَحَايُنٍ، به تُحَايِنُ بَيْنَ حَدِيثَيْنِ مَاضِيَيْنِ، تقول: لما جاءني صديقي أكرمته، تجعل مجيء صديقك وإكرامه متحايينين، قال تعالى: ﴿ولما توجه تلقاء مدين قال عسى أن يهدينني ربي سواء السبيل، ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون﴾.

وقد جاءت (لما) بمعنى (إلا) للحصر، كما في قوله تعالى: ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾، وقال عمر لأبي موسى في كاتب له لحن: عزمت عليك لما ضربت كاتبك سوطاً. ومع هذه الأدلة قال الجوهري: {إن (لما) بمعنى (إلا) غير معروف في اللغة}.

آراء النحاة: في (لما) التي للتعليل

1- مذهب الفارسي وابن جنى وابن السراج ومن تبعهم: أنها ظرف بمعنى (حين) فهي عندهم اسم.

2- مذهب سيبويه وابن عصفور ومن تبعهم: أنها حرف. وضح مذهب سيبويه المرادي صاحب (الجنى الداني)، فقال: {- لأنها ليس فيها شيء من علامات الأسماء. - لأنها تقابل (لو)، تقول: لو قام زيد لقام عمرو، ولكن لما لم يقم زيد لم يقم عمرو. - لأن جوابها لا يعمل فيها، فلو كانت ظرفاً لعمل فيها. - لأنها تشعر بالتعليل، كما في قوله تعالى: ﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا﴾. - لأن جوابها قد يقتربن بـ (إذا) الفجائية}.

(لما) حرف أبدأً، أقول:

إن (لما) هذه حرف - ولما حرف دائماً - لأنها تدل على غرض، ولأنها مثل: (لو)؛ (لو) حرف امتناع لامتناع، و(لما) حرف وجوب لوجوب.

وهي مثل (إن) في التعليق. هذه تقول فيها: إن جاء زيد أكرمه، و(لما) تقول فيها: لما جاءني أكرمه، وكلاهما يكون جوابها جملة اسمية مقترنة بـ (إذا) الفجائية أو غير مقترنة بها أو جملة فعلية، قال تعالى: ﴿فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾، ﴿فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد﴾، ﴿ولما نجاهم إلى البر أعرضتم﴾.

ثم هي ذات (لما) النافية؛ فيها تقول: أتى زيد لما أتى عمرو، وفي النافية تقول: أتى زيد ولما يأت عمرو.

5- (لولا، لوما)

(لولا، ولوما) حرفان يأتيان في الكلام في وضعين فيؤدى بهما غرضان:

1- الأول: يكونان فيه مع الأسماء أو ما يؤول بها، فتكونان للامتناع، يمنع بها الحدث بالاسم الواقع بعدها، تقول: لولا انشغالي لرافقتك، تعني أن انشغالك منعك من مرافقة محدثك، قال جرير فمرة بن همام بن مرة:

لولا الحياء لهاجني استعبار و لزررت قبرك، والحبيب يُزار
تالله لولا أن تشاءى أهلها لعلوت أجرد كالعسيب مُشذبا¹

وإذا وليهما فعل كما في قول أبي ذؤيب:

ألا زعمت أسماء أني أحبها فقلت: بلي، لولا ينازعني حلمي²

فهذا على تقدير (أن)؛ أي: لولا أن ينازعني حلمي.

وقد نص النحاة على أن (لوما) مثل (لولا)، ولم أجد لها عندهم من شاهد ولا فيما طالعت من أشعار.

¹ تشاءى: تفرق. العسيب: جريدة النخل.

² ينازعني: يعترض عليّ.

2- الثاني: تكونان فيه مع الأفعال المضارعة للتَّحْضِيضِ ومع الأفعال الماضية للملامة. ومثلُهُما في هذا (هلاً، وآلاً):

يقول المعلم لطلابه: لولا تعتنون بكتبكم!؛ يحضهم على العناية بها، ويقول لهم: هلاً كتبتم الوظيفة!؛ يلومهم على عدم كتابتها.

قال تعالى: ﴿لوما تأتينا بالملائكة﴾، وقال بشر بن أبي خازم فعنتره:

لولا تسلي الهم عنك بِجَسْرَةٍ عَيْرَانَةٍ مِثْلَ الْفَنِيقِ الْمُكْدَمِ¹
هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي²

- ج -

1- (إلا)

(إلا) حرف يأتي في الكلام في ثلاثة أوضاع فيؤدى به ثلاثة أغراض:

الأول: يأتي فيه بعد كلام تام موجب يكون فيه للاستثناء،

والثاني: يأتي فيه بعد كلام تام منفي يكون فيه للمشاركة،

والثالث: يأتي فيه بين الكلام بعد النفي يكون فيه للحرص.

1- الأول: (إلا) حرف استثناء، نستثني به البعض من مجموعته

المعروف عندنا، نقول: قام القوم إلا زيداً، فنستثني (زيداً) منهم، نقصد أنه

لم يبق في حين أن القوم قاموا؛ وإن كان شمله لفظ القوم، ونقول: حضر

التجار إلا بضائعهم، نستثني البضائع، نقصد أنها لم تحضر مع التجار؛

وإن كان يحتملها لفظ التجارة. فالاستثناء يكون مما يشتمل أو مما يحتمل

أن يشتمل.

¹ الجسرة: الناقة التي تتجاسر على السير. عيرانة: تشبه العير لنشاطها. الفنيق: الفحل الشديد الغليظ. المكدم: المعضوض، فيه كدمات.

² سألت الخيل: يقصد سألت فرسانها، لأنهم كانوا حاضرين قتاله وشدة بأسه.

2- الثاني: حرف مشاركة تُشارك به البعض في الحكم عن مجموعه المعروف، تقول: ما حضر الطلابُ إلا اثنان؛ تقصد بذلك أن تفرد هذين الطالبين بحكم الحضور عن بقية الطلاب. قال النابغة الذبياني:

فما وجدت بها شيئاً ألوذ به إلا الثمامُ وإلا موقد النار¹

3- الثالث: (إلا) حرف حصر، وذلك إذا كان ما قبلها يطلب ما بعدها، ولم يكن هنالك ما يشتمل على ما بعدها أو يحتمل أن يشتمل عليه، قال تعالى: ﴿لا يصلاها إلا الأشقي﴾، ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾، ﴿إن نظن إلا ظناً﴾.

(إلا) حرف أبدأ، أقول:

(إلا) في الآية الكريمة: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾، ونحوها كما في قول ذي الرمة:

أنبخت فألقت بلدة فوق بلدة قليل بها الأصوات إلا بغمها
ليست اسماً صفة في محل رفع...، كما يقولون، بل هي باقية على حرفيتها، ولفظ الجلالة في الآية معطوف على (آلهة)، و(إلا) حرف عطف كما هي في الفقرة السابقة. وكذلك (بغامها) معطوف على (الأصوات). لأن العطف يقع بعد النفي وشبهه، ولأن (لو) تعطي النفي للشرط والجواب معاً ويصبح معنى الآية: ما فيهما آلهة إلا الله فما فسدتا. لاحظ حين تقول: لو نجحت فزت بالجائزة؛ أن المعنى: ما نجحت فما فزت بالجائزة. أعطت (لو) معنى النفي للشرط والجواب معاً. ثم إن كون (إلا) حرفاً لا غير؛ يكون به العطف شاملاً كل النفي، وهو المنطقي، وهو الذي يخلصنا من تعقيدات لا داعي لها، ويخلصنا من أن

¹ ألوذ به: أحتمي به. الثمام: نبات.

نجعل كلمة تحمل هويتين. هذا مع العلم أن جعل (إلا) اسماً يخرجها إلى عدم النظر إذ لا يوجد في الأسماء كلها اسماً له مثل هذا البناء (فعلًا) ولا يوجد في الأسماء كلها اسم لا يقع إلا صفة.

2- (إِمْأ) ... و(أَمْأ)

(إِمْأ) حرف معناه التفصيل؛ تفصيل للمفردات، تجعل الحكم لواحد منها فقط، نقول: المقبل إما زيد وإما أحمد، فتحكم بأن المقبل أحد هذين لا غير. فـ (إِمْأ) تفصل بما بعدها وضع أمر سابق، فلا بد أن يكون قبلها اسم يكون هو موضوع التفصيل.

و(إِمْأ) تتكرر مع المفردات بحرف العطف (وَ)، هكذا: (إِمْأ... وإِمْأ). و(إِمْأ) الثانية في المعنى مثل (أَمْأ) وقد تنوب عنها، كما في قول الأخطل:

وقد شفني أن لا يزال يروعني خيالك إما طارقاً أو مُغادياً¹
ثم إن (إِمْأ) بكسر الهمزة تفصيل للمفردات، وأن (أَمْأ) بفتح الهمزة تفصيل للجمل، فبينهُما تقابل.

3- (إِيَّأ)

(إِيَّأ) حرف معناه التخصيص؛ تخصص به الضمائر بالأحداث حين تهتم بالضمائر، تقول: إِيَّاكَ أعني، فتخصص من تكني عنه بما تعني لاهتمامك به.

وهو يختص بالضمائر المتصلة: (ني، نا، كَ، كِ، ...).

¹ شفه الحب: أنحلّه، رققه. راعه: أفزعه. خيالها: صورتها التي يراها في منامه. الطارق: من يطرق الباب عليك ليلاً؛ يزورك.

وإنما يستعمل مقدماً على الفعل الذي يرتبط به وعلى المحذر، قال تعالى: ﴿وإياي فارهبون﴾، وقال (ص): (إياكم وخضراء الدمن).
أو يستعمل مؤخراً عن أداة الحصر وحرف العطف، قال تعالى: ﴿ضل من تدعون إلا إياه﴾، ﴿الله يرزقها وإياكم﴾، ﴿وإننا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾.

أو يستعمل مع الضمير المرتبط باسم الحدث أو بالفعل، تقول: من واجبي إكرامي إياك، وزيد أعطاك إياه.
وجاء (إيا) على غير ذلك قليلاً، كما في قول حميد بن الأرقط فأبي بُحيلة أو ذي الإصبع العدوانى:

أنتك عنسى تقطع الأراك إليك حتى بلغت إياك¹
كأننا يوم قرى إنما نُقتل إيانا²

آراء النحاة في: (إيا)

- 1- البصريين وسيبويه - منهم: اسم مضمر، ولواحقه أحرف تبين أحوال الضمير من تكلم وخطاب وغيبة. واختاره الفارسي وابن جني والجوهري.
- 2- الخليل والمازني: اسم مضمر، أضيف إلى لواحقه، لأنه لا يفيد معنى بانفراده، ولا يقع معرفة بخلاف غيره من المضمورات. واختاره ابن مالك ونسبه للأخفش.
- 3- الزجاج: اسم ظاهر مبهم، خص بالإضافة إلى الضمائر، وقد ذكر الإستريادي أن السيرافي يقول ذلك أيضاً.

¹ العنس: الناقة القوية كأنها الصخرة. الأراك: شجر المسواك.

² قُرَى: اسم موضع. وصف أن قومه أوقعوا ببني عمهم فكأنهم قتلوا أنفسهم.

- 4- المبرد: اسم مبهم أضيف إلى ما بعده للتخصيص. ويظهر أن هذا هو رأي الزجاج.
- 5- الكوفيين: زائدة جيء بها ليصح فصل اللفظ، ولو احقها هي الضمائر، وإليه ذهب ابن كيسان.
- 6- وقال الأتباري في (الأنصاف): ذهب بعضهم - يعني بعض الكوفيين - إلى أن كلاً من: (إياي، إيانا، إياك،...) بكماله هو الضمير. وهذا ما نجده مقولاً به في مدارسنا اليوم¹.
- 7- ابن درستويه: اسم لا ظاهر ولا مضمر، ولو احقه لا موضع لها من الإعراب.
- 8- وقد صرح صاحب (رصف المباني) بأن: (إيا) حرف. قال: لأنه لا معنى له في نفسه، وإنما معناه في غيره كسائر الحروف².
- (إيا) حرف خفض، أقول:**

¹ فيقولون في إعراب: (إياك أعني واسمعي يا جارة)، إياك: ضمير منفصل مبني على الكسر في محل نصب مفعولاً به مقدماً. نقلت هذا عن كتاب (المختار) لعلي رضا، وهو ناح معاصر.

² والحق أن (إيا - كما ذكرت - حرف خفض معناه (ذات) أو (نفس)، فهو حرف غلب عليه استعماله مع الضمائر: (ي، نا، ك،...).

فمعنى قول ذي الإصبع: (كأننا يوم قرى إنما نقتل إيانا)، نقتل أنفسنا ذاتنا لا غيرنا. ومعنى ﴿الله يرزقها وإياكم﴾: الله يرزقها ويرزقكم أنتم ذاتكم. وهكذا. وقالت فاختة بنت عدي:

لعمرى ما خشيت على عدي رماح بني مقبدة الحمار
ولكني خشيت على عدي رماح الجن أو إياك حار!
- تعني الحارث بن أبي شمر خاله - والمعنى: أو ذاتك يا حارث.

الحق أن (إيا) حرف خفض، كان حرفاً، لأنه كلمة تدل على غرض هو التخصيص، وكان حرف خفض لظهور عمله في رواية الخليل: (إذا بلغ المرء الستين¹ فإياه وإيا الشواب)، ولأنه يربط الأسماء بالأحداث شأن سائر حروف الخفض.

ثم إن لواحق (إيا) في جميع استعمالاتها.

إما أن تكون مما يلي حروف الخفض: (من، إلى، عن،...).

وإما أن تكون مما يلي حروف المحكي عنه: (إن) وأخواتها. فلما تبين

أن (إيا) حرف خفض حكمت على لواحقه بأنها ضمائر مخفوضة لا منصوبة. وهذه اللواحق لا تلي إلا الحروف.

أما ما نراه منها متصلاً بالأسماء في نحو: كتابي ومعلمي، فهو متصل

باللام حرف الخفض المقدر، والأصل: كتاب لي، ومعلم لي.

وكذلك ما نراه منها متصلاً بالأفعال في نحو: ضربني ويضربني، فهو

أيضاً متصل باللام حرف الخفض المقدر، والأصل: ضرب لي، ويضرب

لي.

¹ بلغ الستين: يقصد الستين من العمر. الشواب: جمع شابة؛ الفتية من النساء.

- ح -

1- (نَعَمْ، أَجَلٌ)

(نعم) حرف معناه التصديق؛ تصدق به كلاماً مثبتاً أو منفيّاً واستفهماً أو خبراً، فإذا قال قائل: قام زيد، أو: لم يقم زيد. فقلت: نعم، فإنك تصديق بـ (نعم) لقوله، وكذلك إذا قال: أقام زيد؟، أو: ألم يقم زيد؟. فقلت: نعم، فقد حقت ما بعد الهمزة، لأنك صدقت على قوله، قال تعالى: ﴿وقالوا - أي سحرة فرعون -: وإن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين، قال: نعم﴾.

فَ (نعم) حرف تصديق يصدق به على مضمون جملة قبله، فإذا قيل: أ جاء زيد، وأجيب: نعم؛ فإن (نعم) معناها: جاء زيد، وإذا قيل: ألم يسافر

سعيد؟ وأجيب: نعم؛ فإن (نعم) معناها لم يسافر سعيد، وبذلك تكون (نعم) تحمل معنى الجملة كما هي إثباتاً كانت أو نفيّاً.
وأما (أجل) فحرف تصديق مثل (نعم) إلا أنها أكثر ما تستعمل في الإخبار.

- خ -

1- (إن)

(إن) حرف معناه الاستنتاج؛ تستنتج به فكرة بناء على مقولات سابقة، يقول طالب: سأدرس جيداً هذا العام، فنستنتج من ذلك فنقول له: إن تكونَ علامتك جيدة، ويقول الجندي: كاد العدو أن يداهمنّا وإنّ لأمطرناهِ بوابل من القذائف. قال تعالى: ﴿أم لهم نصيب من الملك فإذاً لا يُأتون الناس نقيراً﴾.

والأكثر أن يكون (إن) في جواب (إنّ أو لو) ظاهرتين أو مقدرتين كما في قول كثير فآبي خراش:

لئن عاد لي عبد العزيز بمثلها وأمكنني منها، إذن لا أقيلها¹
ولو سمعوا منهم دعاء يروعهم، إذن لأتته الخيل أعينها قبل²

- د -

1- (لكن، لكنّ)

(لكن) حرف معناه الاستدراك؛ نستدرك به على ما يغير ما يقتضيه ما قبله، وإنما يلزم الاستدراك؛ إذا كان ما قبله قد يوهم الاستطراد في نظائره، تقول: عامر قوي في الهندسة لكن يكره الجبر، لما أخبرت أن عامراً قوي في الهندسة خشيت أن يوحي كلامك بمحبة عامر للجبر أيضاً - لأن الهندسة والجبر صنوان، لذلك استدركت عليه بـ (لكن)، قال تعالى: ﴿وما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه﴾.

¹ لا أقيلها: لا أتخلى عنها.

² يروع: يفرع. أعينها قبل: أعينها منحرفة إلى الداخل.

والاستدراك يكون على الجملة بالجملة - وهو الأكثر -، نحو: سعد كثير الأصدقاء ولكن أخوه لا يصادق أحداً. ويكون على المفرد بالمفرد، نحو: ما مررت بصالح لكن طالح.

أما (لكنّ) فهي (لكنّ) ثقلت نونها لتخصصها بالمحكي عنه، نحو: «إن الله لذنو فضل على الناس ولكنّ أكثرهم لا يشكرون».

وإنما **قلت**: إن (لكن) أصل لـ (لكنّ)، لأنها تدخل على الجمل اسمية وفعلية وتدخل على المفردات، بينما (لكنّ) مخصوصة بشيء واحد، ولأنها لا تعمل عمل المنقولة. أما ما يراه يونس والأخفش من أنها تعمل عمل المنقولة؛ فإنه غير مسموع من العرب، وبالتالي فلا حجة فيه.

واقع معاني الحروف، أقول:

يتبين مما قدمت في دراسة الحروف أن:

1- الحرف الواحد له معنى واحد لا يتجاوزه. وهذا شأن أغلب الحروف، مثل (في) للظرفية، و(ليت) للتمني، و(سوف) للوعد. غير أن هناك في معاني بعض الحروف تقارب مع البعض؛ مما يُري أن للحرف الواحد معنى حرف آخر، وأن في معاني بعض الحروف سعة؛ مما يُري أن للحرف الواحد عدة معان، مما يجعل **للنحاة** في مثل هذه الحروف آراء مختلفة، فعد بعضهم معنيين للحرف الواحد أو ثلاث أو أربع إلى أكثر من ذلك.

2- الحرف الواحد إن وجد له أكثر من معنى؛ إنما يكون له ذلك إذا كان له أكثر من وضع في الكلام - أما في غير ذلك فلا -، لذلك فإن المعاني المختلفة للحرف الواحد، إن وجدت، إنما توجد له آتية من أوضاع مختلفة له في الكلام.

وقد وجدنا - مثلاً- أن الهمزة (أ) كانت مع الأسماء للنداء، وكانت مع الجمل للاستفهام، وأن الواو في أول الكلام كانت للتعظيم: للقسم وللتمدح؛ للقسم مع الأسماء المعرفة، وللتمدح مع الأسماء النكرة، وفي أثناء الكلام كانت للمعية، وفي أعقاب الكلام كانت للنسق.

3- المعنى الواحد لعدة حروف، مثل: (من، وم)، ومثل: (مند، ومذ)، ومثل: (لا، وليس، ولات)، ومثل: (يا، وأيا، وهيا، وأي، وأ)؛ يرجع تلك الحروف إلى أصل واحد منها. هي إما اختصرت من واحد منها، وإما زيد في حروف هجاء واحد منها فكانت.

4- تسمية الحرف عموماً يجب أن تأتيه من المعنى الذي يحمله شأن أغلب الحروف. فتسميتهم لبعض الحروف من غير ذلك خروج على هذا العموم، فمثلاً تسميتهم (أن) في بعض أحوالها مصدرية هي تسمية ليست آتية لها من المعنى الذي تحمله، بل هي آتية من تقديرهم سببها بمصدر. ومثلاً تسميتهم الباء في نحو: ذهب زيدٌ بـمال عمرو؛ أنها للتعدية، هي عندهم بمعنى أذهب زيدٌ مال عمرو. فالتسمية للباء هنا لم تأتي للمعنى الذي أدته.

النحو الحق
النحو على قواعد جديدة
3- أشباه الحروف؛ الأسماء الغرضية

محمد علي رستاوي

3.1. مقدمة

الأسماء الغرضية هي مجموعات من الكلمات موضوعة لأغراض خاصة، فهي مثل الحروف. إنما الحروف وضعت لأغراض عامة، وهذه وضعت لأغراض خاصة، هي مسمياتها.

فكلمة (أ) وضعت للاستفهام فقط، فلا يفهم منها غير ذلك، بينما كلمة (كَمْ) وضعت للاستفهام عن عدد، فكان العدد مسماها.

وكلمة (إن) وضعت للشرط مطلقاً، فلا يفهم منها غير ذلك، بينما كلمة (مَنْ) وضعت للعاقل وتستعمل في الشرط فيبقى مشروطها في العقلاء، وهي اسم لهم.

والعهد مطلقاً يؤدي بإضافة (الـ) إلى الاسم، بينما كلمة (الذي) للمعهد المفرد المذكر، فالمفرد المذكر مسماها وهي اسم له. وهكذا....

لاحظ أن هذه الأسماء لا تلازم مسمياتها، بل تكون بحسب الغرض لهذا ثم لغيره.

وتشتمل الأسماء الغرضية على: الضمائر (المكنيات)، وأسماء العهد (الموصولات)، وأسماء الإشارة، وأسماء الاستفهام، وأسماء الشرط، وأسماء الكناية، وأسماء الأصوات، وأسماء الظروف غير المتصرفة.

3.1.1. الضمائر (المكنيات)

الضمائر مجموعة من الكلمات الموجزة وضعت رموزاً لأصحابها، لأنهم علموا:

- قسم علم بحضوره وهو يتكلم عن ذاته،
 - وقسم علم بحضوره أيضاً، إنما هو يستمع للكلام عنه مخاطباً به،
 - وقسم علم بورود ذكره من سياق الكلام، أو من واقع الحال.
- فالضمائر أسماء استغني بها عن أسماء أصحابها للعلم بهم، فهي أسماء لهم تأتي بعد أسمائهم الأولى، وقد أصبحت قصراً عليهم، في حين أن أسماءهم الأولى كثير ما يشاركون بها آخرون.

أ- الضمائر نوعان

ضمائر مستقلة بلفظها عن غيرها، وتسمى بالضمائر المنفصلة، وهي تختص بالمحكي عنه، هي: (أنا، نحن، أنت، أنت، أنتما، أنتم، أنتن، هو، هي، هما، هم، هن).

ضمائر مرتبطة بلفظها بحرف ملفوظ به أو مقدر مع الفعل والاسم، وتسمى بالضمائر المتصلة، وهي تختص بالحروف، هي: (ـني، ـنا، ـك، ـك، كما، كم، كن، ـه، ـها، ـهما، ـهم، ـهن).
ويلاحظ أن الثلاثة الأخيرة من النوعين واحدة في اللفظ: (هُما، هُم، هُنَّ) و(هُما، هُم، هُنَّ).

ب- توضيحات على الضمائر

يترافق القول بتصحيح واقع الكلمات بالقول بتصحيح واقع الضمائر، ذلك أن الضمائر مرتبطة بتلك الكلمات ارتباطاً دائماً.

1- الضمائر: (أنا، نحن، أنتَ،...) لا تقع إلا في مواقع المحكي عنه، تقول: (أنتَ آتٍ، والآتي أنا، وما أتى إلا أنتم، وإذا أنتَ أتيتَ أكرمتك). ولهذا سميتها: (ضمائر المحكي عنه).

2- الضمائر: (ي، بنا، لك،...) لا تقع إلا متصلة بالحروف، تقول: مني المال، ومنك العمل، وإنك مهذب. أما نحو: كتابك، وعلمك، ويعلمك؛ فالضمير كان متصلاً باللام فحذف لكثرة الاستعمال. والأصل فيها كتابٌ لك، وعلمٌ لك ويعلمٌ لك.

3- ضمير المتكلم عن نفسه فقط: (أنا) يلفظ - ما لم يوقف عليه - (أن) ويوقف عليه بمط فتحة النون. ولما كان رسم الكلمات مُعتمداً فيه على الوقف كتبت بالألف دائماً.

4- الهاء من الضمائر: (ه، هما، هم، هن) مضمومة إلا إذا سبقت بكسرة أو ياء ساكنة فنكسر. وتمط ضمة (ه) وكسرتها ما لم يكن ما قبلها ساكناً، ويوقف على هائه بالسكون؛ فكانت كتابته بدون الواو أو الياء. فتوحدت كتابته.

5- ضمائر الجمع: (أنتم، هم، كم، هم) تلفظ بضم الميم ممطوطة، ولكن ذلك لا يجب لها إلا إذا اتصلت بضمير آخر، نحو: أعطاهمُوه، أنلزمكمُوها؟. بل نجد التخفيف وحده في النثر ما لم يليهن ساكن، نحو: لكمُ الملك. ويوقف عليهن بالسكون؛ فكانت كتابتهن بدون الواو سُكنت ميمهن أو مطت. وهذه الضمائر تختص بالعقلاء.

6- الضمير: (ني) أصله (ني) بفتح الياء، ولكنهم خففوه إلى: (ني) أو (ن). والنون معه يُظهر إعراب المضارع، وحركة أو سكون الماضي، وبه تميز صورة أمر المخاطبة (اضربي) عن أمر المخاطب (اضربني). وحذفوا نونه مع الأسماء لتتميز عن الأفعال. إذ كثيراً ما يكون لهما وزن

واحد، مثل: (ضربني وضربني، جارني وجاري، نهري ونهري)¹ غير أنها، أي نون (ني)، بقيت مع بعض الأسماء من نحو قوله (ص): غير الدجال أخوفني عليكم، وقوله (ص) أيضاً: هل أنتم صادقوني؟. وروى سيبويه:

ألا فتى من بني ذبيان يحملني وليس حاملني إلا ابن حمال
وليس بمُعِيني وفي الناس ممتع صديق إذا أعيا علي صديق²
وتحذف نونه وجوباً مع حروف الخفض تخفيفاً عدا: (من، عن، لـدن)،
وتحذف جوازاً مع (إنَّ وأخواتها) لتوالي الأمثال. ولم يجب بقاء فتح يائه
إلا مع ما قبله ساكن من نحو: (إليَّ، عصاي، واديَّ، مُسلميَّ، بنيَّ).
ثم إن هذه النون ليست مزادة مع الأفعال لتقيها الكسر - كما يدعون -
فهي موجودة مع ما لا كسر فيه، في نحو: (أعطاني ويعطيني، ويضربانني
ويضربونني، وضرباني ويضربنني). والكسر غير محرم على الفعل فهو
في: (تفعلين، ولم تفعلين)، وهم مجزوماً يكسرونه إن تلاه ساكن، نحو: ﴿لم
يكن الذين كفروا...﴾، ويكسرونه موالة لقواف مكسورة، كما في قول
امرئ القيس فزهير:

ويوماً على ظهر الكئيب تعذرت عليَّ، وآلت حلقة لم تحل³
أثافي سفعاً في معرس مرجل ونؤياً كجذم الحوض لم يتتلم⁴

¹ الضرب: العسل الأبيض الغليظ.

² أعياه الأمر: إذا لم يضبطه.

³ تعذرت: تمنعت. آلت حلقة: أقسمت يميناً. لم تحل: بقي مقيداً.

⁴ سفع: سود. المرجل: القدر الكبير، ومعرسُه: المكان الذي يكون فيه. النؤي: ما يحفر حول الخباء لمنع السيل. جذم الحوض: أصله. لم يتتلم: لم يتكسر.

7- الضميران: (هو، هي) يجوز تسكين هائهما مسبوقتين بالفاء أو الواو أو ثم أو اللام أو الهمزة، وبذلك قرئ في السبعة: «وهو معكم»، «فهو وليهم»، «ثم هو يوم القيامة»، «لهي الحيوان». وقال: فقلت أهي سرت أم عادني حلم؟.

الضمائر نوعان فقط، أقول:

- 1- ليس هنالك ضمائر رفع مستترة - كما يقول النحاة - لا جوازاً ولا وجوباً، ذلك أن: (فَعَلَ، فَعَلَتْ، أَفْعَلُ، ...) كلمات مفردة. فمن التعقيد تحميلها بضمائر لا وجود لها قالوا بها تمثيلاً مع قواعدهم الخاطئة. ولا سيما أن الضمائر المستقلة (أنا، نحن، أنت، ...) تظهر معها قبلها أو بعدها وجوباً حيناً وجوازاً حيناً¹.
ثم من الأولى، نحو: (صَهْ، أَفْ، سَيِّراً يا هند، وما أكرم زيداً، وقام القوم خلا رجلاً) أن لا ضمائر فيها.
- 2- ليس هنالك ضمائر رفع بارزة متصلة بالماضي في نحو: (كَتَبْتُ، كَتَبْنَا، كَتَبْتُمْ، ...)، ولا في المضارع في نحو: (يَكْتُبُ، يَكْتُبُونَ، يَكْتُبِينَ، ...) - خلافاً لهم - لأن ما يسمونه ضمائر هنا ما هي إلا أبعاد كلمات لا

¹ أمثلة عن ظهور الضمائر المستقلة (المنفصلة): (أنا، نحن، أنت، ...)؛ «إنه هو أضحك وأبكى»، «أ عنده علم الغيب فهو يرى»، «هي راودتني عن نفسي»، «نحن نقص عليك أحسن القصص»، «أنا راودته عن نفسه»، «أنا أنبئكم بتأويله»، «نحن خلقناهم وشددنا أسرهم». «كنت أنت الرقيب عليهم»، «وكننا نحن الوارثين»، «واستكبر هو وجنوده في الأرض»، «ما تعبدون أنتم وآباؤكم من دون الله إلا أسماء سميتوها». وكل ذلك كثير في لغة العرب.

كلمات للتَّعْيِيرِ في صيغهن، ولأن الضمائر المنفصلة: (أنا، نحن، أنت،...) تظهر معها قبلها أو بعدها جوازاً حيناً ووجوباً حيناً¹.

3- ليس هنالك ضمائر خفض متصلة بالأسماء، كما يتراءى في نحو: (كتابي، كتابنا، كتابك،...)، إنما هنا ضمائر خفض متصلة بحرف الخفض (لِ) اللام المقدر والمحذوف لكثرة الاستعمال؛ إذ الأصل في ذلك: (كتابٌ لي، كتابٌ لنا، كتابٌ لك،...) .

4- ليس هنالك ضمائر نصب متصلة بالأفعال، كما يتراءى في نحو: (أكرمني، أكرمنا، أكرمك،...)، إنما هنا ضمائر كانت متصلة بحرف الخفض؛ اللام المستغنى عنه لكثرة الاستعمال، إذ الأصل في ذلك ونحوه: (أكرم لي، وأكرم لنا، وأكرم لك،...) .

وكانت هذه الضمائر ضمائر نصب، لأن انتصابها كان بنزع الخافض. 5- ليس هنالك ضمائر نصب منفصلة - كما يرى كثير من النحاة، لأن: (إيائي، إيانا، إياك،...)؛ إنما (إيّا) فيها حرف بمعنى (ذات لا غير)، غلب استعمالهم له مع الضمائر، فقالوا: إِيَّاكَ أعني، أي ذاتك لا غيرك، وما صادفت إلا إِيَّاكَ، «وأنا أو إِيَّاكُمْ». وقَلَّ ما وصلنا استعماله مع الظاهر، روى الخليل: (إذا بلغ المرء الستين فإيَّاه وإيَّا الشوابِّ)، وقال مسعر بن كدام فأبو عيينة:

إيّا المزاحية و المرءاء فدعهما خلقان لا أرضاهما لكريم
دعني وإيّا خالدٍ لأقطعن عرا نياطه
فـ (إيّا) حرف خفض معناه ذات.

¹ لها نفس الأمثلة السابقة.

من هذا التبيين نعلم أن الضمائر: (ي، نا، ك، ...) أبداً لهن وحدة المتعلّق كما لهن وحده الصورة، فالضمائر المتصلة نوع واحد يتصل بالحروف لا غير.

والحروف التي تتصل بها:

- إما حروف الخفض: (اللام، الباء، من، إلى، عن، على، في، أيّا).

- وإما حروف النصب: (إنّ، أنّ، كأنّ، لكنّ، لعلّ، ليت).

- وإما حروف تأتي للخفض والنصب: (خلا، عدا، حاشا).

ولهذا سميتُ هذه الضمائر بـ (ضمائر الحروف).

ولا يحذف من جميع الحروف مع الضمائر هذه إلا اللام، فيظهر كأنها متصلة بالأسماء أو الأفعال.

لاحظ أن صورة الضمير الواحد منها واحدة مع الجميع، فنقول مثلاً: منك، إنك، خلاك، كتابك، علمك، يعلمك.

3.1.2. أسماء العهد

أسماء العهد (أسماء الموصول): هي مجموعة الكلمات الدالة على ما عُهد لأصحابها، فهي تحتاج لما يعهد، تقول: جاء الذي فاز، والتي عندك، واللذان إن يزورك تكرمهما، والذين أبوهم صديقك، ومجموعة هذه الأسماء هي: (الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللاتي، والألى، مَنْ، ما، أيُّ).

فتستعمل (الذي) للمفرد المذكر، و(التي) للمفرد المؤنث، و(اللذان) للمثنى المذكر، و(اللتان) للمثنى المؤنث، و(الذين) للجمع المذكر، و(اللاتي)، للجمع المؤنث، و(الألى) للجمع مطلقاً، و(مَنْ)، للعاقل، و(ما) لغير العاقل، و(أي) لأحد الأفراد.

وتستعمل كلمة (ذا) بمعنى (من، وما) إذا وقعت بعدهما استفهاميتين وكان بناء الكلام عليها، قال لبيد:

أ لا تسألان المرء ماذا يحاول أ نحبُّ فيقضى أم ضلال وباطل¹
فإن بني الكلام عليهما أُلغيت (ذا)، نحو: من ذا لقيت أ زيداً؟، وإن أُبدل
منهما كانت اسم إشارة، نحو: ما ذا التواني؟؛ أي: ما هذا التواني؟.

تستعمل طيء (ذو) أحياناً بمعنى أسماء العهد كلها، قال الطائيون: قوال
بن الفحل، فمنصور بن سنان، فمنصور بن سحيم:

قولا لهذا المرء ذو جاء ساعياً هلم، فإن المشرفي الفرائض²
فإن الماء ماء أبي وجدي وبئري ذو حفرت و ذو طويت¹

¹ النحب: هنا، القدر المسبق.

² الساعي: هنا، الذي يتولى جمع الصدقات. المشرفي: السيف، يقول للعامل على جمع الصدقات: إن السيف هو الذي يفرض ما يشاء.

فلست بهاج في القرى أهل منزل على زادهم أبكي وأبكي البواكيا
فإما كرام مؤسرون لقيتهم فحسبي من ذو عندهم ما كفانيا²

أسماء العهد، أقول:

- 1- اسما العهد: (من، ما) تحملان التعريف بلفظيهما بلا واسطة (الـ) أو غيرها، فهما مثل أسماء الإشارة تدلان على التعريف بالوضع، لهذا لم يفسر بهما، ولم تحتاجا إلى تفسير. وهما تختلفان عن بقية أسماء العهد بأنهما لا تقعان نعتاً ولا منعوتاً، فلا يقال: جاء الرجل من فاز، ولا يقال أيضاً: جاء من فاز الرجل، كما يقال: جاء الرجل الذي فاز.
 - 2- اسم العهد: (أي) مثل (من، وما) لا تقع نعتاً ولا منعوتاً، لكن تعريفها بالإضافة أو بوصف مقدر.
 - 3- أسماء العهد: (الذي، التي،...) إنما جاءها التعريف من (الـ) الدالة على العهد. لاحظ أنهم لا يقعن مضافاً شأن جميع الأسماء التي فيها (الـ). ثم لاحظ أن الجمل محكوم عليها بالتنكير في الأصل، فلا بد من (الـ) لتعريفها، فكان تعريفها بـ (الـ) التي في (الذي وأخواته).
أما (الذي، لتي،...) فأسماء منكرة لا تحمل تعريفاً ضمناً مثل: (من أو ما)، وليست (الـ) معهن زائدة لازمة - كما يقول النحاة - بل التعريف بها، ولم يستغن عنها بحال، لأن الأسماء هذه لا تستعمل إلا للعهد. لاحظ تناقض عبارتهم: {(الـ) فيهن زائدة لازمة}. فكيف يكون الزائد لازماً؟!.
- فأسماء العهد: (الذي، التي،...) لزمها التعريف من لزوم (الـ) لها، فمن الخطأ إخراج (الـ) عن خصائصها، ثم اعتبارها زائدة لازمة. فسلبها

¹ طويت البئر: بنيت عليها الحجارة.

² هجا: ذم. موسر: غني. حسبي: كفايتي.

التعريف خطأ، وجعلُ تعريفُ أسماء العهد حاصلاً بشيء آخر خطأ على خطأ.

4- أما اعتبارهم (الـ) في نحو: (مررت بالضارب زيداً، والمعطى الدينار)؛ اسماً موصولاً في صورة الحرف، واسم الفاعل واسم المفعول فعلاً في صورة اسم، فخطأ فادح. لأن (الـ) في هذا وسواه بعض كلمة لا يبلغ أن يكون حرف معنى، فضلاً عن أن يكون اسماً.

هذا مع ملاحظة أن العوامل تتخطاها كما تتخطى أي حرف من حروف بناء الكلمة. فاعتبارهم إياها اسماً خطأ فادح، ثم اعتبارها اسماً تارة وحرف معنى تارات تخليط وخطأ أفدح.

ومن العجيب الغريب قولهم: {اسم في صورة حرف، وفعل في صورة اسم}.

ويدلك على أن (الـ) هنا للتعريف - كما هي في كل موضع - مجيء اسم الفاعل واسم المفعول معها للماضي - وهذا شأن المعهود - ولا يفهم مجيئها للحاضر أو المستقبل إلا من سياق الكلام.

أما حجتهم بعودة الضمير عليها، ليقولوا إنها اسم، في نحو: (المرور به زيد)؛ فإنها تسقط بجعل الضمير يعود على موصوف محذوف، والتقدير: الرجل المرور به زيد، وما أكثر ما يحذف الموصوف إذا كان الوصف معيّنًا له!.

ويجب أن لا ننسى البساطة باعتبار (الـ) هنا حرف تعريف. وهذا به تكون (الـ) دائماً نوعاً واحداً.

ثم متى كانت للأسماء هذه الصورة المسخ: همزة وصل ولام ساكنة. فالْمَعْهُودَات كلها لا بد لها من (الـ)، كما أن المنسوبات لا بد لها من (يـ).

وأخيراً تستعمل (ذو) بمعنى (الذي وأخواته)، قال حاتم:
إذا ما أتى يوم يفرق بيننا بموت، فكن يا وهم ذو يتأخر
أي: الذي يتأخر.

آراء النحاة: في (الـ) التي هي مع اسمي الفاعل والمفعول

1- الجمهور: (الـ) في نحو: (جاء الضارب زيدا، ومررت بالمُعطى
الدينار) اسم الموصول.

2- الأخفش: (الـ) فيهما حرف تعريف.

3- المازني: (الـ) هذه حرف موصول لا اسم موصول.

3.1.3. أسماء الإشارة

هي مجموعة الكلمات الدالة على أنواع الأشياء المومأ إليها. وهذه تصحب كلماتها بإشارة باليد ونحوها إذا كان المومأ إليه ذاتاً حاضرة، مثل: هذا القلم لي، أو بإشارة معنوية إذا كان المومأ إليه ذاتاً غائبة أو كان معنى، مثل: انح هذا النحو. أوماً بـ (هذا) إلى ما ذكره قبل.

ومجموعة هذه الأسماء هي: (هذا، هذه أو هاته، هذان، هاتان، هؤلاء، ههنا، ثم).

تستعمل (هذا) للمفرد المذكر، و(هذه، هاته) للمفرد المؤنث، و(هذان) للمثنى المذكر، و(هاتان) للمثنى المؤنث، و(هؤلاء) للجمع، و(ههنا) للمكان. وتأتي (ثم) للمكان البعيد خاصة.

أسماء الإشارة، أقول:

- 1- (ها) جزء من اسم الإشارة لا أنها حرف مستقل:
 - لأن استعمال هذه الكلمات مع (ها) هو السائد في النثر، وهو الغالب في الشعر.
 - لأن (ها) لا تستعمل إلا معهن.
 - لأن العوامل تخترقها إلى ما بعدها، ولا نعلم عاملاً يمر عبر كلمة ليعمل في كلمة بعدها، تقول: هذان مجتهدان، وإن هذين مجتهدان.
 - لأن تخفيف الكلمة وارد دائماً لدى كثرة الاستعمال، بينما اعتبار (ها) كلمة مستقلة لا يفيد في شيء.
- 2- تحذف (ها) من أسماء الإشارة جوازاً فتصبح: (ذا، ذه، ته، ذان، تان، هؤلاء، هنا).

وتحذف وجوباً إذا أضيفت إلى ضمائر الخطاب فتصبح: (ذاك، تيك،...) . ولكن لم يندم وجود (ها) معهن في الشعر، قال طرفة فالأعشى:

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هذاك الطرف المَعْمَد¹
هؤلاء ثم هؤلاء أعطي ت نعالاً مَحْذُوةً بنعال²
ثم إن هذه المضافات إليه تتنوع بحسب المخاطب لا بحسب المشار إليه،
نحو: «ذلك الكتاب»، «فذانك برهانان»، «ذلكما مما علمني ربي»، «فذلكن
الذي لمتني فيه»، «ذلکم خير لكم».

وأقول أن ضمائر الخطاب هنا تدل على البعد. فـ (أولئك) للبعيد، بينما
(أولاء أو هؤلاء) للقريب. هذا بالإضافة إلى دلالتها على المخاطب.
3- تلحق (ذا، ت، هنا) من هذه الأسماء لام تسمى لام البعد، تأتي قبل
ضمائر الخطاب، فتصبح: (ذلك، تلك، هنالك).

4- ضمائر الخطاب دائماً أسماء، فما هي هنا بحروف. لأنها كلمات تدل
على ذوات، فـ (ك) تدل على مخاطب مفرد مذكر. وهكذا....
أما دعواهم أنها حروف، لأنه لا موضع لها من الإعراب، ولأن نون
التثنية تثبت معها؛ فإني أقول: الموضع موضع خفض، هو مثل:
علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم بأبيض ماضي الشفرتين حديد
لاسيما والإضافة جاءت لإزالة تنكيره بالبعد، أما وجود نونها في التثنية؛
فهذا لئلا يعود لفظها إلى نفس لفظ المفرد فتفقد التثنية لو حذف.

¹ بنو غبراء: الفقراء. الطرف: بيت من جلد.

² مَحْذُوة: جيء بها مثلها.

5- خطأ حذفوا ألف (ها) مع (ذا، ذه، ذي، أولاء، هنا)، وألف (ذا) مع لام البعد، مثل: (ذلك، ذلكم،...).

وخطأ زادوا الواو في (أولاء) كما زادوها في (أولي) بمعنى (أصحاب).

6- قلت: إن (ها) لا تستعمل إلا مع أسماء الإشارة. أما استعمالها مع الضمائر (أنا، نحن،...) بدون اسم الإشارة أحياناً؛ فهذا على حذف اسم الإشارة، لأن (ها أنذا) أكثر من (ها أنا)، وحذفها آت من كثرة الاستعمال. وأما استعمالها مع: (أي، وأيّة) بدون (ذا) في النداء فأصله على تقدير وجودها. قال طرفة فذو الرمة:

ألا أي هذا الزاجري أحضرَ الوغا وأن أشهدَ الذات هل أنت مخلدي؟
ألا أي هذا المنزل الدارس الذي كأنك لم يعهد بك الحي عاهد

3.1.4. أسماء الشرط

هي مجموعة الأسماء الدالة على أنواع مَظَانِّ الأشياء التي ستقع لما سيقع. وأسماء الشرط تحتاج - مثل حروف الشرط - شرطاً وجزاءً، والشرط لا يكون إلا بالأفعال وعلى الأفعال، والجزاء لا يكون إلا بالأفعال أو ما يقع موقع الأفعال، تقول: ما تزرع تحصد، ومن سبق منكم فله جائزة.

ومجموعة هذه الأسماء هي: (مَنْ، ما، متى، أين، أيان، حيثما، أنى، أيٌّ، كيف، إذما).

تستعمل (من) للعقلاء، و(ما) لما سواهم، و(متى، أين) للزمان، و(أين، وحيثما) للمكان، و(أنى) للحال، و(أيّ) لأحد الأفراد من كل نوع.

أ- توضيحات على أسماء الشرط

1- يرتبط الجزاء بالشرط بفاء يسمونها فاء الجزاء، وهي تفيده معنى السببية والتعقيب.

2- هذه الفاء:

- تصحب الماضي مع الحرف (قد)، نحو: «إن يسرق فقد سرق أخ له». فإذا كان الماضي غير مصحوب بـ (قد)؛ فغالباً ما يستغنون عن الفاء، ومن غير الغالب، نحو: «ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار».

- وتصحب المضارع مع أحد الحروف: (س، سوف، لن، ما، لا الناهية، لام الأمر ظاهرة أو مقدرة)، نحو: «ومن يرتدد منكم عن دينه فسوف...». فإذا كان المضارع غير مصحوب بأحد هذه الحروف؛ فغالباً ما يستغنون عن الفاء، ومن غير الغالب، نحو: «ومن عاد فينتقم الله منه».

- وتصحب الاسم مع أحد هذه الأحرف: (واو القسم، رُبَّ، يا)، نحو: من يكرمني فوالله لأكرمه.

- وتصحب الجملة مع أحد الحروف: (إن وأخواتها، ليس، عسى، نِعْم، بئس، لام التوكيد ظاهرة أو مقدرّة)، نحو: ﴿إن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾، ﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾.

3- تلحق (ما) أدوات الشرط للتأكيد فيه، فيصحن: (إمّا، مهما، متى ما، أينما، كيفما، أيما).

وبـ (ما) تصيح (إذ، حيث) من أدوات الشرط.

4- على ذكر أسماء الشرط أذكر حروف الشرط، ألا وهي: (إن، إذا، لو، لوما، لولا، لما).

معنى (إن) الاحتمال، ومعنى (إذ) التوقيت، ومعنى (لو) الافتراض، ومعنى (لما) التزامن، ومعنى (لولا، لوما) الامتناع لأجل....

3.1.5. أسماء الاستفهام

هي مجموعة الأسماء الدالة على استكشاف أنواع مظان الأشياء. بهن نستفهم عن الأفعال والأسماء، فنقول: من فاز؟. ونقول: من زيد؟. في السؤال الأول، أردنا تعيين الشخص الذي فاز. وفي السؤال الثاني، أردنا تعيين زيد بصفة تكشفه لنا.

وهذه الأسماء هي: (من، ما، متى، أين، أيان، أنى، أي، كم، كيف). يلاحظ أن هذه الأسماء هي نفس أسماء الشرط، ولها نفس معانيها عدا (كم) فهذه للاستفهام عن العدد، وليس من شرطٍ عن العدد. و(أيان) بمعنى (متى)، و(كيف) بمعنى (أنى). وتستعملان في الشرط إنما قليلاً.

أ- توضيحات على أسماء الاستفهام

هنالك حرفان للاستفهام؛ هما: الهمزة و(هل). وقد مر لهما توضيح في بحث الحروف.

تلحق (ذا) في السؤال (من، وما) فتغدوان (مَنَذا، وماذا) فتفيدان التوكيد فيه.

يتبين مما سبق أن (من، ما، أي) يستعملن في العهد والشرط والاستفهام؛ ومعانيهن هي في جميع ذلك، مما يدل على أن دلالتهن على الاستفهام أو الشرط أو العهد مستوردة. فهن لسن أصيالات في مواضيع هذه البحوث.

ذلك أنهن في الاستفهام متضمنات معنى همزة الاستفهام، وفي الشرط متضمنات معنى (إن)، وفي العهد متضمنات معنى (ال).

3.1.6. أسماء الكنايات

هي مجموعة الكلمات الدالة على أنواع مُعَمَّيات الأشياء. تقول: كم من كتاب قرأت!، لا تريد أن تبين عدد الكتب، وطبعاً أنت هنا لا تستفهم، تقصد كثرة ما قرأت من الكتب. وهذه الأسماء هي: (كم، كأَيّ، كائن، كذا، كيت، ذيت).

يكنى بـ (كم، كأَيّ، كائن) عن كثرة العدد، ويكنى بـ (كذا) عن العدد مطلقاً، ويكنى بـ (كيت) عن جملة القول، ويكنى بـ (ذيت) عن جملة الفعل.

تقول: قال كيت، وفعل ذيت، وتقول: عندي كذا درهماً. قال تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾، ﴿وكأَيّ من قرية عنت عن أمر ربها﴾، وقال زهير بن أبي سلمى فأبو ذؤيب الهذلي:

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم
كم من جميعي الشمل مُلْتَمِّي الهوى كانوا بعيش ناعم فتصدعوا¹
وكثيراً ما تكررت (كيت، وذيت) للدلالة على المتابعة في (قال) أو (فعل)، تقول: قال كيت كيت، وفعل ذيت ذيت، ومثلها في التكرير (كذا)، تقول: لي عليه كذا وكذا.

¹ الملتئم الهوى: المتطابقون فيه. تصدعوا: تفرقوا وتشتتوا.

3.1.7. أسماء الأفعال والأصوات

هي مجموعة صرخات يعبر بها العربي عن انفعالات معينة: بعضها يتحدث بها مع نفسه، وبعضها مع الأناسي، وبعضها مع الحيوانات، وبعضها يحكي بها أصوات الحيوانات والأشياء.

1- الأولى: يتحدث بها مع نفسه، مثل: (أف) يدل بها على تضجُّره، و(أوه، أوت) يصرخها عند التوجع، و(أخ) يصرخها عند التكرُّه، و(زه) يصرخها عند الاستحسان، و(وا، وي، واهاً) يصرخها عند الدهشة. ومنها (هيهات) يصرخها عند اليأس من الشيء لبعده، و(شتان) يصرخها عند إظهار الفرق الشاسع، و(بخ) عند التفخيم.

2- الثانية: صرخات يطلب بها ممن يخاطب، مثل: (أمين) بمعنى استجب، و(مه) بمعنى اكفف، و(ها) بمعنى خذ، و(هيا، هيت) بمعنى أسرع، و(إيه) بمعنى امض فيما أنت فيه.

3- الثالثة: يصرخ بها على الحيوانات لتقوم أو تسكن أو تقف أو تشرب...، وهي، مثل: (اس، عه، فاع، هس، وح) لزجر الغنم، و(هاي، هاذ، حب، هيح، هيذ) لزجر الإبل، و(هال) لزجر الخيل، و(عدس) لزجر البغل، و(هيج، هجا) لزجر الكلب، و(ثيء) لسفاد التيس، و(جىء، حوب) لشرب الإبل، و(هلا) لتقبل الخيل، و(هدغ) لتسكن الإبل، و(دج) ليأكل الدجاج.

ويخاطب صغار الأدميين بمثل هذه ليفعلوا أو يدعوا...، تقول للطفل (كخ) ليدع مكروهاً.

4- الرابعة: محاكاة لأصوات الحيوانات وأصوات الأشياء، وهي مثل (غاق) يحكى بها صوت الغراب، يقال: صاح الغراب: غاق غاق، و(ما) لصوت الظبية، و(هأء) لصوت الحمار، و(ماغ) لصوت الغنم، و(طق)

لوقع الحجارة، و(قَبْ) لوقع السيف، و(بم) لصوت المدفع، و(تَك) لصوت الساعة.

هذه الكلمات، أقول:

1- قسم النحاة هذه الكلمات قسمين: سموا بعضها (أسماء أفعال)، وسموا البعض الآخر (أسماء أصوات). واستطردوا في أسماء الأفعال، فأرجعوها إلى الماضي والمضارع والأمر. وهذه عندهم - كما هو مشهور - مرتجلة ومنقولة.

وواضح أن هذه الكلمات ليس لها أسرٌ مثل أسر الأفعال، وليس لها أسر الأسماء، وقد رأينا كيف تصاغ الأفعال ويتعدد أفرادها وتتصرف، وكذلك الأسماء، وما لهذه الكلمات شيء من ذلك.

وواضح أن هذه الكلمات كلها لا تتأدى، فكيف تكون أسماء؟!، وأنه لا يُحسُّ لها مسمى.

وواضح أن أكثرها لا توجد معه الضمائر التي توجد مع الأسماء أو الأفعال.

والواقع أن هذه الكلمات لا ترقى إلى منزلة الحرف، فليس فيها المعنى العام الذي في الحرف، وليس فيها المعنى الخاص الذي في أسماء الأغراض، وليس لها الاستعمال الكثير مثل أيٍّ منهما. وهي دون الأسماء والأفعال بكثير. إنما هي صرخات، ولاسيما ما يحاكي به أصوات الحيوانات والأشياء، وما يخاطب به الحيوانات وصغار الأدميين.

ولكن من المعقول أن يكون بعض ما يسمى بـ (أسماء الأفعال) أفعالاً لحقها تغيير فلم تتصرف؛ لأنها تدل على حدث مزمّن، مثل: (أف) التي تدل على أن صاحبها يتنجز الآن، أي أثناء التكلم، ومثل: (شتان) التي تدل على البعد قبل التكلم.

2- هنالك أسماء أحداث، أو ظروف، أو حروف خفض مع ضمائر الخطاب، هي: (رويدك وفرطك وكدك وقطك، وبعدك ودونك وعندك ومكانك ووراءك وأمامك، وإليك وعليك) يضمها النحاة إلى أسماء الأفعال.

وواضح أنها باقية على أصلها، وإنما جاء الطلب بها من جهة فعل أمر محذوف. فقولنا: أمامك!، أصله: تقدم أمامك، لا أن معنى (أمامك): تقدم. ولما كان للفعل (تقدم) الارتباط القوي بكلمة (أمامك)، وكان لها دوران كثير، وكان الأمر يتطلب سرعة النطق؛ كان الاستغناء بكلمة: (أمامك) عن عبارة: (تقدم أمامك). وقد يذكر فعل الأمر مع هذه الكلمات، كما في قوله تعالى: ﴿قيل: ارجعوا وراءكم﴾.

والعرب كثيراً ما تستغني عن كلمة في الجملة إذا وضح وجودها لدلالة الحال أو المقال عليها، تقول: القرطاسَ والله، تقصد: أصاب القرطاس، تقول ذلك عندما رأيت أو سمعت.

ثم إننا نتعامل مع الألفاظ. أما المعاني التي تُستفاد من نتيجة الكلام؛ فلا دخل لها بواقع ألفاظه ولا في إعرابه.

فالدعاء لا يجعل (أفعل) شيئاً آخر غير الأمر، والتعجب لا يجعل لـ (ما أفعل...؟) شيئاً غير الاستفهام، والاستغاثة لا تجعل لـ (يا الله) شيئاً غير النداء. وهذا كثير.

وكذلك (عليك) لا تصبح اسم فعل إذا قلت: (عليك نفسك)، بل تبقى (عليك) جاراً ومجروراً أبداً. والأصل: احفظ عليك نفسك، وذلك بابتعادك عن محدثات الأمور.

وأقول:

أن أبا جعفر بن صابر محق يجعل هذه الأسماء قسماً رابعاً، سماه الخالفة.

3.1.8. أسماء الظروف غير المتصرفة

وهي مجموعة الكلمات التالية: (بينما، بينما، أنى، لذن، لدى، متى، هنا، ثمَّ، أين، أيان، الآن، عند، قط، عوض، حيث، أمس).

النحو الحق
النحو على قواعد جديدة
4- الأفعال

محمد علي رستاوي

4.1. بين يدي التصريف

تصريف الأفعال:

1- لقد وضع العرب للتعبير عن الأفعال بدءاً صيغاً أولية بسيطة سهلة النطق، هي: (فَعَلَ، فَعِلَ، فَعُلَ) و(فَعَّلَ)؛ جاؤوا على أوزانها هذه بالآلاف من الأفعال معبرين بذلك عن أضعف الحركات وأضيق الخلجات وأبعد التصورات منتشرين بها بعدُ إلى كل ما وراء ذلك.

ولنعلم أن التعبير عن الأفعال دائماً يتلازم مع التعبير عن القائمين بها، وأن التعبير عن القائم بالأفعال من الصيغ الأولية هذه؛ إنما هو عن القائم بها حقيقة. فإذا قلنا: ذهب زيد، فإن (زيداً) - في الصدق من القول - هو الذي ذهب حقيقة لا غير، وإن (زيداً) غائبٌ، وهو مفرد مذكر.

2- ثم توسع العرب في التعبير فزادوا في حروف الصيغ السابقة بقصد التعبير عن مسبب الفعل أو المكثّر منه أو المشارك فيه أو المتظاهر به...؛ فكانت لهم صيغ الثواني للقيام به: (أَفْعَلْ، فاعِلْ، فَعَلْ، تفاعل،...). وكانت الحروف المزادة هي الحروف السهلة النطق، حروف العبارة: (سألتمونيها)؛ (ا، و، ي، م، ن، س، هـ، ت، أ، ل).

وقد سُمي النحاة هذه الصيغ بـ (صيغ الفعل المزيد)، بينما يسمون الصيغ الأربع الأولى بـ (صيغ الفعل المجرد).

3- ومرة ثانية توسع العرب في التعبير فزادوا في حروف تلك الصيغ بقصد التعبير عن القائم بالفعل: غائباً وحاضراً، مفرداً ومثنى ومجموعاً، مذكراً ومؤنثاً؛ فكانت لهم صيغ الغياب والحضور كلها: (فعلتوا، فعلوا، فعلن،...)، وطبعاً هذه الزيادات تلحق جميع الصيغ السابقة. وكانت الحروف التي زيدت هنا أيضاً من حروف العبارة: (سألتمونيها).

4- ومرة ثالثة توسعوا في التعبير فزادوا في حروف ما تقدم من صيغ بقصد التعبير ليس عن القيام بالفعل والانتهاه منه بل للقيام بالفعل والاستمرار فيه، فكانت لهم صيغ المضارع: (يفعلُ، يفعلان، أفعَلْ،...). وكانت الحروف التي زيدت هنا أيضاً من حروف العبارة (سألتمونيها).

5- ومرة رابعة توسعوا في التعبير فغيروا في الصيغ السابقة بقصد التعبير ليس عن الذي قام بالفعل بل عن الذي وقع عليه الفعل، فكانت صيغ من يقع عليه الفعل (صيغ المبني للمجهول). (فَعِلَ، يُفَعَلُ، يُسْتَفَعَلُ،...).

6- ومرة خامسة توسعوا في التعبير فغيروا في صيغ المضارع وزادوا فيها بقصد التعبير عن المؤكد منه؛ فكانت لهم صيغ المضارع المؤكد: (أَفْعَلَنَّ، أَفْعَلَنَّ،...). وكانت الحروف التي زيدت هي: (نَ، نَّ) من حروف العبارة: (سألتمونيها).

7- ومرة سادسة توسعوا في التعبير فغيروا في الصيغ السابقة وزادوا فيها بقصد التعبير عن مسميات الأحداث، والقائمين بها، والواقعة عليهم، والدائمة فيهم، والمبالغين في القيام بالأحداث، والفاضلين سواهم فيها، ثم مسميات زمان أو مكان الحدث، وآلته، فكانت لهم صيغ: (أسماء الأحداث، وأسماء الفاعل، وأسماء المفعول،...) المشتقات، مثل: (ضَرَبْتُ، ضَارِبٌ، مضروبٌ،...). وكانت الحروف التي زيدت هنا هي أيضاً من حروف العبارة: (سألتمونيها).

تصريف الأسماء

وقد وضعوا أيضاً أسماء لأجناس (الأشياء، النبات، الحيوان، الإنسان، وأجزاء كل منها)، فكان منها الألوف من الكلمات. وهذه هي الأسماء الجامدة.

- 1- وفي هذه توسعوا أيضاً في التعبير فغيروا في صيغها وفي صيغ الأسماء المشتقة وزادوا في حروف النوعين من الأسماء بقصد التعبير عن مثنائها ومجموعها والمؤنث منها والمعرف والمصغر والمنسوب إليه؛ فكانت لهم (صيغ المثنى، الجموع، المؤنث، المعرف، المصغر، المنسوب إليه). وكانت الأحرف المزادة أيضاً من حروف العبارة (سألتمونيها).
- 2- ثم كانت لهم مجموعات الأسماء الغرضية: (الضمائر، أسماء الإشارة، أسماء العهد، أسماء الشرط، أسماء الاستفهام). وفي ذلك سعة لا تعدلها سعة في أي لغة من لغات العالم.
- 3- ثم أسماء الأعلام.

4.2. الأفعال والأسماء

إن ما يهمننا من أمر الأفعال والأسماء في النحو هو بحثها في حالتين: الأولى بحثها كلمات مستقلة، والثانية بحثها كلمات مَسْلُوكَة في الكلام، في الحالة الأولى نبحث صيغها والمعاني التي تؤديها هذه الصيغ، وفي الحالة الثانية نبحث حالة كل منها معمولة أو حيادية.

لقد علمنا عن الحروف أجمع ألفاظها ومعانيها. أما الأفعال والأسماء فألفاظها كثيرة جداً تبلغ أصولها (موادها الأصلية) الآلاف. أما المشتقات منها فتبلغ عشرات الآلاف، وقد خصصت لهن المعاجم، ولكن الأفعال والأسماء نواتا صيغ محصورة في كل صيغة منها المئات من الكلمات. هذه الصيغ وما يؤدي بها من معان ستكون مواضيع بحوثنا التالية، وسأبدؤها بصيغة الفعل الماضي الأولى: (صيغة الماضي المجرد للقائم بالفعل مفرداً مذكراً غائباً قام هو بالفعل وانتهى منه). لأنها هي الأبسط في حروفها والأسبق على محور الزمن، فأجعلها أساساً ومنطلقاً لغيرها من الصيغ، فتكون لدينا:

- 1- صيغ المجرد (الصيغ الأوائل). وطبعاً التي للماضي والتي تستند للمفرد المذكر الغائب.
- 2- صيغ الثواني التي لا تستند للقائم بالفعل حقيقة.
- 3- صيغ الغياب والحضور (الصيغ الفرعية) التي للماضي.
- 4- صيغ الفعل المضارع، أو صيغ الفعل الحاضر.
- 5- صيغ التوكيد، ولا تكون إلا في صيغ المضارع.
- 6- صيغ المبني للمجهول؛ صيغ من يقع عليهم الفعل، الماضي منه والمضارع.
- 7- صيغ الأسماء المشتقة.

- 8- صيغ الأسماء الجامدة.
- 9- صيغ الأسماء المقابلة للنوعين السابقين، المشتقة والجامدة.
- 10- مجموعات الأسماء الغرضية وأبنيتها.
- 11- أسماء الأعلام.

4.3. بيان الصيغ (ميزانها)

قلت إن ما يهمننا من أمر الكلمات أفعالاً وأسماءً حال بحثها كلماتٍ مستقلةً إنما هو صيغها والمعاني التي تؤديها هذه الصيغ. أما كيف يكون بيان صيغة كلمة ما - طبعاً وما يماثلها -؟، فأقول:

لبيان صيغة كلمة ما وما يماثلها:

1- نقابل حروف تلك الكلمة الأصلية: الأول منها بالفاء، والثاني بالعين، والثالث باللام، وإن كان هنالك رابع فباللام ثانية، وتُشكَّلُ هذه الحروف (ف، ع، ل) - عدا الآخر - بحركات الكلمة فتكون صيغ الكلمات (كتب، علم، كبر، دحرج، عمرو)، هي: (فَعَلَ، فَعِلَ، فَعَلْ، فَعَلَّ، فَعَلَّ).

2- نزيد في الصيغ المكونة من (ف، ع، ل) نفس الحرف أو الأحرف المضافة في الكلمة، فتكون صيغ الكلمات (يضرب، يتضاربون، مضروبةً،...)، هي: (يفعل، يتفاعلون، مفعولة،...).

3- نكرر في الصيغ المكونة من (ف، ع، ل) ما يتكرر منها في الكلمة، فتكون صيغ الكلمات: (احمر، احمرار، اعشوشب،...)، هي: (افعل، افعلال، افوعل،...).

4- نحذف من الصيغ المكونة من (ف، ع، ل) ما حذف من الكلمة، فتكون صيغ الكلمات (يقف، قم، غزت، غازون،...)، هي: (يعل، فل، فعت، فاعون،...).

5- نظهر في الصيغ المكونة من (ف، ع، ل) ما وقع في الكلمة من إعلال أو إدغام أو إبدال أو قلب، فتكون صيغ الكلمات (سار، شد، يبيع، قسي،...)، هي: (فال، فع، يفيل، فلغ،...).

4.3.1. صيغ الفعل الماضي الثلاثي

للفعل الماضي الثلاثي ثلاث صيغ، هي: (فَعَلَ، فَعِلَ، فَعُلَ)، مثل: (ضَرَبَ، عَلِمَ، كَبُرَ) كلها بفتح الأول. أما الثاني فيكون مفتوحاً أو مكسوراً أو مضموماً، ولا يكون ساكناً إلا إذا كان ألفاً، مثل: (باع، خاف، طال)، لأن الألف لا يقبل التحريك، أو إذا كان من جنس الثالث، مثل: (فرَّ، عضَّ، مدَّ)، لأن هذا مما يتقل عليهم.

أما الآخر؛ آخر الفعل الماضي مع القائم بالفعل المفرد المذكر الغائب من الثلاثي وغيره، فمفتوح في غير الوقف أبداً، ما لم يكن ألفاً، مثل: (غزا، هدى، أهدى،...)، فهذا يتعذر تحريكه.

آراء النحاة: في أصل الاشتقاق

1- البصريون: أصل الاشتقاق المصدر، لأنه وحده صاحب البنية الدلالية المجردة. بمعنى أن المصدر يدل على الحدث فقط، بينما الفعل يدل على الحدث والزمان، وكل مشتق تكون فيه الدلالة على الحدث وزيادة المعنى الذي له اشتقَّ.

2- الكوفيون: أصل الاشتقاق الفعل الماضي، لأنه وحده صاحب البنية اللفظية المجردة.

3- وذهب ابن طلحة إلى أن كلاً من المصدر والفعل الماضي أصل برأسه وليس أحدهما بمشتق من الآخر.

4- الدكتور جعفر دك الباب: أصل الاشتقاق فعل الأمر، لأنه صاحب الصيغة الأولى على محور الزمان.

- وأقول:

إن الفعل الماضي هو الأسبق على محور الزمان. ذلك أن ما يستدعي التعبير عنه إنما هو ما يشد الانتباه إليه، فلا بد أن يكون هو الأسبق على محور الزمن من غيره.

ذلك أن الحركة المستمرة لا تكاد تشد الانتباه، كما أن السكون المستمر لا يشد هو الآخر الانتباه. إنما الذي يشد الانتباه - وبالتالي يستدعي التعبير عنه - إنما هو: إما سكون المتحرك الذي كان مستمراً في حركته، وإما تحرك الساكن الذي كان مستمراً في سكونه، إن التغير المشاهد هو الذي يستدعي التعبير عنه، وإنما يكون التعبير عنه بعد ما شوهد، فيقال: (وقف) عن متحرك كان مستمراً في حركته، ويقال: (سار) عن ساكن كان مستمراً في سكونه. وهكذا. وهذا هو الفعل الماضي.

ثم إن معرفة الكل تسبق معرفة الجزء منه، وما تسبق معرفته يسبق التعبير عنه، وإنه لمن الصعب على واضعي اللغة الأول أن يعبروا عن الحدث المجرد، وواضح أن التعبير عن الحدث مع القائم به أسهل، فيستبعد أن يُعبر الأولون عن (ضَرَبَ) قبل أن يعبروا عن (ضَرَبَ) مسنديه للقائم به، ذلك لأن الـ (ضَرَبَ) لا يُحس إلا مع من يقوم به. فالفعل الماضي هو الأسبق في الظهور على محور الزمن، وهو أيضاً صاحب الصيغة الأولى التي لم تلحقها زيادة لفظية بعد.

4.3.2. صيغ الفعل الماضي الرباعي

أما الرباعي، فصيغته كلها بفتح الأول والثالث، وإسكان الثاني مجرداً كان أو مزيداً فيه (— — —)؛ هي:

1- للمجرد منه صيغة واحدة، وزنها:

— (فَعَّلَ)، نحو: (دَحْرَجَ، طَمَّأَنَ، جَلَّبَبَ، بَيَّطَرَ،...)

2- وللمزيد منه ثلاث صيغ، أوزانها:

- (أَفْعَلْ): بزيادة الهمزة قبل الأول، مثل: (قَرَأَ ← أَقْرَأَ، صَعِدَ ← أَصْعَدَ، كَرُمَ ← أَكْرَمَ).

- (فَاعِلْ): بزيادة ألف بعد الفاء، مثل: (قَتَلَ ← قَاتَلَ، غَضِبَ ← غَاضَبَ، فَحِشَ ← فَاحِشَ). أو تقول: هو بزيادة مد فتحة الفاء.

- (فَعْلْ): بتضعيف العين، أي بزيادة عَيْن ثانية، مثل: (فَتَحَ ← فَتَّحَ، عَلِمَ ← عَلَّمَ، قَصُرَ ← قَصَّرَ).

4.3.3. صيغ الفعل الماضي الخماسي

أما الخماسي فصيغته نوعان: مبدوءة بالتاء، ومبدوءة بالهمزة.

1- للمبدوءات بالتاء ثلاث صيغ كلها بفتح الأول والثاني والرابع، وإسكان الثالث (— — — —)؛ هي:

- (تَفَاعَلَ): بزيادة التاء قبل الأول، والألف بعده، مثل: (دَرَسَ ← دَارَسَ ← تَدَارَسَ، صَعِدَ ← صَاعَدَ ← تَصَاعَدَ، كَرُمَ ← كَارَمَ ← تَكَارَمَ).

- (تَفَعَّلَ): بزيادة التاء قبل الأول، وتضعيف العين، مثل: (فَتَحَ ← فَتَّحَ ← نَفَّتَحَ، عَلِمَ ← عَلَّمَ ← تَعَلَّمَ، قَصُرَ ← قَصَّرَ ← تَقَصَّرَ).

- (تَفَعَّلَ): بزيادة التاء في أول الرباعي (فَعَّلَ)، مثل: (دَحْرَجَ ← تَدَحْرَجَ، طَمَّأَنَ ← تَطَمَّأَنَ، جَلَبَبَ ← تَجَلَبَّبَ).

2- وللمبدوءات بهمزة الوصل ثلاث صيغ أيضاً، كلها بكسر الهمزة في القطع وحذفها في الوصل، يليه إسكان الثاني ففتح الثالث والرابع (— — — —)؛ هي:

- (إِنْفَعَلَ): بزيادة الهمزة والنون قبل الأول، مثل: (كَسَرَ ← إِنْكَسَرَ، جَدَبَ ← إِنْجَدَبَ). إنما يبنى هذا الوزن من متعدي.

- (إِفْتَعَلَ): بزيادة الهمزة قبل الأول والتاء بعده، مثل (جَمَعَ ← إِجْتَمَعَ، شَوَى ← إِشْتَوَى).

- (إفعلّ): بزيادة الهمزة قبل الأول، وتضعيف الآخر؛ أي تضعيف اللام، مثل: (سَوِدَ ← إِسْوَدَّ، حَمِرَ ← إِحْمَرَّ).
ويلاحظ أن (إفعلّ) أصلها (أفعلّ) أسكنت اللام الأولى وأدغمت في الثانية.

4.3.4. صيغ الفعل الماضي السداسي

أما السداسي فصيغه كلها مبدوءة بهمزة الوصل، وكلها بكسر هذه الهمزة في القطع وحذفها في الوصل، ثم إسكان الثاني والرابع مع فتح الثالث والخامس، (ـَ ـَ ـَ ـَ ـَ)؛ هي:

- (استفعلّ): بزيادة الهمزة فالسين فالتاء قبل الأول، مثل: (خَرَجَ ← اسْتَخْرَجَ، نَصَحَ ← اسْتَنْصَحَ).

- (افعوعل): بزيادة الهمزة قبل الأول وزيادة الواو بعد العين مع مضاعفة العين، مثل: (عَشِبَ ← إِعْشَوْشَبَ، حَدَبَ ← أَحْدَوْدَبَ).

- (أفعلّ): بزيادة الهمزة قبل الأول والألف بعد العين ومضاعفة اللام، مثل: (حَمِرَ ← إِحْمَارٌ، شَهَبَ¹ ← إِشْهَابٌ، مَلَسَ² ← إِمْلَاسٌ). وهذا بناء نادر، ولكنه مقيس.

ويلاحظ هنا كما في (أفعلّ) تسكين أولى اللامين وإدغامها في الثانية.

- (أفعلّ): بزيادة الهمزة قبل الأول، وتكرير اللام الثانية من الرباعي، مثل: (طَمَأَنَّ ← إِطْمَأَنَّ، بَعَثَرَ ← إِبْعَثَرَ). وتكون منه (إدْلَهَمَّ، وإشْمَأَزَّ) وإن لم يذكر في كتب اللغة (دَلَهَمَّ، وشَمَأَزَّ).

¹ شهب: خالط سواده بياض.

² ملس: لان ونعم.

ويلاحظ أن (أفعالاً، وإفعللاً) أصلهما: (إفعللاً، وإفعللاً)، وجد في آخر كل منها حرفان متجانسان متحركان فطرحت حركة أولهما، وإنما طرحت جانباً عن (افعللاً)، وطرحت على الساكن قبلها من (افعللاً). وإنما كان أصلهما كذلك لأن الخامس في السداسي في السالم أبداً مفتوح.

4.4. معاني صيغ الماضي

4.4.1. معاني صيغ الماضي الثلاثي

إن كل واحدة من صيغ الثلاثي وضعت في الأصل لمعنى خاص بها، ولكنها أصبحت - بعد طول الاستعمال - لا تختص به بل تغلب عليه.

1- فصيغة (فعل) المفتوحة الثاني وضعت للأحداث التي تنطلق من صاحبها المسند إليه، فهو الذي يقوم بها. لذلك:

- نجد أكثر أفعالها في الحركات، نحو: (قرأ، كتب، أكل، جلس، شدّ، بنى،...)،

- وكذلك نجدها في الأصوات، نحو: (هدل، نهق، صرخ، همس، نقّ، مدح،...).

لهذا نجد أن أغلب الفعل المتعدي جاء منها.

2- وصيغة (فعل) المكسورة الثاني وضعت للأحداث الكائنة في أصحابها أو التي تطرأ عليهم، فهي تقوم بصاحبها وقد تزول عنه لذلك:

- نجد أفعالها في الألوان والحلية والعيوب، نحو: (حمر، سود، حور، كحل، حدب، صلح،...).

- ونجد أفعالها في حاجات الجسم وأمراضه وخواطر النفس، نحو: (عطش، شبع، وجع، مرض؛ فرح، حزن،...).

لهذا جاء الفعل المتعدي منها قليلاً.

3- وصيغة (فَعَلَّ) المضمومة الثاني وضعت للأحداث التي جبل عليها صاحبها، فهي تحل فيه وتدوم. لذلك:

- نجد جميع أفعالها جاءت في الغرائز والسجايا، نحو: (حَسُنَ، قَبِحَ، كَبُرَ، صَغُرَ، كَرُمَ، ظُرِفَ،...).

وهم يحولون إلى هذه الصيغة كل ما يريدون أن يقولوا فيه أنه أصبح في صاحبه سجية أو كالسجية، فيقولون مثلاً: كَتَبَ زيد، يعنون أن الكتابة قد تأصلت فيه.

لهذا لم تأت أفعال هذه الصيغة إلا من الفعل اللازم.

ثم إن هذه الصيغ الثلاث تتقاسم ساحة الأحداث، غير أن الأولى منها تحتل أكثرها، ويحولون إليها كل فعل قصد به المغالبة، لأن المغالبة انطلاق، تقول: كارمني زيد فكَرَمْتَهُ، وتأتي بعدها الثانية فيما تحتل من ساحة الأحداث. أما الثالثة فلها الجزء الأقل منها.

4.4.2. معاني صيغ الماضي الرباعي

- (فَعَلَّ): هذه الصيغة موضوعة للأحداث المتعددة، نحو: (دَحْرَجَ، برهن، بعثر،...). وهي للأحداث المتتالية في نحو: (زلزل، كفكف، تأتأ،...).

وعليها صاغوا الأحداث المأخوذة من الأسماء الرباعية أو الجمل، نحو: (جلبب، جورب، قلنس، يرناً،...)، أخذت من الجلباب والجورب والقلنوسة واليرناً¹، و(بسمل، فذلك)، أخذت من قولهم: بسم الله الرحمن الرحيم، وقولهم: فَذَلِكِ الْعَدْدُ كَذَا وَكَذَا.

- (أَفْعَلَّ):

¹ اليرناً: الحناء.

تأتي هذه الصيغة للمسبب للفعل لا للقائم به طبعاً، نحو: (أجلس، أنزل، أقتل، أمرض، أغضب، أكرم، آمن¹،...).

وتأتي من الأسماء التي دُخِلَ فيها، نحو: (أنجد، أصبح، أعشر، أحصد،...); إذا دخل نجداً أو في الصبح أو في عشرة أو في الحصاد. وقد ذكروا لـ (أفعل) معاني كثيرة غير هذه، ولكنها في أغلبها تعود إلى ما ذكرت. وأنا لا أحب التشتيت، وهمي الأغلب.

- (فَعَّلَ):

تأتي هذه الصيغة للمكثّر من الفعل (من فعله عدة مرات)، نحو: (قطّع الحبل، غلّقت الأبواب، جوّل، برّك، موّت،...).

وهي تصاغ من الأسماء لمن أزالها نحو: (قذّى، قمل، جلد); إذا أزال هذه الأشياء.

وتصاغ من المقولات لمن قالها، نحو: (خطأ، فسق، زنى، جدّع، عقّر، سلّم رحّب،...); لمن قال لآخر: أنت مخطئ أو يا خاطئ، يا فاسق، يا زاني، أو قال له: جدع الله انفك، وعقر إبلك، وقال: السلام عليك ومرحباً بك.

ويلاحظ في جميع ما ذكر التكثر.

- (فاعِلَ):

تأتي هذه الصيغة لمن يشترك بالفعل مع غيره، يفعل هو الفعل فيُقابل بمثله من آخر. إنما يكون هو البادئ، نحو: (قاتل، شارك، ساوم، جاهد،...). في كل هذا يكون فعل من هذا ورد بمثله من ذلك.

¹ آمن على وزن أفعال لا (فاعل)، لأن أصلها (أمن) خففت الهمزة الثانية بما يناسب حركة الأولى. وهذا التخفيف يلتزمونه، مثل: (أومن، إيمان) اللتين أصلهما: (أومن، إيمان).

(جلبب) وأمثالها ليست ثلاثية الأصل، أقول:

يتبين مما مثلت به للرباعي المجرد (فعلل) بـ (جلبب، حوقل، بيطر، قلنس، يرناً،...) أنني لست مع الصرفيين الذين يعتبرون هذه الأمثلة ونحوها ثلاثية ملحقة بالرباعي.

1- لأنه لا علاقة بين الكثير منها وبين الثلاثي في المعنى، فعلى القول بأنها أخذت منها يجب أي يكون هناك اشتراك في المعنى بينهما، ونحن نلاحظ أنه لا علاقة بين (جلبب) ومعناها: ساق من موضع إلى آخر أو كسب أو جنى أو أحدث جلببة، أي أصواتاً مختلفة؛ وبين (جلبب) ومعناها: لبس الجلباب. وكذلك لا نرى علاقة في المعنى بين (جرب) أي أصابه الجرب، وهو مرض معروف؛ وبين (جورب) أي ألبسه الجورب. وأي علاقة في المعنى بين (سلق) أي طبخ بالماء؛ وبين (سلقى) أي صرع؟. وهكذا يقال: لا توجد علاقة بين معنى (سطر) ومعنى (سيطر). نعم هناك كلمات من ذلك لها أصل في المعنى، نحو (جهر) و(جهور) ولكن هذا لا يفرض أخذ (جهور) من (جهر).

2- لأنه لا يسمح بالقولية على هذه القوالب، فلا يصح مثلاً أن يصاغ من (كتب): (كوتب)، أو (كيتب)،.... ولا غيرهما منها. سيما أنهن لا يحملن معنى يستفاد كالتسبب والمشاركة والمطاوعة والتظاهر.

3- لأن في جعلي لها من (فعلل) تقليل من قوالب لا فائدة منها إلا إرهاق الدارس وبعثرة جهده في غير فائدة.

4- لأنها تتصرف مثل (فعلل) في كل ما تتصرف، فكما يقال: (دحرج يدحرج دحرجة، وطمأن يطمئن طمأنة)، تقول: (بيطر يبيطر بيطرة، ويرناً ييرنئ يرنأة،...) وهكذا.

5- لأن بعض هذه الأفعال لا وجود للثلاثي منها مطلقاً، فنجد - مثلاً -:
(رَهياً) بمعنى ضعف وعجز، ولا نجد في اللغة (رَهياً).

(أَفْعَلٌ) والتعجب، أقول:

لما كانت صيغة (أفعل) موضوعة لمن له سبب في القيام بالفعل اختصت
بوضعين للتعجب، هما: (ما أفعله!) و(أفعل به!).

ذلك أن العربي إذ دهش من شيء توجه بالكلام إلى نفسه ولم يتوجه به
إلى الآخرين. فإذا دهش - مثلاً -: من جمال الربيع؛ قال: ما أجمل
الربيع! متوجهاً بالاستفهام من الآخرين إلى شخص يخلعه من نفسه
فيخاطبه؛ (يتكلم مع نفسه)؛ أي ما الذي سبب الجمال للربيع. أو يقول:
أجمل بالربيع! متوجهاً بالأمر من الآخرين إلى شخص يخلعه من نفسه
فيخاطبه؛ أي كن سبب جمال الربيع. أو يقول: يا لجمال الربيع! متوجهاً
بالاستغاثة من الآخرين إلى شخص يخلعه من نفسه فيخاطبه.
فالتعجب منقول إما عن استفهام وإما عن أمر - بالصيغتين السابقتين
فقط - وإما عن استغاثة.

آراء النحاة: في جمل التعجب بـ:

1. (ما)

- 1- عند الخليل وسيبويه والجمهور: نكرة تامة بمعنى (شيء)،
- 2- وعند الفراء وابن درستويه وجماعة: استفهامية،
- 3- وعند الأخفش: نكرة تامة أو موصوفة.

2. (أَفْعَلٌ)

- 1- عند البصريين والكسائي: فعل،
- 3- وعند بقية الكوفيين: اسم لأنها تصغر، كما في قول الثقفى كاهل:
يا ما أميلح غزلان شدن لنا من هؤلئائك الضال والسمر

3. (أفعل)

- 3- عند البصريين: فعل ماض جاء في صورة فعل الأمر،
4- وعند الفراء والزجاج والزمخشري وابن كيسان وابن خروف: لفظه ومعناه الأمر، إنما يخاطب به العموم عند الزمخشري، ويرى الزجاج أن الخطاب لمصدر الفعل المتعجب منه،
5- وهي عند ابن الأثيري: اسم؛ لكونه لا تلحقه الضمائر.

4. همزة (أفعل)

- 1- عند البصريين: للضرورة، يعنون في قولنا: ما أجمل الربيع صار الربيع جميلاً،
2- وعند الزمخشري والزجاج: الهمزة للتعدية.

5. باء (به)

- 3- عند سيبويه والجمهور: زائدة، والضمير فاعل، فهو مجرور لفظاً مرفوع محلاً.
4- وهي عند الفراء والزجاج والزمخشري وابن كيسان وخروف: للتعدية.
فالاختلاف بين النحاة في تحليل وإعراب هاتين الصيغتين اختلاف كبير.

4.4.3. معاني صيغ الماضي الخماسي

- (تفاعل):

- جاؤوا بهذه الصيغة للذي شارك غيره في الأحداث الظاهرة، نحو: (تشاجر، تعاون، تصالح،...).
وجاؤوا بها للذي تظاهر بالأحداث الخفية، نحو: (تعاقل، تباله، تعامى، تناوم تجاهل،...); في هذه وأمثالها يريك من نفسه ما ليس فيها؛ فكأنه يتشارك بالفعل مع نفسه.

- (تَفَعَّلَ):

جاؤوا بهذه الصيغة للذي عانى الفعل فتكلف حدوثه، نحو: (تحلّم، تشجّع، تعظّم،...)، أو طلبه، نحو: (تعجّل، تثبّت، تقصّي،...)، أو هو يتجنبه: نحو: (تأثّم، تحرّج، تهجّد،...)، أو أتى به مراتٍ، نحو: (تجرع الدواء، وتذوق الطعام، وتسمع، وتمهل،...). ويلاحظ في الأنواع السابقة كلها التكلف.

وتأتي هذه الصيغة من الاسم الذي له ينسب المسند إليه، نحو: (تتزرّ، تقيس، تمصر،...)، ومن الاسم الذي إليه يصير المسند إليه، نحو: (تزيّب العنب وتخمر وتخلل،...)، ومن الاسم الذي اتخذ حدثاً، نحو: (تبنى، تدير، توسد،...). وفي كل هذه تكلف أيضاً.

- (تَفَعَّلَ):

جاؤوا بهذه الصيغة للذي فُعِّلَ به فاستجاب، أو عولج فطواع المعالجة تقول: دحرجت الحجر فتدحرج، وكذلك: (تلمم، تجورب، تبيطر، تقلنس،...)، كل ذلك لأن هنالك من فُعِّلَ به فتفعل هو.

- (انْفَعَلَ):

جاؤوا بهذه الصيغة للذي فُعِلَ به فأطاع، تقول: كسرت الحجر فانكسر وحزت القطيع فانحاز، ومثل هذا: (انحطم، أنجدل، انصاع،...). وقد طواعوا بها أيضاً (أفعل) فقالوا: أقمته فانقم، وأغلقتة فانخلق، وأزعجته فانزعج.

- (افْتَعَلَ):

جاؤوا بهذه الصيغة للذي قام بالفعل ومعه غيره، نحو: اقتتل الجيشان واعتون الجيران واختصموا، فهنا المشاركة مثلها في (فاعل) ولكنها هنا بالتساوي.

وجاءوا بها للذي زاد في الفعل، نحو: (اكتسب، اجتهد، اضطرب،...).

وجاءوا بها للمفعولات التي اتخذت ذخيرة، نحو: (أذبح، أطبخ، اشتوى،
اكتال، واتزن).

- (أفعل):

جاءوا بهذه الصيغة للذي دخل في اللون، نحو: (احمر، ازرق، اغبش¹،
واصهب²،...).

تبدلات صوتية

1. في صيغة (افتعل) ومشتقاتها:

- تبدل التاء طاء بعد أحرف الإطباق، (ص، ض، ط، ظ)، تقول:
(اصطبر واصطجع واطرب واطظلم)، بدلاً من أن تقول: (اصتبر
واضتجع واطترب واطتلم)، ويجوز أن تبدلها مما قبلها وتدغمها فيه قائلاً:
(اصبر واصجع واطلم).

- وتبدل التاء دالاً بعد الأحرف: (د، ذ، ز)، تقول: (اذكر، وادعى،
وازدهر)، بدلاً من أن تقول: (اذتكر، وادتعى، وازتهر).

- وتبدل التاء ثاء بعد (الثاء)، وتدغم طبعاً فيها، تقول: (اثأر)، بدلاً من
أن تقول: (اتأر).

- وتبدل الواو والياء الواقعين قبل (التاء) تاء وتدغمان فيها، تقول:
(اتقى، واتسر)، بدلاً من: (اوتقى، وايتسر).

2. في صيغة (انفعل) ومشتقاتها:

¹ الغبشة كلون الرماد.

² صهب: كان أصفر ضارباً إلى حمرة وبياض. واصهب: صار أصفر ضارباً إلى
حمرة وبياض.

تبدل النون ميماً قبل الحرفين (م، ب)، تلفظ: (امحى وامبهر¹)، بدلاً من: (انمحي، وانبهر)، غير أن النون مع الباء تبقى في الخط نوناً؛ لئلا يحدث لبس وليعرف الأصل.

3. في الصيغ (تفعل وتفاعل وتفعل) ومشتقاتها:

يجوز أن تبدل التاء مع الأحرف: (ص، ض، ط، ظ، د، ذ، ز، ث) من جنسها وتدغم فيها ثم تجتلب همزة الوصل لئلا يُبتدأ بالساكن، تقول: (تصالح وتضوع وتطلب وتظلم وتدحرج وتذكر وترين وتثاقل)، أو تقول: (اصّالِح، واضوّع، واطّلب، واطّلم، وادّحرج، وادّكر، وازيّن، واثّقل).

ومن التبدلات الصوتية أيضاً:

- تخفيف الهمزة إلى ألف أو واو أو ياء، فيجب ذلك إذا سبقت بهمزة، كما في: (أمن، أومن، إيمان، ذائب، أودم، أويدم). وحقها أن تكون: (أأمن، أوّمن، إئمان، ذائب، أوّدم، أوّيدم).

- وقلبوا همزة التانيث واواً في: التثنية، وجمع الألف والتاء، والنسب، فقالوا في (صحراء): (صحراوان، صحراوات، صحراوي).

- ويجوز قلب الهمزة إلى ألف أو واو أو ياء في نحو: (كأس، وذئب، ولؤم، ومؤجل، ومئة)، فتصبح: (كاساً، وذيباً، ولوماً، وموجلاً، ومية).
تقلب إلى حرف مدٍ من جنس ما قبلها كما في الأمثلة.

4.4.4. معاني صيغ الماضي السداسي

- (استفعل):

¹ تُقرأ امبهر.

1- تأتي هذه الصيغة للأحداث التي يطلبها المسند إليه، تقول: استقدمت زيدا؛ أي طلبت قدومه، طلبت منه أن يقدّم عليّ، ومثله: (استقرض، استنصح، استغفر،...)، إذا طلب القرضَ والنصحَ والغفران.

2- وتأتي أيضاً لصفات الأحداث التي يجدها المسند إليها فيها، تقول: استعظم الأمر؛ أي وجده عظيماً، ومثله: (استسمن الدابة واستجاد واستقبح)، إذا وجد فيها صفة السيمن والجودة والقبح؛ أي وجدها سميئة،....

3- وتأتي هذه الصيغة من الاسم لتحوّله إلى مقابله، نحو: استتوق الجمل؛ أي حول الجمل ناقية، ومثله: استحجر الطين، واستنشرت البغاتُ. - (افعول):

1- تأتي هذه الصيغة لما عظم فيه الحدث، أي للمبالغة فيما اشتق منه، تقول: احدوب ظهره، أي عظم حدب ظهره، واعشوشبت الأرض، أي كثر عشبها، ومثله تقول: في اخشوشن واحلوك واغودن.... - (افعلّ):

1- تأتي هذه الصيغة للمبالغة من الرباعي، نحو: (اقشعر، اطمأن،...)، من القشعريرة والطمأنينة،....

2- وتأتي مما يعد من الرباعي، نحو: (ادلهم، اشماز،...)، كأنه أخذ من: دلهم وشمأز، بينما هو من الذهمة والشمز¹. ونحو: (اشرأب)، أخذ من: شرأب، وهذه لا توجد. - (أفعال):

¹ الشمز: التجمع والتقبض.

- 1- تأتي هذه الصيغة للمبالغة في (أفعلّ) فهي للمبالغة في التلون. تقول:
(احمرار، اصفرار، اسوداد، ابيضاض،...)؛ إذا بالغ الشيء في الحمرة والصفرة
والسواد والبيضاض،....
- 2- وجاء منه قليل في غير الألوان، مثل: (املاسّ، اضرابّ،...).

4.5. صيغ الغياب والحضور

- هذه الصيغ تأتي من الصيغ السابقة ثلاثية وغير ثلاثية، فتكون بزيادة حرف أو حرفين أو ثلاثة من حروف (سألتمونيها). فيؤدى بها معاني جديدة أخرى، بها يتعين أمر المسند إليه: أ مفرد هو أم مثني أم جمع؟، و أ منكر هو أم مؤنث؟، و أ متكلم هو أم مخاطب أم غائب؟، هذه الصيغ هي:
- 1- (فعلًا) بزيادة الألف في الآخر، أو قل هي بمد فتحة اللام، والمسند إليه فيها هو المثني المذكر الغائب، تقول: التلميذان قرأا وانتبها فاستقادا.
 - 2- (فعلوا) بضم اللام ومدّه، أو قل هي بزيادة الواو وضم ما قبلها، والمسند إليه فيها هو الجمع المذكر الغائب - وهو خاصّ بالعقلاء - تقول: العُمال اتحدوا. أما الألف التي بعد الواو فزائدة خطأ، لا تقرأ.
 - 3- (فعلت) بزيادة التاء ساكنةً، والمسند فيها هو المفرد المؤنث الغائب، تقول: هند خاطت وطرّرت وارتدت.
 - 4- (فعلتا) بزيادة التاء مفتوحةً ممدودةً، والمسند إليه فيها هو المثني المؤنث الغائب، تقول: هند وليلى التقتا وترافقتا.
 - 5- (فعلن) بإسكان اللام وزيادة النون عليه مفتوحةً، والمسند إليه فيها هو الجمع المؤنث الغائب، تقول: الأمهات أرضعنَ وفطمنَ.
 - 6- (فعلت) بإسكان اللام وزيادة التاء عليه مفتوحةً، والمسند إليه فيها هو المفرد المذكر المخاطب، تقول: يا زيد أخطأت حين ساببت زميلك.
 - 7- (فعلت) بإسكان اللام وزيادة التاء عليه مكسورةً، والمسند إليه فيها هو المفرد المؤنث المخاطب، تقول: بدأت يا هند وما أتممت.
 - 8- (فعلتما) بإسكان اللام وزيادة التاء مضمومة فالميم مفتوحةً ممدودةً، والمسند إليه فيها المثني المخاطب، تقول: أيها الفتیان جَاهدتما فأبليتما، وتقول: أيتها الفتاتان تزيينتما فازدنتما.

9- (فعلتم) بإسكان اللام وزيادة التاء مضمومةً فالميم مضمومةً ممطوطةً أو ساكنةً، والمسند إليه فيها هو الجمع المذكر الغائب، وهذا خاص بالعقلاء، تقول: أيها الفلاحون لقد تعبتُم. والواو التي بعد الميم لا تكتب.

10- (فعلُنن) بإسكان اللام وزيادة التاء مضمومةً فالنون مشددةً مفتوحةً، والمسند إليه فيها هو الجمع المؤنث المخاطب، تقول: أحسننُنَّ يا بنات.

11- (فعلتُ) بإسكان اللام وزيادة التاء مضمومةً، والمسند إليه فيها هو المفرد المتكلم يقول زيد عن نفسه - وكذلك هند -: أنا تعلمتُ.

12- (فعلنا) بإسكان اللام وزيادة النون مفتوحةً ممدودةً، والمسند إليه فيها هو المتكلم غير المفرد (المتكلم باسم جماعة)، تقول عن نفسك وعن معك: نحن ناضلنا فتررنا، وتقول هند عن نفسها وعن رفيقتها: نحن جننا معاً.

4.5.1. ذوات الألف والتضعيف

أ- في صيغ الغياب والحضور التي يسكن فيها اللام

- إذا جاء فيها ما قبل اللام ألفاً؛ تحذف الألف لالتقاء الساكنين، فتقول: قُدتُ، وانقُدتُ، واقُتُدتُ، واستُقتُدتُ.

- إذا جاء فيها ما قبل اللام من جنس اللام يفك الإدغام، فتقول: مددتُ، وأنمُددتُ، وامُتُددتُ، واستُمدُدتُ.

ب- وفي الصيغتين: (فعلوا، فعلتُ)

- إذا جاء فيها اللام ألفاً؛ تحذف الألف لالتقاء الساكنين، فتقول: غزواً ورمواً، وغزت ورمت. وهكذا مع غير الثلاثي، تقول: (أهدوا واهتدوا واهتدوا، وأهدت واهتدت واستهدت).

ت- وفي الصيغة: (فعلتا)

- إذا جاء فيها اللام ألفاً، حذفوا الألف لكي يتم الانسجام بينها وبين: (فعلت) أختها، فقالوا: (غزتا ورمتا)، ولم يقولوا: (غزاتا ورماتا). وهكذا مع غير الثلاثي، قالوا: أهدتا واهتدتا واستهدتا. ولكن جاء قول الطفيل الغنوي: له متنتان خطاتا¹... بدون حذف الألف منها، قال: (خطاتا)، ولم يقل: (خطتا). وفي هذا سير على الأصل.

ث- وفي بقية الصيغ: (فعلا، فعن، فعلت،...)

- أما إذا جاءت اللام ألفاً في بقية الصيغ فإنها تقلب واو أو ياء؛ ليظهر الساكن عليها، فتقول: (غزوت، رميت، أهديت،...)، وتقول: (غزوا، رميا، أهديا،...). ويلاحظ هنا في صيغة (فعلا) إذا جاءت اللام ألفاً؛ أنها لم تحذف لانتقاء الساكنين بل قلبت واواً أو ياء. كان ذلك لتلا تضيع هذه الصيغة في صيغة (فعل).

¹ خطا: اكتنز.

4.6. صيغ المضارع

4.6.1. صيغ المضارع مع الغائب

هذه الصيغ تؤخذ من صيغ الماضي السابقة بزيادة حرف أو حرفين أو ثلاثة من حروف (سألتمونيها)، فيؤدى بها معنى جديد، هو معنى الاستمرار لا معنى الانقطاع والانتهاء. وتكون هنا تغييرات مع الزيادات، هي بحسب الفئات التالية:

1- فئة الثلاثي: تأتي هذه على: (يَفْعَلُ، يَفْعَلُ، يَفْعَلُ)، فهي بزيادة ياء مفتوحة قبل الأول وإسكان فائه (وهو ما كان الأول في الماضي).

أما عينه من (فَعَلَ) فتكسر، نحو: (ضَرَبَ - يَضْرِبُ)، ولكنها تفتح إذا كانت هي أو لامه أحد حروف الحلق¹، نحو: (سَأَلَ - يَسْأَلُ). وعين هذه الفئة لا تضم إلا ما جاء للغلبة، نحو: (فَخَرَهُ - يَفْخَرُهُ، وَصَرَعَهُ - يَصْرَعُهُ)، فما جاء على (يَفْعَلُ) منها فهذا أصله، ثم كان تداخل كثير في اللغة فاستعمل دون وضوح، ولكنه بقي في المتعدي كثيراً وفي المضاعف المتعدي سائداً. والتعدي من الغلبة.

أما عينه من (فَعَلَ) فتفتح، نحو: (غَضِبَ - يَغْضِبُ)، وأما عينه من (فَعَلَ) فتضم، نحو: (كَرُمَ - يَكْرُمُ)، وأما (فَعَلَ، يَفْعَلُ) نحو: (حَسِبَ - يَحْسِبُ)، (وَرِثَ - يَرِثُ) فلم يرد عليه إلا أفعال محدودة.

2- فئة الرباعي: تأتي على: (يُفَعِّلُ، يُفَاعِلُ، يُفَعِّلُ، يُفَعِّلُ)، فهي بزيادة الياء مضمومة في أوله وكسر ما قبل الآخر - ثم حذف همزة: (أَفْعَلُ) إلحاقاً لها بهمزة الوصل. وكان حق الياء فيها أن تكون مفتوحة كما في

¹ أحرف الحلق هي: (الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء).

جميع الفئات، ولكنهم ضموا ليحصل الفرق بين مضارعي: (فَعَلَ، أَفْعَلْ)،
والحق بـ (يُفْعَلُ) بقية صيغ هذه الفئة، تقول من: (دحرج، جاهد، علّم،
أحسن،...): (يُدحرج، يُجاهد، يُعلّم، يُحسّن،...)¹.

3- فئة المبدوءات بالتاء، تأتي على: (يَتَفَعَّلُ، يَتَفَاعَلُ، يَتَفَعَّلُ)، فهي
بزيادة الياء مفتوحة لا غير.

4- فئة المبدوءات بالهمزة، تأتي على: (يَنْفَعَلُ، يَنْفَعَلُ،...)، فهي بزيادة
الياء مفتوحة مع حذف همزة الوصل للتخفيف وكسر ما قبل الآخر.
ويلاحظ في نحو: (يحمّر، يحمّر) إسكان أول المتجانسين للإدغام بدلاً
من كسره: (يحمّر، يحمّر). في هذه وفي كل الصيغ التي لم يزد في
آخرها شيء.

أما آخر المضارع فمرفوع أصالة حتى تدخل عليه العوامل فتغيره.

4.6.2. بقية صيغ المضارع

أما بقية صيغ المضارع فإننا نأخذها من الصيغ السابقة مع تغييرات تأتي
بحسب الفئات التالية:

1- فئة الصيغ الأربع: (يفعل، تفعل، نفعل، أفعَل)؛ تأتي بإبدال الياء نوناً
أو تاء أو همزة قطع، ويكون لهن ما للياء مع جميع صيغ المضارع
السابقة. وهن مع المسند إليه كما يلي:
- (تفعل): للمفرد غائباً مؤنثاً أو مخاطباً مذكراً، نقول: هند تلعب، وأنت
يا زيد تلعب.

¹ يقول الصرفيون: حذفت همزة (أفعل) في المضارع المبدوء بهمزة المتكلم لئلا
تجتمع همزتان في كلمة (أُفْعَلُ)، وحُمِلَ على المبدوء بالهمزة أخواته وصيغتنا
الفاعل والمفعول.

وأقول: ولمْ ضمُّ أول المضارع من (فعل، فاعل، فعَل) دون بقية صيغه!؟.

- (نفعل): للمتكلم عن نفسه وغيره ذكراً كان أو أنثى، يقول القائد عن نفسه وجنوده معاً: نحن ندافع عن الوطن، وتقول المديرية عنها وعن معلمات مدرستها: نحن نهتم بأمور الطالبات. وكذا يقول معظم نفسه: نحن نفعل هذا.

- (أفعل): للمتكلم عن نفسه وحدها ذكراً كان أو أنثى، يقول زيد: أنا أحب بلادي، وتقول هند: أنا أحب بلادي.

2- فئة الصيغ الخمس: (يفعلان، تفعلان، يفعلون، تفعلون، تفعلين)؛ تأتي بزيادة ياء الغائب أو تاء المخاطب مثلاً بمثل، ثم بزيادة الألف فنون مكسورة أو زيادة الواو والياء فنون مفتوحة في الآخر. وهن مع المسند إليه كما يلي:

- (يفعلان): للمثنى المذكر الغائب، تقول: الزيدان يدرسان.

- (تفعلان): للمثنى المؤنث الغائب وللمثنى المخاطب، تقول: الفتاتان تدرسان، ويا هذان أنتما تخطئان، ويا هاتان أنتما تحسنان.

- (يفعلون): للجمع المذكر الغائب، تقول: المعلمون يتنافسون.

- (تفعلون): للجمع المذكر المخاطب، تقول: أنتم تجدون.

- (تفعلين): للمفرد المؤنث المخاطب، تقول: يا هند أنت لا تهملين.

3- فئة الصيغتين: (يفعلن، تفعن)؛ تأتي بزيادة الياء أو التاء في أوله ثم النون مفتوحة في آخره مع إسكان ما كان آخراً. وهما مع المسند إليه كما يلي:

- (يفعلن): للجمع المؤنث الغائب، تقول: الفلاحات يعملن في الحقل.

- (تفعن): للجمع المؤنث المخاطب، تقول: أيتها العاملات أنتن، تتقن

العمل وتستحقن زيادة في الأجر.

4.7. أحكام تلحق المضارع

إذا جاء المضارع من الماضي الثلاثي الذي فاؤه واو، مثل: (وعد، وضع، ورث،...)، فإن العرب تحذف هذه الواو للتخفيف، فتقول من (وقف) مثلاً: (يقف، يقفان، يقفون، يقفن، أقف،...).

يحذفون الواو هنا للتخفيف كما حذفوا همزة (أفعل، انفعَل، استفعل، أفَعول،...)، فقالوا: (يفعل، ينفعل،...) ¹.

إذا وجدت تاء المضارع مع تاء: (تَفَعَّلَ، تَفَاعَلَ، تَفَعَّلَ) جاز حذف تاء المضارع تخفيفاً لثقل اجتماعهما عند أمن اللبس، تقول: أنت تتعلم أو تعلم. قال تعالى ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا﴾؛ أي ولا تتنازعا، وقال: ﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج...﴾؛ أي ولا أن تتبدل.

ولا يجوز حذفها إذا كان الفعل مبنياً للمجهول، مثل: تُتَعَلَّم.

الفعل قسمان، أقول:

إن الفعل كلمة دلت على حدث انتهى أو حدث لم ينته. الأول الفعل الماضي، والثاني الفعل المضارع.

أما ما يسمى بفعل الأمر - ويجعلونه قسماً ثالثاً - فما هو إلا بعض الأفعال المضارعة في حال الخطاب المبنية للمعلوم فقط، والتي استغني معها عن لام الأمر جرياً مع سرعة النطق لحدة الأمر، استغني عنها اعتماداً على فهمها من نبرة الصوت المميزة له والدالة عليه.

¹ يقول الصرفيون: حذفت واو (وعد، ورث، وضع،...) في المضارع المبدوء بياء الغائب لوقوعها بين الباء والكسرة، وحمل على المبدوء بالياء أخواته المبدوءات بالألف والنون والتاء.

وأقول: الثقل موجود في كل من (أوعِدْ، نوَعِدْ، توَعِدْ) كما هو في (يوَعِدْ).

وكان ذلك لكثرة دوران الأمر مع المخاطب مع وضوح الدلالة عليه بدون اللام.

والواقع أن للام الأمر مع المضارع حالتان بحسب المسند إليه: الأولى: مع المسند إليه متكلماً أو غائباً، فهذه لا يبد معها من اللام لقلة أمر هذين، ولفوات الحدة هنا. نحو: «ولنحمل خطاياكم»، «وليؤمنوا بي». والنهي وغيره من الطلب يأتي مع الغائب، تقول: لا يأت زيد اليوم، قال تعالى: «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء».

واعلم أن الفعل المبني للمجهول لا طريقة للأمر به إلا باللام سواء أكان لمتكلم أم لمخاطب أم لغائب، تقول: لأعن بحاجتك، ولتعن بحاجتي، وليعن زيد بالأمر.

الثانية: مع المسند إليه مخاطباً، فهذه تحذف معها اللام، ويحذف معه حرف المضارعة تخفيفاً، تقول: (قم، قومي، قوما، قوموا، قمن) بدلاً من: (لتقم، لتقومي، لتقوما، لتقوموا، لتقمن).

لكن استعمال اللام مع المخاطب هذا لم يكن قد مات تماماً حين تدوين اللغة، فقد وصلتنا نصوص لم تحذف منها اللام، مثل قراءة عثمان وأبي وأنس: «وبذلك فلتفرحوا»، والحديثين: (لتأخذوا مصافكم)، (ولتزره ولو بشوكة)، وقول الشاعر:

لتقم أنت يا ابن خير قريش

وقد قال أبو القاسم الزجاج عن مجيء اللام مع المخاطب: هي لغة جيدة.

وقد جاءت نصوص بحذف اللام وحدها دون حذف حرف المضارعة، قال أبو طالب فمصور بن مريد:

محمد! تقدِ نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر تَبالاً¹

قلت لبواب لديه دارها: تتذّن، فإني حميها وجارها²

أما قول البصريين: بأن صيغة الأمر مرتجلة لا مقتطعة من المضارع: كما في النهي. قالوا: لأن النهي من الأمر بمنزلة النفي من الإيجاب، والنفي والنهي بأداة هي (لا)، والإيجاب والأمر بلا أداة.

وللرد على هذا **أقول**: إن اعتمادهم على هذا القياس فيه مغالطة؛ ذلك أن اللغة في الإيجاب والنفي قالت: (يقوم، ولا يقوم)؛ بينما هي في الأمر والنهي قالت للغائب: (ليقم، ولا يقم) ولم تقل: (ليقم، ولا ليقم). هي جعلت الأمر بأداة كما جعلت النهي بأداة، ولم تجعل النهي بزيادة (لا) فقط على الأمر. وهي قالت للمخاطب: (قم، ولا تقم)؛ ولم تقل: (قم، ولا قم). أي لم تزد اللغة (لا) على صيغة الأمر مع النهي كما كان ذلك في النفي مع الإيجاب. بل جعلت اللغة مع الغائب اللام للأمر، وجعلت (لا) للنهي. ومع المخاطب لم يكن الكلام بزيادة (لا) على نفس الشكل الذي هو في الأمر. ثم أن قولهم هذا يفترض أكثر من أصل للانتقال إلى المعاني الجديدة، فيكون الأمر - حسب قياسهم - أصل للنهي كما أن الإيجاب أصل للنفي، بينما الأمر والنهي فرعان للإيجاب مثل النفي، بل الواقع أن الأمر والنهي أخوان.

الأمر ليس قسماً ثالثاً، أقول:

1- لأن الفعل في حده: (ما دل على حدث في زمان). فإذا كان الحدث مجرداً من الزمان - كما هو الحال في الأمر - فذلك خروج عن الحد.

¹ تبالاً: هلاكاً، سوء عاقبة.

² حما الرجل: أبو امرأته ومن كان من قبله من الرجال، وحما المرأة: أبو زوجها ومن كان من قبله من الرجال.

2- لأن الفعل إذا كان أمراً أو نهياً أو نحوهما؛ كان ذلك خروجاً عن الأصل وتفرعاً عليه. ولا يتأتى ذلك إلا بالحرف. (ذلك أن الخروج على الأصل والتفرع عليه لا يكون إلا بالحروف).

وقد رأينا الأمر مع المتكلم والغائب دائماً باللام، ورأيناه مع الفعل مبنياً للمجهول باللام مع الجميع، ورأيناه مع المخاطب أحياناً باللام. وإذا عدنا إلى الحرف هنا - أي مع الأمر الذي بدون اللام - لم يكن إلا اللام، إنما استغنى عنها لما ذكرت، فيكون هذا الفعل هو الفعل المضارع.

3- لأن الأمر معنى، والمعاني إنما تؤدي بالحروف، فكما يؤدي النهي الذي هو أخو الأمر بالحرف (لا) في جميع أحواله، فلا بد أن يؤدي الأمر باللام في جميع أحواله أيضاً. وكما نعلم أن جميع أنواع الطلب من: (نهي واستفهام ونداء و تمن و تحضيض) تؤدي بالحروف؛ فلا بد أن يؤدي الأمر - وهو أحد هذه الأنواع - في جميع أحواله بالحرف (اللام)، ولاسيما وقسمه الآخر يؤدي به. وبهذا نتخلص من بعثرة الأمر على فعلين: (أمر، ومضارع بلام الأمر).

وكان حذف اللام مع المخاطب لكثرة دوران الأمر معه، ولأن الأمر معه يقتضي السرعة في النطق. ذلك أن أمر المخاطب واضح تعاليه عليه، وتغلبه الحدة مع السرعة في النطق. هذا مع وضوح معنى اللام - الذي هو الأمر هنا - من نبرة الصوت المميزة له. وقد رأينا العرب تحذف ما يتضح معناه في نبرة ما يتصل به. فتحذف حرف النداء (يا)، نحو: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾، وتحذف حرف الاستفهام (أ)، نحو: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾.

4- لأن ما يقولون عنه أنه أمر مماثل تماماً للمضارع المجزوم بلام الأمر، فكما يقال: (قم، اخش، اضرب، اضربي) يقال: (ليقم، ليخش،

ليضرب، لتضربي). لاحظ قولهم: [بأن الأمر يبني على ما يجزم به مضارعه]؛ علماً بأن البناء لم يعهد أن يكون بالحذف. وهو مماثل له في التوكيد، فكما تقول: اجتهدن، تقول: لتجتهدن. ولا يكون الجزم إلا بالحرف، ولا يكون التوكيد إلا مع الحرف.

5- لأن صيغته - بعد حذف ياء المضارعة للتخفيف - هي ذات صيغ المضارع (يفعل) الأمر منها (افعل)، و(يفعل) الأمر منها (افعل)، و(يتفعل) الأمر منها (تفعل)، وهكذا.

6- لأن الأمر - بما طرأ عليه - يخالف كلا الفعلين: الماضي والمضارع، فهو مغاير لهما لأنه:

- هو مقصور على المخاطب، وهما عامان لهما المتكلم والمخاطب والغائب.

- هو مقصور على المعلوم، وهما عامان لهما المعلوم والمجهول.

- هو ممنوع عن الشرط، وهما عامان لهما الشرط وغير الشرط.

- هو ممنوع عن العهد فلا يقال جاء الذي اضرب، وهما عامان لهما العهد وغير العهد.

- هو ممنوع عن الحرف (قد)، وهما عامان يكونان بـ (قد) وبغير (قد).

- هو تباشرة فاء الجزاء، وهذا شأن المضارع مع أي نوع من أنواع الطلب وهما لا تباشرة فاء الجزاء.

- ثم إن فاء الجزاء إنما تباشر الحروف أو الأسماء، ولا تباشر الماضي أو المضارع. فهذا دليل على أن هنالك حرفاً محذوفاً جعل الفاء تباشر الأمر - طبعاً هو اللام - وأيضاً الأمر لا تدخل عليه الحروف. وفي هذا دليل على اللام المحذوفة (لام الأمر) لا يُنكر اعتبارها.

4.8. صيغ التوكيد

إذا أراد العربي أن يؤكد ما سيفعل زاد في صيغة المضارع نوناً مخففة أو مشددة، وهي من حروف (سألتمونيها) وغير معها بما يلزم. أما الذي فُعلَ وانتهى منه - وهو الماضي - فلا معنى لتوكيده، فالتوكيد خاص بالمضارع.

- 1- في الصيغ: (يفعل، تفعل، تفعلون، أفعل) يفتح اللام أبداً لالتقاءها مع النون الساكنة، ويفتح النون إذا شددتها، فيقول: والله لأذهبنَ أو لأذهبنَّ.
- 2- وفي الصيغ: (تفعلن، يفعلون، تفعلون) يحذف منهن النون لتوالي الأمثال (نَ أو نْ بعد نون الصيغة)؛ أي تخفيفاً، ثم يحذف الياء والواو لالتقاء الساكنين، ويفتح النون إن شددتها، فيقول: لا تهملنَ أيها الفتيان أعمالكم أو لا تهملنَّ. ويقول: يا هند لا تسافرنَ لوحدك أو لا تسافرنَّ.
- 3- وفي الصيغتين: (يفعلان، تفعلان) يحذف النون لتوالي الأمثال، ثم يضيف النون المشددة مكسورة لا غير، فيقول: ألا تنزلانَ يا خليتي. وهل تأتيانَ.

- 4- وفي الصيغتين: (يفعلن، تفعلن) يزيد ألفاً بين النونين، ولا يمكن حذف نون النسوة، ثم يضيف النون المشددة المكسورة لا غير، فيقول: ألا تقررنا في بيوتكن أيتها النساء، ولا تحققنا الطريق.

وإنما يكون التوكيد في العهد والشرط والطلب:

فالعهد: لأجتهدنَ والله، أو لأجتهدنَّ والله،

والشرط: إما تغزوانَ تتجحا،

والطلب: افعلن، ولا تفعلن، وهل تفعلن؟.

ثم إن النون الخفيفة يوقف عليها بالألف كما يوقف على التنوين المنصوب، قال الأعشى مرتين:

فإياك والميتاتِ لا تقربنَّها ولا تعبدِ الشيطانَ والله فاعبدا
فمن يك لم يثأر بأعراضِ قومه فإنِّي ورب الراقصاتِ لأثأرا¹

¹ الراقصات: الإبل تخب السير إلى بيت الله الحرام.

4.9. الصيغ والمبني للمجهول

يبني الفعل للمجهول إذا نُحِّيَ المسند إليه عن صيغته السابقة وأقيم مكانه مسند إليه آخر. هذا المسند إليه الآخر كان مرتبطاً بالفعل على أنه واقع عليه الحدث أو هو ظرف الحدث أو كان هو الحدث ذاته، تقول: ضُربَ اللص، وسيرَ يومُ السبت، «وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً».

يصاغ هذا الفعل بضم أول الفعل مع كسر ما قبل آخره ماضياً وفتح ماضراً، غير أن أحد التغييرين قد يكون موجوداً من قبل.

ويتبع في التغيير ما بعد الأول من الماضي من ذوات التاء للأول، وكذلك ما بعد تالي همزة الوصل منه، تقول في الماضي: (فُعِلَ، أُفْعِلَ، تُفَعِّلُ، أُسْتَفْعَلُ)، وفي المضارع: (يُفَعِّلُ، يُنْفَعِّلُ، يُسْتَفْعَلُ) وهنا تشترك (فَعَلَ) و(أَفْعَلَ) في (يُفَعِّلُ). ويعتمد للتفريق بينما على قرائن من سياق الكلام.

فإذا كان ما قبل الآخر ألفاً نقلت كسرتة في الماضي إلى ما قبلها فقلبت ياء لتناسب الكسرة، تقول: (قَيْدٌ، أُقَيْدُ، أُسْتَقَيْدُ، أُنْقَيْدُ، أُقْتَيْدُ)، ونقلت فتحته في المضارع إلى ما قبلها أيضاً، تقول: (يُقَادُ، يُسْتَقَادُ، يُنْقَادُ، يُقْتَادُ).

وإذا كان ما قبل الآخر من جنس الآخر يفعل بغير الثلاثي ما يفعل فيما كان ما قبل آخره ألفاً. تقول من الماضي: (أُمِدَّ، اسْتُمِدَّ، أُنْمِدَّ، أُمْتِدَّ)، وتقول من المضارع: (يُمِدُّ، يُسْتَمِدُّ، يُنْمِدُّ، يُمْتِدُّ).

وإذا كان الفعل من الصيغ الثمانية التي يسكن لامها وكان لام الفعل ألفاً تُعكس حركة أوله فيضم المكسور ويكسر المضموم، يفعل ذلك للترقية بين المبني للمعلوم منه والمبني للمجهول. تقول: (بُعْتُ) في البناء للمجهول مقابل (بُعْتُ) التي هي مبنية للمعلوم، وتقول: (قُمْنَا) في البناء للمجهول مقابل: (قُمْنَا) التي هي مبنية للمعلوم.

4.10. ارتباط الأفعال بالمسند إليه

إن معاني الأفعال ترتبط بالأسماء التي تستند إليها لا غير.
فإذا قلنا: إن صيغة (فعل) معناها الانطلاق أو للانطلاق، فإن هذا يعني أن الحدث في هذه الصيغة ينطلق من الاسم المسند إليها، فقولنا: ضرب زيد عمراً؛ معناه أن الضرب انطلق من زيد إلى عمرو.
وإذا قلنا: إن الصيغ (أفعل، فاعل، انفعَل، تفاعل،...) معانيها: (التسبب، والمشاركة، والمطاوعة، والتظاهر في الأحداث الخفية،...) على الترتيب، فإن هذا يعني أن الحدث في هذه الصيغ لم ينطلق من المسند إليه فيها، إنما المسند إليها:

- تسبب في الحدث في (أفعل)،
 - وشارك فيه مشاركة في (فاعل)،
 - واستجاب لفعل فاعل في (انفعَل)،
 - وتظاهر فيه تظاهراً في (تفاعل)،....
- وهكذا يقال عن باقي الصيغ.

وهكذا فإن صيغ الماضي تدل على أن المسند إليه فيها قد انتهى من الفعل حين التحدث عنه،
وصيغ المضارع تدل على أن المسند إليه فيها مستمر بالفعل حين التحدث عنه،

وصيغ المبني للمعلوم تدل على أن المسند إليه فيها قائم هو بالفعل،
بينما صيغ المبني للمجهول تدل على أن المسند إليه فيها واقع عليه حدث الفعل.

وكذلك فإن صيغ الغياب والحضور تدل على أن المسند إليه فيها هو: هذا أو ذلك أو ذلك؛ أنا أو أنت أو هو. فمعاني الأفعال مرتبطة بالمسند إليه.

ولهذا **رأيت** أن يسمى الفعل الماضي بالفعل المنتهي، والفعل المضارع بالفعل غير المنتهي (المستمر). **وأرى** أن يسمى الفعل المبني للمعلوم بالفعل القائم بالحدث، والفعل المبني للمجهول بالفعل الواقع عليه الحدث¹. وبهذا تتوحد أسباب التسمية، فتكون مبنية على أساس واضح معروف: هو وضعها مع المسند إليه، لأن مصدر التنوع في معاني الأفعال لجميع أوضاعها إنما هو المسند إليه لا غير. وقد علمنا أن الفعل - وهذا واضح لكل متأمل - هو: (ما أنبأ عن حركة المسمى).

¹ **وأرى** أن تسمى صيغة (فَعَلَ): فعل الغائب. وصيغة (فَعَلْتُ): فعل الغائبة، وصيغة (فَعَلْنَا): فعل الغائبين،.... وأن تسمى صيغة (فَعَلْتُ): فعل المتكلم، وصيغة (فَعَلْنَا): فعل المتكلمين، وصيغة (فَعَلْتُ): فعل المخاطب....

وأرى أن تسمى صيغة (أَفْعَلُ): فعل التسبب، وصيغة (فَاعَلَ): فعل المشاركة، وصيغة (انْفَعَلَ): فعل المطاوعة. وهكذا تسمى كل صيغة بالمعنى الذي تؤديه، وهذا يكون طبعاً بحسب المسند إليه.

4.11. الصيغ ذات الألف والتصريف

الألف حرف مفتوح ما قبله أبداً ساكن هو أبداً، فلا يمكن تحريكه بحال، بل ما هو إلا مَدّ الفتحة. ولعدم قابلية هذا الحرف للتحريك كان قلماً غير مستقر.

4.11.1. وإنما يبقى كما هو ألفاً في الحالتين التاليتين:

1- إذا كان ما قبله مفتوحاً مهما كان حقه هو من الشكل؛ فتطرح حركته جانباً، لأنه لا يقبل الشكل. فيجىء عيناً في نحو: (باع، خاف، طال، قاد، انقاد، ينقاد، منقاد،...)، ويجىء لاماً في نحو: (غزا، رمى، أهدى، يخشى، يُغزى، مرمى،...).

2- إذا كان ما قبله ساكناً يقبل الحركة - وهو ما كان غير الألف - وكان حقه هو الفتحة؛ فنطرح فتحته على ما قبله فيعود إلى الحالة الأولى. وهنا يجىء عيناً فقط، نحو: (أقام، استقام، يخاف، مقام، مقام،...). أما في غير ذلك فإما أن يقلب إلى أحد أخويه¹ الواو والياء، وإما أن يتحول إلى أمه الهمزة، وإما أن يحذف. ويكون هذا بحسب التفصيل التالي:

4.11.2. يقلب إلى الواو في الحالتين التاليتين، يجىء فيهما من (يقفل):

1- إذا كان ما قبله مضموماً مهما كان يستحق هو من الشكل، فتطرح حركته جانباً، ويجىء هنا لاماً، نحو: (يغزو). والأصل: (يغزأ)، تعذر تحريك الألف فقلب إلى واو لأنها تناسب حركة ما قبله.

2- إذا كان ما قبله ساكناً يقبل الحركة، وكان حقه هو الضمة، فتطرح ضمته على ما قبله. ويجىء هنا عيناً، نحو: (يقوم). والأصل: (يقأم)،

¹ الألف والواو والياء حروف مدّ إخوة.

تعذر تحريك الألف فنقلت ضمته إلى ما قبلها ثم قلب إلى الواو ليناسب الحركة المنقولة التي أصبحت حركة لما قبله¹.

4.11.3. يقلب إلى الياء في الحالتين التاليتين، يجيء فيهما من (يَفْعَلُ) وما مثلها:

1- إذا كان ما قبله مكسوراً مهما كان يستحق هو من الشكل؛ فتطرح حركته جانباً، ويجيء هنا لاماً، نحو: (يَرْمِي، يُغْزِي، رَامِي، غَازِي، مُغْزِي،...) والأصل، مثلاً لـ (يَرْمِي): (يَرْمِي)، تعذر تحريك الألف فقلب إلى ياء ليناسب حركة ما قبله.

2- إذا كان ما قبله ساكناً يقبل الحركة، وكان حقه هو الكسرة؛ فتطرح كسرتة على ما قبله، ويجيء هنا عيناً، نحو: (يَبِيع، وَيُقِيم، وَيَسْتَقِيم، وَمَسْتَقِيم،...) والأصل مثلاً لـ (يَبِيع): (يَبِيعُ)، تعذر تحريك الألف فنقلت كسرتة إلى ما قبله ثم قلب إلى ياء ليناسب الحركة المنقولة التي أصبحت حركة لما قبله².

4.11.4. يُقلب الألف تبعاً لـ (يَفْعَلُ) و(يَفْعُلُ) في الحالتين التاليتين:

1- إذا جاء في صيغة ما قبله فيها ألف زائدة.
2- إذا جاء في صيغة ما بعده فيها ألف زائدة.
وهنا لا تطبق قاعدة الحذف لالتقاء الساكنين، لئلا يكون ارتداد إلى المنطق.

أ- الألف الزائدة قبل الألف الأصلية

¹ (يقول): أصله (يَقَالُ) تعذر تحريك الألف فنقلت ضمته إلى الساكن قبله ثم قلب هو إلى واو ليناسب الضمة.

² (يبيع): أصله (يَبِيعُ) تعذر تحريك الألف فنقلت كسرتة إلى الساكن قبله ثم قلب هو إلى ياء ليناسب الكسرة.

1- تأتي قبل العين في:

(فاعل) وما زيد عليها وما تصرف منهن، تقول: (قاوم، بايع، تقاول،
تبايع، مقاول، مبايع، مقاول، مبايع، تقاول، تبايع).
(فعل) وما زيد عليها وما تصرف منهن، تقول: (قوّم، بيّع، تقوّم،...).
ذلك أن تضعيف الألف تعني زيادة ألف قبل الألف الأصلية.
(مفاعل)، نحو: (معايش، مقاول¹،...).

2- وتأتي قبل اللام في:

(فعالة)، نحو: (حلاوة، بناية،...).
ب- الألف الزائدة بعد الألف الأصلية.

3- وتأتي بعد العين في:

(تفعال)، نحو: (تجوال، تهيّام،...).
(مفعال)، نحو: (مدواس، مقياس،...). ويلحق به (مفعل، مفعلة) لأنهما
أخواه قُصراً للتخفيف²، نحو: (مقود، مروحة،...).
(أفعال)، نحو: (أبواب، أنياب،...)، والحقوا به (أفعل) في التفضيل
والصفة المشبهة، كأنها مقصورة عن صيغة (أفعال) للجمع لئلا تلتبس بها.
(فعال) مثلث الفاء، نحو: (قوام، قيام، عواء). وألحق به (فعلان)، نحو:
(دوران، غليان،...)، كأنه قصر عن (فعالان) مثني (فعال) لئلا تلتبس بها.

4- وتأتي بعد اللام في:

(فعلا) ماضياً مسنداً للاثنتين، نحو: (غزوا، رميا، ألقيا،...).
(فعلان) مثني، نحو: (عصوان، فتيان، حبلان³،...).

¹ جمع معيشة، ومقولة.

² لاحظ أن كل المقصور يجيء منه الممدود دون العكس.

³ مثني عصا وفتى وحبل.

(فعلات) جمع مؤنث سالم، نحو: (خطوات، فتيات، حُبليات،...).

4.11.5. يقبل الألف إلى همزة في الحالتين التاليتين:

1- إذا جاء في صيغة ما قبله فيها ألف وكان هو آخراً فيها، نحو: (كساء، بناء، حياء، إهداء، بناء، معطاء،...)، وإنما كانت همزة لأن صوتها أوضح لإنهاء الكلمة. وهنا لا تخرجه التاء القلقة عن كونه آخراً، نحو: (بناءة، معطاءة¹،...).

2- إذا كان عيناً في صيغة (فاعل)، نحو: (قائم، بائع،...)، وإنما كانت همزة هنا لئلا تلتبس بصيغة الأمر من (فاعل). وتقلب الألف وأختيها إلى همزة في نحو: (رسائل، صحائف، عجائز،...)، ليتفرق بينهن مُدوداً وبينهن أصيالات.

4.11.6. يحذف الألف في الحالتين التاليتين

1- إذا جاء عيناً في الصيغ التي تسكن فيه اللام، نحو: (قُم، بَع، قُمْتُ، قَدْتُ، أَقَدْتُ، أَنْقَدْتُ، أَقْتَدْتُ، اسْتَقَدْتُ،...).

2- إذا جاء لاماً في الصيغ التي يأتي فيها ساكن بعد اللام، نحو: (غزت، غزوا، يغزون، يرمون، غازون، مُصْطَفَيْنَ، الأعلون،...). ذلك لأن العربية لا يتجاوز فيها ساكنان.

الألف أصل للواو والياء، أقول:

إن الواو والياء ليستا بأصل للألف خلافاً لما يقول الصرفيون، بل هو أصل لهما، لأن العرب لم تقل ولو مرة (قَوْل) بدلاً من (قال) مع إمكان

¹ مؤنث بناء، مبالغة معطاء

ذلك، ولم تقل أيضاً (بَيْع) بدلاً من (باع) مع إمكان ذلك. والألف أصل للهمزة أيضاً في نحو: (قَائِمٌ، بَائِعٌ)، وليس الواو والياء بأصل لها. وإلا لقاتل العرب: (قاوِمٌ، بايِعٌ) للإبقاء على الأصل. ألا تراهم قالوا: (عاورٌ، صايدٌ)، لأنهما من (عَوِرَ، صَيِدَ). وقالوا: (معايشٌ، ومقاولٌ)، لأنهما من (معيشة، مقولة).

وأرى أن كل ما عينه من الثلاثي ألفاً فعلاً أو اسماً إنما كان الألف هذا همزة قد سهلت للتخفيف، فـ (قالٌ، باعٌ،...، الباب، الدارٌ،...) أصلهن (قالٌ، باعٌ،...، الباب، الدارٌ،...)، لهذا كان اسم الفاعل منهن (قائلٌ، بائعٌ،...)، وكان بعض جموع (دار) (أدورٌ ودؤور).

وكذلك كل ما لامه ألفاً، نحو: (غزا، ورمى،...، العصا، والرحى،...). لم يبق العرب الأوائل من المهموز إلا ما حرصوا فيه أن يمتاز عما سهلت فيه همزته ليؤدوا به معنى آخر احتاجوه من مثل (ثارٌ لقتيله، وثار على الظلم، وسأل عن الخبر، وسال الوادي، وسئم القعود، وسيم الضيم، وبدأ العمل، وبدا له الأمر، وقرأ الكتاب، وقرى الضيف،...). ومعلوم أن تسهيل الهمزة واغل في القدم لأنه أخف على اللسان.

4.12. (الإدغام) والتصريف

في الفعل الثلاثي ومزاداته والأسماء المُشْتَقَّة منهن اشتقاقاً على طريقة ثابتة، إذا كانت العين فيهن من جنس اللام أو ضعفت اللام وكان حقهما أن

يكونا متحركين؛ نجد العرب يفرون من ثقل ذلك على ألسنتهم، فيطرحون حركة الأول منهما، فيدغمون المتجانسين بحسب التفصيل التالي:

1- إذا كان ما قبلهما ساكناً غير مدّ، كما في: (أَفْعَل، اسْتَفْعَل، يَفْعَلُ،...)، فإنهم يطرحون حركة الأول منهما على الساكن لأنه يقبلها، فيقولون: (أَمَدَّ، اسْتَمَدَّ، يَمُدُّ، يَعَضُّ، يَفْرُ،...) .

2- إذا كان ما قبلهما متحركاً أو مدّاً، كما في: (فَعَلَ، انْفَعَلَ، افْعَلَلُ،...)، وكما في: (فاعل، فوعل، افعالل،...)، فإنهم يطرحون حركة الأول منهما جانباً لأن ما قبلهما لا يقبل الحركة، فيقولون: (مدّ، انمدّ، احمرّ،...)، ويقولون: (شاقّ، شوقّ، احمارّ،...) .

ولا يستعملون الإدغام في الأسماء الجامدة وأسماء الأحداث وأسماء الجبلّة التي هي صفة مشبهه باسم الفاعل، لأنه يوجد في هذه الأنواع من الأسماء ما هو ساكن العين؛ فالإدغام موجود فيه أصلاً، نحو: (جَبُّ، مَدُّ، حُرُّ)، وفيها يوجد أيضاً ما هو متحرك العين - مما يكون الإدغام في مثله - فلم يدغم هنا ثلثا يلتبس؛ كما قال أبو الحسن ابن كيسان، بالساكن العين المذكور، نحو: (طَلَّلٌ وَشَلَّلٌ وَطَبَّبٌ). يستثنى من ذلك صيغ جمع التكسير: (أَفْعَلٌ، أَفْعَلَةٌ، أَفْعَالٌ)، وصيغ منتهى الجموع، نحو: (أَكْفٌ، أَرْقَةٌ، أَخْلَاءٌ، دَوَابٌّ)، بخلاف نحو: (جُدُّ، ذُرٌّ، قِمَمٌ، دَبَبَةٌ، بَرَرَةٌ).

وطبعاً يمتنع الإدغام:

- فيما سكن فيه اللام، نحو: (مَدَدْتُ، مَدَدْنَا، مَدَدْنُ، واحْمَرَّرْتُ،...)،
- وفيما سكن للجازم جاء فك الإدغام كثيراً، نحو: «ومن يرتدد منكم عن دينه»، «فليملل وليه بالعدل»، «اشدد به أزري». وجاء الإدغام، وعليه: «ومن يشاق الله فإن...». وبنو تميم يستعملون الإدغام.

بقي أن المتجانسين إذا كانا من كلمتين جاز الإدغام وعدمه، وله الفضل عند كثرة الحركات، نحو: «ويجعلُ لك قصورا». ويتركونه إذا كان ما قبل المتجانسين ساكناً أو كان المتجانسان همزتين، مثل: (شَهْرُ رَمَضان، قرأ آية)¹.

4.13. إجراءات صرفية

¹ وقد وصلتنا نصوص جاءت على الأصل؛ أي بلا إدغام، مثل قولهم: ضببت الأرض؛ إذا كثر ضيآبها؛ جمع ضب، وقطط الشعر؛ أي قَصُرُ وجعد، ولَحِجَتِ العين؛ أي لصق أجنانها بالرَمَص، والرَمَص: وسخ أبيض جامد يجتمع في موق العين. وعزرت الناقة؛ أي ضاق مجرى لبنها. ويلاحظ أن ما جاء به السماع على الأصل جاء كله على (فعل). وجاء الأصل فيما فيه المثلان ياءان، نحو حَيَّيْ وَعَيَّيْ، وجاء الإدغام أيضاً. قال أبو النجم العجلي فالكميت:

الحمد لله العلي الأجل
إليكم ذوي آل النبي تطلعت نوازع من قلبي ظماء وألببُ

في إجراء هذه الأمثلة - وهي أمثلة متنوعة مما جاء وزنه مختلفاً عن الوزن الأساس¹ - سأقتصر على ذكر الوزن الأساس لكل منها، وأذكر الأسباب التي آلت به إلى وزنه المختلف.

1- (بَاعَ): أصله (بَاعَ) على وزن (فَعَلَ)، تعذر تحريك الألف فجاء على (فَعَلَ) وهذا الوزن غير موجود في أوزان الفعل الماضي في الأساس، فلا يحدث به لبس.

2- (أَقَامَ): أصله (أَقَامَ) على وزن (أَفْعَلَ)، تعذر تحريك الألف فنقلت حركته إلى الساكن الذي قبله فجاء على (أَفْعَلَ). وهذا الوزن لا يوجد أيضاً في أوزان الفعل الماضي، فلا يحدث به لبس.

3- (عَضَّ): أصله (عَضَضَ) على وزن (فَعَلَ)، استنتقل تحريك متجانسين متجاورين متطرفين فطرحت حركة الأول منهما، وأدغما فجاء على (فَعَلَ).

4- (اطْمَأَنَّ): أصله (اطْمَأَنَّ) على وزن (افْعَلَّ)، استنتقل فيه تحريك متجانسين متجاورين متطرفين، فطرحت حركة الأول منهما على الساكن الذي قبلهما، فجاء على (افْعَلَّ).

5- (اصْطَبَرَ): أصله (اصْتَبَرَ) على وزن (افْتَعَلَ)، عسر نطق التاء بعد الصاد لتتأخرهما انفتاحا وانطباقاً، فقلبت التاء طاءً، فجاء على (افْطَعَلَ).

6- (تَمْطَى): أصله (تَمْطَطَّ) من (مَطَّ)، على وزن (تَفَعَّلَ) توالى فيه ثلاثة أحرف من جنس واحد، فأبدل الأخير منهما ألفاً، فجاء على (تَفَعَّلَ).

¹ الوزن الأساس: هو الوزن الذي لم يدخل عليه إعلال ولا إبدال ولا إدغام.

7- (قُمْتُ): أصله (قَامْتُ) على وزن (فَعَلْتُ)، تعذر تحريك الألف، كما تقدم، فجاء على (فَعَلْتُ)، فالتقى ساكنان، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فجاء على (فُلْتُ).

8- (رَمَوْا): أصله (رَمَأُوا) على وزن (فَعَلُوا)، تعذر تحريك الألف، فالتقى ساكنان، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فجاء على (فَعَوَا) وهذا الوزن غير موجود في أوزان الماضي، فلا يحدث به ليس.

9- (بَرِثُ): أصله (بَوْرِثُ) على وزن (يَفْعُلُ)، استثقلت الواو فحذفت فجاء على (يَفْلُ).

10- (يُكْرِمُ): حقه أن يجيء (يُؤَكِّرِمُ) على وزن (يُؤَفْعَلُ)، استثقلت الهمزة فحذفت، كما تحذف همزة الوصل من كل مضارع ماضيه مبدوء بها، فجاء على (يَفْعُلُ). ضموا حرف المضارعة معه لئلا يشتبه بمضارع (فَعَلُ). وتبع ذلك بقية الرباعي.

11- (يَغْزُو): أصله (يَغْزَأُ) على وزن (يَفْعُلُ)، تعذر تحريك الألف، فسكن، ثم قلب إلى واوٍ مدٍ ليناسب الضمة التي قبله، فجاء على (يَفْعُلُ).

12- (يَقُومُ): أصله (يَقَامُ) على وزن (يَفْعُلُ)، تعذر تحريك الألف، فنقلت ضمته إلى الساكن الذي قبله، ثم قلب الألف واواً مداً ليناسب الضمة، لأن ذلك ممكن هنا، فجاء على (يَفْعُلُ).

13- (يَسْتَقِيمُ): أصله (يَسْتَقَامُ) على وزن (يَسْتَفْعَلُ)، تعذر تحريك الألف، فنقلت كسرتة إلى الساكن الذي قبله، ثم قلب الألف إلى ياء مدٍ ليناسب الكسرة التي على ما قبله، فجاء على (يَسْتَفْعَلُ).

14- (غَازِي): أصله (غَازِياً) على وزن (فَاعِلُ)، تعذر تحريك الألف، فسكن، ثم قلب إلى ياء مدٍ ليناسب الكسرة التي قبله، فجاء على (فَاعِلُ).

- 15- (بَايَعَ): أصله (بَاَعَ) على وزن (فَاعَلَ)، تعذر تحريك الألف، فقلب إلى أخته الياء لأنها تتحمل الحركة، وكان ذلك تبعاً لـ (يَفْعُلُ).
- 16- (غزوا): أصله (غزوا) على وزن (فَعَلَا)، تعذر تحريك الألف، فقلب إلى أخته الواو لأنها تتحمل الحركة، وكان ذلك تبعاً لـ (يَفْعُلُ).
- 17- (كيساء): أصله (كيساً) على وزن (فِعَالٍ)، تعذر تحريك الألف، ولم يمكن نقل حركته إلى ما قبله، لأنه ألف مثله، فقلب إلى همزة لتتحمل الحركة، وكانت الهمزة هنا لأن صوتها أوضح وأقوى في الدلالة على انتهاء الكلمة.

(فَعَلَا،...) و(يَفْعُلَانِ،...) كلمة واحدة، أقول:

يجعل النحاة كلاً من نحو:

(فَعَلْتُ، فَعَلَا، فَعَلْتَا، فَعَلُوا، فَعَلْنَا، فَعَلْتُ،...) - كما هو معروف -

كلمتين. وكذلك نحو:

(تَفْعَلِينَ، تَفْعَلَانِ، تَفْعَلُونَ، تَفْعَلْنَ، يَفْعَلَانِ، يَفْعَلُونَ، يَفْعَلْنَ) يجعلون كلاً

منها كلمتين أيضاً.

والصواب جعل كلاً من ذلك كلمة واحدة. للأسباب التالية:

1- لأن الكلمة شيء اعتباري¹، هي كما يصطلح عليها. والأصل في

الأشياء الاعتبارية أن يراعى فيها: الاطراد والبساطة.

وكون كل منها كلمة واحدة هو الذي يكون فيه الاطراد؛ إذ يغدو كما

يعتبرون: (فَعَلٌ، فَاعِلٌ، انْفَعَلٌ،...) و(يَفْعُلُ، أَفْعُلُ، نَفْعُلُ، تَفْعُلُ) وكذلك:

(فَاعِلٌ، فَاعِلَةٌ، فَاعِلَانِ، فَاعِلُونَ،...) كلمة واحدة؛ يغدو كل مما ذكر أولاً

وأخيراً كلمة واحدة فيطرده الاعتبار.

¹ إن الكلمة شيء اعتباري: لأن الكلمة في اللغة أصلاً تطلق على العبارة المفيدة.

وكون كل لفظة من الجميع كلمة واحدة هو الأبسط؛ فبدلاً من القول في (ضربتُ)، مثلاً: (ضَرَبْتُ): فعل ماض مبني على السكون، والتاء: (تُ) ضمير بارز متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل؛ بدلاً من كل ذلك نقول: (ضربتُ): فعل ماض مبني على الضم.

هذا ولا سيما أن الحروف المزادة في الجميع هي هي؛ كلها من عائلة (سألتمونيها)، ولاسيما أنه لا يوجد ما يفرض انتهاء الكلمة في كل ما يقولون أنه أكثر من كلمة¹.

فالأحرف المزادة في الصيغ كلها سواء؛ الأحرف المزادة كلها أبعاض من الكلمة المزداد فيها في الصيغ كلها، وليس بعضها: (حروف مبان)، وبعضها (حروف معان)، وبعضها (أسماء ضمائر).

2- لوجوب لفظ الأحرف المزادة مع الأصل لفظة واحدة، فيستحيل أن تلفظ - مثلاً - (فَعَأَ-) من (فَعَلْتُ) لوحدها، ثم تلفظ (تُ) مستقلة عنها. ومثل هذا يقال عن كل ما يقولون عنه أنه مؤلف من كلمتين، ولاسيما أن الأحرف المزادة في الجميع لا تنفصل عن الأصل لا لفظاً ولا خطأً. وما سمئته كذلك؛ لا يكون إلا كلمة واحدة.

ولكن هذا لا يتعارض مع ضمائر الإضافة والمفعول به، لأن الضمائر هذه يتحرك ما قبلها بحسب العوامل - والمقرر هو أن آخر الكلمة هو ما تؤثر عليه العوامل - مما يفرض أن هذه الصلات كلمات أخرى مستقلة عما توصل به، تقول: (كتابك جيد؛ وإن كتابك جيد، وفي كتابك فوائد جمة)، ونقول: (أكتبها، ولم أكتبها، ولن أكتبها). ويلحق بهذا: (كَتَبَهَا،

¹ الذي يفرض انتهاء الكلمة هو الحرف الذي عليه حركة الإعراب أو الحرف الذي هو الإعراب في الكلمة المعربة، وهو حرف مثل هذا في الكلمة المبنية.

ومع أن العرب لم تسكن فيما توالت فيه أربع متحركات مما هو كلمة واحدة من مثل (شَجْرَةٌ، فَرِحَةٌ، قَرْدَةٌ،...)، ولم تسكن فيما توالت فيه أربع متحركات مما هو كالكلمة الواحدة في اللفظ من مثل (ضَرَبْتُكَ، يَعِدُّكَ، قَلَمُكَ، كُتِبْتُكَ،...)،

دعوى واهية يسوقونها بحجة أوهى!.

4- لأن علامة الإعراب تقع - إذا قبلنا باعتبارهم - بعد ما يسمى بالضمائر في الأمثلة الخمسة: (يفعلان، تفعلان، يفعلون، تفعلون، تفعلين). وحق علامة الأعراب أن تكون على الحرف المعتبر آخرًا لا على حرف مفصول عن الآخر بكلمة، لأن الضمير بذلك يفصل بين الفعل وعلامة إعرابه. وهذا شيء لا نظير له، وهو شيء بعيد عن المنطق¹.

بينما إذا اعتبرنا كلاً من الأمثلة الخمسة: (يفعلان، تفعلان،...) كلمة واحدة؛ يكون الحرف الأخير الذي هو النون هو حرف الإعراب؛ وتكون هذه النون نظير التاء المربوطة المزادة على الاسم المذكر، مثل: (معلمة) مؤنث (معلم)، حيث صارت هذه التاء هي حرف الإعراب. وتكون هذه النون أيضاً نظير الياء المشددة المزادة على آخر الاسم للنسبة: مثل (دمشقي) للرجل المنسوب إلى (دمشق)، حيث صارت هذه الياء هي حرف الإعراب.

¹ بل هو بين ما هو كلمة واحدة، فكيف يصح تصور كلمة تفصل بين مقاطع كلمة واحدة؟!.

طبعاً صارت تاء التأنيث وياء النسبة في الكلمة التي زيدت فيها؛ صار كل منهما هو الحرف الأخير، وطبعاً صار كل منها كلمة واحدة عند الجميع.

5- لوجوب ظهور الضمائر المنفصلة: (أنا، نحن، أنت،...) معها حين العطف والتوكيد وحين وقوعها بعد واو الحال وإذا الفجائية، تقول: جئت أنا وزيد، وذهبت أنت نفسك، وعادوا وهم يضحكون، وخرجت فإذا هما يتخاصمان. وفي ذلك يكون مع الفعل الواحد ضميران للاسم المسند إليه إذا نحن قبلنا بما اعتبروه.

ثم لجواز ظهور هذه الضمائر معها مطلقاً، تقول: أنا أعمل، وأنتم تلعبون. أما إن لم يظهر الضمير المنفصل معها فذلك للاستغناء عنه بأن كان لكل ضمير صيغة محددة له، مثل: (فَعَلْتُ)؛ أي: (أنا فَعَلْتُ)، و(فعلتن)؛ أي: (أنتن فعلتن). وهكذا. والبلاغة - عندهم - في الإيجاز.

هذا ونعلم أنه مع الفعل الواحد لا يكون له من الاسم الظاهر - وهذا أساس يبني عليه - إلا مسند إليه واحد، فنقول: الزيدان قاما، وقام أو قاما الزيدان. ولا يصح مطلقاً أن تقول: الزيدان قام، ولا يصح أن تقول: قاما الزيدان، إلا على لغة أكلوني البراغيث.

وبذلك يتضح أن ما يزداد - في جميع الصيغ - أبعاض كلمات لا أنها مع البعض كلمات أخرى، ومع البعض أبعاض منها. فما يعد في ذلك ضمائر أو حروف معان خطأ فادح وتعقيد كبير؛ يقتضي تيسير النحو الرجوع عنه. ولاسيما أن ما يعد منه كلمة ثانية، مثله مثل ما يعدونه زيادات لتأدية معاني التسبب والمشاركة والمطوعة والتظاهر...، ومثله مثل ما يعد زيادات لمقابلة الاسم المفرد بمثنى أو جمع، ومقابلته منكرراً بمعرف،

النحو الحق
النحو على قواعد جديدة
5- الأسماء

محمد علي رستاوي

5- الأسماء وأنواعها

إن الاستقصاء في بحث الأسماء حالة كونها كلمات مستقلة يحصرها في خمسة أنواع:

1 - أسماء هي كلمات حروفها متوافقة مع الفعل، فاء لفاء وعيناً لعين ولاماً للام، وفيها دلالة على الحدث الموجود في الفعل، وفيها بالإضافة إلى حروف الفعل حرف أو أكثر من حروف (سألتمونيها). وهذه هي: الأسماء المُشْتَقَّة.

2 - أسماء هي كلمات موضوعة للأجناس. وهذه هي: الأسماء الجامدة. والأصل في هذين النوعين من الأسماء أنها لـ (مفرد مذكر منكر مكبر دالٌّ على ذات صاحبه).

3 - أسماء هي كلمات متوافقة مع النوعين السابقين، وفيها دلالة منها، هي دلالة مقابلة لها. وفيها بالإضافة إلى حروف كل منهما حرف أو أكثر من حروف (سألتمونيها) تؤدي بها دلالة المقابلة. وهذه هي الأسماء الفرعية عن الأسماء.

4 - أسماء هي كلمات توضع ارتجالاً أو نقلاً من أي نوع من الأنواع السابقة، يحتاج لوضعها دائماً. وهذه هي أسماء الأعلام.

5 - أسماء هي مجموعات من الكلمات موضوعة لأغراض، ولكل منها معنى عام - فهي أشبه بالحروف - إلا أن لكل من الحروف معنى خاص. وقد سميتُها بالأسماء الغرضية.

5.1. الأسماء المشتقة

الأسماء المشتقة هي الأسماء التي تؤخذ من الفعل، وهي: اسم الفاعل، واسم المفعول، وأسماء المبالغة، واسم التفضيل، واسم الجبلة، واسم الحدث، واسم الزمان والمكان، واسم الآلة.

5.1.1. اسم الفاعل

اسم الفاعل هو اسم مشتق من الفعل للدلالة على من قام بالفعل، نحو: (كاتب، مجتهد،...); الأول قائم بالكتابة، والثاني قائم بالاجتهاد،... وهو يصاغ من الفعل تبعاً لفئتين:

- فئة الثلاثي؛ فيكون على وزن (فاعل)، مثل: (ضارب، سالم،...).
- فئة غير الثلاثي؛ فيكون على وزن المضارع مبدلةً مَرِيدَاتِهِ الأوائِل ميماً مضمومة، مثل (مُكْرِمٌ، مُقَاتِلٌ، مُدَحْرَجٌ، مُتَعَلِّمٌ، مُسْتَقْرَضٌ،...).

5.1.2. اسم المفعول

اسم المفعول هو اسم مشتق من الفعل للدلالة على من وقع عليه الفعل، نحو: (مجروح، مكرم،...); الأول وقع عليه الجرح، والثاني وقع عليه الإكرام،...

وهو يصاغ من الفعل تبعاً لفئتين:

- فئة الثلاثي؛ فيكون على وزن (مفعول)، مثل: (مكتوب، مُذْهُوب به،...).

- فئة غير الثلاثي؛ فيكون على وزن اسم الفاعل منها مبدلةً فيه كسرة ما قبل آخره فتحة، مثل: (مُكْرِمٌ، مُقَاتِلٌ، مُدَحْرَجٌ، مُتَعَلِّمٌ، مُسْتَقْرَضٌ،...).

ملاحظة: إن صيغتي: (فاعل) و(مفعول) كان حقهما - طرداً للباب - أن تكونا على (مُفْعِلٍ، مُفْعَلٍ) لولا أنهم جعلوهما لـ (أَفْعَلٍ) محذوفةً همزته.

1.2.5.1. أ. إجراءات صرفية

جاء من غير السالم اسم الفاعل على نحو: (قائد، غاز، جاء، مختار، مشتق،...).

وجاء اسم المفعول على نحو: (مرمي، مصون، مبيع،...).

1- (قائد): أصلها؛ أي مثالها من السالم (قائد)، تعذر تحريك الألف، فقلب إلى همزة، لتقارب مخرجيهما.

2- (غاز): أصلها (غازاً)، تعذر تحريك الألف، فطرحت حركته، فتوالى ساكنان؛ الألف ونون التنوين، فحذف الألف لالتقاء الساكنين. وهكذا كل ما كان مأخوذاً من فعل آخره ألف.

3- (جاء): أصلها (جاءء)، توالى همزتان، فقلبت ثانيتهما ياءً مداً لنتاسب حركة الأولى، وتوالى الهمزتين ثقيل يتخففون منه، ثم أعلت، ك: (غاز)، فوزنها (فاع).

4- (مختار): أصلها اسم فاعل (مختار) واسم مفعول (مختار)، تعذر تحريك الألف، فحذفت حركته فتماثلت الصيغتان، واعتمد على القرائن للتفريق بينهما.

5- (مشتق): أصلها اسم فاعل (مشتق) واسم مفعول (مشتق)، توالى مثلاً؛ قافان، فطرحت حركة الأول منهما جانباً للتخفيف، وأدغما.

6- (مرمي): أصلها (مرموي)، تعذر تحريك الألف (المقصورة) فقلبت - تبعاً لـ (يفعل) - ياء، فتوالى الواو والياء، فخففت الواو بقلبها ياء لتقاربهما، وأدغمتا.

7- (مصون): أصلها (مصان)، تعذر تحريك الألف، فنقلت ضمته إلى الصاد، فالتقى ساكنان، فحذف الألف لالتقاء الساكنين، فوزنها (مفول).

8- (مَبِيع): أصلها (مَبَاوِع)، تعذر تحريك الألف، فنقلت ضمته إلى الياء، فالتقى ساكنان، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، ولما كان من ذوات (يَفْعُلُ) قلبت ضمته كسرةً، وتبعثها الواو فانقلبت إلى ياء لتناسب الكسرة، فوزنها (مفيل).

ملاحظة: وقد جاءت صيغة (مفعول) من ذوات الألف عيناً بغير حذف، قال علقمة الفحل:

حتى تذكر بيضات وهيجه يوم رذاذ عليه الريح مغيوم
وبنو تميم كثيراً ما يتركون الحذف في ذي الياء. وقد أجاز المبرد القياس على الإتمام.

وحبذا لو أخذ مجمع اللغة العربية برأي المبرد، لأن عاميتنا لا تستعمل غير الإتمام.

5.1.3. أسماء المبالغة

هنالك أسماء لمن بالغ بالقيام بالفعل، وأسماء لمن بولغ بوقوع الفعل عليه. فهي لمبالغة اسم الفاعل ومبالغة اسم المفعول. للأولى منها:

(فَعُول) ك: (أَكُول، شَرُوب،...)

(فُعَلَة) ك: (هُمَزَة، لُمَزَة،...)¹.

وللثانية منها - أي مبالغة اسم المفعول -:

¹ أما (فَعَالٌ) ك: (جَبَّارٌ، كَذَّابٌ،...)، (فُعَالَة) ك: (رَحَالَة، عَلَامَة،...)، (فَعِيلٌ) ك: (صِدِّيقٌ، سَكِّيرٌ،...)، (مَفْعَالٌ) ك: (مَقْدَامٌ، مَغْوَارٌ،...)، (مَفْعِيلٌ) ك: (مَسْكِينٌ، مَعْطِيرٌ،...)، فإن في هذه الصيغ ما في صيغة (فَعَلٌ) من المبالغة والتكثير، فالأولى جعلها مأخوذة منها.

(فَعِيل) ك: (أسير، كحيل،...)، وهذه تأتي لمبالغة اسم الفاعل كـ:
(عليم، خبير،...)،
(فُعْلَة) ك: (ضُحْكة، هُزْأة،...)،
وهناك أوزان أخرى لهما. إنما هذه أكثرها دوراناً.

أسماء المبالغة قياسية

قال النحاة: إن أوزان المبالغة سماعية فيحفظ ما ورد منها ولا يقاس عليه.

وأقول: ما دامت تدل على المبالغة فالأولى جعلها قياسية، لأننا بحاجة لأن نبالغ في أشياء لم يبالغوا هم بها، وللسير مع السعة في اللغة، ولاسيما أن (فعالاً) للفاعل و(فعللاً) للمفعول قد سمعنا كثيراً. وليس بفرض لأن تكونا قياسيتين أن يسمع منهما المئات.
وقد قال أبو جعفر: لو كنا لا نلتفت إلا بما نطقوا ولا نقيس لبطل أكثر الكلام.

وقد سمع الخليل رجلاً ينشد: ترفع المجد بنا فارفعنا...، فقال له الخليل: هذا لا يكون، فقال الرجل: كيف جاز للعجاج أن يقول: تقاعس المجد بنا فاقعنسنا. فلم يرأده الخليل على ثقل قياسه.
وقد سمع سيبويه بشاراً ينشد:

على الغزلى منى السلام، فربما لهوت بها في ظل مرعومة الزهر¹
فقال: لم تستعمل العرب (الغزلى)، فقال بشار: هي مثل: (البشكى،
والجمزى).

¹ المرعومة: المألوفة.

أراد سيبويه قصر اللغة على المسموع، وأراد بشار القياس. إن سيبويه أعلم باللغة، ولكن بشار أفقه بها. وروى لبشار مثل ذلك مع الأخفش. وقد سمع نحويّ الشاعرَ عمر الكلبى يقول:

بانّت نعيمة والدينا مفرقة وحال من دونها غيران مزعوج
فقال النحوي: لا يقال: (مزعوج) بل (منزعج)، فقال عمر الكلبى:

ماذا لقينا من المستعربين ومن قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم وبين قوم على إعرابهم طبعوا!.

5.1.4. اسم التفضيل

اسم التفضيل هو الاسم المشتق من الفعل للدلالة على من زاد في الفعل على من شاركه فيه. فإذا قلت: هند أجمل من رفيقتها؛ عنيت أن هنداً ورفيقتها مشتركتان في الجمال، ولكن هنداً لها زيادة في الجمال على رفيقتها.

وهو يصاغ من الثلاثي الذي صفته ليست على (أفعل) على وزن (أفعل)، تقول: الشمس أبعد من القمر، وهند أجمل فتاة، وأنا أشدُّ تمسكاً بمعتقدى منك، وهذا أقلُّ عرجاً من ذلك، وأنت أجود جواباً من صاحبك. ويجيء اسم التفضيل - في المعرفة - مؤنثه على (فعلى)، تقول: جاءت سعاد الفضلى، وسعاد وأختاها فضليات البنات.

فاسم التفضيل معرفاً بالألف واللام تجب مطابقتها للموصوف، ومعرفاً بالإضافة تجوز فيه المطابقة، قالوا: الناقص والأشج¹ أعدلا بني أمية. فإذا كان نكرة لزم صيغة (أفعل)؛ أي لزم صورة المفرد المذكر المنكر، تقول: رأيت النساء أوضح دخيلة من الرجال.

¹ الناقص: هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك، والأشج: هو عمر بن عبد العزيز.

5.1.5. اسم الظرف

اسم الظرف هو الاسم المشتق من الفعل للدلالة على زمان وقوع الفعل أو مكانه، تقول: حضرت مَقْتَلَ زيد، تعني زمان قتله، وتقول: هنا مقتل زيد، تعني مكان قتله. وهو يصاغ من الفعل تبعاً لفئتين:

- فئة الثلاثي، فيكون على وزن (مَفْعَلٍ)، نحو: (مَقْعَدٌ، مَذْهَبٌ، مَلْعَبٌ، مَقَامٌ، مَلْهَى،...)، ولكن عينه تكسر مع ما عينه مكسورة في المضارع، نحو: (مَجْلِسٌ، مَوْعِدٌ، مَوْضِعٌ¹،...)، فكان وزنه (مَفْعَلٌ).

وقد جاء على (مَفْعَلٍ) من المضموم العين في المضارع: (المنسِكُ، المَجْزِرُ، المنبِتُ، المطيِّعُ، المَشْرِقُ، المَغْرِبُ، المَفْرِقُ، المَسْكِنُ، المَرْفِيقُ، المَسْجِدُ، المَسْقِطُ،...)، ولكن الـ (مَفْعَلُ) فيها وارد.

- فئة غير الثلاثي، فيكون على وزن اسم المفعول منه، نحو: (مَلْتَقَى، مَجْمَعٌ، مَسْتَقَرٌ، مَسْتَوْدَعٌ،...).

ويلاحظ أن (مَفْعَلًا) يؤنث فيصبح على (مَفْعَلَةٌ) للدلالة:

1- على المكان الذي يكثر فيه الفعل، نحو: (مدرسة، مجزرة، مصبغة،...).

2- على المكان الذي يكثر فيه شيء يؤخذ الفعل منه، نحو: (مدجنة، مذئبة، مقناة،...). فهذه للأمكنة التي تكثر فيها الدواجن والذئاب والقنّاء،....

¹ إن (يَضَعُ) حقه الكسر، وإنما فتحت عينه لثقل حرف الحلق كما هو معلوم. لذلك جاء الموضع على (مَفْعَلٍ).

3- على ما يكون سبب الفعل، نحو: الولد مجبنة مبخلة، والفراغ مفسدة، وأنت لنا مفخرة. وهذا إنما يؤخذ - كما في الأمثلة - من الأفعال النفسية فتكون النفس هنا هي مكان الفعل.

ملاحظة: لقد دلت (مفعلة) على أن (مفعل) هو الأصل لهذا النوع من المشتقات. أما ما جاء على (مفعلة) منه فشاذ، نحو: (مقبرة) والفتح فيها أفصح. وقال عنها الزمخشري: {إنه غير مذهب بها مذهب الفعل}. ثم إنه بجعل (مفعل) أصلاً لهذه الأسماء من الثلاثي تسلك جميع صيغه بقاعدة واحدة هي: إن اسم الظرف دائماً يأتي على وزن الفعل المضارع المبني للمجهول.

5.1.6. اسم الآلة

اسم الآلة هو الاسم المشتق من الفعل للدلالة على الأداة التي يحصل بها الفعل. وأوزانه هي:

1- (مفعال، مفعّل) فيما لمح فيه التذكير، نحو: (مفتاح، ميزان،...؛ مبرد، مقود،...؛) و(مفعلة)، فيما لمح فيه التأنيث، نحو: (مطرقة، ممحاة،...).

وجاء قليلاً عن العرب (مفعّل، ومفعلة)، نحو: (مُسْعَط، ومُنْخَل،...؛ مُحْرُضَة، ومكحلة،...) مع جواز الأصل. وعنه قال سيبويه: {إنهم لم يذهبوا به مذهب الفعل}.

2- (فاعول، وفاعولة)، نحو: (جاروف، وهاوون،...؛ وطاحونة، وناعورة).

3- (فعلال)، نحو: (سروال، وفسطاط، وتلفاز،...).

4- (فَعَّال، وفَعَّالة)، نحو: (جرار، وبراد،...؛ حصادة، وكماشة،...).

وضعهما المجمع اللغوي.

5- (فعال)، نحو: (حزام، وفراش، ودثار،...). ذكر هذا الوزن محمد الإبطاكي.

6- وهناك أسماء آلات غير مشتقة كأنما وضعت قبل أن يظهر الاشتقاق، نحو: (إبرة، وسكين، وفأس، وقَدوم،...).

ثم إن العرب تتصرف بالأوزان إذا لم يقع في ذلك لَبَس، وإلا ما الفرق بين مِفْتَح، ومِفْتاح، أو بين مُنْخَل، ومِنْخَل؟!.

وأرى أن (مَفْعَل، مِفْعَلَة، فِعَال) أصلهن (مِفْعَال)؛ خُفِفَ (مَفْعَل، مِفْعَلَة) بحذف الألف، وخُفِفَ (فِعَال) بحذف ميمه بعد نقل كسرتها إلى الفاء.

5.1.7. اسم الجبيلة (الصفة المشبهة)

اسم الجبيلة هو الاسم المشتق من الفعل للدلالة على من قام به الفعل، فهو لمتصف بالحدث اتصافاً لا يزول، كأن صاحبه قد جُبِلَ عليه، وهي بالتالي كالاسم الجامد.

1- وهو يأتي من (فَعَلَّ) المكسور العين: مما دل على عَرَضَ على (فَعَلَّ)، نحو: (فَرِحَ، قَلِقَ، أَسِفَ،...); ومما دل على لون أو خَلْقَة على (أَفْعَلَّ)، نحو: (أَحْمَر، أَحور، أَبْكَم،...); ومما دل على تَأَثَّرَ نفسي أو جسمي على (فَعَلَّان)، نحو: (غَضبان، عطشان، عريان،...).

2- وهو يأتي من (فَعَلَّ) المضموم العين: على (فَعِيل) كـ: (جميل، كريم، ظريف،...); وعلى مُخَفِّفه: (فَعَلَّ) كـ: (خَشِنَ وَسَمِحَ،...); وعلى (فَعَلَّ) كـ: (ضَخِمَ، سَمِحَ،...).

ويأتي منهما على أوزان كثيرة أخرى؛ أشهرها: (فَعُول) كـ: (عجوز، وقور، عجول،...); و(فَعَال) كـ: (جبان، رزان،...); و(فَعَلَّ) كـ: (حَسَن، بَطَل،...); و(فَعَال) كـ (شجاع، فُرَات،...).

3- وهو يأتي من (فَعَلَ) المفتوح العين: على (أَفْعَلَ)، ك: (أَشْيَبَ، أَجْذَمَ، أَقْطَعَ، ...)؛ وعلى (فَيْعَلَ)، ك: (فَيْصَلَ، ضَيْغَمَ، صَيْرَفَ، ...)؛ ويأتي منه: مما عينه ألف على (فَيْعَلَ) ك: (سَيِّدَ، طَيِّبَ، هَيِّنَ، ...)؛ ومما لامه ألف أو من جنس عينه على (فَعِيلَ)؛ الأول ك: (صَقِيَ، ذَكِيَ، خَلِيَ، ...) والثاني؛ ك: (عَفِيفَ، طَيِّيبَ، خَلِيلَ، ...).
ولها صيغ سماعية كثيرة يدل على معناها السياق مثل: (بُهْلُولَ، صِنْدِيدَ، سِلْسَالَ، سَلْهَبَ، دِعِيلَ، زَمْهَرِيرَ، قَمْطَرِيرَ، ...).
ويؤدي معنى هذه الصفة اسمُ الفاعل والمفعول من الثلاثي وغيره مضافين للمسند إليه، ك: رابط الجأش¹، ومعتدل القامة، ومحزون القلب، ومسهد الجفن.

ثم إنني لم اسمها بالصفة المشبهة:

- 1- لأن مشابهتها لاسم الفاعل يشاركها به غيرها،
 - 2- ولأن تسميتها هذه لا تصدق على المعنى الذي تحمله شأن بقية المشتقات،
 - 3- ولأنها تختلف عنه معنىً وصياغةً وسلوكاً؛
- فمن جهة المعنى: هي تدل على صفة ثابتة، وهو يدل على صفة طارئة زائلة؛ هي لدوام الزمن، وهو لأحد الأزمنة.
- ومن جهة الصياغة: هي تصاغ من اللازم، وهو يصاغ من المتعدي، ومجيء أحدهما مما يجيء منه الآخر قليل؛ هي ذات أوزان كثيرة فوضى لا تتمشى مع الفعل، وهو ذو أوزان مفروضة تتمشى مع الفعل.

¹ العرب تقول: أنت رابط الجأش، أو أنت رابط جأشاً، أو أنت رابط جأشاً.

- ومن جهة السلوك: هي تؤنث بالتاء والألف، وهو لا يؤنث إلا بالتاء؛ هي يغلب أن تجمع جمع تكسير، وهو يغلب عليه أن يجمع جمعاً سالمًا؛ هي يستحسن أن تضاف إلى المسند إليه، وهو لا يجوز فيه ذلك، هي تخالف العمل فتتصب مع قصور فعلها، وهو لا يخالف.

5.1.8. اسم الحدث (المصدر)

اسم الحدث هو الاسم المشتق من الفعل للدلالة على الحدث ذاته، وهو يأتي من الثلاثي على صيغ عديدة، ولا يمكن تحديد أية صيغة منها لأي فعل إلا من المعاجم. ولكن هنالك صيغ تأتي كثيراً من بعض فئات الأفعال.

- 1- صيغ تتعلق بطبيعة الفعل، هي: (فَعَلٌ) من المتعدي، نحو: (ضَرَبَ، فهم، شدَّ،...؛) (فَعَلٌ) من اللازم (فَعَلٌ)، نحو: (فَرَحٌ، عَرَجٌ،...؛) و(فُعُول) من اللازم (فَعَلٌ)، نحو: (فُعُودٌ، صُمُودٌ،...؛) و(فَعَالَةٌ، فُعُولَةٌ) من (فَعَلٌ)، نحو: (جَزَالَةٌ،...، سُهُولَةٌ،...؛) و(فَعَلٌ، فِعَالٌ) من (فَعَلٌ) اللازم المعتل العين، نحو: (صُومٌ، مَوْتٌ، عَيْشٌ،...؛ صِيَامٌ، قِيَامٌ، غِيَابٌ،...).
- 2- صيغ تتعلق بنوعية الحدث، هي: (فَعِيلٌ) للسير والصوت، كـ: (دَبِيبٌ، صَهِيلٌ،...؛) و(فُعَالٌ) للصوت والداء، كـ: (صُرَاخٌ، دُورٌ،...؛) و(فِعَالٌ) للامتناع، كـ: (جِمَاحٌ، إِبَاقٌ،...؛) و(فَعَالَةٌ) للحرفة، كـ: (حِيَاكَةٌ، وَلايَةٌ،...). وهذه كلها من (فَعَلٌ) كما هو واضح. وجاء منها (فُعَلَةٌ) من (فَعَلٌ) للون، كـ: (حُمْرَةٌ، زُرْقَةٌ،...).

3- صيغ تستعمل لمعان في الحدث، هي: (فَعَلَةٌ) للمرة¹، تقول: ضربته ضَرْبَةً؛ أي واحدة، و(فِعْلَةٌ) للهيئة، تقول: وقف وقْفَةً الأبطال؛ أي على هيئتها؛ و(فَعْلَان) لتتابع وقوع الحدث، ك: (خَفَقَان، دوران،...)؛ و(مَفْعَل) للمفعولية، ك: (مَرْكَب، مسعى، موقع،...)؛ و(فَعَال) للمعرفة منه، ك: (حماد، فجار،...) ².

وسياتي على هذا توضيح.

4- صيغ لا ضابط لها، هي بالتمثيل: (شُرْب، عِلْم، دَعْوَى، ذِكْرَى، بُشْرَى، لَيَان، حُرْمَان، غُفْرَان، صِغْر، سَرِقَةٌ، غَلْبَةٌ، ذَهَاب، بُغَايَةٌ، كَرَاهِيَةٌ، دَخُول، سُودَد، جَبْرُوت، صِيرُورَةٌ، شَبِيْبَةٌ، تَهْلُكَةٌ، هُدَى، قِرَى)، الصيغتان الأخيرتان منها تختصان بالمنقوص من (فَعَل). هذه إلى أمثلة أخرى كثيرة هي أقل دوراناً منها. والمعاجم هي المرجع الأول والأخير في كل صيغ اسم الحدث.

توضيح على (فَعَال)، أقول:

إن صيغة (فَعَال) بكسر اللام تدل على اسم حدث معرفة مؤنث، فهي علم على حدث مؤنث. وإنما كسروه للدلالة على تأنيثه، وقد دلوا بالكسرة على التأنيث مع الضمير، نحو: (أَنْتِ، مِنْكِ، إِنَّكِ،...)، ومع الفعل، نحو: (قَمْتِ).

¹ أرى في هذه الصيغة حجة على أن الأصل في اسم الحدث أن يكون على (فَعَلٍ)، والحجاز تجعل اسم الحدث مما لم يسمع عليه، لأن بناء المرة في صيغ غير الثلاثي جاء بزيادة التاء لا غير.

² أما (تَفَعَال)، ك: (تَشْرَاب، تَسْأَل، تَصْهَال،...)، و(فَعَيْلَى)، ك: (خَلَيْفَى، حَنْثَى، رَمِيَا،...) فإنهما وإن دلا على مداومة الفعل فالأولى جعلهما اسمي حدث لـ (فَعَل).

فمن استعمال (فَعَالٍ) اسم حدث لا غير، قول النابغة فحسان فعوف بن الأحوص:

إنا اقتسنا خطبتنا بيننا فحملتُ برّةً واحتملتِ فجارِ
كنا ثمانية وكانوا جحفاً لجباً فشلّوا بالرماحِ بَدَادِ¹
فقلت امكثي حتى يسارِ، لعلنا نحجّ معاً. قالت: أعاماً وقابلة
أي احتملت الفجرة، وشلّوا البدّة، وامكثي حتى الميسرة. وتقول العرب:
أنت لا مساسِ، ودعني كفافِ، أي لامسْ بيني وبينك، والكف بيننا.
وقد استعملت العرب (فَعَالٍ) هذه في أربعة مجالات يكثر استعمال اسم
الحدث فيها، هي:

1- الأمر، فقالوا: بَرَاكَ، بمعنى ابركْ في الحرب، يقصدون الثبات، قال
الكميت فجرير فالطفيل بن يزيد:

نَعَاءِ جِذاماً غير موت ولا قتل ولكن فراقاً للدعائم والأصل
نَعَاءِ أبا ليلي لكل طِمْرَةٍ وجرءاء مثل القوس سمح حُجُولُهَا²
تَرَكَهَا من إبل تَرَكَهَا! أما ترى الموت لدى أوراكها
أي: انعها، وانعه، واتركها. واستعمال اسم الحدث في الأمر كثير
مشهور، كما في الآية: ﴿فَضْرِبِ الرِّقَابَ﴾، وقول امرئ القيس فالنابغة:
أ فَاطِمَ مهلاً بعضَ هذا التذلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي
حنانيكَ قد أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك، بعضُ الشر أهون من بعض
إذن فليس (فَعَالٍ) باسم فعل كما توهم النحاة.

¹ الجحفل: الجيش الكثير.

² الطِمْرَةُ: الفرس الشديد العدو.

2- النداء، قالوا: (يا فساق، يا خباث، يا لكاع، يا رطاب، يا دقار،...); وقالوا: {كرار كرىه، حداد حديه، فشاش فشيّة}. ومناداة اسم الحدث كثيرة مشهورة، كما في الآيتين: {يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله}، {يا أسفا على يوسف}، وهذا النداء للمبالغة.

3- الوصف حتى كأن الموصوف هو نفس اسم الحدث، قالوا: {منية حلاق وجباز، وحرب صرام، وسنة كلاح وجذام وأزام}، وقالوا: {عن الشمس: مَناذ وبراح، وعن الحمى: سباط، وعن المكان المرتفع: طمار، وعن الداهية: طمار وطبار وصمام، وعن الضبع: فأم وجعار وفحاج} وإلى غير ذلك.

والعرب كثيراً ما تصف بأسماء الأحداث، فنقول: {رجل عدل أو صدق أو كذب،...}، ونقول: {ضرب هير، وطعن تبر، ورمي سعر} وإلى غير ذلك.

4- الأعلام المؤنثة، والعرب سموا: {حدّام، قطام، غلاب، بهان، سجاج، رقاش لنسوة؛ وكساب وخطاف لكلبتين؛ وخصاف وسكاب لفرسين؛ وعرار لبقرة؛ وظفار لبلدة؛ وحظار لنجمة؛ ومناع وملاع لهضبنتين؛ ووبار وشراف لأرضين؛ ولصاف لجبل،...}، قال امرؤ القيس فليبيد فالنابغة:

قامت رقاش وأصحابي على عجل تبدي لك النحر واللّبات والجيدا
فتقصّدت منها كساب فضرّجت بدم، وغودر في المكر سُخامها
أتاركة تدلّها قطام وضناً بالتحية والسلام
وهذا عندهم كثير. والعرب تسمى بالمصدر وبغير المصدر.

والذي يدل أن (فَعَالٍ) اسم حدث استعماله بلفظ واحد مع المؤنث والمثنى والجمع، يقولون: {حذار يا هند، حذار يا زيدان، حذار يا هندات}، كما يقولون: {انتباها يا هند ويا زيدان ويا هندات}.

وبالتالي فليس (فَعَال) اسم فعل في قولهم: حذار حذار، بل هو اسم حدث استعمل في الطلب نائباً عن فعله، فكما تقول: اجتهداً أيها الطلاب، تقول: حذار من الكسل أيها الطلاب.

ثم إن بني تميم تمنعه من الصرف، قال الفرزدق - وهو تميمي -:

ندمت ندامة الكُسعي لَمَّا غَدت عني مطلقاً نواراً¹

وبعضهم يكسر ما ختم بالراء منه فقط، مثل: (عرار، ظفار،...)، بينما

بنو أسد تفتح (فَعَال)، فكأنه مثل (اجتهاداً) بغير تنوين².

ونرى لبيد يبني (نوار) على الكسر

أو لم تكن تدري نواراً بأنني وصَّالٌ عقد حبالٍ جذَّامها

8.1.5.1 أ صيغ أسماء الأحداث من غير الثلاثي

إن أسماء الأحداث من غير الثلاثي جميعها قياسية، صيغها تأتي بحسب صيغ أفعالها، فهي من غير (فَعَّلَ، وفاعِل، وفَعَّلَ) تتبع القاعدتين:

الأولى للمبدوءات بالتاء: تأتي أسماء الأحداث منها على وزن الماضي، إنما تبدل فتحة ما قبل الآخر ضمة. فهي من (تَفَعَّلَ) على (تَفَعَّلَ)؛ ومن (تَفَاعَلَ) على (تَفَاعَلَ)؛ ومن (تَفَعَّلَ) على (تَفَعَّلَ)؛ تقول: (تدحرج تدحرجاً، وتجلبب تجلبباً،...، وتقاتلوا تقاتلاً،...، وتعلم تعلماً،...).

والثانية للمبدوءات بالهمزة: تأتي أسماء الأحداث منها على وزن الماضي، إنما تُمدُّ فتحة ما قبل الآخر، ويكسر ما تبقى من فتحة فيه. فهي من (أَفْعَلَ) على (إفْعَال)، تقول: (أقدم إقداماً،...؛ وهي من (انْفَعَلَ) على

¹ يروى أنه بلغ من ندم الكسعي أنه عض إصبعه فقطعها.

² لم ينونوه لأنه معرف، لاحظ مثاله من غير المعرف؛ فإنه ينون، من مثل: رَجُلٌ بَجَالٌ عِباء، وامرأة حِصَانٌ رِزان ذراع، وفرس وساع، وبعير ثقال. بَجَالٌ: عظيم القدر. عِباء: عبي.

الأصول)، وليس المقصود بالزيادة في هذه القاعدة زيادة معنى بل زيادة حرف أو أكثر، لأننا نتعامل في هذا العلم مع الألفاظ لا مع المعاني. هذا هو الحكم الفصل في أي مشتق من الآخر. أما الرجوع إلى المعاني لتقرير ذلك؛ فإنه استدلال بغير المحسوس على المحسوس؛ أي هو استدلال ظني، ومثل هذا لا يتضح به حق من باطل. وبحسب القاعدة السابقة كان:

- 1- المعرف فرع المنكر لزيادة (الـ)، فـ: (رجل) أصل لـ (الرجل)،
- 2- والمصغر فرع المكبر لزيادة ياء التصغير، فـ: (رجل) أصل لـ (رجيل)،
- 3- والمؤنث فرع المذكر لزيادة تاء التأنيث أو ألفه، فـ: (معلم) أصل لـ (معلمة)،
- 4- والمثنى والجموع فروع عن المفرد، فـ: (رجل) أصل لـ (رجلان، رجال)،
- 5- والمنسوب فرع عن المنسوب إليه. فـ: (دمشق) أصل لـ (دمشقي)،
- 6- والمضارع فرع على الماضي لزيادة أحرف (نأتي) فيه، فـ: (فعل) أصل، بينما (أفعل، نفعل، تفعل، يفعل،...) فروع،
- 7- والمزيدات من الأفعال كلها فروع عن المجرد للزيادة المعروفة في كل منها. فـ: (علم) أصل، و(أعلم، علم، تعلم، استعلم،...) فروع عنها،
- 8- وكذلك صيغ التكلم والخطاب وبقية صيغ الغيبة فروع عن الفعل المسند للمفرد المذكر الغائب، فـ: (كتَبَ) أصل، و(كتَبْتُ، كتَبَا، كتَبُوا،...) فروع،
- 9- والمبني للمجهول فرع عن المبني للمعلوم، لأن (فعل) أثقل لفظاً من (فعل، فعل، فعل)،

- 10- وفي الفعل المعتل والمضاعف نجد: (قال، باع، عل،...) أخف من: (قول، بيع، علل،...).
- 11- ثم إن النفي فرع الإثبات لزيادة أداة النفي فيه، ففي قولنا: (ما قام) زيادة (ما) عن قولنا (قام)،
- 12- والطلب فرع الخبر لزيادة الأدوات الدالة عليه على الخبر، فالأمر والنهي والعرض والاستفهام والتحضيض والتمني والترجي والنداء كلها فروع عن الخبر، فقولنا (زيد قائم) أصل، وقولنا: (هل زيد قائم؟) فرع. وهكذا،
- 13- ولهذا كان الجزم والخفض والنصب فروع عن الرفع لزيادة العوامل لهن دونه، ففي (إن زيدا لن يقوم) عن (زيد يقوم) نجد زيادة (إن) لنصب (زيد)، وزيادة (لن) لنصب (يقوم). وهكذا.
- والزيادة في كل صيغة من صيغ اسم الحدث عن صيغ الفعل الماضي المسند للغائب المفرد المذكر المقابلة لها واضحة جداً:
- ففي الثلاثي (فَعَلٌ، فَعَلٌ) نجد زيادة التنوين،
 - وفي (فُعول، فُعولة، فُعالة) زيادة حرف أو أكثر،
 - وفي (فَعَلَةٌ، وفِعْلَةٌ) زيادة التاء عدا التنوين، وكذا ما يسمى بالمصدر الميمي والمصدر الصناعي.
 - وفي (فِعال، فِعالَة، فُعال، فُعال، فُعال، فُعال) زيادات واضحة.
 - وكذلك في (فَعَلان، تَفَعال، فِعالِي، مَفَعَل).
 - أما في غير الثلاثي فواضح زيادة الألف قبل الآخر، وتثقيل الكلمة بإبدال كل من فتحات صيغ الماضي بكسرات، تقول: (انفَعَل ← انفِعال، واستَفَعَل ← استَفِعال،...)، أما المبدوءات بالتاء (تفَعَل، تفاعل، تَفَعَل)

فيكفي إبدال فتحة ما قبل الآخر منهن بضمة. وقد اكتفي لجعل المبني للمجهول فرعاً - في حالات - ضم أوله فقط، أو كسر ما قبل آخره. ثم إن هذه الكثرة من الصيغ لأسماء الأحداث والتي لا قاعدة مطردة لكثير منها كيف تكون أصلاً؟ وهذا التعدد في اسم الحدث للفعل الواحد - فقد يكون للفعل الواحد مصدران أو ثلاثة أو أكثر، مثل: (خفق الشيء خَفَقًا وخفوفًا وخفقاناً) - فأَي منها يكون هو الأصل؟. إن هذا التعدد في اسم الحدث مثل التعدد في اسم الجبلة: (الصفة المشبهة) ومثله في جمع التكسير، ولا قائل بأن واحداً من هذين أصل. وفي كل من الصفة المشبهة وجمع التكسير من الصيغ الخفيفة ما في اسم الحدث، مع وضوح كثرة الصيغ الثقيلة في كل من الثلاثة. فكل ما كان فيه زيادة كان فرعاً عند جميع النحاة، فكيف يشذ اسم الحدث وحده؟!.

وفي جعل الفعل الماضي مصدرًا للجميع تطرد القاعدة، لأن كل ما عداه فيه زيادة عليه. ويكون للأسماء المشتقة - ومن بينها اسم الحدث - وحدة المنشأ، ويكون اسم الحدث كله - ثلاثياً وغير ثلاثي ميمياً وغير ميمي - مشتقاً.

8.1.5.1. أ. إجراءات صرفية

- 1- (مَدَدٌ): (فَعَلٌ)، توالى في آخرها مثلان متحركان ولم يطرحوا حركة الأول منهما، لأن (فَعَلٌ) تلتبس بـ (فَعَلٍ) الموجودتان في أسماء الأحداث.
- 2- (غَلِيَانٌ): (فَعَلَانٌ)، أصلها (غَلَّانٌ)، تعذر تحريك الألف، فقلب إلى ياء تبعاً لـ (يَفْعَلُ) لتتحمل الحركة عنه.

3- (صياغة): (فِعالَة)، أصلها (صِياغة)، تعذر تحريك الألف، فقلبت إلى واو تبعاً لـ (يَفْعُلُ) لتتحمل الحركة عنه، ثم قلبت الواو ياء لتتناسب الكسرة التي قبلها.

4- (غُور): (فُعول)، أصلها (غُور)، تعذر تحريك الألف، فقلب إلى همزة لتتحمل الحركة عنه.

5- (أفيعال): أصلها (أفوعال)، قلبت واوها ياء لتتناسب كسرة ما قبلها، طبعاً، وهذا عليهم أخف.

6- (دعاء، إهداء، إهداء...): أصلهن طبقاً للصحيح: (دعاً، إهدأ، إهدأ...)، جاءت ألف الفعل بعد ألف المصدر فتعذر لفظها فأبدلوا بالهمزة أمها. كانت همزة لأنها ذات صوت أوضح من الواو والياء في إنهاء الكلمة.

7- (تشاكي، تشكّي): ونحوهما، أصلهن طبقاً للصحيح: (تشاكي، تشكّي)، تعذر تحريك الألف فقلبوها ياء واستقلت الضمة قبل الياء فقلبوها إلى كسرة لتتناسب الياء. الياء جاءت عن الألف الممالة.

8- (إقامة، استقامة): ونحوهما، أصلهن طبقاً للصحيح: (إقام، استقام)، جاء ألف المصدر بعد ألف الفعل، فتعذر لفظها فحذفوها لالتقاء الساكنين، وعضوا عنها بالتاء، والتاء في هذه الأسماء لها سنة في (الفعلة، والمفاعلة).

9- (تربية، تجزئة): ونحوهما، أصلهن طبقاً للصحيح: (تربى، تجزى)، جاءت ألف الفعل بعد ياء المصدر فتعذر لفظها فأبدلوا بالتاء، واتبعوا ذلك مع المصدر للتخفيف، وربما جاء على ذلك شيء من الصحيح، مثل: (تجربة).

5.2. الأسماء الجامدة

الأسماء الجامدة هي الأسماء الموضوعة للأجناس المادية: الإنسان، الحيوان، النبات، الأشياء - وطبعاً هي لا تؤخذ من الفعل - فهي مثل: (رجل، فرس، شجرة، دار، تراب، ماء، كهرباء،...).

وهذه الأسماء لها أوزان كثيرة¹، غير أن أوزانها لا يستفاد منها في القولية عليها. إنما يستفاد منها لمعرفة القوالب العربية، ولنا أن نأتي بالكلمات الأعجمية - ولو بشيء من التغيير - على قلبها.

هذه الأوزان سأصنفها بحسب عدد حروفها تسهياً لحفظها؛ واقتصر منها على الشهيرة والكثيرة الدوران، فتكون لدينا منها: الأوزان الثلاثية، الأوزان الرباعية، الأوزان الخماسية، الأوزان التي تتفرع عن هؤلاء.

5.2.1. أوزان الأسماء الجامدة الثلاثية

مقدمة: ليس من الأسماء والأفعال ما هو أصلاً على أقل من ثلاثة أحرف. أما ما نجده على حرفين من الأسماء، فهذا قد أذهبت منه اللغة حرفاً مع الأيام تخفيفاً.

فالأسماء: (يد، دم، حر، ست، أو سه، دد، غد، فم، أب، أخ، حم، هن) أصلهن: (يدي، دمي، حرح، سته، ددن، غدو، فمو، أبو، أخو، حمو، هنو)، كلهن ثلاثيات. يظهر ذلك من تثنيتهن أو تكسيرهن أو تصغيرهن، فمثلاً: (دم، جمعها: دماء؛ ك: طبي، جمعها: طباء، وقد جاءت تثنيته على: دميان). و(أب، تثنيته: أبوان، وجمعه: آباء).

وقد جاء للثلاثي من الأسماء الجامدة الأبنية (الصيغ) التالية:

¹ عد منها سبويه 308، وأوصلوها بعده إلى 1200 وزن.

(فَعَلٌ)، مثل: (رأس، ثور، بيت، شمس،...)

(فُعِلٌ)، مثل: (قفل، قرط، برد، دب،...)

(فِعْلٌ)، مثل: (رجل، قرد، ضلع، ضرس،...)

(فَعَلٌ)، مثل: (فرس، قدم، جبل، جرس،...).

ومجيء الأسماء على هذه الأوزان كثير جداً، لأنها أخف لفظاً، ومجيئها على الأول أكثر، لأنه الأخف.

(فُعِلٌ)، مثل: (صُرِدَ، ربيع، جعل، وخز،...). وأرى أن أصل هذا

(فُعَالٌ) فقصر،

(فِعْلٌ)، مثل: (عنب، ضلَع، قدم، قرى،...). وهذا الوزن قليل وكأنه

مقصور عن (فُعَالٌ)،

(فَعَلٌ)، مثل: (رجل، عضد، ضبع، سبع،...)

(فَعِلٌ)، مثل: (كبد، فخذ، نمر، ورق،...)

(فُعِلٌ)، مثل: (أذن، عنق، أفق، ثلث،...)

(فِعْلٌ)، مثل: (إيل). وليس في اللغة غيرها، فلا يبحث عن هذه البنية.

ثم إنه يجوز في الأبنية الأربع الأخيرة إسكان الثاني، فتعود إلى الثلاث الأولى، كما يجوز في البنيتين (فَعَلٌ، فَعِلٌ) نقل حركة الثاني إلى الأول، فتعود بذلك الصيغ العشر إلى ست. وبذلك تخفف البنى الثقيلة.

1.5.2.1. أ. ما جاء من الثلاثي بالتاء

وقد جاء من الثلاثي بالتاء الأوزان التالية:

(فَعْلَةٌ)، نحو: (زهرة، وردة، نعجة، نحلة،...)

(فُعْلَةٌ)، نحو: (ركبة، غرفة، قربة، صرة،...)

(فِعْلَةٌ)، نحو: (قطعة، كسرة، ذئبة، بذرة،...)

(فَعْلَةٌ)، نحو: (رقبة، بقرة، شجرة، وزغة¹،...).

وهذه الأوزان تأتي عليها الأسماء كثيراً. وجاءت بِقَلَّةٍ على:

(فُعْلَةٌ)، نحو: (تخمة،...).

(فَعْلَةٌ)، نحو: (معدة،...).

وهناك أسماء قد حذف منها حرف، مثل: (سَنَّةٌ، شَفَّةٌ، رِئَةٌ، مِئَةٌ، فِئَةٌ، كُرَةٌ، ثُبَّةٌ²،...) وأشباههن.

5.2.1. ما يعامل معاملة الثلاثي في التفسير

هو ما مدت حركة ما قبل آخره، وله الأبنية التالية:

(فَعَالٌ)، مثل: (غزال، زمان، بنان، أتان،...).

(فُعَالٌ)، مثل: (غراب، تراب، زقاق، عقاب،...).

(فَعَالٌ)، مثل: (حمار، لسان، قماش، حصان،...).

(فَعُولٌ)، مثل: (عمود، قعود، زبور، قدوم،...).

(فَعِيلٌ)، مثل: (رغيف، ظليم³، سرير، غدير،...).

5.2.2. أوزان الأسماء الجامدة الرباعية

للأسماء الجامدة الرباعية الأوزان التالية:

(فَعَّلَلٌ)، نحو: (جعفر، صلصل)، ومثلهما: (أجدل، شأمل، شمال، ضهياً⁴، طابع، أرطى، يرمع، ضيغم، قنبر، رعشن، كوكب، جدول، قردد،...).

(فَعَّلَلٌ)، نحو: (زبرج⁵)، ومثله: (إصبع، فرسن، تحلى، دردم،...).

¹ الوزغة: دويبة مثل العطاءة سامة، جمعها: أوزاغ ووزاغ ووزغان.

² ثبة: جماعة، جمعها: ثبات وثبون.

³ الظليم: ذكر النعام.

⁴ الضهياً: المرأة تضاهي الرجل.

⁵ الزبرج: الذهب، وأيضاً الزبرج: السحاب الرقيق فيه حمرة.

(فُعَلُّ)، نحو: (برقع)، ومثله: (أَصْبَعُ، تُتَقَلُّ¹، زرقم، شريب،...)،
 (فِعْلَل)، نحو: (درهم)، ومثله: (إِصْبَعُ، عَثِيرُ، هَبْلَعُ²، جَنْدَبُ³، خَرُوعُ،
 معزى، قَنْبٌ،...)،
 (فُعَلَل)، نحو: (جُخْدَبُ)، ومثله: (تَنْضَبُ، عَلِيبُ، تَدْرَأُ، قَنْبِرُ، مَصْحَفُ،
 سَلْمٌ،...)،
 (فَعَلَل)، نحو: (تَنْضِيبٌ...)،
 (فِعْلَلُ = فِعْلٌ)، نحو: (قِمَطْرُ⁴)، ومثله: (خَيْفَسُ، بَلْعُنُ،...).

2.2.5.أ. ما يعامل معاملة الرباعي في التفسير

هو ما مدت حركة ما قبل آخره، وله الأبنية التالية:
 (فَعَلَل)، نحو: (صلصال)، ومثله: (داناق، سعدان، شيطان،
 توراب،...)،
 (فَعْلِل)، نحو: (قنديل)، ومثله: (إكليل، سكين، خنزير، عفريت،
 غسلين،...)،
 (فُعْلُول)، نحو: (عصفور)، ومثله: (أخدود، يسروع، ثوثور، معلوق،
 شوؤبوب،...)،
 (فَعْلَل)، نحو: (سرداب)، ومثله: (إعصار، جلباب، مصباح، تمثال،
 حرباء، إنسان، قرواح⁵، جريال⁶، ديوان، قنعاس، فرناس، معلاق،...)،

¹ تُتَقَلُّ: الثعلب أو جروه. الشريب: المولع بالشرب.

² هبلع: أكل؛ كثير البلع.

³ جندب، جندب: نوع من الجراد يصتر ويقفز ويطيير.

⁴ القمطر: وعاء الكتب.

⁵ قرواح: عال.

⁶ الجريال: صبغ أحمر، معرب.

(فُعَلَّل)، نحو: (طومار، ذبيان،...).

رأي في هذه الأوزان

لم أشأ أن أجعل للأسماء الرباعية سوى الأوزان السبعة السابقة، فلم أجعل (أرنب) على وزن (أفعل)، (وطابع) على وزن (فاعل)، و(كوكب) على وزن (فوعل) إلى آخره تبعاً لما يقول به الصرفيون.

- لأن هذا يعطي أوزاناً (صيغاً) لا يستطيع حفظها طالب يقضي في دراستها شطر حياته. وإنما توضع الصيغ ليسهل على المتعلم أمر تحصيل العلم، أما إن كانت هذه الصيغ تقتضي من المتعلم جل وقته دون أن يخرج منها بفائدة له تذكر، فالخير له في تركها وعدم التعب في تحصيلها. هذا في حين أنها لا تفيده في كثير ولا قليل.

- لأنه لا يسمح بالقولبة عليها، ولا يسمح أن يشتق مثلها من الكلمات الأخرى.

- لأنها كلها تجمع جمع (فَعَالِل) في حركاتها.

- لأن العرب يحكون المتصرفات إذا سموا بها فتدخل في اعتبار الجوامد، مثل تسميتهم: (سورة المؤمنون).

والقاعدة الحق: (أن الزيادة لا تقبل إلا بدليل)، وأن الأولى بما يؤدي إلى نظير أن يكون منه.

ثم إن ثبوت بعض الزيادات في بعض الكلمات لا يستدعي فرض أوزان جديدة لها، مع العلم أن أكثر ما يقولون بثبوت الزيادة فيه، له منصرف إلى وجه آخر. ولا يتضح الاشتقاق إلا بالمبدوء بالميم، مثل: (منخر، مُنْخَل، منبر،...)، وحتى في المعاجم إذا جعلنا - مثلاً - وزن (أرنب): (أفعل)، فإننا لا نجد كلمة ثانية في مادة (ر، ن، ب)، بل نجد كلمات في مادة (أ، ر، ن، ب)، وهذه جعلُ صيغتها (فَعَلَّل) أو (أفعل) لا يغير شيئاً.

وأرى أن نحو: (طابع، قالب، عالم،...) مسهلات الهمزة، والأصل: (طابع، قالب،...)، فما وزنها (فاعل)، بل (فَعَّلَ). وقد جاء بعضها في الشعر مهموزاً.

3.2.5. أوزان الأسماء الجامدة الخماسية

(فَعَّلَلٌ = فَعَّلَلٌ)، نحو: (سفرجل)، ومثله: (ألنجج، قرنبي، عفرنى، يلنجج، حفييل، سجنجل، كوألل، عطوّد، حبونن، صمحمح،...) ¹.
(فَعَّلَلٌ = فَعَّلَلٌ)، نحو: (جرذل)، ومثله: (إرذب²، زهيوط، حنظأو، عسوّد، سنور، قرطعبة،...) .

(فُعَلَّلٌ = فَعَّلَلٌ)، نحو: (قذعمل³)، ومثله: (جرامض،...) .

ما يشبه الأسماء الجامدة الخماسية

هو ما مدت حركة ما قبل آخره، وله الأبنية التالية:

(فَعَّلَلِيٌّ) من (فَعَّلَلٌ)، نحو: (قبعثري⁴) . وهنا جاءت الزيادة بعد الآخر لا قبله.

(فَعَّلَلِيٌّ) من (فَعَّلَلٌ)، نحو: (سلسييل)، ومثله: (مرمريس⁵، شفشليق خففق،...) . وأرى أن (فَعَّلَلِيٌّ) أصل لـ (فَعَّلَلِيٌّ) لكثرة هذا وقلة ذلك.
(فَعَّلَلِيٌّ) من (فَعَّلَلٌ)، نحو: (خزعبيل⁶) .

¹ ألنجج ويلنجج: عود البخور. القرنبي: دويبة كالخنفساء. الحفييل: شجر. الكوألل: القصير. العطود: الطويل. الصمحمح: الشديد المجتمع.

² الإرذب: القناة التي يجري ماؤها ظاهراً. الدهيوط: موضع. القرطعبة: قطعة خرقة.

³ القذعمل: الضخم من الإبل. الجرامض: الثقيل الوخم.

⁴ القبعثري: الجمل الضخم.

⁵ المرمريس: الرجل الداھية. الشفشليق: المسنة المسترخية اللحم. الخففق: الداھية.

⁶ الخزعبيل: الباطل.

يلاحظ أن أغلب مفردات هذه الأوزان من غريب اللغة، ويلاحظ أن أبنية الرباعي قليلة، وأن أبنية الخماسي أقل، وأن مفرداتهما لم تعد موجودة إلا في المعاجم .

5.3. الأسماء الفرعية

قلت إن الأصل للأسماء المشتقة والجامدة أنها موضوعة: لمفرد، منكر، مذكر، مكبر، ذاتي.

وقلت إن الأسماء الفرعية هي كلمات متوافقة مع هذين النوعين: (الأسماء المشتقة والأسماء الجامدة)، وفيها دلالة مقابلة لهما:

- المفرد يقابله المثني والجمع، - المنكر يقابله المعرف، - المذكر يقابله المؤنث، - المكبر يقابله المصغر، - الذاتي يقابله المنسوب إليه (المعزّو).

5.3.1. المثني والجمع

أ- المثني

المثني اسم فرعي يدل على مثلي مفرده، فبدلاً من القول: لي كتاب وكتاب¹؛ يقال: لي كتابان، وبدلاً من القول: مررت بامرأة وامرأة؛ يقال: مررت بامرتين. فيكون المثني بزيادة ألف أو ياء فنون مكسورة مع فتح ما كان آخراً في مفرده.

وحين التثنية تبقى صيغة المفرد محفوظة، إنما حركة إعرابه التي كانت الضمة تصبح الألف المزادة، وتصير هي موضع التغيير. ولكن المفرد: إذا كان محذوف اللام (لام الصيغة) وكانت ترد إليه بالإضافة؛ فإنها ترد إليه في المثني تقول في (أب وأخواتها): أبوان، أخوان، حموان،.... وإذا كان مقصوراً قلبت ألفه إلى إحدى أختيها (الواو والياء) القابلتين للتحريك، مثل: (عصوان، رحيان، أعشيان، مصطفىان،...).

¹ قال عامر بن الطفيل:

ولأثأرن بمالك وبمالك وأخي المروراة الذي لم يسند.
مالك ومالك: رجلان من قومه أصابتها غطفان.

وإذا كان ممدوداً قلبت همزته واواً تفريقاً بين ما همزته للتأنيث وما هي لغيره، مثل: (حمر اوان، صحراوان، خنفساوان،...).

ثم إن العرب:

ربما ثنوا أحد المتلازمين للدلالة عليهما، (كالأبوين: لأب والأم)،
(والمشرقين: للمشرق والمغرب)، (والعمرين: لأبي بكر وعمر)،
(والمروتين: للصفا والمروه)،

وربما ثنوا الجمع على التأويل بالجماعتين، قال: بين رماحي مالك
ونهشل، والمنافق كالشاة العائرة بين غنمين، وقالوا: لقاحان سوداوان.

ب- الجمع

الجمع اسم فرعي يدل على ثلاثة أمثال مفردة فأكثر، ويشمل:

1- جمع المذكر السالم

يكون هذا الجمع بزيادة واو أو ياء فنون مفتوحة مع ضم ما كان آخرها
في مفردة قبل الواو وكسره قبل الياء، نقول: المهندسون الزراعيون
يرشدون الفلاحين.

وحين الجمع هذا تبقى صيغة المفرد محفوظة مثل المثني، إنما حركة
إعرابه التي كانت الضمة تصبح الواو المزادة، وتصير هي موضع
التغيير.

وهذا الجمع يختص بأولى العلم وصفاتهم.

فيحتم لأسماء الفاعل منهم والمفعول من غير الثلاثي فيهما، ولأسماء
المبالغة، وللمصغر، والمنسوب، واسم التفضيل، مثل: (معلمون، مهانون،
كذابون، صديقون، رُجِيْلون، دمشقيون، الأقدمون).

ولا يمتنع عن اسم الفاعل والمفعول الثلاثيين، ولا عن صفة خالية من
التاء صالحة لها، نحو: (صادقون، مَصْدوقون، صعبون، جبانون،...).

ويصح في كل علم خال من التاء ومن التركيب، مثل: (أحمدون، سعيدون، مروانون، زكرياؤون،...).

ويصح في باب سنين، مثل: (سنون، عزون، كرون،...).
وجاء هذا الجمع - قليلاً - من مفردات أخرى، مثل: (أهلون، أرضون، بنون،...).

وفي هذا الجمع تحذف ألف المقصور وياء المنقوص لالتقاء الساكنين، نحو: (مُغزون، غازون،...) في جمع (مغزى، غازي،...). والأصل في ذلك: (مُغزاون، غازيون،...).

توضيحات

1- الصفة الخالية من التاء ولا تصلح لها؛ أي لا تصلح لأن تؤنث بالتاء، وهي:

تشمل الصيغتين (أفعل، فعلان)، فهاتان مؤنثاهما: (فعلاء، فعلى). تجمع الأولى منها على (فُعَلٍ)، نحو: (أحمر - حمر، أحذب - حذب، أحور - حور)، وتجمع الثانية على (فِعَالٍ، فَعَالِي، فُعَالِي)، نحو: (عطشان - عطاش، سكران - سكارى أو سُكَارِي). وتشمل أيضاً ما يستوى فيه المذكر والمؤنث، مثل: (صبور، قتييل، مغشم، مقال، عدل،...). فهذه تجمع جمع تكسير. وستأتي.

2- العلم الذي فيه التاء، مثل: (حمزة، طلحة، أسامة،...). فهذه تجمع بالألف والتاء، مثل: (طلحة - طلحات). ولكن الكوفيين أجازوا فيه أن يجمع جمع المذكر السالم فيصح لديهم أن تقول: (حمزة - حمزون)

3- العلم المركب، مثل: (معد يكرب، سيبيويه، تأبط شراً،...)، فإنه يجمع بزيادة (ذوو)، مثل: (معد يكرب - ذوو معد يكرب،...)

4- باب سنين، هو كل ثلاثي حذفت لامه و عوض عنها هاء التانيث ولم يكسر، مثل: (سنة - سنون، عضة - عضون، كرة - كرون،...) .
والأكثر في هذا أن يجمع بالالف والتاء، مثل: (سنة - سنوات).
ثم إن الأصل في الصفات أن تجمع جمع السلامة:
فما كان منها للمذكر العاقل جمع بجمع المذكر السالم، مثل: (عالم - عالمون،...) .
وما كان منها للمؤنث أو للمذكر غير العاقل يجمع بجمع المؤنث السالم، مثل: (صالحة - صالحات،...)، ومثل: (مفرد - مفردات،...) .

2- جمع المؤنث السالم

يكون هذا الجمع بزيادة ألف وتاء على مفرده، وفيه تصبح التاء حرف الإعراب. وهذا يقاس في كل:

1- ما ختم بالتاء، نحو: (فاطمة، شجرة، حمزة،...)، تقول في جمعه: (فاطمات، شجرات، حمزات،...)، ما عدا: (امرأة، أمة، شاة، شفة، أمّة، ملة)، فإنهم كسروهن على: (نساء، إماء، شياه، شفاه، أمم، ملل).

2- ما ختم بألف التانيث المقصورة، نحو: (ذكريات، فضليات، حباريات،...) .

3- ما ختم بألف التانيث الممدودة، نحو: (صحراوات، حسناوات، نفساوات، خنفساوات،...) .

4- ما كان لغير العاقل؛ صفة، نحو: (جبال راسيات، ودراهم معدودات،...)، أو مصغراً، نحو: (قليات، دريهات،...)، أو مبدوءاً بـ (ابن، أو ذو)، نحو: (بنات آوى، وذوات العقدة).

5- ما هو علم لأنثى، نحو: (هندات، سعادات، زينبات،...) .

6- ما هو اسم حدث من غير الثلاثي، نحو: (إكرامات، تحيات، استفسارات، اجتماعات،...).

وقد جمعوا بالألف والتاء غير ما ذكر، مثل: (سماوات، أمهات، حمامات، إسطبلات، تلفزيونات،...).

وفي هذا الجمع:

تحذف تاء المفرد، لئلا تتوالى تاءان للتأنيث، ولأن حذفها لا يحدث لبساً. كان حذف التاء لأن المعنى ناطق بها، مقتضٍ لها، حاكم بموضعها. وفيه تقلب ألف المقصور وهمزة الممدود كما تقلبان في التثنية. وفي نحو: (ظبيّة) يجب فتح العين، فنقول: (ظبيّات)، وفي نحو: (كسرة) و(غرُفة) يجوز فتح العين، ويجوز إتباعها للفاء.

3- جمع التكسير

الأصل في جمع التكسير كله أن يكون للأسماء دون الصفات والأعلام، وقد رأينا أن هذين لهما الجمع السالم؛ إنما على الوجوب تارة وعلى الجواز تارة. غير أن هناك صفات تشبه الأسماء بأوزانها ودلالاتها على ثبوت الصفة في صاحبها، فكانت لها معاملة الأسماء في ذلك، وكان لكل من الأسماء والصفات أوزان خاصة به. وجاءت أوزان مشتركة بينهما، فكانت لدينا من الثلاثي والملحق به:

أوزان تكسير الأسماء، وأوزان تكسير الصفات، والأوزان المشتركة بينهما، ثم يكون لدينا أوزان التكسير من غير الثلاثي.

أ- الأوزان المشتركة بين الأسماء والصفات

هي: (أفعال، فِعال، فُعَل، فُعَل).

1- (أفعال)

- يطرد في الثلاثي اسماً، نحو: (آلاف، أذراع، أرماع، أعضاد، أفخاذ، أعناق، أشجار،...).

- ويطرد في الثلاثي وصفاً، نحو: (أشياخ، أجلاف، أحرار، أبطال، أيقاظ، أشراف، أعداء،...).

2- (فِعال)

- يطرد في الثلاثي اسماً مذكراً ومؤنثاً، نحو: (ذئاب، رماح، سباع، قصاب، برام، رقاب،...).

- ويطرد في الثلاثي وصفاً مذكراً ومؤنثاً، نحو: (صعاب، حسان، وجاع، كرام، صباح، إناث،...)، جمع (صعب وصعبة، وحسن وحسنة،...).

3- (فُعُل)

- يطرد في ذي المد مذكراً ومؤنثاً، نحو: (قذل، كتب، قضب، عمد، صحف،...).

- ويطرد في ذي المد وصفاً مذكراً ومؤنثاً، نحو: (صنع، كنز، نذر، صبر،...).

4- (فُعُل)

- يطرد في (فُعلة) اسماً خاصة، نحو: (غرف، صرر، صور، تخم،...).

- ويطرد في (فُعلى) وصفاً خاصة، نحو: (كبر، سفل، على...).

يلاحظ أن مأتى هذا الوزن أختان: (فُعلة، فُعلى).

ب- الأوزان الخاصة بالأسماء

هي التوائم: (فِعْل وفُعْل، فُعول وفُعُل، أفْعِلَة وأفْعُل، فِعْلان وفُعْلان)، والمفرد: (فِعْلة)

1- (فعل وفعل)

- الأول يطرد في (فعل)، نحو: (كسر، قَطَط، فرى¹،...).
- والثاني يطرد في (فعل) نحو: (غرف، صور، ذرا،...).
- وقد اعتُبر التخفيف في نحو: (تُخَمَة، جُمَعَة، مَعَدَة،...) فقالوا: (تُخَم، جُمَع، مَعَد،...).

2- (فعل وفعل)

- الأول يطرد في الثلاثي مُثلث الفاء ساكن العين، نحو: (صُدور، عُرُوق، جُرُوح،...); جمع (صَدْر، عِرْق، جُرْح،...)، وفي مفتوح الفاء مفتوح العين ومكسورها، نحو: (أُسود، نُمور،...).
- والثاني يطرد في ذي المد، نحو: (أُتْن، حُمْر، قُضْب، عُمْد،...); جمع (أُتَان، حِمَار، قُضِيب، عُمُود،...).

3- (أفعل وأفعل)

- الأول يطرد في ذي المد من الأسماء المذكرة، نحو: (أزمنة، أحمرَة، أغرِبَة، أرغِفَة، أعمِدَة،...)، وهو يتحتم فيما لامه مُعتلّة أو من جنس العين، نحو: (أكسِيَة، أجنَة،...); جمع (كسَاء، جنين).
- والثاني يطرد في ذي المد من الأسماء المؤنثة، نحو: (أعناق، أذرُع، أعقَب، أيمن،...); جمع (عناق، ذراع، عقاب، يمين،...)، وفي الثلاثي، نحو: (أسهُم، أرْجُل،...); جمع (سهم، رِجْل،...).
- وقد جاء بعض (أفعل) على (فعل)، نحو: (صبيبة، فتية، إخوة،...); حذف همرته تخفيفاً ونقلت كسرة عينه إلى فائه، لاحظ أن: مفرداتهما من نوع واحد، وتصغيرهما واحد، وعدم قياسيته.

¹ فرى: جمع فريّة.

4- (فُعْلان وفُعْلان)

- الأول يطرد في ذي المد من نحو: (غزلان، خرفان،...)؛ وفيما أُحيل عليه من نحو: (جِرْدان، حيتان، نيران، فئران،...)؛ جمع (جُرْد، حوت، نار، فأر،...).

- والثاني يطرد في ذي المد، نحو: (رُغْفان،...)؛ وفيما أُحيل عليه من نحو: (رُعْيان، وسكان، وعميان،...)؛ جمع (راع، ساكن، أعمى،...).

5- (فَعْلَة)

- يَطْرُد هذا الوزن في الثلاثي المكسور الفاء والمضمومها ساكن العين، نحو: (قردة، هررة، فيلة، درجة، دبية، كوزة،...).

ت- الأوزان الخاصة بالصفات

هي: (فُعْل، فُعْالي، فُعْلي، فُعْلاء، فَعْلَة).

1- (فُعْل)

- يطرد في (أفْعَل) ومؤنثه (فَعْلَاء)، نحو: (حمر، زرق، عرج، كحل،...).

2- (فُعْالي)

- يطرد في (فُعْلان) ومؤنثه (فُعْلي)، نحو: (كُسْالي، سُكاري، عَطاشي،...). وضم الفاء في هذا أكثر من الفتح،

- ويطرد في معتل اللام من نحو: (خطيئة، عشية، هراوة،...)، تقول فيهن: (خطايا، عشايا، هراوى،...).

- ويطرد في (فَعْلَاء) اسماً أو وصفاً لأنثى لا مذكر له، وفي (فُعْلي) مضموم الفاء أو مكسورها، تقول: (صحاري، عذاري، حبالى، ذفاري،...). وفي هذا يجوز كسر اللام أيضاً، فيعود إلى صيغ منتَهَى الجموع.

3- (فَعَلَى)

- يطرد في (فَعِيل) بمعنى مفعول وما حمل عليه،
الأول، نحو: (قتلى، أسرى، شتى،...)،
والثاني، نحو: (هلكى، زمنى، حمقى، موتى،...).

4- (فُعَلَاء)

- يطرد في (فَعِيل) لمذكر عاقل صحيح اللام غير مضاعف، وما أحيل
عليه من (فاعل).

الأول، نحو: (كرماء، خلطاء، سمعاء،...)،
الثاني، نحو: (عقلاء، شعراء، صلحاء،...).

غير أنهم قد زادوا في أوله ألفاً وأسكنوا فاءه وكسروا عينه من معتل
اللام والمضاعف، فقالوا في نحو: (نبي، خليل،...)، (أنبياء، أخلاء،...).
وربما جاؤوا على هذا من الصحيح، نحو: (أصدقاء،...).

5- (فَعَلَّة)

- يطرد في (فاعل) لمذكر عاقل صحيح اللام، نحو: (سحرة، بررة،
صاغة، خونة،...). غير أنهم قد ضموا فاء الجمع مما لامه حرف علة،
فقالوا في نحو: (رام، غاز،...)، (رُماة، غُزاة،...).
أما (فُعَلَّ) ممدوداً وقد يقصر، ك: (عذال وعذل)؛ فالحق أنه جمع
(فَعَّال) لا (فاعل) لملاحظة كثرة الحدث فيهما.
وربما جاء معتل اللام على (فُعَلَّ)، نحو: (عُزَّى، سُرَّى،...).

آراء النحاة: في وزن (خطايا) ونحوها

1- ذهب الكوفيون إلى أن وزن (خطايا) جمع خطيئة على وزن
(فعالي). وإليه ذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي.

2- وذهب البصريون إلى (خطايا) على وزن (فعائل)، فالأصل في (خطايا) كان (خطائيء) التقت همزتان غير عينين، فأبدلت الثانية ياء تبعاً لحركة الأولى، فصارت (خطائي)، ثم أبدلت الياء ألفاً، لأن الهمزة عرضت في الجمع واللام معتلة، فصارت (خطاءا)، فأبدلت الهمزة على ما كان في الواحد، وهو الياء، فصارت (خطايا).

فالمراتب عندهم هكذا: خطاييء - خطائيء - خطائي خطاييء - خطاءا - خطايا.

وأرى أن (خطايا) إنما هي جمع (خطيئة)، استغنى بجمعها عن جمع (خطيئة)، لأنها الأسهل، ولأن به يمتنع الدور. والعرب أبداً تتجنب الإعلال الذي يؤدي إلى إعلال آخر. جمعوها كما جمعوا: (قضية، سببية، بقية،...).

ما هو الملحق بالثلاثي؟.

الملحق بالثلاثي هو الذي يكسر تكسير الثلاثي فيشمل ما يلي:

- 1- الثلاثي ذا التاء من نحو: (قَصْعَة، خِرْقَة، غُرْفَة، رَقِيَّة،...).
- 2- الثلاثي ذا المد قبل الآخر من نحو: (حمار، بعير، قعود،...).
- 3- الثلاثي من اسم الفاعل للمذكر العاقل من نحو: (كاتب، قاضٍ، بَارٌّ،...).

4- الثلاثي من الوزنين (أفعل، فعلان) ومؤنث كل منهما.

ث- جمع التكسير من الرباعي وما ألحق به:

كل ما تبقى من أوزان الأسماء المفردة من سوى ما تقدم يجمع على الوزن الحركي: (_ _ ا _ _) الذي هو فتحة ففتحة ممدودة فكسرة فالآخر، إنه يكسر على (فَعَالِل)، نحو: (ثعالب، قماطر، جماجم،...).

غير أنه إذا كان من الخماسي يجوز فيه مدّ كسرتة فيصبح وزنه
 (فعاليل) فتقول في: (فرزدق، عندليب،...)، (فرازيق وعناديل،...).
 وإذا كان من الملحق بالرباعي - و هو ما كان قبل آخره من الرباعي
 حرف مدّ - فالأكثر مد كسرتة أيضاً، تقول في نحو: (قنديل، عصفور،
 سرداب،...)، (قناديل، عصافير، سراديب،...).

مقارنة جموع التكسير مع مفرداتها:

إن مقارنة جموع التكسير مع مفرداتها تفرض تقابلاً بينها في نواح، هي:
 1- إن الجموع المؤنثة: (أفْعِلة، فَعْلَة، فِعْلة، فَعْلَى، فُعْلاء،...) كلها
 جاءت لمفردات مذكرة لا غير، وإن الجموع المذكرة: بعضها، مثل:
 (أفْعُل، فُعْل، فُعَل) جاءت لمفردات مؤنثة لا غير أيضاً، والبعض الآخر،
 مثل (أفْعَال، فُعَال، فُعْل، فُعْل،...) جاءت لمفردات مؤنثة ولأخواتها
 المذكرة. مثلاً: (هَررة: جمع هرّ، هَرر: جمع هرّة، وحُمْر: جمع حمراء
 وأحمر)، و(فُعَال): جمع لـ (فَعْلَة، وفُعَل). وقد أنثوا بعض هذه مع
 المذكر، فقالوا: (حجارة، جَمَالَة، بعولة، عبادة،...).

ثم لاحظ اسم الجنس الجمعي، وهو في الواقع بدون التاء بينما مفردة
 بالتاء، وذلك مثل: (تمر، تفاح، دجاج،...) في مقابل: (تمرة، تفاحة،
 دجاجة،...)، ولاحظ عكسه، مثل: (حَمَالَة، صرّافة، شافعية،...) في مقابل:
 (حمال، صراف، شافعي،...).

2- إن الجموع الممنوعة من الصرف: (فَعْلَى، فُعْلاء، فعائل،...) جاءت
 لمفردات مصروفة لا غير، وإن الجموع المصروفة؛ بعضها، مثل: (فُعْل،
 فُعَال) جاءت لمفردات ممنوعة من الصرف، هي: (أفْعُل، فَعْلَاء)،
 و(فُعْلَان، فَعْلَى)، والبعض الآخر، مثل: (فُعَل) جاء على زنة الممنوع من
 الصرف: (عُمَر، وأُخَر)، ومثل: (أفْعُل، فُعْلَان، فُعْلَان) جاء على زنة

شبيهة باليمنوع من الصرف، مثلاً: (جرحى: جمع جريح، حُمُرٌ: جمع أحمُرَ وحمراء، غرف: جمع غرفة). (غُرْف بوزن عُمَرَ، وَأَفْعُلٌ بوزن قُرَيْبٍ من أَفْعَلٍ). وهكذا (فُعْلان، فُعْلان) وزن كل منهما قريب من (فُعْلان) ومفردات هذه كما هو معروف مصروفة.

3- إن الجموع الخفيفة: (القليلة الأحرف والسهلة الحركات) من مثل: (فُعْل، فُعْل، فَعْلَة، فَعْلَى) جاءت لمفردات ثقيلة، أي جاءت بالنقص من حروفها عن مفرداتها، وإن الجموع الثقيلة، مثل: (أفعال، فِعال، فُعول، فُعلاء،...) جاءت لمفردات خفيفة، أو جاءت لمفردات يجوز لك تخفيفها. مثلاً: (عُمْد) أخف من مفرده (عمود)، و(أقدام) أثقل من مفرده (قدم)، و(جُمُعة) يمكن تخفيفها إلى (جُمُعة) ومن ثم تجمع على (جُمع).

4- إن الوزن الواحد للجمع جاء غالباً لأوزان كثيرة من المفردات، فـ (أفعال) تجمع عليه أغلب الأوزان الثلاثية المجردة، وأن المفرد الواحد أيضاً جاءت له غالباً جموع كثيرة، فـ (فاعل) تجمع على (فَعْلَة) و (فُعَاعِلٌ وفُعَلٌ)، (خروف) جاء له: (خراف وأخرفة وخرفان)، و(دار) جاء لها: (أدور، ديار، ديارة، دور). ومثل هذا كثير.

3.5.أ. إجراءات صرفية

عند الإجراءات الصرفية على الأسماء يجب الرجوع فيها إلى أصلها.
أ- فإذا كان الاسم مشتقاً؛ فهذا يعرف أصله من الفعل، لأنه مأخوذ منه.
فَ (بَاعَة): جمع (بائع) - مثلاً- مأخوذ من (باع) فأصله (بَاعَة) على وزن (فَعْلَة). وهكذا.

ب- أما إذا كان الاسم جامداً؛ فهذا يعرف أصله من مفرده، لأن مفرده لم يؤخذ من غيره فهو الأصل. ف (دور) جمع (دار) أصلها (دُور) على وزن (فُعُول). وهكذا.

1- (أَكْفُ): أصله (أَكْفُفُ) على وزن (أَفْعُلِ)، استنتقل تحريك متجانسين متجاورين متطرفين، فنقلت حركة الأولى إلى الساكن قبلها، فأدغما.
2- (أَخِلَاءُ): أصله (أَخِلَاءُ) على وزن (أَفْعِلَاءُ)، استنتقل تحريك متجانسين متجاورين متطرفين أصلاً - الألف والهمزة (زائدان) - فنقلت حركة الأول منهما إلى الساكن قبله، فأدغما.

3- (دَوَابُّ): أصله (دَوَابِبُ) على وزن (فَعَالِلِ)، استنتقل تحريك متجانسين متجاورين متطرفين، فطرحت كسرة الأول منهما، فأدغما.
4- (دُلِّيُّ): أصله (دَلُو) على وزن (فُعُولِ)، استنتقلت الواو آخرًا بعد واوٍ مدٍّ، فقلبتا ياعين، فأدغمتا.

5- (دَلَاءُ): أصله (دَلَاو) على وزن (فِعَالِ)، استنتقلت الواو آخرًا بعد الألف، فقلبت همزة. كانت (دَلَاو) لأن مفرده اسم جامد (دَلُو).

6- (أَدَلِ): أصله (أَدَلُو) على وزن (أَفْعُلِ)، استنتقلت الواو آخرًا بعد الضم - وهم يميلون إذا كان الآخر حرف علة وكان ما قبله ضم أو كسر إلى جعله ياء - فقلبوا الواو ياء والضممة كسرة، ثم أعل كَ (قاض).

- 7- (عِصِيٌّ): أصله (عُصُوًّا) على وزن (فُعُول)، استتقلت الألف آخرًا بعد الواو مع تعذر تحريكه، فقلبت الألف إلى ياء وقلبت الواو إلى ياء، وأدغمتا، كسر ما قبل الياءين وتبعه ما قبله أيضاً ليسهل اللفظ.
- 8- (لحي) جمع (لحية): أصله (لَحَيٌّ) على وزن (فَعْل)، قلبت الياء المتحركة ألفاً لتناسب حركة ما قبلها.
- 9- (قِسيٌّ) جمع (قوس): أصله (قووس) على وزن (فُعُول)، نقل السين وهو لام الكلمة إلى موضع الواو وهي عينها، فصارت (قسوو)، وأعلت، مثل: (دلوو)، فوزنها (فلوع). وهذا النقل على غير قياس.
- 10- (رُمَاة): أصله (رَمَاة) على وزن (فَعْلَة)، تعذر تحريك الألف، فطرحت حركته. وأبدلت فتحة الفاء ضمة خوف اللبس مع المفرد من نحو: (فتاة، قناة، حماة،...) واقتداء بضممة (فُعْل).
- 11- (بَاعَة): أصله (بَاعَة) على وزن (فَعْلَة)، تعذر تحريك الألف، فطرحت حركته.
- 12- (ثِيَاب) جمع (ثوب): أصله (ثواب) على وزن (فِعَال)، استتقل لفظ الواو بعد الكسرة، فقلبت إلى ياء لتناسب الكسرة.
- 13- (أَبْوَاب) جمع (باب): أصله (أَبَاب) على وزن (أَفْعَال)، تعذر تحريك الألف، فقلب إلى الواو لتتحمل الحركة. ولم يحذفوا حركته فيؤدي حذفها لالتقاء الساكنين، لأنه بالحذف يُرجع من صورة الجمع إلى صورة المفرد.
- 14- (دِيَار) جمع (دار): أصله (دَار) على وزن (فِعَال)، تعذر تحريك الألف، فقلب إلى الياء لتتحمل الحركة.

- 15- (دُور): أصله (دُأور) على وزن (فُعُول)، تعذر تحريك الألف، فطرحت حركته فالتقى ساكنان، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فصار وزنه (فُول)، بحذف العين.
- 16- (أُدُور): أصله (أُدُار) على وزن (أَفْعُل)، تعذر تحريك الألف، فقلب إلى أمه الهمزة لتتحمل الحركة.
- 17- (اللذَان): مثني (الَّذِي)، أصلها اللَّذِيَان، اجتمع ساكنان، فحذفوا الياء -إذ لم يحدث لبس- لالتقاء الساكنين.
- 18- (هذَان): مثني (هَذَا)، أصلها هَذَاَان، اجتمع ساكنان، فحذفوا الألف الأولى لالتقاء الساكنين.
- 19- (فَتِيَان): أصلها (فَتَان) على وزن (فَعْلَان)، تعذر تحريك الألف، فقبل إلى الياء التي تمال إليها ألف الكلمة، لأن الياء تتحمل الحركة، ولم تحذف لئلا تشبته ببعض صيغ المفرد.

5.3.2. المعرف

المعرّف اسم فرعي يقابل المنكر،
 يكون بزيادة همزة وصل - تفتح في القطع - فلام ساكنة، تزدان قبل الأسماء المنكرة المبدوءة بأحد الحروف القمرية. وهي الحروف المجموعة في العبارة: (إبغ حجك وخف عقيمه)، تقول: (أب، البيت، الغراب، القمر،...)، في تعريف: (أب، بيت، غراب، قمر،...).

ويكون بزيادة همزة الوصل فحرف ساكن من جنس الحرف الأول من الاسم المنكر للأسماء المبدوءة بأحد الحروف الشمسية. وهي ما يبقي من الحروف الهجائية بعد حذف الحروف القمرية، تقول: (التّين، الثّوب، الدّار، الشّمس،...)، في تعريف: (تين، ثوب، دار، شمس،...).

وهنا يكتب الحرف المجانس المزداد للتعريف لأمّاً أيضاً إلحاقاً له بالقسم الأول، وتوضيحاً للتعريف بالخط، وفصلاً عما يشته به في حالات كتابية أخرى.

أ- دواعي التعريف

التعريف إنما يكون للاسم من حيث أنه عُهُدٌ فَعُرِفَ، ففي قولك لي حين مناوئتك لي كتاباً: خذ الكتاب، عُرِفَ الكتاب من حضوره أمامي، لأن الحضور صيره معهوداً، وطبعاً كان ذلك بزيادة (الـ) على الأصل.

وحيث القول عن قاضٍ وحيدٍ في البلد: حضر القاضي، عرف القاضي - هنا - بالعهد به من قبل.

وحيث القول عن رجلٍ فيه صفات الرجولة: إنه الرجل، عرف هذا بالصفات المعهودة في الرجولة.

وحيث القول عن الخمرة: شربت الخمرة، عرفت الخمرة - هنا - بماهيتها المعهودة فيها.

وحيث القول: المرء مأخوذ بإقراره، عرف المرء بالشمول المعهود في كل امرئ.

فالتعريف من جهة المعنى يجيء للاسم مما عهد عنه، ومن جهة اللفظ يجيء إليه من إضافة (الـ) إليه.

ب- تعريف المعهودات من غير الأسماء

إن المعهود، كما يكون اسماً يكون فعلاً، ويكون حرفاً - حرفاً مع مُتَعَلِّقِهِ طبعاً -، ويكون جملة.

اللغة تستعمل لتعريف المعهود اسماً (الـ) فقط، وتستعمل لتعريفه فعلاً أو حرفاً أو جملة (الـ) مع (لذي، لتي،...):

بدلاً من أن تقول عن رجل رأيتَه يخطب؛ أي فعهدَ بذلك، جاء الـ
(خطب)؛ تقول: جاء الذي خطب،
وبدلاً من أن تقول عن شيء معهود في الدرج: الـ (في الدرج) لي؛
تقول: الذي في الدرج لي،
وبدلاً من أن تقول عن ولد أبوه بطل: هذا الـ (أبوه بطل)؛ تقول: هذا
الذي أبوه بطل.

وقد جاءت (الـ) مع هؤلاء في الشعر، قال الفرزدق وآخرين:
ما أنت بالحكم الـ (ترضى حكومتَه) ولا الأصيل ولا ذو الرأي والجدلُ
من لا يزال شاكراً على الـ (معه) فهو حرٍ بعيشة ذات سعة¹
من القوم الـ (رسول الله منهم) لهم دانت رقاب بني معدَّ
وهذا عند ابن مالك لا يختص بالضرورة.
وقد أصبحت عاميتنا تستعمل ذلك، تقول: جاء الخطب، وأعطني الفبي
الدرج، وهذا الأبوه بطل².

تعريف أسماء العهد، أقول:

إن أسماء العهد (الأسماء الموصولة): (الَّذِي، الَّتِي، ...) لسن معرفاتٍ
بأنفسهن كما يقول النحاة، وليست (الـ) فيهن زائدة لازمة كما أيضاً
يقولون؛ بل هن مع (الـ) لتعريف المعهودات من غير الأسماء.
وأرى: أن اللغة وضعت لتعريف المعهود اسماً وغير اسم الأداة: (الَّذِي،
الَّتِي، ...)، ثم كانت كثرة الاستعمال للاسم في العهد فكان اختصاراً في

¹ حر: جدير.

² لاحظ أن الأفعال والحروف مع متعلقاتها والجمل توصف بهن النكرات، بينما
تستعمل (الذي، والتي) وفروعهما مع هؤلاء للمعارف.

الأداة معه إلى (الـ)، وبقيت الأداة الأولى مع غير الاسم، وقد لحقها شيء من الاختصار مع غير الاسم، فجاءت - مثلاً -: (الذي: الذّ، الذّ، الذّ،...).

ت - بقية المعارف

بقي من المعارف: العلم، والضمير، واسم الإشارة. وهذه تعريفها ليس فرعاً عن المنكر.

- العلم تعريفه وضعي لا فرعي - والضمير تعريفه آت من حضور صاحبه أو مرور ذكره - واسم الإشارة تعريفه آت من الإشارة الحسية أو المعنوية المرافقة له.

ليس لأي من هذه المعارف منكر مقابل. وهنا إنما أتكلم عن الأسماء الفرعية المقابلة للأسماء المنكرة.

بقي من المعارف المضاف إلى معرفة، نحو: كتاب زيد. وهذا تعريفه فرعي، ولكنه آت إليه من كلمة أخرى لا من أبعاض تمتزج به لتدل على الفرعية كما رأينا ونرى مع بقية الأسماء الفرعية.

وبحثنا كله إنما هو في الكلمة المستقلة لا في كلمة مع كلمة أخرى.

5.3.3. المصغر¹

المصغر اسم فرعي يقابل المكبر، يكون بزيادة ياء ساكنة بعد ثاني أحرف الاسم المكبر مع ضم أوله وفتح ثانيه. وهو يخضع للأوزان الحركية التالية:

¹ أما ما يذكرونه للتصغير من معاني أخرى: تحقير وتقليل وتقريب وتحبيب، نحو: رجيل ودريهمات وقبيل وبني فإنما ذلك كله يعود للتصغير، فالتحقير هو تصغير قدر، والتقليل هو تصغير عدد، والتقريب هو تصغير مدة أو مسافة، والتحبيب: إنما كان التحبيب لكون الطفل الصغير محبوب لوالده.

- (فُعَيْلٌ) يُصَغَّرُ عَلَيْهِ كل اسم ثلاثي واقعياً أو استدعاءً، نحو: (قُلِيمٌ، دُمِّي، عَطِي، أدِيَّة، هويد،...)، فهو لاء دون: (قلم، دم، عطاء، إداوة، هاد،...) .

- (فُعَيْلٌ) يصغر عليه الرباعي فما فوقه، تقول في تصغير: (كتاب، قَمَطْر، أرنب، فرزدق، سفرجلة، عندليب،...)، (كَتَيْب، قميطر، أرنب، فريزد، سفيرجة، عنيدل،...) . وفي هذا الوزن يكسر ما بعد ياء التصغير .

- (فُعَيْلٌ) يكون هذا الوزن بمطّ كسر الوزن الذي قبله، ويحسن أن يصغر عليه ما رابعه مد قبل الآخر، وما حذف منه حرف أو أكثر، فيصغر: (قرطاس، إبريق، عصفور،...) على (قريطيس، أبيريق، عصيفير،...)، ويصغر: (سفرجلة، فرزدق، عندليب، ميزان،...) على (سفيريجة، فريزيق، عنيدل، موزين،...) .

ما يلحق أوزان التصغير

يلحق الاسم المصغر ما كان يلحقه من زيادات: التأنيث، والتنثية، والجمع السالم، وجمع القلة (أفعال)، وياء النسبة، والألف والنون، والإضافة، والتركيب، وذلك نحو: (هنيدة، فويطمة، سليمي، حميراء؛ مسيلمان؛ اذيرعات، مسيلمون، أطيغال؛ بصيري؛ عطيشان؛ عبيد شمس؛ بُعَيْلِك).

تصغير المؤنث العاري من التاء

إن المؤنث الثلاثي العاري من التاء -سواء كان ثلاثياً واقعياً أو استدعاءً- ترد التاء إليه ما لم يحدث ذلك لبساً، فيقال في: (قدر، دار، عين،...) في التصغير: (قديرة، دويرة، عيينة،...)، ويقال في: (يد، عناق، لميس،...)، (يديّة، عنيقة، لميسة،...) . أما نحو: (شجر، ثلاث) فلا ترد إليه التاء لئلا يلتبس بتصغير (شجرة، وثلاثة) .

ما تستدعيه صيغ التصغير

إن ضم أول صيغ المصغر تستدعي قلب ثانيه معتلاً وواو ما لم يكن ياء أصلية في الثلاثي كما في (شويعر، موزين، ميقن، بويب، قويمة، فييل، نيب،...) في تصغير: (شاعر، ميزان، موقن، باب، قيمة، فيل، ناب،...). وإن ياء التصغير تستدعي قلب الواو ثالثة - وكذلك الألف - ياء، كما في: (عريّة، رضيّا، عشياء، عصيّة، كنيّب،...) في تصغير: (عروة، رضوى، عشواء، عصا، كتاب،...). و(جديل) في تصغير (جدول) أفصح من (جديول)،

وإن ولي ياء التصغير ياء حذف أو لاهما، فيصغر (عليّ، سماء، سناء، ركية،...) على (عليّ، سميّة، سني، ركية،...).

حذف الزوائد في التصغير

قلت: {إن (فَعِيلِل) يصغر عليه الرباعي وما فوق}. وتفصيل ذلك هو أن الخماسي الأصول؛ فالوجه أن يحذف منه الأخير، وقد يحذف منه ما قبل الأخير.

أما الرباعي المزيد فيه؛ فيحذف منه الحرف المزيد، أما الثلاثي المزيد بأكثر من حرف فيحذف منه أقل أحرف الزيادة فائدة، تقول في تصغير: (منطلق، مستخرج، مضارب، مقدّم،...)، (مُطَيِّق، مخيرج، مُضِيرِب، مُقَدِّم،...).

وقد يصغرون الثلاثي المزيد فيه بحذف الزوائد كلها، فيقال في تصغير: (حامد، حمدان، حامد، محمود، أحمد)، (حُمَيْدٌ) للجميع، ويقال في (حبلى، سوداء)، (حبيلة، سويدة)، وفي (عصفور، قرطاس، قنديل،...) يصح أن يقال: (عصيفر، قريطس، قنيدل،...).

وهذا إجمالاً لا يتبادر منه خلاف المراد فيكون لبساً، بل هو مقصد بلاغي يحتمل الجميع على سواء.

5.3.4. المؤنث

المؤنث اسم فرعي يقابل المذكر. وهو - في الأصل - ما دل على ثاني الزوجين من نحو: (رجل وامرأة، معلم ومعلمة، عطشان وعطشى، الأكبر والأكبرى، أحمر وحمراء، حصان وفرس، ديك ودجاجة).

وهو - من جهة واقعه - نوعان:

أ- مؤنث خلقي، وهو ما كان لأنثى الحيوان، نحو: (فتاة، فرس، لبوة، هرة، دجاجة،...).

ب- ومؤنث اعتباري، وهو ما استعملته اللغة مؤنثاً، بينما هو - في واقعه - لا توجد فيه دلالة على أنوثة ولا ذكورة. إنما لمحت اللغة فيه التأنيث لمحا فأجرته على ذلك. وهذا مثل: (شجرة، جمجمة، إبرة،...)، ومثل: (كتف، نار، قدر، فأس، طريق، حرب،...).

فهذا يعرف تأنيثه باسم الإشارة (هذه، أو هاتان)، وباسم العهد (التي أو اللتان أو اللواتي)، وبالمضمر العائد عليه (هي أو هن)، وبالفعل المسند إليه (فعلت أو تفعل، أو ...)، وبالوصف المسوق عنه (فاعلة أو مفعولة أو فعيلة أو ...)، ويعرف بالتصغير - إن كان ثلاثياً أو عائداً إلى الثلاثي فيقولون: (أذينة، عيينة، سميّة،...) في تصغير (أذن، عين، سماء،...).

وهو - من جهة اللفظ - ثلاثة أنواع:

أ- المؤنث بالتاء

يكون التأنيث بالتاء بزيادتها في آخر الاسم المذكر فيفتح ما قبلها؛ أي يفتح ما كان آخره، ما لم يكن ألفاً، وتصير هي حرف الإعراب؛ تصير هي الآخر.

ونرى - بالاستقصاء - أن زيادتها لتأنيث الكلمة يأتي على نوعين: نوع له مقابل مستعمل بدون (التاء)، ونوع ليس له مقابل مستعمل بدونها. الأول نجد منه:

نحو: (ضاربة، مضروبة، جميلة، فتاة، دمشقية، شيخة، حمارة،...)، تدل على الإناث، والمستعمل بدونها يدل على الذكور، فهي فارقة بين المؤنث والمذكر.

نحو: (بطة، تفاحة، قمحة، حصة، ضربة، أرطاة، علباء،...)، تدل على واحدة الجنس، والمستعمل بدونها يدل على الجنس كله.

نحو: (حمالة، صرافة، الزيدية، الزبيرية،...)، تدل على الجمع، بينما المستعمل بدونها يدل على المفرد.

نحو: (جمالة، بعولة، عبادلة،...)، تدل على أن هذا الجمع لمفرد مذكر، ولكن ليس على اللزوم، بينما المستعمل بدونها ليس له هذا التخصيص.

نحو: (ثلاثة، أربعة،...)، تدل على المذكر، بينما المستعمل بدونها يدل على المؤنث. وإنما كان ذلك لأن العدد كمية، فهو مثل الجمع: مؤنثه يكون للمذكر، ومذكوره يكون للمؤنث.

نحو: (هُمزة، راوية، فَروقة، عالمة، مطرابة،...)، تدل على المبالغة في الفعل، بينما المستعمل بدونها ليس له ذلك. ويطلق هذا على المذكر وعلى المؤنث، ومثل ذلك، نحو: (حيّة، دابة، سخلة، حمامة،...).

ويلاحظ إجمالاً أن تأنيث الكلمة لفظاً غير مرتبط بتأنيثها واقعياً. نحو: (أفئدة، صبية، بررة، قرده، قضاة،...)، التاء تدل على الجموع، بينما مفرداتها من غير صيغها تدل على الذكور: (فؤاد، صبي، بار، قرد، قاض،...).

أما الثاني: وهو زيادتها على غير مستعمل بدونها، فنجد منه:

نحو: (ناقة، نعجة، جبهة، جمجمة، ترقوة، كسرة، غرفة،...)، ومن الواضح أنه لم يستعمل من (ناقة): (ناق) ولا من (نعجة): (نعج). فهذه الأسماء وأمثالها مع التاء لا غير.

فصل تأنيث الصفات

في الصفات جاء مؤنث (أفعل) على (فعلاء)، نحو: (أحمر - حمراء،...)، وجاء مؤنث (فعلان) على (فعلى)، نحو: (عطشان - عطشى،...) ¹.

وفي غير هذين من الصفات جاء التأنيث بالتاء، فمؤنث (فاعل) على (فاعلة)، و (مفعول) على (مفعولة) و (فعليل) على (فعليلة) وهكذا، نحو: (قاعد - قاعدة، ومضروب - مضروبة، وجميل - جميلة،...) ¹.

ولكن هنالك صفات يتركون تأنيثها إذا كانت مع موصوفاتها، تأتي على الأوزان (مفعل، مفعال، مفعيل، فعول بمعنى (فاعل)، و (فعليل) بمعنى (مفعول))، تقول: هند مغشَم²، والخنساء مقوال، وهذه امرأة منطيق، وتلك قتيل وظلوم.

وهنالك صفات يستغنون عن تأنيثها - إذا كانت في أمر ثابت لا طارئ - لأنها خاصة بالإناث، فيقولون: فتاة ناهد، وامرأة مريض.

آراء النحاة: في سقوط التاء، نحو: (ناهد، ومريض)

- الخليل سقطت التاء هنا، لأنها على معنى النسب، مثل: (لابن، دارع)، كأنه قال ذات نهود وذات إرضاع.

¹ وجاء مؤنث (الأفعل) على (الفعلى)، نحو: الأكبر - الكبرى.

² مغشَم: غير متبصره بالعواقب.

- سيبويه: سقطت، لأنها متأولة بإنسان أو شيء كقولهم: (غلام ربيعة ويفعة) على تأويل: نفس أو سلعة.

- الكوفيون - وعليه ابن السكيت في إصلاحه -: سقطت، لأنها معان مخصوص بها الإناث، فاستغنى معها عن علامة التأنيث. وما سقطت منه التاء من غير المخصوص بالإناث مثل (الضامر) للناقصة والجمال، و(العاشق) للمرأة والرجل، وما جاء بالتاء من المخصوص بالإناث من نحو الآية: «تذهل كل مرضعة عما أرضعت»، فإنه قليل.

ب- المؤنث بالألف

- يكون التأنيث بالألف بوجودها في آخر الاسم غير منون، وطبعاً يكون ما قبلها مفتوحاً، وعليها يكون الإعراب.

وهي توجد في الاسم صفة وجمعاً وحدثاً وجامداً، نحو: (غيرى، وجرحى، ودعوى، وسلمى).

ونرى بالاستقصاء أن وجودها لتأنيث الكلمة يكون على نوعين: نوع له مقابل، ونوع ليس له مقابل.

الأول نجد منه:

نحو: (غضبي، والفضلى)، يدل على المؤنث في مقابل المذكر: (غضبان، والأفضل)،

ونحو: (هلكى، وظربى، وسكارى، وصحارى)، تدل على الجمع في مقابل المفرد (هالك، وظربان، وسكران، وصحراء)،

أما النوع الثاني؛ وهو وجودها في مستعمل ليس له مقابل فنجد منه الأمثلة التالية لأشهر أوزانها: (بردى، سُمَّهى، سبَطرى، كُفْرَى حُبَارَى وخبازى).

ثم إنه ليس منها ما يلحقه التاء، مثل: (مِغْزَى، كُمْتَرَى، حَبَنطَى¹، قَبَعْتَرَى،...)، لأن هذه تَوْنَتْ بالتاء، فنقول في تأنيثها: (معزاة، كمثراة، حبنطاة، قبعثراة،...) وهكذا.

ت - المؤنث بالهمزة

- يكون التأنيث بالهمزة بوجودها في آخر الاسم غير منون، وطبعاً يكون قبلها ألف، وعليها يكون الإعراب. وهي توجد في الاسم صفة وجمعاً وحدثاً وجامداً، نحو: (بيضاء، وكُرْماء، ونَعْماء، وصحراء). ونرى بالاستقصاء أن وجودها لتأنيث الكلمة يكون على نوعين؛ نوع له مقابل ونوع ليس له مقابل. الأول نجد منه:

نحو: (حوراء، وعرجاء)، يدل على المؤنث في مقابل المذكر: (أحور، وأعرج)، ونحو: (كُرْماء، وأخلاء)، يدل على الجمع في مقابل المفرد (كريم، وخليل).

أما النوع الثاني وهو وجودها في مستعمل ليس له مقابل فنجد منه الأمثلة التالية لأشهر أوزانها: (سبراء، وسابياء وعاشوراء، وعقرباء، وخنفساء).

ثم إنه ليس منها ما يلحقه التاء مثل: (حرباء، قوباء،...)، لأن هذه تَوْنَتْ بالتاء، فنقول في تأنيثها: (حرباءة، قوباءة،...) وهكذا.

ث - تأنيث الفعل

¹ الحبنطى: المنتفخ البطن. القبعثرى: الجمل الضخم.

إذا كان المسند إليه مؤنثاً تلحق العربُ التأنيثُ للفعل ماضياً ومضارعاً،
كما يلي:

1- دائماً إذا كان المسند إليه مؤنثاً حقيقياً، فنقول: بانث سعاد، وولدت
الناقة، وتطفلُ الظبية.

2- غالباً إذا كان المسند إليه مؤنثاً مجازياً - والجمع مطلقاً كالمجازي -
فنقول: «اقتربت الساعة»، «جاءت رسل ربنا»، «قالت الأعراب».

ومن غير الغالب قليلاً جاء: «جُمع الشمسُ والقمر»، «وانظر كيف كان
عاقبةُ الذين ظلموا»، «وقال نسوة»، «إذا جاءكم المؤمناتُ».

وجاء غير قليل إذا كان المجازي اسم حدث، مثل: «ولو كان بهم
خصاصة»، «فمن جاءه موعظة»، «وأخذ الذين ظلموا الصيحة».

3- ثم إن العرب إذا كان المسند إليه مقدماً فيؤنثون الفعل دائماً حقيقياً أو
مجازياً، فيقولون: سعاد بانث، والحقيقة ظهرت.

ولكن إذا كان المقدم جمعاً، فإنهم يقولون كثيراً: النساء فعلن، والرجال
فعلوا، وقليلاً قالوا: النساء فعلت والرجال فعلت، وقالوا: الحوادث فعلت أو
فعلن.

4- إذا كان المسند إليه مؤنثاً لفظياً فلا يعتدون به مطلقاً، إنما قالوا:
استشهد حمزة، وغزا أسامة، ونكت طلحة. وكذلك: حمزة استشهد،....

5.3.5. المنسوب

المنسوب اسم فرعي يقابل ما ينسب إليه يدل على معزو لأصله. ويكون
بزيادة ياء مشددة في آخر الاسم الأصل تصير هي الآخر - هي حرف
الإعراب - ويكسر ما قبلها، تقول في المنسوب إلى: (زيد، هاشم، غطفان،
تميم،...)؛ (زیدی، هاشمی، غطفانی، تميمی،...).

ما يستدعيه وجود ياء النسب

إن وجود ياء النسبة في آخر الاسم اقتضى تغيرات أخر غير الكسر قبلها، هي:

1- حذف مثيلاتها، وزيادات التأنيث والتنثية والجمع السالم، والتركيب، وحذف ألف المقصور، وياء المنقوص بعد أكثر من ثلاثة في الأخيرين، تقول في المنسوب إلى (كرسي، شافعي، اللاذقية، مكة، الزيدان، الزيدون، دير الزور، بعلبك، تأبط شراً، مصطفى، قاضي): (كرسي، شافعي، لاذقي، مكي، زيدي، دير، بعلي، تأبطي، مصطفى، قاضي).

2- فتح مكسور العين في الثلاثي، فتقول في (نمر، إبل، دئل): (نمري، إبلي، دُولي). وربما فتحوا ما قبل الآخر من (تغلب)، فقالوا: (تغلبلي).

3- حذف الياء من (فَعِيلَة وفُعَيْلَة)، وربما من (فَعِيل وفُعِيل) أعلاماً مع فتح عيناتها، تقول: (حنفي، جهني، تقفي، قرشي) في المنسوب إلى: (حنيفة، جهينة؛ ثقيف، قريش). وإذا كنّ معتلات اللام قلب اللام أيضاً واواً، فتقول في: (زُبَيْة، أمية، علي، قُصي): (زبوي، أموي، علوي، قصوي).

4- قلب الثالث المعتل واواً، تقول في (عصا، فتى، شج، عم، حي)؛ ناسباً إليهن: (عصوي، فتوي، شجوي، عموي، حيوي). وإنما كان القلب واواً لثلاث تتوالى ثلاث ياءات. وقد رأينا الحذف والقلب في (أموي وعلوي) في النسبة إلى (أمية وعلي).

5- رد اللام المحذوفة واواً، تقول في: (أب، سنة، دم، شفة، ابن)؛ ناسباً: (أبوي، سنوي، دموي، شفوي، بنوي)، وترد الفاء المحذوفة إذا كان الاسم المعتل اللام، فتقول في (دية): (ودوي).

ثم هنالك نقل بشواذ كثيرة عما سبق، مرجعها كتب اللغة فتستعمل كما نقلت.

3.5.أ. إجراءات صرفية

- 1- (بُويَب): أصلها (بُأيَب) على وزن (فُعَيْل)، تعذر تحريك الألف، فقلب إلى أخته الواو لأنها تناسب ضمة ما قبلها.
- 2- (عُرِيَّة): أصلها (عُرِيوة) على وزن (فُعَيْلة)، استنتقل تحريك الواو بعد ياء ساكنة، فقلبت الواو ياء لتقاربهما ولأنه أخف، فأدغمتا.
- 3- (كُتَيْب): أصلها (كُتَيْب) على وزن (فُعَيْل)، تعذر تحريك الألف، فقلب إلى الياء لأنها تناسب التي قبله- التي هي ياء التصغير- فأدغمتا.
- 4- (عُلِيٌّ): أصلها (عُلِيٌّ) على وزن (فُعَيْل)، استنتقل تحريك الياء بعد الياء الساكنة ياء التصغير فسكنت، فالتقى ساكنان فحذفت لالتقاء الساكنين.
- 5- (عَلَوِيٌّ): أصلها (عَلِيٌّ) على وزن (فُعَيْل)، حذفت ياء (فُعَيْل) وفتحت عينه كما يفعل بـ (فُعَيْل) علماً، ثم قلبت الياء التي هي لام الكلمة واواً لاستئصال توالي ثلاث ياءات.
- 6- (لاذقيٌّ): أصلها (لاذقيٌّ) تلت ياء النسب المشددة ياء الكلمة المشددة، فاستغنوا عن الأولى منهما، لأن ذلك ثقيل جداً.
- 7- (عصوي): أصلها (عصاي) منسوبة إلى (العصا)، تعذر تحريك الألف فقلب إلى واو، ولم يقلب إلى ياء لئلا تتوالي ثلاث ياءات فيثقل ذلك.

5.4. أسماء الأعلام

الأعلام هي الأسماء التي توضع لتعيين أصحابها من بين أفراد جنسهم، لذلك فهي لا تحتاج إلى (الـ) لتعريفها، بل هي معرفة بنفسها، وهي نحو: (زيد) لرجل، و(هند) لامرأة، و(أحد) لجبل، و(دمشق) لمدينة، و(بردى) لنهر، و(عرنة) لوادٍ، و(أعوج) لفرس، و(شدقم) لجمل، و(هيلة) لشاة، و(ضمران) لكلب، و(كساب) لكلبة، و(سهيل) لنجم، و(زحل) لكوكب، و(رجب) لشهر.

وهذه الأسماء توضع وضعاً: فلا تفيد في أصحابها معنىً، فترى الاسم منها يطلق على متغايرين شكلاً ولوناً وحجماً وجنساً. إنما هي تخصص لنا أصحابها فيعرفون بها لدى من يعلم به، لذلك لا نحتاج معها لتعداد صفات هذا ليتميز عن ذلك.

وهذه الأسماء لا يشترط فيها شيء، ولا يعتمد على أوزانها، ويقع فيها التغيير دون أن يلزم ذلك اللغة؛ بل هي تأخذ أوزانها من غيرها؛ فتنقل من هنا وهناك، وترتجل ارتجالاً، فتأتي على القياس وعلى غير القياس.

فنجد الرجل مثلاً:

يُسمى بأسماء الأجناس المادية أو المعنوية أو الوصفية، نحو: (حجر، ثور، أسد،...؛ زيد، فضل، إياس،...؛ حاتم، سعيد، مسعود،...).

ويسمى بأسماء أعجمية أو مؤنثة أو مركبة، نحو: (جُرج، الفريد، مارتين،...؛ طلحة، حمزة، عروة،... معديكرب، امرؤ القيس، تأبط شراً،...).

ويسمى بالفعل، نحو: (شَمَّر، يشكر، تغلب،...).

وقد نصوا على التسمية بالحروف.

ويسمى بالمصغر والمنسوب والمثنى والجمع، نحو: (عُمَيْر،...؛ صيفي،...؛ ظبيان،...؛ كلاب،...).

ويسمى بأسماء مرتجلة قياسية وغير قياسية، نحو: (غطفان، فقعس، حنتف،...؛ محبب، حيوة، مزيد،...).

ويسمى بالمعرف كما يسمى بالمنكر، نحو: (الحارث، العباس، الربيع،...).

هذه الأسماء نحتاج إليها دائماً، فكلما ولد مولود وضع له اسم، وكلما بنيت قرية أو مزرعة أو مدرسة، أو تُعْرِف على وادٍ أو جبل أو غير ذلك وضع له اسم.... وهكذا.

ثم هنالك أعلام توضع ثانياً يراد بها التعظيم أو التحقير تبتدئ بـ (أب) أو (أم) أو لا تبتدئ، نحو: (أبو حفص) لعمر بن الخطاب، و(الفرزدق) للشاعر همام بن غالب.

5.5 الأسماء الغرضية

أما هذه الأسماء فقد تقدم بحثها في الفصل الثالث (أشباه الحروف؛ الأسماء الغرضية).

الجزء الثاني

النحو الحق

النحو على قواعد جديدة

6- الكلمة مسلوكة (النحو)

محمد علي رستاوي

مقدمة

إن دراسة الكلمات مسلوكة في الكلام تنصب على ما يطرأ عليها إذ ذلك. والذي يطرأ عليها هو جدة في اللفظ، هذه الجدة ستكون مدار البحث فيما يلي:

ولنتذكر أنه؛ ليس هنالك من جدة في لفظ حركات أو سكنات حروف أواسط الكلمات مطلقاً، وليس هنالك جدة في لفظ حركات أوائل الكلمات إلا جدة تختص بالكلمات المبدوءة بهمزة الوصل. وهذه سأفرد لها بحثاً. إنما تكون الجدة في لفظ حركات أو حروف أو اخر الكلمات. إن أكثر الكلمات حين السلك تطراً الجدة على حركات أو حروف أو اخرها، هذه الكلمات تسمى بالكلمات المعربة. أما البقية من الكلمات فلا يطرأ على أو اخرها شيء، هذه الكلمات تسمى بالكلمات المبنية.

فالأوخر تحتاج إلى تحديد، لأن هنالك حروفاً تزداد في أبنية بعض الكلمات تأتي بعد الحرف الأصلي الذي كان آخراً فتصير هي الآخر، وهنالك حروف أصلية تحذف من أو اخر بعض الأبنية فيصير فيهن ما كان قبل الآخر هو الآخر.

ولما كان ذلك كان لابد من تحديد الآخر. وبعد ذلك يكون بحث ما يجد على الأواخر هذه - حين السلك طبعاً - فتكون لدينا البحوث التالية:

1- تحديد الآخر في الكلمة المعربة، ويتفرع عنه:

- بحث الآخر الذي يكون الطروء على حركته.

- بحث الآخر الذي يكون الطروء عليه هو.

هذا الطروء يكون - كما سيأتي - من تأثير بعض الكلمات على بعض حين السلك.

2- تحديد الآخر في الكلمات المبنية.

3- الكلمات المبدوءة بهمزة الوصل وما يطرأ عليها حين السلك وما

يطرأ على ما قبلها.

6.1. الآخر في الكلمات المعربة

إن آخر الكلمة هو الحرف الذي يكون عليه تأثير العوامل في المعربات، وهو حرف مثل هذا في الكلمات المبنية. والحرف الذي يكون عليه التأثير: إما أن يكون التأثير على حركته، وإما أن يكون التأثير عليه هو.

6.1.1. الآخر الذي يكون التأثير على حركته

إن الآخر الذي يكون التأثير على حركته يوجد في الكلمات المعربة التي آخرها:

1- حرف أصلي صحيح موجود في صيغها؛ أي أنه يوجد في كل ما يوزن وآخره لام الكلمة. فاللام هي التي تتأثر حركتها، وبالتالي هي آخر الكلمة، كما في: (أفعل، ينفعل، فاعل، مفعول، فعيل، أفعال، مفاعيل،...) إلى آخر عربات القطار من هذه الأوزان المنتهية باللام.

هذه اللام - طبعاً - تعني كل حرف صحيح من حروف الهجاء، مثل (يكتب، كتاب، كتب، كاتب،...)، إلى آخر ذلك من قطار (كتب)؛ في جميع ذلك يكون حرف الباء الموحدة هو الآخر، ومثله: (يعلم، إعلام، تعليم، تعاليم،...)؛ في جميع ذلك يكون حرف الميم هو الآخر.

2- حرف بعد الحرف الأصلي الذي كان آخراً، زيد فأصبح هو الحرف الذي عليه التأثير، وبالتالي أصبح هو الآخر.

وهذا يكون أحد حروف الزيادة (سألتمونيها)، كما في: (معلمة، معلمات، غضبي، غضبان، حمراء، دمشقي)، وفي: (يفعلان، يفعلون،...)؛ ففي كلمة (معلمة) - مثلاً - أصبح حرف التاء الذي أتى بعد الميم هو الذي يقع على حركته التأثير، وبالتالي أصبح هو الآخر. وهكذا.

3- حرف قبل الحرف الأصلي الذي كان آخرًا، فحذف فأصبح ما قبله هو الحرف الذي يقع عليه التأثير، وبالتالي أصبح هو الآخر. وهذا لا يكون إلا في:

أ- صيغ منتهى الجموع من الخماسي وفي صيغ تصغيره، تقول في: (سفرجل، فرزدق، عندليب)، (سفارج وسفيرج، فرازد و فريزد، عنادل و عنيدل) فاللام في (سفرجل) - مثلاً - حذفت فأصبح التأثير على الجيم؛ أي على حركة حرف الجيم. وهكذا

ب- فيما أذهبت منه اللغة حرفاً مع الأيام: يدٌ، دمٌ، حرٌ، سةٌ، ددٌ، غدٌ، فمٌ، أبٌ، أخٌ، حمٌ، هنُنٌ. فيدٌ أصلها يدي، حذفت منها الياء فأصبح التأثير على الدال.

6.1.2. الآخر الذي يكون التأثير عليه هو

إن الآخر الذي يكون التأثير عليه هو، إنما يكون:

- 1- الواو في الأسماء الخمسة: (أب، أخ، حم، فو، نو)¹ مضافات إلى غير ياء المنكلم، تقول: هنا أبوك، وجاء نو مال،....
- 2- الواو في جمع المذكر السالم، وكل جمع بزيادة الواو والنون على آخره، مثل: الفلاحون تؤثر عليهم سِنو المَحَل.
- 3- الألف في المثنى، مثل: هذان كتابا نحو.
- 4- النون في الأمثلة الخمسة: (يفعلان، تفعلان،...).
- 5- حرف العلة في الأمثلة الأربعة: (أفعل، نفعل، تفعل، يفعل)، مثل: (يخشى، يغزو، يرمي،...). وتظهر الفتحة على نحو: (يغزو، ويرمي) فيكون التأثير هنا مرة على الحرف ومرة يحرك.

¹ نو معناها هنا صاحب.

وفي (أي، مَنْ) مسؤولاً بهما عن منكور يكون التأثير على آخرهما تارة
وعلى ما يلحق بآخرهما تارة.

فيكون لـ (أي) في الوقف والوصل إعراب المفرد والمثنى والجمع
المذكر السالم وجمع الألف والتاء، يقال: جاء رجل، فتقول مستثباتاً: أيُّ؟
ويقال: جاءت امرأة، فتقول: أيَّة؟، وفي المثنى: أيَّان، وأيَّتان؟، وفي الجمع:
أيُّون، وأيَّات؟.

ويكون لـ (مَنْ) في الوقف إعراب الأسماء الخمسة والمثنى وجمع الواو
والنون وجمع الألف والتاء، يقال: جاء زيد، فتقول مستثباتاً: منو؟، ويقال
جاءت هند، فتقول: منة؟، ويقال جاء الزيدان والهندان، فتقول: منان
ومنتان؟، ويقال جاء الزيدون والهندات، فتقول: منون ومنات؟.

6.2. الآخر في الكلمات المبنيّة

قلت: (إن آخر الكلمة المبنيّة هو الحرف المماثل للحرف الذي يقع عليه التأثير في المعربات). ولعلّة لم يكن عليه التأثير، فعلى هذا تكون:

1 - حروف الزيادة التي تلحق بالفعل الماضي للدلالة على الغياب والحضور هي الآخر، لأن مثيلاتها في الكلمات المعربة كانت هي الآخر، فالتاء من: (فعلتُ، فعلتَ، فعلتِ، فعلتُ) مثل التاء من نحو: (معلمة، معلمات)، والنون من: (فعلنَ، فعلتُنَّ) مثل نون الصيغ الخمس، والألف في (فعلًا، فعلتًا، فعلنا، فعلتُما) مثل ألف التثنية، والميم من: (فعلتم) نظير الميم في نحو (دردم، وحلقوم).

أما (فعل) فأخرها حرف أصلي.

2 - نون النسوة في: (يفعلن، تفعلن) هي الحرف الأخير، لأن هذه النون هي مثل نون الصيغ الخمس. وكان حقها أن يكون عليها تنوع الحركة بحسب العوامل، ولكنهم لم ينوعوا حركتها، بل جعلوها أبدأً مفتوحة طرداً للباب مع (فعلنَ، فعلتُنَّ). وقد وجدنا نون الصيغ الخمس يقع عليها التأثير، والأحرف المزادة التي أصبح عليها التأثير، من مثل: (عطشان، معلمة، دمشقي) حيث أصبحت نون: (عطشان)، وتاء (معلمة)، وياء (دمشقي) هي الحرف الأخير؛ هي مثل نون: (يفعلن، تفعلن).

وما كان من نحو: (فعلنَ، فعلتُنَّ، فعلنا، فعلتُ،...) فإن من الأولى أن يكون فيه (النون والألف والتاء...)؛ هي الآخر، لأن هذا أقعد في البناء، لأن المطرد في الكلمات المبنية أن آخرها هو الحرف الأخير أبداً.

3 - الحرف الأخير في الأسماء المبنية هو آخر الكلمة، لأنه يمثل لام الكلمة، ولأن المبنيات هذه؛ من التكلف اعتبار شيء من أحرفها زائداً، إن في الآخر وإن في غيره.

4 - ومثل هذا يقال عن الحروف.

6.3. الكلمات المبدوءة بهمزة الوصل

6.3.1. تعريفها

هنالك نوع من الكلمات المبدوءة بالهمزة تسقط همزتها في درج الكلام - حين السلك طبعاً - لفظاً لا خطأً، وتثبت إذا ابتدئ بها، تقول: انكسر قلبي، فتلفظ همزة (انكسر)، وتقول: يا زيد انكسر القلم، فلا تلفظها.

6.3.2. وجودها

هذه الهمزة توجد في أوائل:

- الأفعال الماضية التي على الأوزان: (انفعل، افتعل، استفعل،...)، نحو: (انكسر، اجتمع، استفهم،...)، والتي على الوزنين: (تفعل، تفاعل) إذا أدغمت تأوها بالفاء، نحو: (اطير، أثقل)، ولكن الأكثر: (تطير، تثاقل).
- الأفعال المضارعة المجزومة بلام الأمر المحذوفة المأخوذة من أوزان الأفعال الماضية الأولى، تقول: (انكسر، اجتمعوا، استفهمي،...)، ومن أوزان الثلاثي الساكنة الفاء، نحو: (اضرب، اكتب، انهضوا، ارمي،...).
- أسماء الأحدث المشتقة من أوزان الأفعال الماضية الأولى، نحو: (انكسار، اجتماع، استفهام،...).
- الأسماء المعهودة من نحو: (الرجل، الكتاب، الكاتب، الذي كتب).

- الأسماء التالية نصاً: (ابن، ابنة، ابنم، امرؤ، امرأة، اثنان، اثنتان، اسم، است، ايم، ايمن).

6.3.3. لفظها في القطع

هذه الهمزة تُلَفِّظُ في القطع مع تالي الساكن بعدها المفتوح والمكسور مكسورة، نحو: (إنكسر، إنكسار)، ومع المضموم مضمومة، نحو: (أنكسر، أنظر)، وتُلَفِّظُ في نحو: (الرجل) وفي (أيم وأيمن) مفتوحة.

6.3.4. حال الساكن قبلها في الوصل

إن حذف هذه الهمزة يجعل الكلمة مبدوءة بساكن، ففي الوصل: إذا كان آخر الكلمة التي قبلها ساكناً مدياً حذف - ولكنه يبقى خطأً محافظة على صورة الكلمة -، مثل: «مَا القارعة»، «عملوا الصالحات»، «لأولي النهي».

وإذا كان ساكناً غير مدياً حرك بالكسر، مثل: «سبح اسم»، «لو استقاموا»، «قالت امرأة العزيز».

وتحرك مع ذي (ال) بالفتح نون (من)، مثل: «من الجنة والناس»، وياء المتكلم أيضاً، مثل: لي الله، وينصرنى الله، وناصرى الله.

وتحرك واو الجماعة وميمهم بالضم فقط، مثل: عليكم السلام، رموا السهام.

6.4. الكلمات بالنسبة لما يجد لها

معلوم أن الكلمات مفردةً مستقلً بعضها عن بعض فلا تأثير لأي منهن في الأخرى، فالذي يجد للكلمات إنما يجد لها حينما تكون مركبة؛ أي مسلوكة بعضها مع بعض.

وهي حينئذ نوعان:

الحروف والأفعال الماضية: هذا النوع يحمل في ذاته - على آخره طبعاً - سكوناً أو حركة لا تغير عليهما.

الأفعال المضارعة والأسماء: هذا النوع يحمل في ذاته حالة - على آخره طبعاً - هي حالة الرفع، وأثناء السلك قد تدخل على هذا النوع العوامل. والعوامل هي كلمات أخرى تؤثر فيهما.

فأما الكلمات التي هي (أفعال مضارعة) فتتقلها العوامل من حالة الرفع التي تحملها إلى حالة الجزم أو حالة النصب؛ نصب المضارع.

وأما الكلمات التي هي (أسماء) فتتقلها العوامل من حالة الرفع التي تحملها إلى حالة الخفض، أو حالة النصب؛ نصب الأسماء.

وهذا يقودنا إلى:

1- بيان مجاري الكلمات إعراباً وبناءً.

2- بحث المعربات وأثر الإعراب عليهن.

3- المبنيات وأسباب بنائهن (مجارياً).

6.4.1. مجاري الكلمات إعراباً وبناء

المجاري جمع مجرى، والمجرى وضع على آخر الكلمة. هذا الوضع: إما أصلي قد يُنقل منه - أثناء السلك طبعاً - إلى غيره بعامل، وإما ثابت لا يتغير.

فالمجرى، إذن:

حركة أو سكون على الآخر أو حرف هو الآخر، يكون عليهن تأثير العوامل.

ففي قولنا: (زيدٌ يكتبُ)، مجرى كل من الكلمتين (زيد ويكتب) هو الضمة.

وفي قولنا: (فلاحو قرينتنا ينتجون)؛ مجرى كلمة (فلاحو) هو الواو، ومجرى الكلمة (ينتجون) هو النون.

وفي قولنا: (هذان كتابا نحو)؛ مجرى كل من الكلمتين (هذان وكتابا) هو الألف.

هذه المجاري وأمثالها عرضة لأن تدخل على كلماتهن عوامل مختلفة فتتغير تبعاً لهذه للعوامل.

والمجرى أيضاً:

حركة أو سكون لا تغير فيهما، بعيدان عن العوامل.

ففي قولنا: (قد حضرَ هؤلاء)، مجرى هذه الكلمات - على الترتيب - هو السكون فالفتحة فالكسرة.

الإعراب والبناء

أ- يسمى الوضع الثابت على آخر الكلمة بناءً، وتسمى الكلمة التي على آخرها هذا الوضع كلمة مبنية.

وهذا الوضع الثابت على الآخر:

إما أن يكون سكوناً، وإما أن يكون فتحةً، وأما أن يكون ضمةً، وإما أن يكون كسرةً.

فالكلمات المبنية:

- إما أن تكون مبنية على السكون، مثل: (لم، قد، نعم، الذي، فعلت،...)،

- وإما أن تكون مبنية على الفتح، مثل: (رب، أنت، فعل، فعلت،...)،

- وإما أن تكون مبنية على الكسر، مثل: (جير، سيوبه، هؤلاء، فعلت،...)،

- وإما أن تكون مبنية على الضم، مثل: (منذ، حيث، قبل، فعلت،...).

ب- ويسمى الوضع الأصلي على آخر الكلمة والذي يُنتقل منه إلى غيره بعامل إعراباً، وتسمى الكلمة التي على آخرها هذا الوضع كلمة معربة. والوضع الأصلي يسمى بالرفع، والوضع الذي ينتقل إليه بعامل، يسمى بحسب نوع العامل بالجزم أو الخفض أو النصب.

إن سكون لدينا فيما يأتي: عوامل للجزم، وعوامل للخفض، وعوامل للنصب. ولا عوامل للرفع، بل الرفع وضع أصلي كما ذكرت.

والرفع يكون بالضمّة وما ينوب عنها، والجزم والخفض والنصب يكن - على الترتيب - بالسكون والكسرة والفتحة وبما ينوب عن كل واحدة منهن.

وهذا يأتي في البحث التالي.

6.4.2. المعربات وأثر الإعراب عليهن

المعربات هي الكلمات التي تتأثر بالعوامل متأثراً ظاهراً، أو مقدرراً لعلّة؛ فهي تضم الأفعال المضارعة كلها والأسماء كلها. ويكون أثر الإعراب عليهن بحسب الفئات التالية:

- الأمثلة الأربعة: (أفعل، نفعل، تفعل، يفعل).
- الأمثلة الخمسة: (يفعلان، تفعلان، يفعلون، تفعلون، تفعلين).
- المثالان: (يفعلن، تفعّلن).
- الأسماء المنصرفة: وهي تشكل الفئة الكبرى من الأسماء، مثل: (رجل، شجرة، كتاب، زيد، رجال، كتابة،...)
- الأسماء الناشئة (الممنوعة من الصرف)، نحو: (أحمد، دمشق، حمراء،...).
- جمع الألف والتاء.
- الأسماء الخمسة: (أب، أخ، حم، فو، نو).
- المثني.
- جمع المذكر السالم.
- الاسم المضاف لياء المتكلم، والاسم المبني؛ الأول، نحو: (أبي، أعمامي، عماتي،...)، والثاني، نحو: (أنت، الذين، هؤلاء، كم،...).
- (مَنْ وأي) في الاستثبات.

أ- الأمثلة الأربعة

إذا كانت الأمثلة هذه غير معتلة الآخر ولا متصلة بنوني التوكيد، فإنها تكون مرفوعة بالضمة، نحو: أنا أجتهدُ، وزيد يلعبُ. وتدخل عليها عوامل الجزم والنصب، فتجزم بالسكون، وتُنصب بالفتحة. ولنأخذ مقدماً (لم) أحد عوامل جزم المضارع، و(لن) أحد عوامل نصبه - نقول: أنا لم أجتهدُ،

وزيد لم يلعب، قال تعالى: ﴿لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كفواً أحد﴾، ونقول: أنا لن أجتهد، وزيد لن يلعب. قال تعالى: ﴿إنه ظن أن لن يحور؛ بلى...﴾. أما المعتلة الآخر منها، نحو: (أغزو، أرمي، أخشى)؛ فإنها تكون مرفوعة بضمّة مقدرة على الألف للتعذر؛ لتعذر النطق بالحركات على الألف، وبضمّة مقدرة على الواو والياء للثقل؛ ثَقَلِ النطق بالضمّة عليهما، وقد ظهرت عليهما دلالة على الأصل، رووا:

إذا قلت: علّ القلب يسلو، قبيضت هواجس لا تنفك تخريه بالوجد
فعوضني منها عنائي، ولم تكن تساوي عيري غير خمس دراهم
وتدخل عليها عوامل الجزم، فتجزم بحذف حرف العلة، تقول: زيد لم
يغزُ ولم يرم ولم يلق العدو، قال تعالى: ﴿لئن لم ينته لنسفنا بالناصية﴾.
وتدخل عليها عوامل النصب، فتتصب بفتحة مقدرة على الألف للتعذر،
تقول: لن نخشى العدو، قال تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا
النصارى...﴾، وتتصب بفتحة ظاهرة على الواو والياء، تقول: لن تغزو
ولن ترمي، قال تعالى: ﴿لن ندعو من دونه إله﴾، ﴿لن يؤتيهم الله خيراً﴾.
وقد لا تظهر، قال كعب بن زهير فأخر:

أرجو وأمل أن تدنو مودتها وما إخال لدينا منك تتويل
ما أقدر الله أن يدني على شحط من داره الحزن ممن داره صول
وأما المتصلة بنوني التوكيد منها، فإن الأثر الإعرابي مقدر عليها. التزم
العرب سكون النون الخفيفة، وفتح النون الثقيلة (المشددة) في حالات
وكسرها في حالات، وذلك لتمييز هذه عن الأسماء المماثلة لها، وطرداً
للإب.

ب- الأمثلة الخمسة

هذه الأمثلة تكون مرفوعة بثبوت النون: تقول أنت تحسنين، وهما يسيئان، قال تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾. وتدخل عليها عوامل جزم المضارع وعوامل نصبه، فتجزم وتنصب بحذف النون، تقول: الزيدان لم يحسنا وأنتم لم تسيئوا، وتقول: الزيدان لن يحسنا وأنتم لن تسيئوا. قال الله تعالى: ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار...﴾.

ت - المثالان

المثالان هذان يقدر عليهما الأثر الإعرابي، لأن الفتحة مفروضة على النون تمسكاً بحركة واحدة لنون النسوة في المضارع كما هي في الماضي (ن) - لذلك لم يديروا على هذه النون حركات الإعراب -، تقول: النساء يعلمن، ولم يعملن، ولن يعملن، كما تقول: النساء علمن، وماعلمن، قال تعالى: ﴿واللآئي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللآئي لم يحضن...﴾. يلاحظ أن نون النسوة مفتوحة أبداً ساكن ما قبلها أبداً في الماضي والمضارع.

ث - الأسماء المنصرفة

هذه الأسماء تكون مرفوعة بالضمّة تقول: زيدٌ مهذبٌ، وجاء عبدُ الله. وتدخل عليها عوامل خفض الأسماء وعوامل نصبها، فتخفض بالكسرة، وتنصب بالفتحة - ولناخذ مقدماً (في) من عوامل خفض الأسماء، و(إن) من عوامل نصبها - نقول: الدارُ مستراح، وندخل عليها عامل الخفض، نقول: في الدارِ مستراح، وندخل عليها عامل النصب فنقول: إنَّ الدارَ مستراح.

ثم إن هذه الفئة من الأسماء تلحقها مجردة من القصد نون ساكنة تسمى التنوين. سيأتي لها بحث.

ج- الأسماء الناشزة؛ الممنوعة من الصرف

الأسماء هذه تكون مرفوعة بالضمّة، تقول: أحمدُ مهذبٌ، ودمشقُ مدينةٌ جميلةٌ، وهذه وردهُ حمراءُ.

وتدخل عليها عوامل خفض الأسماء وعوامل نصبها، فتخفض وتنصب بالفتحة. نقول: في دمشقَ بساتينُ جميلةٌ، وإنَّ أحمدَ مهذبٌ. وإنما كان خفضها بالفتحة طلباً لتخفيف ثقلها.

غير أن الاسم منصرفاً وناشزاً (غير منصرف).

إذا كان آخره ألفاً فإنه لا يتحمل شيئاً من الحركات، لتعذر النطق بالحركات عليه، فنقدر الحركات عليه للتعذر، نقول: الفتى عليٌّ، وإنَّ الفتى عليٌّ، وفي الفتى همّةٌ. وتقول: ليلي بدرٌ، وإنَّ ليلي بدرٌ، وفي ليلي خُلُقٌ حسنٌ.

وإذا كان آخره ياءً غير مشددة مكسوراً ما قبلها فإنه يستقل عليها الضمة والكسرة فلا تلفظان، تقول: جاءَ القاضي، والأملُ في القاضي. وقد ظهرت دلالة على الأصل، قال أبو خراش فجرير فمهلهل مرتين:

تراه - وقد فات الرماة - كأنه أمام الكلاب مصغي الخدِ أصلم¹
فيوماً يوافين الهوى غير ماضيٍ ويوماً ترى منهن غولاً تغولاً²
فابكين سيد قومه واندبنه شدت عليه قباطي الأكفان³

¹ أصغى خده: أماله. الأصل: المقطوع الأذنين.

² الغول: بعد المفازة لأنها تغتال من يمر بها.

³ ندبه: صاح عليه لأمر عظيم، وإنما يندب لذلك من يخف له. القباطي: ثياب بيض من الكتان من صنع الأقباط في مصر.

ويقلن من للمستضيق إذا دعا أو من لخصب عوالي المُران¹
أما الفتحة فتظهر على الياء لخصتها، نقول: إنَّ القاضيَ هنا، وإنَّ
الجواريَ في غرفهن، قال الفرزدق فجرير:

إنَّ القوافيَ لن يُرجعن فاستمعوا إذا بلغن شعاب الغور ذي القنن²
إنَّ الغوايديَ والسواريَ غادرت للريح مخترقاً به وفصولاً
وقد لا تظهر، قرأ جعفر الصادق (ع): من أوسط ما تطعمون أهاليكم.
وقال رؤبه وقيس ليلي:

كأن أيديهن في القاع القرق أيدي جوار يتعاطين الورق
ولو أن واش باليمامة داره وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا
وقال المبرد عن اسكان الياء: إنها من أحسن ضرورات الشعر.

ح- جمع الألف والتاء

هذا الجمع يكون مرفوعاً بالضمّة، تقول: النساءُ أمهاتٌ لنا وأخواتٌ
وبناتٌ، قال تعالى: ﴿والمطلقاتُ يتربصن بأنفسهنَّ ثلاثةَ قروء...﴾.
وتدخل عليه عوامل خفض الأسماء وعوامل نصبها، فيخفض وينصب
بالكسرة، تقول: في الطالباتِ نوابغٌ، وإنَّ الطالباتِ مهذباتٌ، قال تعالى:
﴿إنَّ في السماواتِ والأرضِ لآياتٍ﴾³.
وإنما كان نصبه بالكسرة تناسباً مع جمع المذكر السالم والمثنى. الثلاثة
خفضهن ونصبهن بشيء واحد.

¹ المستضيق: الذي وقع في ضيق من أمره. المُران: الرماح أطلق عليها ذلك
لمرونتها.

² الغور من كل شيء: قعره وعمقه. القنن، قنن كل شيء: أعلاه.

³ آيات: معمولة لـ (إنَّ) منصوبة بالكسرة.

وهذا الجمع تلحقه - إذا كان مجرداً من (ال) والمضاف إليه - نون التنوين، تقول: آياتٌ بيّناتٌ.

خ- الأسماء الخمسة

هذه الأسماء¹ تكون مرفوعة بالواو، تقول: أبوك هنا وأخوك هناك. قال المتنبي:

ذو العقل يشقى بالنعيم بعقله وأخو الجهالة بالشفاعة ينعم
وتدخل عليها عوامل الخفض فتخفض بالياء، تقول: في ذي المال
تقصير. قال الشاعر الحكيم:

قالت الضفدع قولاً فسرتة الحكماء؛

في فمي ماء، وهل ينطق من في فيه ماء؟!

وتدخل عليها عوامل نصب الأسماء فتنصب بالألف، تقول: إن حماك آت،
وإن أخاك معه، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتَقاً مِنَ اللَّهِ...﴾.
فهذه الأسماء تعرب بالحركات ممطوبات، وإنما يكون لهن ذلك حين
يكن مضافات لغير ياء المتكلم، وإنما مطت حركاتهن تعويضاً لهن عن
آخرهن المحذوف.

د- المثني

المثني يكون مرفوعاً بالألف، تقول: الزيدان واقفان بالباب، قال تعالى:
﴿تبت يدا أبي لهب﴾، ﴿قال رجلان من الذين يخافون...﴾.

وتدخل عليه عوامل الخفض والنصب، فيخفض وينصب بالياء؛ ياء
اللين، تقول: في يديك الأمر، وإن أخويك عندنا، قال ثابت قطة¹ فالأخطل:

¹ قال ابن مالك:

من ذاك (ذو) إن صحبةً أبانا (الفم) حيث الميم منه بانا
(أب، أخ، حم) كذاك (هن) والنقص في هذا الأخير أحسن

ما كان في أبويك قادح هجنة فيكون زندك في الزناد صلوداً²
أبني كليب! إنَّ عميَّ اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا
ثم في المثني تأتي بعد الألف والياء في غير الإضافة نون مكسورة،
تقول: هذان كتابان يا فتى، وقرأت في كتابين يا فتى.
الألف التي هي علامة رفع المثني أرى أنها منقلبة عن واو لانفتاح ما
قبلها، لأن علامة الرفع إما ضمة وإما واو - وما الواو إضافة ممدودة
- فـ (يدان) أصلها (يدون) قلبوا هذه الواو ألفاً لئلا تلتبس مع نحو:
(الأعلون، والمصطفون).

ذ- جمع المذكر السالم

هذا الجمع وما أعرب بواو ونون، من نحو: (سنون، عشرون، بنون،
أبون، أولو،...)، يكون مرفوعاً بالواو، تقول: (المعلمون بينون الإنسان)،
قال تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾.
وتدخل عليه عوامل الخفض والنصب، فيخفض وينصب بالياء المدّ،
تقول: (في الصالحين ثقة، وإنَّ المجاهدين مقدّسون)، قال تعالى: ﴿إنَّ
المتقين في ظلال وعيون﴾، وقال قس بن ساعدة:
في الزاهيين الأولي - من من القرون لنا بصائر
ثم إنه في هذا الجمع تأتي بعد الواو والياء في غير الإضافة نون
مفتوحة، تقول: (المعلمون في السابقين).
وإنما كان إعراب المثني وهذا الجمع بالحروف بدلاً من الحركات مع أن
النون حرف قابل للتحريك مثله مثل تاء تأنيث الاسم: (معلم، معلمة)،

¹ شاعر شجاع من شعراء الدولة الأموية.

² الهجنة هنا: كون أحد الزندين وارياً والآخر صالداً، وصد الزند: صوت ولم يور،
فهو صالد وصلود.

ومثل ياء النسبة: (دمشق، دمشقيّ) إنما كان ذلك لأن في اللغة العربية الكثير من الأسماء التي تنتهي بزيادتيهما فيحدث الالتباس، ولأن النون تحذف في الإضافة.

ر- الاسم المضاف لياء المتكلم والاسم المبني

هذان الاسمان تقدر عليهما الحركات الثلاث، لأن المضاف لياء المتكلم مفروض على آخره الكسرة لمناسبة الياء، ولأن المبني ملتزم بحركة بنائه،

أقوال النحاة في المضاف لياء المتكلم

- 1- الجمهور: معرب بحركات مقدره.
- 2- الجرجاني وابن الخشاب والمطرزي والزمخشري: مبني.
- 3- ابن جني: لا معرب ولا مبني.
- 4- ابن مالك: معرب بحركة ظاهرة في الجر، ومقدرة في الرفع والنصب.

ز- (مَنْ) و(أَي) في الاستثبات

- (مَنْ):

إذا استثبت العربي عن نكرة بـ (مَنْ) واقفاً عليها جاء بها معرفة على منهاج الأسماء الخمسة إذا كانت النكرة لمفرد مذكر، ويؤنثها مع المؤنث، ويثنيها مع المثني، ويجمعها مع الجمع.

فإذا استثبت عن (رجل) من قول القائل: (هذا رجل)، قال: منو؟. وعن قوله: (مررت برجل)، قال: مني؟. وعن قوله: (رأيت رجلاً)، قال: منا؟. يتبع بـ (مَنْ) منهاج الأسماء الخمسة.

وإذا استثبتت عن (امرأة)، قال: مَنْه؟. يتبع بها منهاج الاسم المؤنث من نحو: (امرأة، ومعلمة،...). غير أنه هنا يأتي بالهاء ساكنة، فيقدَّر عليها الإعراب في الحالات الثلاث للوقف.

وإذا استثبتت عن مثنى، قال: مَنْان؟ للمذكر، ومَنْتان؟ للمؤنث، في الاستثبات عن المرفوع، ويقول: مَنْين؟، ومَنْتين؟ عنه في الاستثبات عن المخفوض والمنصوب. يتبع بها منهاج المثنى.

وإذا استثبتت عن جمع مذكر، قال: مَنْون؟، في الاستثبات عن المرفوع ويقول: مَنْين؟ عنه في الاستثبات عن المخفوض والمنصوب. يتبع بها منهاج جمع المذكر السالم.

وإذا استثبتت عن جمع مؤنث، قال: مَنْات؟، يتبع بها منهاج جمع المؤنث السالم، ولكنه هنا يأتي بالتاء ساكنة فيقدر عليها إعراب جمع المؤنث السالم في الحالات الثلاث للوقف.

وإذا استثبتت بـ (مَنْ) عن نسبة العلم ألحقها (الـ) وياء النسبة وأعربت أيضاً إعراب المنسوب مع الجميع. فإذا قيل: (جاء زيد)، قلت: المنى؛ أي: الحمصي، أم الحموي،...؟. وإذا قيل: (جاء الزيدان)، قلت: المنيان؟ وإذا قيل: (جاء الزيدون)، قلت: المنيون؟. وهكذا.

- (أي):

أما (أي) فهي معربة في غير الاستثبات، تسلك سبيل المفرد المذكر أبداً، وربما أنثت، كما في قول الكميت:

بأي كتاب أم بأية سنة يرى بغضهم فرض علي وأضرب
أما في الاستثبات فإنها: تؤنث مع المؤنث، وتثنى مع المثنى، وتجمع مع الجمع.

تقول عن نكرة - في الوصل - لمن قال: (جاء رجل)؛ أيّ يا فتى؟،
ولمن قال: (مررت برجل)؛ أيّ يا فتى؟، ولمن قال: (رأيت رجلاً)؛ أيّاً يا
فتى؟.

وفي التنثية تقول: أيّان يا فتى؟، وأيّتان يا فتى؟، إذا كان المستثبت عنهما
في الوضع الأصلي. وتقول: أيّين يا فتى؟، وأيّتين يا فتى؟، إذا كان
المستثبت عنهما مخفوضاً أو منصوباً.

وفي جمع المذكر العاقل، تقول: أيّون يا فتى؟، إذا كان المستثبت عنهم
في الوضع الأصلي. وتقول: أيّين يا فتى؟، إذا كان المستثبت عنهم
مخفوضاً أو منصوباً.

وفي جمع الإناث، تقول: أيّة أو أيّات يا فتى؟، إذا كان المستثبت عنهن
في الوضع الأصلي. وتقول: أيّات يا فتى؟، إذا كان المستثبت عنهن
مخفوضاً أو منصوباً. ولك أن تقول مع المخفوض: أيّة يا فتى؟، ومع
المنصوب أيّة يا فتى.

ثم أنه لا يوجد في الأسماء ما آخره واو مضموم ما قبلها.
أما في الوقف فإن التنوين يسقط والآخر يُسكّن، فتقول عن (رجل): أيّ؟،
وعن (امرأة): أيّة؟، وعن (رجلين): أيّان؟. وهكذا.

إن (منو) وأخواتها معربات

إنما قلت: إن (منو؟) وأخواته معربات:

1- لأن موقعها كذلك؛ ألا ترى أنها في الوضع الأصلي مع المفرد
المذكر بالواو، ثم تنقل بعوامل الخفض إلى الياء، وبعوامل النصب إلى
الألف شأن الأسماء الخمسة. وأنها في الوضع الأصلي مع جمع المذكر
السالم بالواو أيضاً، ثم تنقل بعوامل الخفض والنصب إلى الياء شأن جمع

المذكر السالم. وأنها في الوضع الأصلي مع المثني بالألف، ثم تنقل بعوامل الخفض والنصب إلى الياء شأن المثني.

ولنذكر أننا نتعامل مع الألفاظ فلا نعقد الأمور، فنقول - على طريقتهم - : (منو) مرفوع بضمه مقدره على النون الساكنة والواو للحكاية...، بل نقول: (منو) مرفوع بالواو مثل الأسماء الخمسة، فنخلص من الترجمة عن سكون النون الذي لا يوجد، ونتخلص من نسبة الواو لشيء غير ذي علاقة بالإعراب.

2- لأنه عاد لـ (مَنْ) خواص الأسماء المعربة من تعريف وتكثير، ألا ترى إلى ما حكاه يونس عن العرب: (ضرب مَنْ مَنًا؟)، فقد أعربوا (من) حين قصدوا بها التكثير، فكأنهم قالوا: (ضرب إنسان إنساناً).

وكذلك عادت إليها خواص التثنية والجمع والتذكير والتأنيث، ويكفي ينتقل الاسم بين صفتين متقابلتين من هذا حتى يكون معرباً؛ لأن الأصل في الأسماء الإعراب؛ وقد كانت (أي) معربة من بين أخواتها لتنتقلها بين التعريف والتكثير. وقد كانت (ذان والذان اثنا عشر) معربات من بين أخواتهن بسبب التثنية.

3- لأنها تعرفت بـ (الـ) ولحقتها ياء النسبة في الاستثبات عن صفة العلم. فماذا بقي من صفات الأسماء المعربة؟! إن هذه الكلمة بنيت لعل، وزالت هذه العلة؛ فعادت إلى الإعراب. مغتربة عادت إلى وطنها.

1- بحث المنون وغير المنون

- سبب التنوين

إن التعريف بالاسم يثبت به على الحركة اللازمة للآخر دون زيادة أو نقصان. لأن أمره واضح.

أما التذكير - والتذكير شك لما فيه من الجهالة - فيزاد في آخره صوت الأنف النافخ الدال على الشك، ألا وهو صوت النون الساكنة المسماة بالتونين.

ومن أجل طرح الشك كان عدم التونين في:

أ- المحلى بـ (الـ)، نحو: (الرجل).

ب- المضاف، نحو: (رجل قوة).

ت- المنادى المفرد المقصود، نحو: (يا رجل).

ث- ما دخلت عليه (لا) النافية للجنس، نحو: (لا رجل).

ج- المبنيات، نحو: (أنت، الذي، هؤلاء،...).

ح- الفعل، نحو: (ضرب، يضرب).

- المنون

المنون: هو الاسم الدال على واحد أو فئة من جماعة متماثل أفرادها، فكأنه فرد متكررة صورته؛ فهو غير متعين من بينها. فالتونين علم على جهالة صاحبه؛ لذا فالاسم المنون غير محصور صاحبه في فرد خاص متعين. ولهذا:

نجد التونين في أسماء الأجناس: (كتاب، رجل، رجال، امرأة، ضارب، ضاربة، مسلم، مسلمات، دمشقي، رجيل، قاض، فتى، عصاً)،

ونجده فيما فقد تخصصه بما كان يضاف إليه فعادت إليه الجهالة، نحو: (كل، بعض، أي، يومئذ، جئت قبلاً،...)،

ونجده فيما لم يقصد هو لذاته بل قصد جنسه، فبقي في جهالته، نحو: (يا غافلاً والموت يطلبه)؛ قول الواعظ، و(يا ماراً خذ بيدي)؛ قول الأعمى، ونحو: (ألا رجلاً جزاه الله خيراً)، ونحو: (إيه) للحديث العام، ونحو: (جاء

أحمدٌ وأحمدٌ آخر)، و(رب عثمانٍ وعمرٍ عندنا)، و(مررتُ بسبيويهٍ حديثاً)، و(لكل فرعونٍ موسى)، ونجده فيما فقد ثبوته في صيغ منع الصرف فصار في عامة الأسماء، نحو: (سفيانٌ) للطويل الذي مؤنثه (سفيانة)، و(أرطى) اسم نبات مفردة (أرطاة)، و(جوارٍ) جمع (جارية) الذي نقص وزنه عن وزن صيغ منتهى الجموع، ونحو: (أعيمٍ) مصغر (أعمى) الذي نقص وزنه عن (أفيعل)، و(خيرٌ) اسم تفضيل لم يأت على (أفعل)، و(عبادلة) الذي زاد وزنه على (مفاعل).

- غير المنون

غير المنون: هو الاسم الدال على المعرفة؛ فهو يدل على ذات صاحبه، فعدم التنوين علم على المعرفة، لأن الكلام المبين إنما يكون بالكلام عن شيءٍ محددٍ معرفةٍ لا عن شيءٍ عامٍ نكرة، كما أن التنوين علم على الجهالة.

فلوجود التعريف في الأسماء الغرضية - وهي مبنية - لم تتون، لأن كلاً منها يدل على ذات صاحبه، مثل: (أنت، هذه، كم، من قبل). (قبل) هذه معرفة: قال بن مالك في ألفيته: {وأعربوا قبلاً إذا ما نكرا}.

ولوجود التعريف في المنادى المقصود لم ينون، نحو: (يا رجل، يا زيد)، وأيضاً ولنفس السبب لم ينون المنفي جنسه بنفي فرد منه، نحو: (لا رجل، ولا رجال)؛ فكأنه صار معرفاً بـ (الـ) الجنس.

ولوجود التعريف في المحلى بـ (الـ) أو في المضاف لم ينون أيٌّ منهما نحو: (الرجل، والتلميذات)، ونحو: (رجلٌ علم، وتلميذات الصف).

ولوجود التعريف في العلم الموصوف بـ (ابن) مضافاً لعلم لم ينون هذا العلم، نحو: (عمرو بن العاص داهية)، بينما نونوه مخبراً عنه بالـ (ابن)، نحو: (قيسُ ابن سعد بن عبادة).

وكان حق الأعلام أن تمتنع كلها عن التنوين، ولكنهم اعتبروا الشيوخ فيها، فنونوا ما كثرت لديهم التسمية به، مثل: (زيد، عمرو، حارث،...)، وما شاعت صيغته لديهم.

ولم ينونوا فئات كثيرة من الأعلام، من نحو: (فاطمة، أحمد، عمر، عثمان، جورج، معديكرب،...).

ولوجود التعريف في (فَعَالٍ) لم ينونوا، نحو: (فجار، تراك، حذام، حلاق،...). ونونوا النكرة منه، نحو: (امرأة حصانٍ ورزانٍ، وفرسٌ وساعٌ، وبعيرٌ ثقَالٌ، ورجلٌ عبام).

ولكون صيغ الأفعال نص على أصحابها؛ لأن كلاً من صيغ الفعل له مسند إليه خاص به متميز به، لذلك لم ينون الفعل. فكأن المسند إليه مضاف إليه يخصصه أو يعرفه، وقد علمنا أن الفعل: (ما أنبأ عن حركة المسمى)، فتلازما.

2- بحث الأسماء الناشئة

هناك فئة من الأسماء ثقلت أوزانها عن القسم الأكبر من الأسماء فنشزت عنه؛ فلم تقبل التنوين مطلقاً، ولم تقبل الكسرة في الخفض، فأخذت الفتحة بدلاً منها. وهي تشتمل على:

- أعلام:

منقولة من الفعل، نحو: (أحمد، يزيد، يشكر، تغلب، كعسب، شمّر،...)،
أو منقولة من أعجمي، نحو: (داوود، جورج، حمص، لندن، آذار،...).

أو منقولة من (فاعل) إلى (فعل)¹ للمبالغة، نحو: (عمر، زحل، ذبح، جحا،...)،
أو جاءت مثل (فعلان)، نحو: (عدنان، عمران، عثمان، غطفان،...)،
أو جاءت مؤنثة، نحو: (فاطمة، سعاد، حمزة، أرطى،...)،
أو جاءت مركبة والإعراب على آخرها، نحو: (معديكرب، حضرموت، بورسعيد، بعلبك،...).

- صفات:

جاءت على (فعلان)، نحو: (غضبان، عجلان، غيران، جوعان،...)،
أو جاءت على (أفعل) ومصغره، نحو: (أحذب، أكبر، أحيمر،...)،
أو جاءت على (فُعال) أو (مفعل) في الأعداد للدلالة على الفئات فيها،
نحو: (مثنى، ثلاث، رباع)، وجاءت (فعل) من (فُعال) في كلمات هي:
(أخر، جُمع، كُتّع، بُصع، بُتّع).

- أسماء:

مؤنثة بالألف، نحو: (غضبي، ذكري، سلمى، حُبلى، جرحى، جَمَزى،
خَلِيفى،...)،
أو مؤنثة بالهمزة، نحو: (حمراء، حسناء، صحراء، نفساء، كهرباء،
خنفساء، كرماء، أصدقاء،...).

- جموع تماثل (فَعَالِل) أو (فَعَالِيل):

هي لجمع، نحو: (دراهم، دنانير، جماجم، ضوارب، دواب،...).
أو هي لمفرد يحمل معنى الجمع، مثل: (هوازن، شراحيل،...).
- أعلام الجنس:

¹ وهذا كما قال أبو العباس: كأنه منقوص من (فُعال).

مثل: (أسامة) للأسد، وكلمة (سَحَر) مراداً بها سحر يوم بعينه، وكلمتا: (عَشْر، عَشْرَة) مركبتين لأنهما أصبحتا معرفتين، و(فَعَال) عند تميم (كحذام، نوار)، ثم كلمة (أشياء) لأن أصلها مثل: (أنبياء) فخففت.

- بحث أسماء رجعت عن النشوز

تعود الأسماء الناشزة إلى الأصل فتخفض بالكسرة وتتنون إذا كان هنالك مقتضى للتوين:

1- إذا كان معها ما يتعاقب عليها مع التوين، وهو المضاف إليه و(الـ)، قال تعالى: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾، وقال زهير بن أبي سلمى فالنابغة الذبياني فحامد حسن:

ديار لها بالرقمتين كأنها مراجيعُ وشم في نواشرِ معصم¹
سراته ما خلا لبانهُ لهق وفي القوائم مثل الوشم بالقار²
قالوا غلا بأبي الحسين كأنهم ما بالغوا بأبي (اليزيد) وغالوا

2- إذا احتاج الشاعر بذلك لإقامة الوزن أو للجري مع القافية المخفوضة:

الأول، كقول امرئ القيس فعمرو بن كلثوم:

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت: لك الويلات، إنك مرجلي³
وكأس قد شربت ببعلبك وأخرى في دمشق وقاصرنا

والثاني، كقول امرئ القيس مرتين:

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل¹

¹ الرقمتان: حرتان، والحررة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت. مراجيع وشم: أي الوشم المجدد؛ المردد. نواشر معصم: عروقه.

² سراته: ظهره، لبانه: صدره. لهق: أبيض. القار: الزفت.

³ الخدر: الهودج. عنيزة: ابنة عمه. مرجلي: مصيري راجلة، أمشي بعد الركوب.

ضليع إذا استدبرته سد فرجه بضاف فويق الأرض ليس بأعزل²
3- إذا قصد بالعلم جنساً يشتهر به، نحو: لكل فرعون موسى، وذهبت
الأيام بأمية وأمية غيرها، ورب معديكرب قد ولد.
4- إذا جاء العلم الأعجمي أو المؤنث على ثلاثة أحرف ساكن الوسط،
قال تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط...﴾. وقال
النابغة فعمرو بن كلثوم فصخر بن الجعد:

عوجوا فحيو لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي وأحجار³
أبا هندٍ فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقين⁴
فقلت عساها نار كأسٍ وعليها تشكى فآتي نحوها فأعودها⁵

5- إذا استعملت المؤنثات بغير التاء بالتاء، تقول: مررت بسفيانٍ
وسفيانية، وهذا يوم صحيانٌ وهذه ليلة صحيانة. وتقول: أحسنت إلى أرملةٍ
وأرمل. ويلحق به، نحو: أرنبٌ ذكر، وأرنبٌ أنثى، وأربعةٌ لنا وأربعٌ.
وتقول: عندي معزاةٌ ومعزى، وكمثراةٌ وكمثرى، وعلباءةٌ وعلباء⁶،
وخشاعةٌ وخشاء⁷.

¹ المغار: المحكم الشد. يذبل: اسم جبل بعينه.

² الضليع: العظيم الأضلاع. استدبرته: نظرت إليه من خلف. ضاف: طویل سابغ.
الأعزل: الذي يميل ذنبه إلى أحد الشقين.

³ عوجوا: ميلوا وقفوا. الدمنة: ما اجتمع من آثار الديار. النؤي: ما يكون حول الخباء
لمنع المطر.

⁴ يخاطب عمرو بن هند الملك. انظرنا: أمهلنا.

⁵ كأس: اسم امرأة.

⁶ العلباء: العصابة الممتدة في العنق.

⁷ خشاء: العظم الناتئ وراء الأذن.

6- إذا أزيد في صيغ (فعاليل أو فعائل)، نحو: كأن هذا أيام الأدارسة، وهو يهتم بعبادة مضوا، وما أكثرها عنادلةً.
وكذلك إذا أنقص منهما، نحو: «والفجر وليالٍ عشر»، «ومن فوقهم غواشٍ».

6.4.3. المبنيات ومجاريها

المبنيات هي الكلمات التي لا تتناوبها العوامل؛ فهي الحروف بنوعيهما: العاملة منها، والمهمله. والأفعال الماضية.
وهناك بعض الأسماء الغرضية وبعض الظروف في بعض الحالات غالباً يكون تناوب العوامل عليها غير تام.
وهناك من صيغ المضارع صيغة (أفعلن) أو (أفعلن) أيضاً تتناوب العوامل عليها غير تام.

أ- مجاري المبنيات

1- مجاري الحروف

الحروف جاءت مبنية على جميع الأوضاع:
فالمبني على السكون منها هو: (أجل، إذن، إذ، إذا، ألا، إلا،...)
والمبني على الفتح منها هو: (أ، أن، إن، بئس، ت، ثم، رب، سوف، كأن، ل، علّ أو لعلّ، لبيت، ليس، لكنّ، ف، نعم، و).
والمبني على الكسر منها هو: (ب، جبر، ل).
والمبني على الضم منها هو: (منذ) خاصة.

2- مجاري الأفعال الماضية

الأفعال الماضية جاءت مبنية على جميع الأوضاع:
فالمبني على السكون منها هو كل ما جاء على الأمثلة: (فعلت، فعلا، فعلتاً، فعلوا، فعلنا، فعلتم، فعلتمو).

والمبني على الفتح منها هو كل ما جاء على الأمثلة: (فَعَلَ، فَعَلَتْ، فَعَلْنَ، فَعَلْتَنَ).

والمبني على الكسر منها هو كل ما جاء على المثال: (فَعَلْتُ).
والمبني على الضم منها هو كل ما جاء على المثال: (فَعَلْتُ).

3- مجاري الأسماء الغرضية

الأسماء الغرضية جاءت مبنية على جميع الأوضاع:

فالمبني على السكون منها هو: (أَنْتُمْ، هَذَا، الَّذِي، مَنْ، كَمْ، لَدُنْ،...).
والمبني على الفتح منها هو: (أَنَا، أَنْتَ، أَنْتَنَ، هُوَ، هِيَ، تَمَّ، أَيَّانَ، أَيَّنَ، كَيْفَ، كَيْتَ، ذَيْتَ، الَّذِينَ، الْآنَ).

والمبني على الكسر منها هو: (أَنْتِ، هَذِهِ، هُوَ لَاءِ، أَمْسِ) فقط.
والمبني على الضم منها هو: (حَيْثُ، قَطُّ، عَوْضُ).

4- مجاري ما يبني من المضارع

يبني على السكون من المضارع ما انتهى بنون التوكيد الخفيفة، تقول: لا تَهْمَلُنْ، لا تَهْمَلُنْ، لا تَهْمَلُنْ.
ويبنى على الفتح منه ما انتهى بنون النسوة، تقول: أَنْتَنَ تَلْعَبْنَ، وَهِنَّ يَعْمَلْنَ.

وكذلك يبني منه على الفتح ما انتهى بنون التوكيد المشددة غير مسبوقة بألف، نحو: لا تَهْمَلَنَّ، لا تَهْمَلَنَّ، لا تَهْمَلَنَّ.
ويبنى على الكسر منه ما انتهى بنون التوكيد المشددة مسبوقة بألف، تقول: يَا هَذَانِ انْتَظِرَانِ، وَأَنْتِنِ لَا تَهْمَلِنَانِ.

5- مجموعات من الأسماء لكل منها مجرى خاص

أ- نوعان يبنيان على الفتح:

- الأعداد المركبة: (أحد عشر، اثنا عشر، ثلاثة عشر،...إلى تسعة عشر، وإحدى عشرة،...إلى تسع عشرة. وما صرفوا منها، مثل: الحادي عشر،...إلى التاسع عشر، والحادية عشرة،...إلى التاسعة عشرة).

- الظروف المركبة المسموعة: هو يأتيها صباح مساءً، ليلَ نهارَ، يومَ يومَ، وتساقطت أخول أخول، وتفرقوا شذر مذر، ووقعوا في حيص بيص، وسعد جاري بيت بيت، وبعض القوم يسقط بين بين.

ب- نوعان بينيان على الكسر:

- الأول: كسيويه، ونفطويه، وعمرويه،....

- والثاني: علم اسم حدث لمؤنث، سواء استعمل على الأصل، نحو: فحملت برّة واحتملت فجار، أو استعمل في الأمر، نحو: حذارٍ من رماحنا حذار، أو استعمل علماً لأنثى، نحو: (حذام، رقاش، سجاج،...)، أو استعمل في سبِّ الأنثى، نحو: (يا خباث، ويا غدار، ويا فساق،...).

وبنو أسد تبني (فعال) هذا على الفتح، وبنو تميم تمنعه من الصرف، والجرمي يجيز منع الصرف في المختوم بـ (ويه).

ومنع الصرف في النوعين هو القياس. لأن الأول علم مركب، والثاني علم لمؤنث.

ت- نوعان بينيان على الضم:

- مجموعة الظروف: (قبل، بعد، قدام، وراء، أمام، خلف، فوق، تحت، عل، أسفل، حسب، غير)

إن هذه الظروف تبني على الضم مقطوعةً عن الإضافة لفظاً لا معنى؛ أعني أن المضاف إليه مفهوم فيها، قال تعالى: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾، وتقول: قبضت عشرة ليس غير، وقال معن بن أوس فالعقيلي فالفرزدق:

لعمرك ما أدري وإني لأوجل على أيّنا تأتي المنية أول
إذا أنا لم أومن عليك ولم يكن لقاءك إلا من وراء وراء
ولقد سدّدت عليك كل ثنية وأتيت فوق بني كليب من عل
والظرف (حيث) يبني على الضم أيضاً، قال زهير:
فشدّ ولم يفرع بيوتا كثيرةً لدى حيث أَلقت رحلها أم قشعم

القول في بناء الظروف مضافة إلى الجمل

أما ما يذكره النحاة من بناء أسماء الزمان من نحو: (حين، وقت، يوم، أيام،...) مضافات إلى الجمل على الفتح، كما في قول النابغة:
على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت: ألما أصح، والشيب
وازع؟
فإني أقول في ذلك: إن أكثر ما جاء من شواهد هذه الظروف جاء
معرباً، وقد جاءت بعض الروايات بالفتح، وهذا يمكن تفسيره على أنه نقلٌ
لحركة همزة (أن) المصدرية إلى ما قبلها، إذ التقدير: (على حين أن
عاتبت...) وذلك لأن الإضافة تتعارض كلياً مع البناء، بل هي السبب في
إعادة الكثير من المبنيات إلى الإعراب.

سبب البناء

الحروف بنيت، لأن الحروف العاملة لا يمكن أن تكون معمولة، إذ أن
الكلمة لا تكون عاملة ومعمولة معاً؛ فهذه هي التي تعمل في غيرها فتؤثر
فيه فلا يمكن أن تتأثر هي. ولأن الحروف المهملة أخوات للحروف
العاملة، وإنما منعها من العمل مانع فأهملت؛ فهي ذوات حق في أن تؤثر
في غيرها لا أن يؤثر عليها غيرها، وكان حقها أن تعمل مثل أخواتها،
لأن العمل من خصائص الحروف؛ هي التي ينصب معناها على الأسماء
والأفعال.

الأفعال الماضية بنيت لأنها وضعت حيادية، فكانت بمنأى عن العوامل. لأن ما مضى قد انتهى أمره، فلم يعد بحاجة إلى بيان - والبيان إعراب- والإعراب يكون بالعوامل؛ فهي لذلك لا تؤثر عليها من أحد، فكانت مبنية لذلك.

الفعل المضارع المنتهي بنون التوكيد بني لأنه معها يدل على البت الذي لا مجال للإعراب معه، ولأن التوكيد لا يكون إلا في التعهد (القسم) والشرط بـ (إنما) والطلب؛ أي في نحو: والله لأجتهدن، وإما تجتهدن تتجح، واجتهدن ولا تهملن وهل تجتهدن - وما جاء من المضارع مؤكداً في غير ذلك قليل - فيكون تناوب العوامل عليه محدوداً. وأما الفعل المضارع المنتهي بنون النسوة فقد بنوه حملاً على الماضي المنتهي بها.

الضمائر بقسميها:

المنفصلة لأنها أبداً في موقع المحكي عنه، فلا تتداولها عوامل الإعراب. وأما المتصلة فإنها جزء من الكلمة التي اتصلت بها فلا بحث لها في هذا الموضوع.

أقول: أسماء العهد معربة

يقول النحاة: إن الأسماء الموصولة (أسماء العهد) كلها مبنية ما عدا (أي)، وهذه عند البصريين مبنية إذا أضيفت وكان صدر صلتها ضميراً محذوفاً.

يقول النحاة هذا وهم:

يرون الإعراب ظاهراً مقربين به في (أي، وأية)،
ويرونه ظاهراً متجاهليه في (الذان، واللذان)،

ويروونه ظاهراً في شواهد لديهم في (اللدون، واللاؤون، وذو ونقرعاتها)،
راوين أنه لغة هُذيل وعُقيل وطيء،
ويروونه ظاهراً في شواهد لديهم في (الذي) مشددة الياء.
وهو يُعلم مقدرًا في (الألى) للتعذر،
ويعلم مقدرًا في (الذي، والتي، واللائي، واللاتي، واللواتي) للثقل، أما
عدم ظهور الفتحة هنا في حالة النصب فشأنها فيها شأنها في (ثماني
عشرة، والحادي عشر، ومعدّي كرب، أيادي سبأ،...؛ جاء في الحالتين
للتخفيف.
ثم **قولي**: أسماء العهد معربة يجعل هذه المجموعة منسجمة كلها لبيت
بمنقسمة على نفسها: بعض مبني، وبعض معرب.

- بحث الأعداد من (11) إلى (19)

الأعداد: (أحد عشر، اثنا عشر، ثلاثة عشر،... إلى تسعة عشر؛ وإحدى
عشرة،... إلى تسع عشرة؛ وما صرفوا منها مثل: الحادي عشر،... إلى
التاسع عشر؛ والحادية عشرة،... إلى التاسعة عشرة).
يقول النحويون: إن هذه الأعداد- ويسمونها الأعداد المركبة- تُبنى على
فتح الجزأين، ويكون لهما محل من الإعراب ما عدا العددين اثني عشر،
واثنتي عشرة؛ يعرب الجزء الأول منهما إعراب المثني، ويكون الجزء
الثاني مبنياً على الفتح لا محل له من الإعراب.
أقول: الحق أن الجزأين معربان؛ الأول منهما مفتوح للتخفيف له محل
من الإعراب، والثاني مضاف إليه مخفوض بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه
ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل في (عَشْرَ)، وللعلمية والتأنيث في
(عَشْرَة).

ثم إن الجزأين معربان لأن الأول مضاف حُذِفَ تنوينه مفرداً، وحذِفَ نونه مثني؛ والثاني مضاف إليه كان علماً لأن العادَّ بعد أن عد (عشرة) اتخذها علماً فأضاف إليها.

إن النحويين وقعوا في خطأ كبير؛ جعلوا الشيء الواحد شيئين: أحدهما جزءاه مبيان على الفتح له محل من الإعراب، والآخر جزءه الأول معربٌ إعراب المثني وجزءه الثاني مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

أمثلة على إعراب هذه الأعداد

1- هنا أحد عشر طالباً: (أحد) محكي عنه مبني على الفتح في محل رفع، (عشر) مضاف إليه مخفوض وعلامة خفضه الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل.

2- إن ثلاث عشرة طالبة متفوقات: (ثلاثة) اسم (إن) مبني على الفتح في محل نصب، (عشرة) مضاف إليه مخفوض وعلامة خفضه الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث.

3- مررت باثني عشر رجلاً: (اثني) مخفوض بالباء وعلامة خفضه الياء لأنه مثني أو ملحوق بالمثني، (عشر) مضاف إليه مخفوض وعلامة خفضه الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل.

آراء النحاة: في العدد المركب

1- البصريون: الجزآن مبيانان على الفتح، ولا إضافة بينهما؛ لأن الإضافة إما بمعنى اللام أو بمعنى من، والنيف ليس للعشرة ولا منها بل هو زيادة عليها.

2- الكوفيون: يجوز إعراب الجزأين؛ الصدر بحسب العوامل، والعجز بالإضافة، روى: بنت ثمانى عشرة من حجته. هذا واستحسنوا ذلك إذا أضيف العجز للضمير؛ لأن الإضافة ترد الأسماء إلى أصلها. واستحسن ذلك الأخفش، وقال عنه بن عصفور إنه الأصح.

وأقول: الجزآن معربان:

أما الصدر فبحسب العوامل، إنما تقدر عليه الضمة والكسرة للتخفيف، كما تقدران على المنقوص للنقل، وكما تقدر الحركات على المقصور للتعذر، وعلى المضاف للياء للمناسبة.

وأما العجز فمضاف إليه مخفوض بالفتحة؛ لأن (عَشْرَ، وَعَشْرَةَ) ممنوعان من الصرف للعلمية مع وزن الفعل في (عَشْرَ)، ومع التأنيث في (عَشْرَةَ). ذلك لأن الإضافة واضحة في حذف نون (اثنان، واثنتان) وفي إعادة الخفض حين اضطر الشاعر للتتوين فقال: بنت ثمانى عشرة.

لقد كان (عشر) علماً على العشرة قبله، و(عشرة) علماً على العشر قبلها، كما كان (سحر) علماً على سحر يوم بعينه.

أما قول البصريين إن كتاب زيد غير زيد، **فأقول:** نعم، ولكنه ليس كتاب أحد غيره، فالكتاب هو لزيد لا لغيره.

النحو الحق
النحو على قواعد جديدة
7- العوامل

محمد علي رستاوي

7.1. مقدمة

لقد بحث النحاة القدماء والمحدثون، واجتهدوا ما وسعهم الاجتهاد في وضع قواعد تتمشى مع اللغة العربية في تغيّرات أواخر مفرداتها، وفي غير ذلك.

لقد رأوا أن هذه التغيّرات مرتبطة بكلمات أخرى، فسموا هذه الكلمات عاملة، وسموا تلك معمولة، وسموا الأثر الحادث عملاً، وكان أن وصلتنا منهم في كثير من هذه الحالات في أمر هذا الأثر أو ذاك آراء مختلفة، ووصلتنا عنهم آراء أكثر اختلافاً في أمر العامل، وقلَّ أن كان لهم في حالة رأي متفق.

وأنا أكبر هذه الآراء وأحترمها، ولكن هذا لا يمنعني أن أعرض لما أراه فيها من خطأ.

لأن هذا الخطأ قد ورّط في تعقيد القواعد، وفي البعد عن السهولة واليسر؛ مما يجعل دراستها بالغة الصعوبة في زمان لا يجد فيه الكثيرون وقتاً لدراستها.

وهأنذا أعرض ما أراه في هذه القواعد المتبعة من تعقيد ومن بعد عن الصواب والمنطق

ثم اذكر بعد ما وجدته الصواب في ذلك.

7.2. أخطاء النحاة

7.2.1. في نوعية العوامل لديهم

1- العوامل تكون أفعالاً، وتكون أسماء، بالإضافة إلى الحروف. الأفعال بأنواعها: تامة وناقصة، متعدية ولازمة، مشتقة وجامدة. والأسماء كذلك: مشتقة وجامدة، أصلية وفرعية. من عمل الأسماء الجامدة قولك: هذا لترٌ حليياً.

ومعنى ما تقدم أن كل كلمة في اللغة تعمل!، وأسألُ: أين هي تلك الكلمات التي يُعملُ بها؟.

2- العوامل تكون جملاً، بالإضافة إلى المفردات. من عمل الجمل: «اشتعل الرأس شيباً»، وقول سالم بن دارة اليربوعي؛ فالنابغة الذبياني:

أنا ابن دارة معروفاً بها نسبي وهل بدارة يالناس من عار
مقدوفة بدخيس النحض بازلها لها صريف القعو بالمسد¹
لم تكفِ العوامل عندهم مفردات، فبحثوا عنها جملاً!، كأنهم احتاجوا في هذا إلى (ورشات) للقيام بالعمل!.

3- العوامل تكون تقديرية، بالإضافة إلى الظاهرة. من عمل التقديرية، نحو: زيدا أكرمته، وعمراً أحسنت إلى أخيه. والتقدير عندهم: أكرمت زيدا أكرمته، وواضح أن مثل هذه الجمل لا تتكلم بها العرب، لذا فأنا أسمى هذه العوامل: (عوامل تصورية) لا وجود لها إلا في أذهانهم. وقواعد اللغة إنما تؤخذ من كلام أهلها.

¹ مقدوفة: مرمية. الدخيس: لحم باطن الكف. النحض: اللحم. البازل: البعير إذا خرج نابه. الصريف: التصويت. القعو: البكرة من الخشب. المسد: الحبل المفتول.

4- العوامل تكون معنوية، بالإضافة إلى العوامل اللفظية. فالابتداء عندهم يرفع المبتدأ، والتجرد من الناصب والجازم يرفع المضارع. وأنا أسمى هذه العوامل: (عوامل وهمية)، إذ ليس من المنطق في شيء أن يكون العدم عاملاً.

5- العوامل تعمل بالمشابهة، فـ (لا)، و(ما) الحجازية، و(لات)، عملن مشابهة بـ (ليس)، وفي نحو: (زيد جميلٌ وجهه، أو جميلٌ الوجه)؛ يَنْصُبُ (جميلٌ) (وجهه) أو (الوجه) على التشبيه بالمفعول به. و(حاشا) الاسمية - عندهم - بنيت لشبهها بـ (حاشا) الحرفية. فالشبه أو التشبيه أو المشابهة لها - عندهم - دور. و(الـ) في نحو: (الضارب زيدا) اسم لم يتحمل الحركة لشبهه بـ (الـ) الحرفية.

6- وللعوامل مراتب في قوة العمل؛ للفعل المرتبة الأولى، وللإسم المرتبة الثانية، وللحرف المرتبة الأخيرة. و(لا) تأتي عندهم في المرتبة الثانية من (ليس)، و(لات) تأتي في المرتبة الثالثة منها.

7.2.2. في طبيعة عمل العوامل لديهم

- 1- العوامل تعمل في متقدم عليها؛ جاءت هي بعده في الكلام، نحو: «فريقاً كذبتهم». فكيف أمكن لها أن تعمل فيما صار وراءها؟!.
- 2- العوامل تعمل في بعيد عنها؛ بينها وبينها حاجز (كلمة أو أكثر)، من مثل: قام فينا يوم الجمعة سعيدٌ خطيباً، لقد عملت (قام) فرفعت في رأيهم (سعيد) وبينهما ثلاث كلمات، فلعل لها أجهزة متقدمة الصنع تستخدمها في مثل ذلك للتحكم عن بعد!.
- 3- العوامل تعمل في معمولين أو أكثر، مثل: علمت الله أكبر كل شيء. فهذا هو البهلوان الذي يحرك عدة كرات معاً، وتوضيحاً بمثال آخر (كتب

التلميذُ الوظيفةَ مساءً واضحةً؛ إن (كتب) هذه - عندهم - رفعت (التلميذ) فاعلاً، وهي ذاتها نصبت (الوظيفة) مفعولاً به، ونصبت (صباحاً) ظرفاً، ونصبت (واضحةً) حالاً. إنها كالحكومات الحاضرة في كثرة أعمالها!.

4- العوامل أيضاً تعمل عملين مختلفين، مثل: كان زيداً قائماً، وإن أباك هنا. قلله أبوها!.

5- العوامل تعمل وهي تخضع لعامل آخر؛ فهي عاملة ومعمولة، من مثل: مررت بغلام زيد. الباء عملت بـ (الغلام) والغلام عمل بـ (زيد)!.

6- العوامل تعمل ويعمل فيها معمولها؛ كل منها يعمل في الآخر، في مثل: ﴿أَيُّ مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾. (أَيُّاً) جزمت (تدعوا)، وتدعوا نصبت أَيُّاً. فلا حسابان للمنطق.

7- العوامل تعمل بالواسطة، كما في: استوى الماء والخشبة، وحضر الطلاب إلا زيداً. الفعل عندهم هنا نصب بواسطة الواو و(إلا). لقد احتاج الفعل إلى وسيط. مع أن الفعل عندهم هو العامل الأقوى.

8- العوامل تعمل بالنيابة، كما في: وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله. الواو عندهم هنا عملت بالنيابة عن (ربّ). الرئيس لا بد له من نائب!.

9- ثم إن العوامل عندهم تتنازع المعمول، {ك: يحسنان ويسيء ابنك، وقد طغى واعتدى عبدك}. ولكن هذا التنازع ينحلُّ باقتسام العمل؛ بعض العوامل يأخذ الاسم الظاهر للمعمول، والآخر يأخذ ضميره. بارك الله في النحاة لقد حلوا الخلاف بين العوامل، كما حلت أمريكا الخلاف بين العرب وإسرائيل.

7.2.3. في تقرير الحالة الإعرابية لديهم

1- (زيد) من: (قام زيداً)؛ فاعل. ولا بأس.

2- (بكر) من: (مات بكر، انكسر بكر، ما قام بكر)؛ فاعل أيضاً، فكيف ذلك؟! يقولون بالفاعلية الاصطلاحية. لايهمهم أن يبتعد المصطلح عن الواقع.

3- (عمرو) من: (عمرو قام)؛ ليس بفاعل، بل مبتدأ، والفاعل ضمير عمرو، وهو هنا مستتر. لاحظ التعنت في الصنعة.

4- (أحمد) من: (إن أحمد يأت أكرمته)؛ فاعل لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور، والتقدير: كيت. ولماذا؟ لأنهم خصصوا (إن) للأفعال، وهم لا يترجعون عن موقفهم. ولم يفكروا بالأسهل.

5- (الرجال) من: (هل قائم الرجال، وهيئات الرجال)؛ فاعل سدّ مسدّ الخبر. في هذا؛ اجتمع المبتدأ والفاعل، واختفى الفعل والخبر. وفي ما قبل هذا؛ الفاعل بلا فعل. والفعل بلا فاعل. أرمل وأرملة لم تسمح قوانينهم لهما بالزواج!؟.

6- (سعد) من: (أكرم بسعد)؛ فاعل مجرور لفظاً مرفوع محلاً، وتعجب لذلك، فيقولون: لأن (أكرم بمعنى كرم). وهل أماننا (أكرم) أم (كرم)؟! والباء هنا عندهم حرف جر زائد لازم؛ أي لا يستغنى عنه أبداً. فتأمل؟.

7- (رجل) من: (يا رجل)؛ مفعول به محذوف فعله وجوباً، والتقدير: أدعو رجلاً، وهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها ضمة بناء المنادى. لاحظ: كم هم يتعنتون في الصنعة من أجل ترفيع قواعدهم الخاطئة.

8- (ضربي) من نحو: (ضربي أخاك مسيئاً)؛ مبتدأ، وهو مصدر مضاف إلى الفاعل؛ و(أخاك) مفعول به، و(مسيئاً) حال لم تسد مسد خبر المبتدأ. والعامل في الحال هذه فعل مقدر فيه ضمير يعود على (أخاك) هو الفاعل وهو صاحب الحال، والخبر ظرف زمان مقدر مضاف إلى الفعل

والفاعل، والتقدير: ضربي أخاك إذا كان أو إذ كان مسيئاً. — (إذا) أو (إذ) هي الخبر، وهي في موضع نصب متعلقة باستقرار محذوف، و(كان) هذه تامة. هنا متاهه يتحدون بها الفأر الذكي.

في هذا وأمثاله ما على الطالب إلا أن يحفظ. لا يهم أن يفهم، ولا يهم طول الوقت.

9- (أخ) من: (رب أخ لك لم تلده أمك)؛ مبتدأ مجرور لفظاً مرفوع محلاً. لأن (رب) - عندهم - حرف جر شبيهه بالزائد، وجملة (لم تلده أمك) هي الخبر.

10- (ال) من: (جاء الضاربُ زيداً)؛ اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل للفعل (جاء)، و(ضاربُ) صلة الموصول (ال) لا محل لها من الإعراب. أما الضمة التي على آخرها فهي الضمة التي كان يجب أن تظهر على الموصول (ال)، ولكنه - حضرته - لما كان مبنياً لا يقبل الحركة ألقاها على صلته. فعوا يا أولي الألباب.

11- (إلا) من قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾؛ عندهم أيضاً اسم صفة لـ (آلهة) مرفوع مضاف، ولكنه لما كان على صورة (إلا) الحرفية قد بني فألقت حركته على المضاف إليه؛ أي على لفظ الجلالة، ولفظ الجلالة مضاف إليه مرفوع لفظاً مجرور محلاً. فيالله للعجب العجاب!.

12- (كوكب) من قولك: لا كوكبَ ساطع؛ اسم (لا) مبني معها على الفتح، وكلاهما في محل رفع بالإبداء. يالها من معادلة كيميائية!.

13- (أعوذ) من ﴿قل: أعوذ برب الناس﴾: مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم. ولكن كيف عمل التجرد من العوامل؟! والتجرد عدم.

14- (تتلفت) من (لا تمش وتتلفت): مضارع منصوب بـ (أن) مضمرة بعد واو المعية. ولكن لماذا عملت (أن) وهي مفقودة؛ ولم تعمل الواو وهي موجودة ومعناها منصب على الفعل؟!.

15- (تلمحه) من (ولكن من تلمحه عينك تسبه): مضارع مجزوم بـ (من). ولكن هنا (من) اسم موصول فكيف جزمت؟!، يقولون اسم لكن ضمير الشأن....

7.2.4. في معرفة المعرب لديهم

لقد نشأ من جعلهم الفعل العامل الأول أن وقعوا بالإحتمالات الكثيرة؛ يقول أحدهم عن كلمة بذاتها: إنها حال، ويقول ثانٍ: إنها تميز، ويقول ثالث: إنها مفعول لأجله أو مفعول مطلق. فمثلاً عندهم:

1- (عرفاً): من الآية «والمرسلات عرفاً» يحتمل أن يكون مفعولاً مطلقاً أو حالاً أو مفعولاً لأجله أو منصوباً بنزع الخافض الباء.

2- (فتيلاً): من الآية «ولا يظلمون فتيلاً» يُحتمل أن تكون مفعولاً مطلقاً أو مفعولاً به.

3- (غير) من الآية «وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد» يحتمل أن تكون مفعولاً مطلقاً أو مفعولاً فيه أو حالاً.

4- (خوفاً) من الآية «يريكم البرق خوفاً وطمعاً» يحتمل أن تكون مفعولاً مطلقاً أو مفعولاً لأجله أو حالاً.

5- (علماء) في تمثيلهم (أما علماء فعالم) يحتمل أن تكون حالاً أو تمييزاً أو مفعولاً به.

6- (بطلاً) في تمثيلهم (أكرم بخالدٍ بطلاً!) يحتمل أن تكون حالاً أو تمييزاً.

7- (اثنتي) من الآية ﴿وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً﴾ يحتمل أن يكون مفعولاً ثانياً لقطعنا لتضمنه معنى صيرنا، أو حالاً أو مفعولاً مطلقاً ناب عنه عدده.

وهكذا (شِعراً) في تمثيلهم (أنت زهير شعراً)، و(فجأة) في قولهم (طلع زيداً فجأة)

إذن فالأمر عندهم ظني لا يقيني.

وقد شاع من التندر على النحاة: (في المسألة قولان).

آراء النحاة: في العوامل المعنوية

لدى النحاة - عدا العوامل اللفظية - عوامل أخرى يسمونها بالعوامل المعنوية. والحق أنها عوامل وهمية أو تخيلية.

وهنا أذكر آراء بعض النحاة في هذه العوامل.

- قال ابن يعيش: إن نسبة العدم إلى الأشياء كلها نسبة واحدة، والعامل سبب، والتعري لا يكون سبباً ولا جزءاً من السبب.

- وقال الرضي: إن العوامل في النحو بمنزلة المؤثرات الحقيقية، فلا يصح عنده - وهو الحق - أن تكون العلة عدمية.

- وقال الدكتور جعفر دك الباب: إننا نرى أن العوامل ألفاظ تستوجب حالات إعرابية معينة في الألفاظ المعمولة لها.

والعوامل المعنوية عندهم: (التجرد من الناصب والجازم) يرفع المضارع، و(الابتداء) يرفع المبتدأ.

ويدخل في العوامل المعنوية - لدى التحقيق - كل عواملهم ما عدا الحرف.

لأن القول بأن العامل في الفاعل - مثلاً - أو المفعول به أو الحال...، على قولهم: هو الفعل أو شبيهه، إنه قول لا يميز هذا عن ذلك من

المعمولات، فلا بد من مفاهيم أخرى لتمييز كل منها عن الآخر. فكون الفعل هنا عاملاً لا يكفي لمعرفة الفاعل من المفعول به من الحال... لذلك اضطروا أن يعرفوا كلاً منها مع توضيحات كثيرة وأمثلة...، وبقي مع كل ذلك إشكالات ليست باليسيرة.

7.3. الكلام في العوامل

إن تغيرات آخر الكلمة من رفع إلى جزم أو خفض أو نصب؛ ما هو إلا نتيجة لتأثير بعض الكلمات في بعض منها. فنجد بعضاً من نوع من الكلمات؛ يحدث في بعض من نوع آخر منها أثراً إعرابياً كلما وجد معه. ذلك أن العرب جعلوا بعض الكلمات تنصب معانيها في كلمات أخرى، فأظهروا انصباب معاني هذه الكلمات في تلك على أواخرهن بتغيير رفعه إلى جزم أو خفض أو نصب.

وبذلك تكون لدينا: كلمات مؤثرة في كلمات أخرى، وكلمات متأثرة بتلك، ويكون لدينا ظاهرة إعرابية حادثة.

نسمي: الكلمة المؤثرة عاملاً، والكلمة المتأثرة معمولة، والظاهرة الإعرابية الحادثة عملاً. ففي نحو: (إن زيدا لم يذهب إلى اللاذقية)؛

1- تكون الكلمات: (إن، لم، إلى) هي العوامل.

2- وتكون الكلمات: (زيداً، يذهب، اللاذقية) هي معمولات.

3- ويكون النصب الحاصل على (زيداً)، والجزم الحاصل على (يذهب)

والخفض الحاصل على (اللاذقية) هو العمل.

فالعوامل كلمات توجد حالات إعرابية في كلمات أخرى تنصب معانيها عليها فتقتضي تلك الحالة إعرابية فيها؛ تجزمها أو تخفضها أو تنصبها أو تعطفها على حالة إعرابية قبلها؛ أي تغيير وضعها.

إذاً يكون لكل من الجزم والخفض والنصب والعطف عوامل. ولا عوامل للرفع. إنما الرفع أول أصلي.

7.3.1. واقع العمل في الاستقصاء

- لقد وجدت - بالاستقصاء - في واقع الكلمات بالنسبة للعمل أنها كلها

في ذلك:

- 1- إما عاملة فقط؛ تعمل في غيرها، ولا يعمل غيرها فيها.
 - 2- وإما معمولة فقط؛ يعمل غيرها من الكلمات العاملة فيها ولا تعمل هي مطلقاً.
 - 3- وإما حيادية عن ذلك؛ فلا هي تعمل في غيرها، ولا غيرها يعمل فيها.
- فالكلمة - بالنسبة لواقع العمل - إما عاملة وإما معمولة وإما حيادية عن ذلك.

- ولقد وجدت - بالاستقصاء - أيضاً:

- 1- أن الكلمات العاملة هي الحروف التي تنصب معانيها على الكلمات المعربات مفرداتٍ.
 - 2- وأن الكلمات المعمولة هي: الأفعال المضارعة كلها، والأسماء كلها لأن معاني العوامل تنصب عليها؛ ظهر عليها الأثر الإعرابي أو اختفى لعارض.
 - 3- وأن الكلمات الحيادية هي الأفعال الماضية كلها، وكانت الأفعال الماضية كذلك لأن ما مضى قد انتهى أمره فلا دخل له في العمل؛ أي لم يعمل، ولم تتناوبه العوامل.
- ويدخل في الكلمات الحيادية بعض من الحروف التي أُقصيت عن العمل لسبب ما. سيتضح لاحقاً.

7.3.2. الحروف العاملة

الحروف العاملة هي: (الهمزة، إن، إلى، إلا، أم، أن، إن، أن، إن، أو، أي، التاء، ثم، حتى، حاشا، خلا، عدا، رب، عن، على، الفاء، في، الكاف، كي، كأن، اللام، لم، لَمَّا، لن، علّ أو لعل، لكن، لكن، ليت، مِن، مذ أو منذ، الواو، وا، يا).

- 1- منها: {اللام (لِ) أو (لِ)، لا، لم، لَمَّا، إن}؛ تجزَم،
- 2- ومنها: {اللام (لِ)، الباء (بِ)، التاء (تَ)، الكاف (كَ)، الواو (وَ)، في، من، عن، إلى، على، حتى، ربّ، مذ أو منذ}؛ تخفض،
- 3- ومنها: {اللام (لِ)، أن، لن، كي، إذن، حتى، الفاء (فَ)، الواو (وَ)، أو}؛ تنصب المضارع،
- ومنها: {الهمزة (أ)، إن، أن، كأن، لكن، ليت، لعل أو علّ، حاشا، خلا، عدا، إلّا، لا، يا، الواو (وَ)}؛ تنصب الاسم،
- 4- ومنها: {الواو (وَ)، الفاء (فَ)، ثم، حتى، أو، أم، لا، بل، لكن، أي، إلّا}؛ تعطف.

7.4. الحروف والعمل

كان حق الحروف أن تعمل كلها، ولكن العمل إنما يكون للحرف على الكلمة معربة مفردة (ليست جملة) منصباً معناه عليها.

- 1- فلا يعمل الحرف إذا دخل على الجمل.
 - 2- ولا يعمل إذا دخل على مفرد غير معرب.
 - 3- ولا يعمل إذا استقل بمعناه؛ فلم ينصب معناه على غيره.
 - 4- ولا يعمل إذا ارتبط بحرف.
- ذلك أنه ليس في كل ما تقدم ما يظهر عليه أثر العمل.

7.4.1. فالذي لم يعمل لأنه دخل على الجمل

أ- حرفا الاستفهام: (الهمزة، وهل)، لأنه يستفهم بهما عن مضمون الجمل، فهما لم يدخلتا على كلمة مفردة. لأن الاستفهام يكون عن الخبر، والخبر إنما هو محكي عنه مع سيرته؛ أي جملة.

ب- أحرف النفي: (إن، ما، لا، لات، ليس¹) لأنهن لنفي مضمون الجمل.

ت- الأحرف (إن) وأخواتها؛ إذا أدخلت عليهن (ما) لأن معانيهن بعد دخولها تصبح منصبة على الجمل لا على المفردات.

ث- (ربما، وكما) حين تدخلان على الجمل، وكذلك (حتى²، مذ، منذ) بعد أن كن أحرف خفض.

¹ كما أوضحت في بحث الحروف أن كلا من (ليس، وعسى، ولما) حروف.

² لاحظ كيف أهملوا (حتى) في قول أبي ذؤيب فجرير فالفرزدق:

حميت عليه الدرع حتى وجهه من حرها يوم الكريهة أسفع
فمازالت القتلى تمج دماؤها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل
فواعجبا حتى كليب تسبني كأن أباهما نهشل أو مجاشع

- ج- أحرف العطف كلها حين تدخل على الجمل.
- ح- (لولا، ولو) في نحو: لولا المطر لهلكنا، لأن (المطر) هنا جملة، إذ هي محكي عنه (مبتدأ) استغني عن سيرته (خبره).
- خ- لام التوكيد (ل-)؛ لأنها لتوكيد مضمون الجمل.

7.4.2. والذي لم يعمل لأنه دخل على غير معرب

- أ- (قد، لو، لما التوقيتية، لولا، لوما، ألا، هلاً، إن) دخلن على الماضي فأهملن، لأنه حيادي غير معرب.
- ب- (أن) حين تدخل على الأحرف: (لم، لن، سوف، السين، ليس، عسى، قد)، نحو: «أ يحسب أن لم يره أحد».
- ت- (كي) إذا دخلت على (ما)، نحو:
إذا أنت لم تنفع فضر، فإنما يراد الفتى كيما يضر وينفع
- ث- (يا) إذا دخلت على لام الاستغاثة أو على (ليت، رب، نعم، بئس)،
نحو: فيا لله للواشي المطاع.
- ج- واو العطف إذا دخلت على (لكن)، نحو: «ما كان محمدٌ أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله». هنا العمل ل- (لكن).

7.4.3. والذي لم يعمل لأنه استقل بمعناه

- أ- أحرف الجواب: (نعم، لا، بلى، أجل، جبر، إي، كلاً، إن).
- ب- حرفا التنبيه: (ألا، أما).
- ت- (إن، لو) إذا وقعتا بين مترابطين استقلتا فأهملتا، نحو: أنت - إن - تصدق، التمس - ولو - خاتماً من حديد.

لاحظ جمل (وجهه أسفع، ماء دجلة أشكل، كليب تسبني). لقد أهملوا (حتى) حين أدخلوها على الجمل وهكذا بقية الحروف.

7.4.4. والذي لم يعمل لارتباطه بحرف مثله

في هذا النوع كأن الحرف الأول منها دخل على الثاني، وكان الثاني أقتصر معناه على الأول، والحرف لا يعمل في الحرف فيهملان، وهذه الأحرف هي:

أ- (ما...إلا)، نحو: ما زيد إلا شاعر.

ب- (أما...فـ)، نحو: «فأما اليتيم فلا تقهر».

ت- (إن...وإن)، نحو:

قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذباً فما اعتذارك من قول إذا قيل

ث- (لا...ولا)، نحو: «لا فارض ولا بكر».

ج- (إما...وإما)، نحو: (تزوج إما هنداً وإما أختها).

7.5. العمل للمجاور

قد يتوالى عاملان على الكلمة المعربة، فيكون العمل فيها للعامل المجاور لها منهما.

ففي نحو: «إِن لم تَوَمنُوا لي فاعتزلون». هنا توالى الجازمان: (إِن) و(لم) على المضارع (تَوَمنُوا) فَجُزِمَ، والجازم له هو (لم) المجاور له، لا (إِن) المفصولة عنه.

وفي نحو: «إِنَّه ظن أن لن يحور». هنا اجتمع الناصبان: (أن) و(لن) على المضارع (يحور) فنصب، والناصب له هو (لن) لمجاورته له. لاحظ أن النفي منصب عليه. وفي قول القطامي:

فقلت للركب لما أن علا بهم من عن يمين الحميّا نظرة قبل
هنا وجد الخافضان: (من) و(عن) للاسم (يمين) فخفض، والخافض له إنما هو (عن) لمجاورته له.

وفي الآية الكريمة: «حاشَ لله، ما هذا بشراً...». هنا وجدنا عاملان للفظ الجلالة، فالعامل فيها هو (اللام) لا (حاش).

وفي قوله تعالى: «ما كان محمدٌ أباً أحد من رجالكم ولكن رسولَ الله». هنا وجد حرفا العطف (الواو) و(لكن) مع الاسم (رسول) فعطف على (أبا أحد)، والذي عمل ذلك إنما هو (لكن). لاحظ الاستدراك كيف أنه منصب على المعطوف.

وفي قول العرب: (ليت أن زيدا مقيم). هنا نجد ناصبان للاسم (زيداً). والناصب له (أن) للمجاورة.

والذي يفرض أن العمل للمجاور إنما هو الأدلة.

لاحظ نحو: ﴿أ يحسب أن لم يره أحد﴾؛ لاحظ كيف جزمت هنا (لم) ولم تنصب (أن)؛ أي أنه أُعمل المجاور، ولم يعمل غيره.
وكذلك نحو: يا لله للواشي المطاع؛ لاحظ كيف عملت اللام، ولم تعمل (يا).

وينطبق هذا على نحو: برجلك عمرو لا بخف بعير.
فأول الحرفين لم يعمل لأنه داخل على حرف، والمجاور عمل لانصباب معناه على ما بعده.

العوامل هي الحروف فقط، أقول:

إن العوامل هي الحروف فقط، وبذلك كانت التسمية الموفقة لبعض القدماء بأن الكلمة اسم وحدث ورابطة¹.

1- لأن الحروف هي الكلمات الوحيدة التي تمتزج معانيها بالكلمات الأخرى. وبالتالي: هي التي تحدث الإعراب. وقد نص النحاة على أن: {الحرف كلمة تدل على معنى في غيرها}.

أما الأفعال والأسماء فهي كلمات معانيها قائمة فيها، وبالتالي: فسلكها في الكلام إنما هو لمعانيها التي تحملها لا لشيء آخر.

2- لأن الحروف وحدها هي التي تتصف بالصفات المنطقية في العمل. فهي وحدها العوامل التي تعمل في معمول: تال، مباشر، وحيد، من غير جنسها، ولا يعمل غيرها فيها.

- فمعها لا يكون لدينا:

معمولات تتقدم على عاملها.

ولا معمولات مفصولة عن عاملها.

¹ عن الحروف، قال الإنطاكي: هي مسامير الجملة.

ولا معمولات متعددة وهي لعامل واحد.
ولا معمولات عاملها من جنسها.
ولا معمولات ذات حالتها إعراب لعامل واحد.
- وكذلك لا يكون لدينا:
عوامل تتنازع على معمول واحد.
ولا عوامل من جنسيات شتى تقوم بالعمل.
ولا عوامل يُعْمَلُ بها؛ يُعْمَلُ بها معمولها أو غير معمولها.
ونحن بذلك نتخلص - بشأن العوامل - من هذه الحالات التي لا يقبلها المنطق.

3- لأن في ذلك نص على ذاتية العامل: (لم، في، أن، أن، و... إلى بقية لا تبلغ الأربعين، وكلها علم مشهور، لا أنه جنس أفراده الآلاف وله تفرعات كثيرة. فالعامل - حرفاً - منصوب عليه سلفاً، محسوس ملموس، قليل عدده، سهل معرفته، يسير حفظه، واضح عمله. وهو مع ما تقدم يغطي ساحة معمولات كلها، فيقوم بكل الأعمال اللازمة من جزم وخفض ونصب وعطف. أما الرفع فقد قدمت أنه وضع أصلي. وليس للفعل ولا للاسم هذه التغطية. عنهما يستغنى ولا يستغنى عن الحرف.

فعمل الحروف واقعي ومنطقي وواضح؛ (لا أحد من الفعل والاسم ينازعه فيه)؛ بينما جعل العمل للأفعال: ليس فيه صفة التفرد (يشاركه فيها الاسم والحرف)، وليس فيه صفة منطوقية (يُعْمَلُ فيه، يتأخر عن الم معمول، يعمل غيره معه...)، وليس له واقعية إلا واقعية تخيلية، يبندها الإمعان في التفكير.

ثم إنه أبعد ما يكون عن المنطق أن تكون الكلمات كلها عاملة: حروفاً وأفعالاً وأسماء.

ليس العمل أصل في الفعل، أقول:

يتبين - مما تقدم - أن العمل للحروف فقط، وأنه ليس للفعل ولا للاسم من عمل مطلقاً. وبالتالي؛ فليس {العمل أصل في الفعل وفرع في الاسم والحرف} - كما يدعون -.

وقد ذكرت أنه: ليس في الفعل إلا تميز حدث عن حدث، وليس في الاسم إلا تميز ذات عن ذات. فسلك كل منهما في الكلام إنما هو للمعنى الذي فيه؛ للمعنى الذي يحمله.

لاحظ أن الحرف - إن عاملاً وإن غير عامل - لم يعمل به لا فعل ولا اسم في الحالتين.

لاحظ أن الحروف تعمل في كل من الأفعال والأسماء.

وسيتبين - بالنظرة العميقة - أن ما تراءى أنه عامل من الأفعال والأسماء، إنما هو في الحقيقة ليس بعامل، بل العامل هو الحرف ليس غير.

ذلك أنه ليس في الفعل إلا تميز حدث عن حدث، وليس في الاسم إلا تميز ذات عن ذات، بينما في الحرف معنى ينصب في كل منهما.

وهنا أورد ما قال السهيلي: {أصل الحروف أن تكون عاملة لأنها ليست لها معانٍ في أنفسها وإنما معانيها في غيرها، وأما الذي معناه في نفسه وهو الاسم فأصله ألا يعمل في غيره. وإنما يجب أن يعمل الحرف في كل ما دل على معنى فيه، لأنه اقتضاه معنى فاقتضاه لفظاً، لأن الألفاظ تابعة

للمعاني، فلما تشبث الحرف بما دخل عليه معنى وجب أن يتشبث به لفظاً، وذلك هو العمل، فأصل الحرف أن يكون عاملاً¹.

وأقول:

الفعل - أيضاً - مثل الاسم، معناه في نفسه، فالأصل أن لا يعمل. وقد قال النحاس في كتابه (التعليقة) بأصالة الحروف بالعمل، ولكن قيده بالاختصاص تبعاً للرأي السائد.

وقد قال الجرجاني: {الأصل في الأسماء أن لا تكون عاملة وباعتمادها لا يذهب عنها وصف الاسم، فإن قيل: الاعتماد لا يوجب لها صفة زائدة؛ فلم عملت؟ أو لم أشرط الاعتماد؟}. ثم أجاب على هذا التساؤل بما يؤيد مذهبه.

¹ عن الأشباه والنظائر.

النحو الحق
النحو على قواعد جديدة
8- المرفوعات

محمد علي رستاوي

8.1. الرفع وضع أصلي

إن الكلمة المعربة المرفوعة - اسماً أو فعلاً مضارعاً - مرفوعة أصالة؛ مرفوعة بغير عامل.

1- لأننا نجدها مستقلة، حيث لا توجد كلمة أخرى معها - يُدعى أنها تؤثر عليها- مرفوعة، ذلك لأننا - في سرد الأعداد، حيث هي مستقلة - نقول: (واحد، اثنان، ثلاثة... عشرون...)؛ نقول: (اثنان)، ولا نقول: (اثنين)، ونقول: (عشرون)، ولا نقول: (عشرين). فنستعمل علامة الرفع لا غير.

2- لأن الاستقصاء دل على عدم وجود عامل لفظي للرفع. فليس هنالك من كلمة مرفوعة. فمن الخطأ أن نتحل لها عاملاً قسراً.
أن ما يذكرونه من عوامل لفظية لما سموا: بـ {الفاعل، ونائب الفاعل، واسم (كان) وأخواتها، واسم (كاد) وأخواتها...}؛ فما تلك بعوامل، إنما هذه العوامل أخبار لهذه المسميات، والمسميات هذه مبتدآت تأخرت عنها.
لاحظ أنه:

- لا فرق بين قولنا: (زيد قام)، وبين قولنا: (قام زيد). لا فرق بين الجملتين سوى أن المتكلم يقدم ما يهتم به. فـ (زيد) في الجملتين لم يرفع بعامل؛ (زيد) مرفوع أصالة.

- وكذلك لا فرق بين قولنا: (زيد ضَرَبَ)، أو (زيد ضَرِبَ) وبين قولنا: (ضَرَبَ زيد)، أو (ضَرِبَ زيد).

- وكذلك لا فرق بين قولنا: (زيد كان مسافراً)، وبين قولنا: (كان زيد مسافراً) لا فرق في ذلك سوى أن المتكلم يقدم ما يهتم به¹.
ثم إن التقديم والتأخير في هذه الأمثلة مثله في التقديم والتأخير في قولنا: (سافرت في الصباح)، و(في الصباح سافرت).
أما رفع المبتدأ ورفع المضارع - في إقرارهم - فعواملها معنوية؛ أي هي بغير عوامل.

لاحظ قولهم في تعريف المبتدأ: (هو الاسم المجرد عن العوامل اللفظية...) ولاحظ قولهم في إجراء الفعل المضارع: (مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم). أي أن كلاً منها مجرد عن العوامل.
ثم لاحظ آراءهم في رافع الخبر واختلافهم فيه، وكذلك اختلافهم في رافع خبر (إن).

3- لأن اطراد القاعدة النحوية: {في الفروع دائماً زيادة عن الأصول}؛ يجعل الرفع أصلاً، فقولنا: (زيد يقوم) أصل، لأن كلاً من الاسم (زيد)، والمضارع (يقوم)، جاء حين السلك في الكلام كما كان مستقلاً، بينما غير الرفع يحتاج إلى زيادة؛ زيادة العوامل، فقولنا: (إن زيدا لن يقوم)، نجد فيه الاسم: (زيداً) قد احتاجوا لنصبه زيادة (إن)، ونجد المضارع: (يقوم) قد احتاجوا لنصبه زيادة (لن). فمع غير الرفع زيادة، فغير الرفع فرع.
ثم إننا نجد علامة الجزم والنصب واحدة في الأمثلة الخمسة؛ هي حذف النون، بينما علامة الرفع مستقلة بالنون. والاستقلال شأن الأصاله.

¹ اللغة العربية لغة مُعَرَّبَةٌ؛ فللاسم المحكي عنه حركته الخاصة المميزة له. لذلك نجد العربي يتصرف بالمحكي عنه تقديماً وتأخيراً له بحسب اهتمامه به أو بغيره، عندما تكون سيرته فعلاً. بينما في اللغات الأخرى التي لا إعراب فيها لا يبرح المحكي عنه مكانه المتقدم، ففي الإنكليزية مثلاً لا يقال إلا زيد فعل، Zaid did.

وكذلك نجد علامة خفض الاسم ونصبه واحدة في المثني وجمع الواو والنون وجمع الألف والتاء والأسماء الممنوعة من الصرف، بينما علامة الرفع فيهن واحدة لكل منها لم يشاركه أحد فيها. وكذلك نجد للرفع ضمائره الخاصة به، بينما للخفض والنصب ضمائر مشتركة بينهما.

8.2. المرفوعات هي:

- 1- الأفعال المضارعة في وضعها الأصلي. وهنا **أقول**: الأولى أن يسمى هذا الفعل بـ (الفعل الحاضر). للأسباب التالية:
 - لأن في هذا الفعل دلالة على الزمن الحاضر.
 - لأن في هذه التسمية تسوية بينه وبين أخيه (الفعل الماضي). هذا أخذ تسميته من الزمن الذي يقع فيه. فلتؤخذ تسمية فعلنا مثله من الزمن الذي يقع فيه.
 - لأنه في حالة الرفع فقط يتمسك بالدلالة على الحاضر، فإذا دخلت عليه عوامل النصب أو الجزم تحولت الدلالة فيه إلى غير الحاضر.
- 2- الأسماء في وضعها الأصلي. وهنا **أقول أيضاً**: الأولى أن يسمى الاسم بـ (المحكي عنه).
 - لأن بقية الكلام تكون حكاية عنه؛
 - لأن رفعه جاء حكاية عن وضعه الذي كان له وهو عن الكلام مستقل.
- 3- ولما كان الكلام لا بد له من مقدمة ونتيجة - لأن الكلام إنما وضع لإفادة السامع - كان لا بد لـ (المحكي عنه) من حكاية تسرد عنه فتتم بها فائدة الكلام. وهذا الشيء سأسميه: بـ (سيرة المحكي عنه)، واختصاراً: بـ (السيرة)¹.

¹ إن ما سميتُه: (المحكي عنه، والسيرة) ينطبق على ما يسميه أهل المعاني بـ: (المسند، والمسند إليه) وما يسميه المناطقة: (الموضوع والمحمول). وهو يوافق في بعض حالاته ما يسميه النحاة: بـ (المبتدأ، والخبر) وقد سماهما سيوييه: بـ (المبني والمبني عليه).

8.3. موقع المضارع من الزمن

إن الفعل المضارع يبدأ حدوثه في الماضي، لأنه لا يمكن أن نعبر عن الفعل أصالة قبل حدوثه، وهو يستمر الحدوث في الحاضر، ولا نعلم متى ينتهي في المستقبل، لأن ذلك يتعلق بالغيب.

فإذا قلت: (زيد يكتب)؛ فلا شك أن (زيداً) بدأ بالكتابة قبل أن تكلمت عنه، ولاشك أنه كان يكتب أثناء الحديث عنه، وطبعاً لا نعلم الوقت الآتي الذي فيه ينتهي من الكتابة.

فالفعل المضارع يبدأ في الماضي وينتهي في المستقبل، بينما الفعل الماضي يبدأ في الماضي وينتهي في الماضي.

فالفعل المضارع يشبه المستقيم - في الهندسة - الذي لا يعلم مبتداه ولا يعلم منتهاه، بينما الفعل الماضي يشبه نصف المستقيم الذي لا يعلم مبتداه، ولكن يعلم منتهاه.

فلو سمياً: بالفعل المنتهي، والفعل اللامنتهي؛ لصدقت التسمية على واقعهما، ولظهرت القربى التي بينهما.

أما تسمية هذا الفعل بالفعل بالمضارع - في قولهم - لأنه ضارع الاسم؛ أي شابهه، فإنها تسمية لا تنسجم، وفيها أخذ ورد.

8.4. تفصيل عن المحكي عنه

1- المحكي عنه:

- إما أن يكون متحدثاً عنه بدءاً، وهذا لا يكون إلا اسماً ظاهراً، نحو: زيدٌ قائمٌ، وأخوك قام، وفاطمة لم تقم، والزجاج قد كُسِرَ، وأبواك يتخاصمان، وحزازات النفوس لن تموت، والشمس كرة ملتهبة، والأرض كرة تدور حول الشمس.

- وإما أن يكون متحدثاً عنه وقد ذكر، وهذا يكون بالضمائر: (هو، هي، هما، هم، هنّ)، نقول: رأيت زيدا وهو يقرأ، ومررت بهند وهي متجملة.

- وإما أن يكون متحدثاً عنه إليه، وهذا يكون بالضمائر: (أنت، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتنّ)، أقول لك: أنت مهذب يا سعد.

- وإما أن يكون متحدثاً عن نفسه، وهذا يكون بالضميرين: (أنا، نحن)، نقول: نحن جادون في البحث.

فالمحكي عنه اسم ظاهر أو كناية عن الاسم الظاهر.

2- والمحكي عنه:

- إما أن يكون معرفة، كما مثلت في ما تقدم،

- وإما أن يكون نكرة مخصوصة، نحو: رجل عالم عندنا، وتميمي مقبل، وخمس صلوات فرضهن الله، وأمر جاء بك، وعلم تفيده خير من مال تجمعه،....

- وإما أن يكون نكرة عامة، نحو: كلُّ يموت، وأيُّ جاني أكرمته، ومن هذا؟!، وما تعمل تجد، وما أجمل الربيع!.

فالمحكي عنه معرفة أو نكرة في حكم المعرفة.

3- والمحكي عنه:

- إما أن يكون مقدماً، كما مثلت سابقاً،

- وإما أن يُحتاج إلى تأخيرهِ؛

أ- لأن سيرته اسم استفهام أو اسم مضاف لاسم استفهام، - وكلمات الاستفهام لها الصدارة - نحو: كيف أبوك؟، وأي الرجال المهذب؟، وابن من هذا؟.

ب- لأن سيرته فيها تعريف وهو منكر صرف، نحو: عندي درهم، ولي وطر، لأنهم لا يبدوون الكلام بمنكر صرف.

ت- لأن سيرته فيها تعريف وفيه هو ضمير مرتبط بها، نحو: في الدار صاحبها، وحول الأسد أشباله، لأنهم يؤخرون الضمير المتصل عن صاحبه.

ث- لأن سيرته قصد حصرها، نحو: ما أمير الشعراء إلا شوقي.

- وإما أن يؤخر للاهتمام بالسيرة - لأنهم يقدمون ما يهتمون به - نحو: قائمون المعلمون، وهل مطرودان صديقك؟، وما مسافر أنتم؟، «وقال رجلان، ممن يخافون...»، «وقالت امرأة العزيز...»، «قد أفلح المؤمنون...»، «قتل الإنسان ما أكفره!...».

فالمحكي عنه مقدم أو مؤخر لأمر.

4- والمحكي عنه:

- إما أن يكون ملفوظاً به، كما مثلت سابقاً،

وإما أن يستغنى عنه؛

أ- لأن سيرته فعل ذو صيغة خاصة به وهو ضمير، نحو: قمتُ، وتقوم، وقم...، ولك أن تقول: أنا قمت، وأنت تقوم...، كقوله تعالى: «نحن خلقناكم»، «أنتم تخلقونه»، «أنا أنبؤكم بتأويله».

ب- أو لأنه فهم من الكلام، نحو: «من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها». فقد فهم أن: عمله لنفسه، وإساءته عليها.

ج- أو لأن سيرته مشعرة به، نحو: في ذمتي لأكرمك، فقد أشعرت
السيرة بالمحكي عنه؛ أي عهد في ذمتي.

ويدخل في السيرة المستغنى عنها كل ما رفعوه في القطع من الصفات،
نحو: مررت بعبداً لله؛ أخوك، ومررت برجلين؛ رامٍ ورائثٌ، وقرأت ديوان
الخنساء؛ الشاعرة. فهذا على معنى هو أخوك، وهما رامٍ ورائثٌ، وهي
الشاعرة. استغني عن الضمائر بذكر أصحابها قبل.

ويدخل فيه أيضاً مثل: «هذا بعلي شيخاً»، «وهو الحق مصداقاً»، «وله
الدين واصباً» عندما يرفعون هذا المنسوب، فيقولون: هذا أبوك حاضرٌ
فهذا على معنى: هو حاضر.

فالمحكي عنه أبداً ملفوظ به أو هو في حكم الملفوظ به.

5- والمحكي عنه:

- إما أن يكون مفرداً، كما تقدم،

- وإما أن يكون جملة يراد واقعها، نحو قولنا: «من يعمل سوءاً يجز
به»؛ آية قرآنية، و(الدين النصيحة)؛ حديث صحيح، و(الدين المعاملة)؛
قول مأثور، و(العلم في الصدور لا في السطور)؛ حكمة، و(أي الرجال
المهذب)؛ من شعر النابغة، و(على أهلها جنت براقش)؛ مثل قديم.

- وإما أن يكون جملة مؤولة باسم مفرد، نحو: (أن يعمل زيد) خير له؛
أي عمله خير له.

فالمحكي عنه اسم مفرد أو جملة في حكم المفرد.

8.5. تفصيل عن السيرة

1- السيرة:

- إما أن يؤتى بها شيئاً من المحكي عنه هو هو حقيقة، نحو: زيد منطلق، فالمنطلق هو زيد، وزيد هو المنطلق. وتكون السيرة هي المحكي عنه اعتباراً، نحو: «الحج أشهر معلومات» لما كان الحج يقع في الأشهر المعلومات اعتبر هو هذه الأشهر.

- وإما أن يؤتى بها شيئاً هو فعل المحكي عنه، نحو: زيد سافر، وأخته تخطب.

- وإما أن يؤتى بها شيئاً هو ظرف المحكي عنه، نحو: المفتاح في الدرج، والكتابان تحته، والسفر غداً.

- وإما أن يؤتى بها جملة مرتبطة به، نحو: سعد أمه كريمة، «ولباس التقوى ذلك خير»، «الحاقة ما الحاقة»، واعتقادي الناس أحرار. فالسيرة هي المحكي عنه أو هي أحد مستلزماته.

2- والسيرة:

- إما أن يؤتى بها نكرة - كما مثلت فيما تقدم - ويدخل في حكم الأسماء المنكرة: الأفعال والظروف والجمل.

- وإما أن يؤتى بها معرفة توحى بالتركيز، نحو: زيد أخوك، والمنطلق خالد، وهذه بيروت، تقول ذلك لمن تراه يجهل أو يتجاهل.

فالسيرة كلام عن المحكي عنه تلقيه على السامع فتفيده مجهولاً بوساطة معلومات عنده أعني أن:

السيرة نكرة أو شبه نكرة.

ثم إنه إذا كان تعريف السيرة بـ (الـ) فلا بد معها من ضمير المحكي عنه بينهما كي يحس السامع بتمام الكلام، فلا يظل ينتظر السيرة، تقول:

عليّ هو المقبل، وهند هي المديرية، والأطفال هم الذين كسروا زجاج
النافذة. وهكذا. ذلك أن غياب الضمير هنا يفهم السامع أنك تصف المحكي
عنه لا أنك تسرد سيرته.

3- والسيرة:

- إما أن يؤتى بها مطابقة للمحكي عنه جنساً وعدداً؛ (جنساً؛ أي في
التذكير والتأنيث، وعدداً؛ أي في الأفراد والتثنية والجمع)، تقول: المعلم
ناصر، والمعلمان ناصران، والمعلمون ناصران، والمعلمة ناصر،
والمعلمتان ناصران والمعلمات ناصران. وهكذا.

- وإما أن يتخلف الجنس والعدد؛ إذا كانت السيرة اسم حدث، لأن اسم
الحدث يعني الإطلاق، تقول: جعفر عدل، والخنساء عدل، وهذان عدل،
وهاتان عدل، وهؤلاء عدل.

- وإما أن يتخلف الجنس، لأن بعض الصفات جاءت للنوعين، أو لأنها
مختصة بالإناث، تقول: فتاتكم معطار، وامرأة هذا مُتَمِّم.

- وإما أن يتخلف العدد، إذا قدمت السيرة وكانت فعلاً اعتماداً على أن
المتنى والجمع كلاً منها نص في الدلالة على ذاته، ولكي يكون هنا تشويق
للعدد. تقول: جاء رجلان يسألان عنك، وأغلّ الفلاحون.

ولم يصح هذا في الجنس، لأن التأنيث ليس نصاً في الدلالة على
المؤنث، فكم من مؤنث لفظه وهو لمذكر، وكم من مذكر لفظه وهو مؤنث.
أما إذا كانت السيرة وصفاً منفيّاً أو مستنهماً به؛ فلك في السيرة مُقَدِّمَةٌ
على المحكي عنه المطابقةُ وعدمها، تقول: ما قائم الزيدان، أو تقول: ما

قائمان الزيدان. من المطابقة الحديث: أ مخرجي هم؟. أصله: أ مخرجوي¹
هم؟. ومن عدم المطابقة ما روي:

خليلي ما واف بعهدي أنتما؛ إذا لم تكونا لي على من أقاطع
أقاطن قوم سلمى أم نوا ظعنًا إن يظعنوا فعجيب عيش من قطنا
وقد عاملوا بعض الصفات، مثل: (عدو، صديق، صريح، محض،
رسول، دلاص²) معاملة اسم الحدث فجاءوا بها بلفظ المفرد المذكر مع
الجميع.

واسم التفضيل غير المعرف بـ (الـ) أبداً بلفظ المفرد المذكر؛ إذا كان
مجرداً من (الـ) والإضافة أو مضافاً لنكرة، تقول: الهندات أفضل من
عمرو، والمعلمات أفضل نسوة.

فالسيرة تطابق المحكي عنه ولأمر قد تخالفه³.

4- والسيرة:

- إما أن يؤتى بها بعد المحكي عنه، كما مثلت،
- وإما أن تقدم عليه. وإذ ذلك يتخلف التطابق في العدد - كما ذكرت -
تقول: حضر التلميذان، وطرد المشاغبون. وتقول: كان الزيدان يقرآن،
ومازال المعلمون هنا.
إن كلاً من المرفوعات في الأمثلة هذه (التلميذان، المشاغبون، الزيدان،
المعلمون) محكي عنه مؤخر، وإن كلاً من الأفعال (حضر، طرد، كان،
مازال) سيرة مقدمة.

¹ اجتمعت الواو والياء وسبقت الواو بالسكون فانقلبت ياء ثم أدغمت في ياء المتكلم.

² دلاص: براءة، لها بريق.

³ إذا فهذا التخالف لا يعطي أي حكم.

وقد جاء تطابق السيرة المتقدمة المسوقة فعلاً مع المحكي عنه في جملة من الشواهد، قال تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾. قال (ص): يتعاقبون فيكم ملائكة في الليل والنهار، وفي حديث وائل بن حجر: وقعتا ركبتاه قبل أن تقعا كفّاه، وفي حديث عائشة: كن نساءً المؤمناتُ يشهدن مع النبي صلاة الفجر. وقال عبدالله بن قيس الرقيات فعبداً الرحمن بن محمد العُتبيّ فأحْيَحَة بن الجلاح فالفرزدق فالمتنبي:

تولى قتال المارقين بنفسه وقد أسلماه مبعدٌ وحميم¹
 رأين الغواني الشيبَ لاح بعارضي فأعرضن عني بالخدود النواضر²
 يلومونني في اشتراء النخيل ل أهلي، فكلهم يعذل³
 ولكن ديافيّ أبوه وأمه بحوران يعصرن السليط أقاربه⁴
 ورمى وما رمته يداه فصابني سهم يعذب، والسهام تريح
 هذا إلى شواهد أخرى رأيتها في شعر عروة بن الورد⁵ وعمرو بن
 ملقط⁶ وأبي تمام⁷.

وقد قال السهيلي عن هذه اللغة المسماة بلغة (أكلوني البراغيث): {ألفيت في كتب الحديث المروية الصحاح ما يدل على كثرة هذه اللغة وجودتها}.

¹ المارقون: الخارجون عن الحكم. أسلمه: تخلى عنه.

² الغواني، جمع غانية، وهي المرأة التي تغتني بحسبها وجمالها، أو التي تغتني في دار أبيها.

³ يعذل: يلوم، والعذول: اللوام.

⁴ دياف: موضع في الجزيرة، وهم نبط الشام. السليط: الزيت.

⁵ في قوله: إذا كانا له كرم وخير.

⁶ في قوله: ألفيتا عيناه عند القفا.

⁷ في قوله: هلكن إن من جهلهن البهائم.

وقال عنها ابن يعيش: {هي لغة فاشية لبعض العرب، كثيرة في كلام العرب وأشعارهم}.

أما نحو: (مررت برجل قرشيان أبواه، وكهلون أبناؤه)، فقد قال الخليل فيه: التثنية والجمع أحسن من الأفراد؛ أي من (مررت برجل قرشي أبواه وكهل أبناؤه).

وقد قال سيوييه: {إنما قالت العرب: قال قومك، وقال أبواك؛ لأنهم اكتفوا بما أظهروا عن أن يقولوا: قالوا قومك، وقالوا أبواك؛ فحذفوا ذلك اكتفاء بما أظهروا}.

وقال أيضاً: {اعلم أن من العرب من يقول: ضربوني قومك، وضرباني أخواك، فشبها هذا بالتاء التي يظهرونها في: قالت فلانة}.
والعرب إذا قدمت المحكي عنه، قالت: قومك قالوا ذلك، وأبواك قد ذهباً إلى العمل.

والعرب ربما تركت المطابقة مع المحكي عنه المؤنث المتأخر إذا كانت سيرته فعلاً، كما في قوله تعالى: {إذا جاءك المؤمنات...}، وقال نسوة...}، {وكان عاقبة أمرها خسراً...}، إلى شواهد كثيرة.
إنما الأغلب أن يبقى التأنيث للسيرة المتقدمة إذا كانت فعلاً. ذلك لأن التأنيث ليس نصاً بالدلالة على المؤنث، بخلاف التثنية والجمع¹.
فالسيرة تأتي بعد المحكي عنه ولأمر قد تتقدم.

¹ وإنما ذكرت الشواهد الكثيرة على التطابق بين السيرة المتقدمة إذا كانت فعلاً وبين المحكي عنه، ذكرت ذلك لأبين أن العرب تقول: (قام أخواك، وقاما أخواك، وأخواك قاما) فتنصرف مع التقديم بشيء غيره مع التأخير، ولكن هذا التصرف لا يعطي أحكاماً جديدة.

5- وأخيراً فإن السيرة: لا بد منها لتتم بها مع المحكي عنه فائدة الكلام -
كما مثلت في كل ما تقدم - ولكن يجوز الاستغناء عن السيرة لدليل، كقول
قيس بن الخطيم:

نحن بما عندنا...، وأنت بما عندك راضٍ؛ والرأي مختلف
أي نحن بما عندنا راضون...، وتجيب من يسأل: من هناك؟ بقولك:
زيد؛ أي زيد هناك.

ويدخل في هذا، نحو: إن زيدا مسافراً وعمرو - برفع عمرو - فقد
استغني عن سيرة (عمرو) هنا لدلالة ما قبلها عليها. والتقدير: وعمرو
كذلك.

ويستغنى عنها أبداً إذا كانت مشعرة بالكون العام بعد: (لولا، ولوما) في
نحو: لولا المطر ليبس الزرع؛ أي لولا المطر موجود....
ويستغنى عنها إذا دلت على اقتران مشعرة به واو الحضور، نحو: أنت
ورأيك، والشباب ونزواته، والشيخوخة وطول الأمل؛ أي أنت ورأيك
مقترنان،....

ويستغنى عنها إذا كانت قسماً مشعرة به جملة الجواب، نحو: لعمرك
إنهم لفي سكرتهم يعمهون؛ أي لعمرك قسم....
ويكون مما استغني عن سيرته قولهم: زيد أكرمهم، وعمرو لا تهنه...،
والأولى في هذا أن يعتبر الطلب سيرة.
ويكون مما استغني عن سيرته قولك: زيد عندنا، والكتاب في الدرج...،
والأولى في هذا أن تعتبر الظرف سيرة.
والعربي كثيراً ما يستغني عما يُدَلُّ عليه ركناً أساسياً كان في الجملة أو
غير أساسي.

8.6. رفع السيرة

قلت: إن المحكي عنه رُفِعَ لأنه في وضع أصلي.

وأما السيرة اسماً، لا ظرفاً ولا فعلاً ولا جملة، فقد رفعت لأنها من المحكي عنه شيء هو ذات المحكي عنه. فقولنا: (زيد منطلق)؛ واضح فيه أن (المنطلق) هو زيد نفسه، وبإمكاننا أن نجعله هو المحكي عنه، ونجعل (زيد) سيرة له، فنقول: (المنطلق زيد).

فالسيرة ارتفعت كما ارتفع المحكي عنه، لأنها هي المحكي عنه ذاته، وما هي إلا تفسير له. فهما شيء واحد. لاحظ أن الإضافة ممتعة بين السيرة هذه ومحكي عنه لها، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه.

ولاحظ الجملة التي تأتي سيرة؛ فإنها لا بد أن تكون مشتملة على شيء من المحكي عنه، لأنها توضيح له.

ولاحظ أن السيرة إذا كانت ظرف المحكي عنه فإنها لا ترتفع.

وأقول: أما السيرة إذا كانت ظرفاً فتكون منصوبة؛ منصوبة إنما بنزع الخافض: (من) أو (في). فكما جاء: ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾، فقد جاء: ﴿غرف من فوقها غرف﴾، وكما تقول: السفر غداً، فإنك تقول: السفر في غد.

آراء النحاة:

1. في رفع المضارع

- 1- الفراء والكوفيون: رافعه تجرده عن النواصب والجوازم.
- 2- البصريون: رافعه هو وقوعه موقع الاسم.
- 3- الكسائي: رافعه أحرف المضارعة؛ أي أحرف (نأيت) التي في أوله.

4- الأُخْفَش: رافعه تعريه من العوامل اللفظية.

5- ثعلب: رافعه المضارعة.

6- الأَعْلَم: رافعه الإهمال.

2. في رافع المبتدأ والخبر

1- الكوفيون: المبتدأ يرفع الخبر، والخبر يرفع المبتدأ. واختاره السيوطي في ألفيته فقال: {ومن يقل ترافعا صوبه}.

2- البصريون: المبتدأ يرتفع بالابتداء. وأما الخبر فاختلفوا فيه؛ فقوم: إنه ارتفع بالابتداء وحده¹، وآخرون: إنه ارتفع بالابتداء والمبتدأ²، وآخرون: إنه ارتفع بالمبتدأ وحده³.

3. في رافع الفاعل

1- الكوفيون، قوم منهم: ارتفع بإحداثه الفعل.

2- خلف الأحمر: العامل فيه معنى الفاعلية، نقله عنه ابن عمرون وابن النحاس (في التعليقة).

3- ابن هشام: ارتفع بالإسناد.

4- البصريون: العامل فيه هو ما قبله من فعل وشبهه.

وهذه الآراء تنسحب على العامل في نائب الفاعل.

¹ عن شرح الإسترباذي للكافية.

² عن الإنصاف للأبجاري.

³ عن الأشباه والنظائر.

8.7. قواعد الإعراب

1- إن تصميم الجملة عند الإعراب يجب أن لا يتغير عن تصميمها الأول، وإلا يكون الإعراب في ذلك لجملة هي غير تلك الجملة التي نعربها.

- فمثلاً أن تقول في إعراب جملة التعجب: (أكرم بزید).

(أكرم): فعل ماض، جاء على صيغة الأمر، مبني على فتح مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون العارض لمناسبة صيغة الأمر. إذا قلنا ذلك نكون قد أعربنا (كْرُم) لا (أكرم) وإنما الموجود في جملتنا هو (أكرم) لا غيرها. أما الكلام عن المعنى فشيء آخر.

(بزید): الباء (ب-) زائدة لازمة، و(زید): فاعل مجرور لفظاً مرفوع محلاً. إذا قلنا ذلك نكون قد أعربنا (زید) لا (بزید).

- ومثلاً أن تقول في إعراب جملة المفعول معه: ما أنت وزيداً؟.

(أنت): فاعل أو اسم للفعل (تكون) المقدر أو المحذوف.

(وزيداً): مفعول معه منصوب بالفعل (تكون) بواسطة الواو. إذا قلنا ذلك نكون قد أوجدنا في الجملة شيئاً غير موجود.

- ومثلاً إذا قلنا في قول الشنفرى: وليلة نحس يصطلي القوس ربهآ....

(وليلة): الواو واو رب، و(ليلة) اسم مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ. إذا قلنا ذلك نكون قد أعربنا (رب)، وهي غير موجودة، وأهملنا الواو الموجودة، والمنصب معناها على ليلة، ونكون قد أعربنا (ليلة) ولم نعرب (ليلة).

2- إن القول بأن في مكان ما محذوف؛ يجب أن يكون بناء على شواهد يوجد فيها المحذوف؛ يجب أن يظهر في مثل تلك الجملة التي نتكلم عنها، فنقول: العرب تقول كذا؛ بدون حذف، وتقول أيضاً كذا؛ فتحذف.

- فمثلاً، العرب تقول: (يا ربنا، ارحمنا)، بدون حذف (يا) وتقول: (ربنا، ارحمنا)، فتحذفها. وتقول: «أ أنت فعلت هذا» فتأتي بهمزة الاستفهام، وتقول: (أنت فعلت هذا؟). وتقول العرب بشكل آخر: (ما زيد بقائم) بدون حذف الباء، وتقول: (ما زيد قائماً) فتحذف الباء. وهكذا.

3- إن تقدير المحذوف يستحسن أن يكون بأقل ما يمكن، ولهذا أجدي مع الكوفيين في قول عمرو بن كلثوم ونحوه:

نزلتم منزل الأضياف منا فأعجلنا القرى أن تشتمونا
لأنهم يقدرون: أن لا تشتمونا؛ بينما يقدر البصريون: كراهية أن تشتمونا.

4- وليكن نصب أعيننا أن الصحيح واحد لا يتعدد، فإذا تعددت الآراء في المسألة الواحدة؛ فإما واحد منها صواب والباقي خطأ، وإما كلها خطأ. فالصحيح من الآراء في المسألة الواحدة إما واحد وإما صفر.

5- وليكن نصب أعيننا أن النص مقدم على القياس وعلى التعليل وأن تقدير شيء - وفي الكلام ما يغنى عنه - مما لا يصح ارتكابه ولا اللجوء إليه. من مثل قولهم في نحو: «وإن أحد من المشركين استجارك...»؛ إن استجارك أحد من المشركين استجارك، ومثل هذا قولهم في نحو: (مقاتلها مادمت حيا لأسمعا)، (لأسمع) منصوب بفعل مقدر. والأصل: أن يكون التقدير بموجب أدلته.

8.8. إجراءات نحوية

1- ﴿اللهُ أَكْبَرُ﴾

- اللهُ: محكي عنه (مبتدأ) مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

- أَكْبَرُ: سيرة للمحكي عنه (خبر) مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

2- (أخوكَ قامَ)

- أَخوكَ: (أخو): محكي عنه مرفوع، وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة، و(ك): ضمير متصل مبني على الفتح في محل خفض بلام الإضافة.

- قامَ: فعل ماضٍ مبني على الفتح، سيرة (أخوك). [ولا حاجة بنا لأكثر من هذا].

3- (أنتِ مهذبةٌ)

- أنتِ: ضمير منفصل مبني على الكسر في محل رفع محكي عنه.
- مهذبةٌ: سيرة مرفوعة، وعلامة رفعها الضمة الظاهرة على آخرها ونون التنوين ملحقة بالاسم للتذكير.

4- (بدويٌّ أتِ)

- بدويٌّ: محكي عنه مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، جاء نكرة مخصوصة.

- أتِ: سيرة مرفوعة بضممة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، والأصل أتِي، ونون التنوين ملحقة....

5- (كلُّ يموتُ)

- كلٌ: محكي عنه مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره،
جاء نكرة عامة.

- يموتٌ: فعل حاضر (مضارع) مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة
على آخره، وهو سيرةٌ (كل). [ولا حاجة بنا أكثر من هذا].

6- (كيفَ صديقك)

- كيفَ: اسم استفهام مبني على الفتح في محل رفع سيرة مقدمة لأنها
اسم استفهام.

- صديقكَ: (صديقاً): محكي عنه مرفوع، وعلامة رفعه الألف لأنه
مثنى، و(ك): ضمير متصل مبني على الفتح في محل خفض بلام
الإضافة.

7- (قائمونَ المعلمونَ)

- قائمونَ: سيرة مرفوعة، وعلامة رفعها الواو لأنها جمع مذكر سالم،
قدمت للاهتمام بها، و(ن) ملحقة لتوضيح الجمع.

- المعلمونَ: محكي عنه مرفوع، وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر
سالم.

8- (قالَ رجلانِ)

- قالَ: فعل ماض مبني على الفتح، سيرة مقدمة للاهتمام بها.

- رجلانِ: محكي عنه مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى،
ولم يطابق السيرة لأن المثنى متفرد بالدلالة على ذاته فلا يحدث لبس.

9- (ليَ وطرٌ)

- لي: اللام (ل-): حرف خفض، (ي): ضمير متصل مبني على
السكون في محل خفض، وهو أي (لي) سيرة مقدمة، [ولا حاجة بنا لأكثر
من هذا].

- وطرٌ: محكي عنه مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، مؤخر لثلاثا يبتدئ الكلام بمنكر صرف.

10- (الكتابُ في الدرج)

- الكتابُ: محكي عنه مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

- في الدرج: (في): حرف خفض، (الدرج): اسم مخفوض، وعلامة خفضه الكسرة الظاهرة، وهما سيرة لـ (الكتابُ).

11- (الدواةُ أمامكم)

- الدواةُ: محكي عنه مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.
- أمامكمُ: (أمام): ظرف منصوب بنزع الخافض (من)، (كمُ): ضمير متصل مبني على السكون في محل خفضٍ؛ خفض بلام الإضافة، وهو سيرة (الدواة).

12- (مررتُ برجلينِ بناءً وعاملُهُ)

- مررتُ: فعل ماضٍ مبني على الضم، سيرة لمحكي عنه مستغنى عنه، والأصل: أنا مررت، صح الاستغناء عنها لأن صيغته خاصة به.

- برجلينِ: (بـ): حرف خفض، (رجلينِ): اسم مخفوض بالياء، وعلامة خفضه الياء لأنه مثني.

- بناءً وعاملُهُ: معطوف ومعطوف عليه مرفوع كل منهما، وعلامة رفعهما الضمة، جاء سيرة لمحكي عنه مستغنى عنه، والأصل: هما بناء وعامله. استغني عن الضمير بذكر صاحبهما قبل.

13- ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾

- لا أعيد: (لا): حرف نفي مهمل، أعيد: مضارعٌ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو سيرة لمحكي عنه محذوفٌ تقديره (أنا).

- ما تعبدون: (ما): اسم عهد مبني على السكون في محل نصب؛ منصوب بنزع الخافض (اللام). تعبدون: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأمتثلة الخمسة.

النحو الحق
النحو على قواعد جديدة
9- الجوازم

محمد علي رستاوي

9.1. الجوازم

الجوازم هي الأحرف: (اللام، لا، لم، لَمَّا، إن) تدخل على الفعل المضارع فتجزمه.

أ- اللام؛ لام الأمر¹، قال تعالى: ﴿لِيَنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾، ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، ﴿وَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾، ﴿وَلْنَحْمَلْ خَطَايَاكُمْ﴾، وقال الحارث بن نهيك:

لِيُبَيِّنَ يَزِيدُ ضَارِعَ لَخْصُومَةٍ وَمَخْتَبِطٍ مِمَّا تَطِيحُ الطَّوَائِحُ²

ب- (لا) الناهية³، قال تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾، ﴿لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾، ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾، ﴿رَبَّنَا لَا تَوَاخِذْنَا﴾، ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾، وقال عمرو بن كلثوم:

أَبَا هِنْدًا! فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وَانظُرْنَا نَخْبِرَكَ الْيَقِينَا⁴

ت- (لم)، قال تعالى: ﴿لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾، وقال عمرو بن كلثوم:

وَلَا شَمْطَاءَ لَمْ يَتْرَكَ شَقَاهَا لَهَا مِنْ تَسْعَةٍ إِلَّا جَنِينَا¹

¹ المعنى الحقيقي للأمر هو طلب الفعل، ولكن صيغته قد تستعمل لمعان أخرى تُستفاد من السياق وقرائن الأحوال كالاتماس والدعاء والإرشاد والتمني والتهديد...، هذه المعاني الجديدة لا تغير شيئاً من واقع اللفظ، إذ يبقى له في النحو الإعراب ذاته. ومثل هذا يقال عن النهي.

² الضارع: الدليل. المختبط: طالب المعروف. تطيح: تهلك، ترمي.

³ (لا) الناهية غير لا النافية، نحو: ﴿لَا يُوَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللُّغْوِ...﴾، و(لما) النافية غير (لما) الحينية، نحو: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ...﴾. إن الشرطية غير (إن) النافية، نحو: ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ...﴾.

⁴ انظرنا: أمهلنا، يتهدد الملك عمرو بن هند.

ث - (لما) النافية، قال تعالى: ﴿كَلَّا، لَمَا يَقْضِ مَا أَمْرُهُ﴾، ﴿بَلْ لَمَا يذُوقُوا الْعَذَابَ﴾، ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا﴾، وقال عمرو بن كلثوم:
إليكم - يا بني بكر! - إليكم أَلَمَّا تَعْلَمُوا مِنَّا الْيَقِينَا!
ج - (إن) الشرطية، قال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُرْحَمَكُم﴾، ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾. وقال عمرو بن كلثوم:
فَإِنْ نَغْلِبُ فَعَالِبُونَ قَدَمًا وَإِنْ نُغْلَبُ فَغَيْرُ مُغْلَبِينَا²

¹ الشمطاء: التي خالط رأسها الشيب. شقاها: شؤمها. الجنين: حمل المرأة قبل أن تلد.

² يريد أنهم يغلبون ولا يغلبون، وذلك معلوم بالعادة.

9.2. خواص هذه الأحرف

9.2.1. اشتراكها بالنبرة الحادة:

أحرف الجزم تشترك بالنبرة الحادة وسرعة النطق، فالعربي عند النفي بـ (لم) و(لما)¹، وعند الأمر والنهي، وعند الشرط؛ يسرع في النطق ويختلس صوته اختلاصاً، وتكون له نبرته الحادة التي اقتضت بتر الآخر وتنزيل الفعل من وضع الرفع إلى وضع الجزم، فنجده: يقول من (يركبُ): (لم يركبُ) فيحذف الضمة. ويقول من (يركبون): (لم يركبوا)، فيحذف النون. ويقول من (يمشي): (لم يمشِ)، فيحذف الياء؛ يحذف حرف العلة. ويقول من (يقومُ): (لم يقمُ)، فيحذف مع الضمة ما قبل الآخر. وقد يقول من (يكون): (لم يكُ)، فيحذف ضمة النون والآخر وما قبل الآخر.

9.2.2. ثبوتها على الجزم:

أحرف الجزم كلها لا تخرج عن عمل الجزم بحال. أما ما يذكره النحاة لإهمال (لم) استناداً إلى الشاهد: لولا فوارس من نعم وأسرتهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجار فلا يلتفت إليه. لأن هذا الشاهد موضوع في مقابل الألوف من الشواهد لعملها الجزم، هذا عدا أنه مجهول القائل، وعدا أن ثَمَّ رواية له تذكر (لا) بدلاً من (لم)، وهي التي يعول عليها؛ لأنها جاءت على وجه سائق في اللغة.

¹ إن العرب لم تستعمل (لا) النافية للجزم مثل أختيها (لم، لما) لفوات النبرة الحادة معها، ترك ذلك لـ (لا) الناهية، لئلا يحدث التباس بينهما في مثل: لا يفعل زيد هذا، ولا يفعل هذا.

ومثل ذلك يقال عن قولهم بأن (لم) تنصب؛ إذ يذكرون أن هنالك من قرأ: ﴿ألم نشرح...﴾ .

أما دخول (إن) على الفعل الماضي في نحو: ﴿وإن عدتم عدنا﴾ وعلى (لم) في نحو: ﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾؛ فلم يظهر العمل، لأن ما دخلت عليه حيادي.

و(إن) تدخل في سياق الكلام مستقلة كما في قول النعمان بن المنذر: قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذباً فما اعتذارك من قول إذا قيلاً إن معناها هنا يصبح غير منصب على شيء، معناها هنا يصبح مستقراً فيها فتهمل.

فـ (إن) مثل أخواتها لا تهمل ما دخلت على المضارع.

9.2.3. عدم وقوع الأفعال معها:

وهذه الأحرف تشترك بعدم وقوع فعلها. فقد كان مظنوناً وقوعه فنفي بـ (لم) أو (لما) بحسب زمان كل منها. وكان مراداً وقوعه فطلب باللام. وكان غير مراد وقوعه، إنما كان وقوعه مخشياً، فنهي عنه بـ (لا). وكان محتملاً وقوعه، فكان عليه الشرط بسبب هذا الاحتمال. فالفعل في جميع ذلك لم يقع.

9.2.4. توزعها على ساحة الزمن:

وهي تشترك بملء ساحة الزمان، تتوزع فيها؛ لكل منها قسم منه: (لم) تنفي منه الجزء الواقع في الماضي مطلقاً. و(لما) تنفي منه الجزء الماضي القريب من الحاضر، فقولنا: (لما يكتب) ينفي أنه الآن يكتب، إنما متوقع له في القريب أن يكتب، فهي في النفي مثل (قد يكتب) في الإيجاب.

وباللام يطلب الجزء الواقع الآن، أو الجزء الواقع بعد الطلب مباشرة.
و(لا) في النهي مثل اللام.
أما (إن) فإنها تدل على وقوع شرطها في المستقبل، فهي تأخذ منه
الجزء الواقع في المستقبل.
إذن لكل من هذه الأحرف قسم من الزمن المديد الذي يمر به المضارع.

الأخذ بالشواهد والأخذ بالآراء، أقول:

1- أما الأخذ بالشواهد؛ فيكون تبعاً لكثرتها أو استفاضتها¹، فلا يؤخذ
مقابل المئات منها أو الكثير بالشواهد القليلة أو بالشاهد الواحد، ومن
الأولى عدم الأخذ بشاهد مجهول القائل. ذلك أن اللغة تؤخذ من جمهور
العرب الفصحاء لا ممن خرج عن جادة الجمهور، ولا ممن خالط العجم
فسدت لغته، وطبعاً لا تؤخذ بالشاهد الواحد، ولا بالشاهد المجهول القائل،
لأن وقوع الخطأ من البعض وارد ولا يمكن أن ينسحب على الجمهور.
والقواعد إنما تبنى على لغة الجمهور لا على لغة القلة، وعلى لغة
المشاهير لا على لغة المجاهيل.
ولكن هذا لا يمنع من الاستئناس بالشواهد القليلة للتقاة في تأييد وجهة
نظر تجعل القواعد منسجمة أو تجعل الدراسة سهلة.
وليعلم أنه إذا أمكن أن يُحمّل شاهد على وجه سائغ في العربية؛ فقد سقط
الاحتجاج به على وجه غير سائغ.
وليعلم أنه إذا وجد للشاهد روايتان: أحدهما تتسجم مع العام من اللغة،
والثانية منها تعد من النادر أو الشاذ، لزم عدم الأخذ بالرواية الثانية.

¹ قال أبو حيان: {البيت والبيتان لا تبنى عليهما القواعد}.

2- أما الرأي فلا يؤخذ به تبعاً لكثرة القائلين به، بل يؤخذ به تبعاً لصحته بغض النظر عن كثرة القائلين به أو قلتهم أو تفرد واحد به من بينهم أو عدم وجود قائل به. فمدار الأخذ بالرأي إنما هو على صحة الرأي لا غير، فالآراء صحيحة تفرض نفسها وخاطئة تُرفض. وكثيراً ما كانت الكثرة في قضية ما على رأي خطأ، وجاء الصواب فيها من تفكير فرد. وصحة الرأي في قضية تؤخذ بقوة الأدلة لا بفرض السلطة، وقوة الأدلة هنا تكون بكثرة الشواهد أولاً، وباتساقها وتعليلها منطقياً ثانياً. وليعلم أن الخطأ وارد على المتقدم كما هو وارد على المتأخر، وكذلك الصواب.

وليعلم أن اللغة لا تفرض عليها القواعد، بل يستأنس بأساليبها لاستخلاص القواعد والقياس عليها.

ما يدخل في الكلام مستقلاً لا يغير في الإعراب، أقول:

إن كل ما يدخل في الكلام ويبقى مستقلاً عنه لا يغير في إعراب الكلام من شيء.

فيكون إعراب: (التمس - ولو - خاتماً من حديد) مثل إعراب: (التمس خاتماً من جديد).

ويكون إعراب: (زيد - إذن - ينجح) نفس إعراب: (زيد ينجح).

ويكون إعراب قول امرئ القيس:

ألا رب يوم لك منهن صالح و - لاسيما - يوم بدارة جلجل¹

نفس إعرابه بدون (لا سيما).

¹ دارة جلجل: غدير بعينه.

ويكون إعراب: (ادرس إما نحواً وإما فقهاً) مثل إعراب: (ادرس نحواً أو فقهاً).

ويكون إعراب: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ مثل إعراب (اليتيم لا تقهر).
ويكون إعراب: ﴿وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾ مثل إعراب: (كانت كبيرة...).

ويكون إعراب: (زيد - ظننت - منطلق) مثل إعراب: (زيد منطلق).
ويكون إعراب قول مَقَّاس:

سراة بني أبي بكر تسامى على - كان - المسومة العراب

مثل إعرابه بدون (كان).

ويكون إعراب: (مررت برجل لا طويل ولا قصير) مثل إعراب: (مررت برجل طويل قصير).

ويكون إعراب: (جئت بلا زاد) مثل إعراب: (جئت بزاد).
قال تأبط شراً:

هما خطتا: إما إيسارٍ ومنةٍ، وإما دم. والقتل بالحر أجرد

لاحظ حذف النون؛ نون التنثية للإضافة، كأن (إما) غير موجودة.

ثم لاحظ القول: إن تحسن - والله - تحمد؛ كيف كان الجزم، كأن (والله) غير موجودة.

فالعرب لا تغير في الإعراب الذي اقتضاه سياق الكلام عندما تدخل فيه كلمة لمعنى احتاجته.

فلو قلت: (سامحتك إن مذنباً وإن مقصراً)؛ فهذا مثل: (سامحتك مذنباً ومقصراً).

ولو قلت: تمنيت أن يزورني - ولو - واحد منكم؛ فهذا مثل: (تمنيت أن يزورني واحد منكم).

وهنا **أقول**: إنَّ (إن، ولو) في مثل ما ذكرت ملغتان، وليس النصب بعدهما بـ (كان) المحذوفة؛ كما يقول النحاة. وقد ذكرت أن الأفعال لا تعمل موجودة فكيف مفقودة.

إنَّ فهذه الكلمات اللواتي ذكرت الأمثلة عنهن قد أدخلن لمعانيهن لا لشيء آخر. فما هن بذوات عمل. وواضح أن الجمل بدونهن - من جهة الإعراب - هي هي معهن.

ومما يدخل في سياق الكلام ويبقى مستقلاً لا يغير في إعرابه من شيء؛ الضمائر بعد أفعال الكون وأفعال الترائي¹ في لغة الحجاز، في نحو: كان زيد هو المحقّ، ورأيتك أنت خيراً منه.

فيكون إعراب قوله تعالى: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾، وقوله: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾ مثل إعرابه من دون ضمائر.

¹ أفعال الكون: يقصد بها: (كان وأخواتها) وأفعال الترائي: يقصد بها: (ظننت ورأيت وأخواتهما).

9.3. الجزم باللام محذوفة¹

لقد حذف العرب هذه اللام مع تاء المضارعة تخفيفاً، فقالوا: (قم، قومي، قوما، قوموا، قمن) بدلاً من: (لتقم، لتقومي، لتقوما، لتقوموا، لتقمن). وقالوا: (اكتب) بدلاً من (لتكتب).
فما سموه بـ (فعل الأمر) إنما هو فعل مضارع مجزوم بلام الأمر المحذوفة للتخفيف. وقد وضحت ذلك في بحث أقسام الفعل، ذاكراً أنها: (ماضٍ، مضارع) فقط. ذلك لأن الأمر معنى، والمعاني إنما تؤدي بالحروف.

وهذه أمثلة عن الأمر بدون اللام:

﴿فصل لربك وانحر﴾. (أنت).

﴿فكلي واشربي وقري عينا﴾. (أنت).

﴿أذهباً بآياتي ولا تنيا في ذكري﴾. (أنتما).

¹ قال ابن هشام في مغني اللبيب لزعم الكوفيون وأبو الحسن أن لام الطلب حذفت حذفاً مستمراً في نحو قم واقعد، وأن الأصل لتقم ولتقعد، فحذفت اللام للتخفيف، وتبعها حرف المضارعة، ويقولهم أقول؛ لأن الأمر معنى حقه أن يؤدي بالحرف، ولأنه أخو النهي ولم يدل على النهي إلا بالحرف، ولأن الفعل إنما وضع لتقييد الحدث بالزمان المحصل، وكونه أمراً أو خبراً خارج عن مقصوده، ولأنهم قد نطقوا بذلك الأصل كقوله (لتقم أنت... البيت)، وكقراءة جماعة (وبذلك فلنفرحوا) وفي الحديث (لتأخذوا مصافكم)، ولأنك تقول اغز واخش وارم واضربا واضربوا واضربي؛ كما تقول في الجزم، ولأن البناء لم يعهد كونه بالحذف، ولأن المحققين على أن أفعال الإنشاء مجردة عن الزمان كبعث واقسمت وقبلت، وقد أجابوا عن كونها - مع ذلك - أفعالاً بأن تجردها عارض لها عند نقلها عن الخبر، ولا يمكنهم ادعاء ذلك في نحو قم؛ لأنه ليس له حالة غير هذه، وحينئذ فتشكل فعليته. فإذا ادعي أن أصله لتقم كان الدال على الإنشاء اللام لا الفعل.

﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾. (أنتم).

﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾. (أنتن).

- (أفعل به!) في التعجب أمر

لأن لفظه وضعاً الأمر، واللفظ إذا انتقل من وضعه الأول إلى معنى آخر بقي له في الإعراب معاملة الأصل، وهذه المعاملة هي التي تهمننا في النحو.

إن (أفعل به) أمر استعملته العرب للتعجب، كما استعملت الأمر في أشياء أخرى (كالإلتماس والدعاء والإرشاد والتمني والتهديد....)، فلم يتغير الإعراب في ذلك.

فمن استعماله في التهديد قوله تعالى: ﴿ليكفروا بما آتاهم وليتمتعوا فسوف يعلمون﴾.

ومن استعماله في التمني قول امرئ القيس:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ بصبح، وما الإصباح منك بأمثل¹

ومن استعماله في الإرشاد قول المتنبي:

كذا فليسر من طلب المعالي ومثل سراك فليكن الطِلاب²

وهذه الاستعمالات معروفة.

والعرب تستعمل الأصول في أشياء أخرى:

فاستعملت الخبر للطلب، كما في قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن

بأنفسهن ثلاثة قروء﴾، ولا أحد يقول: إن إعراب (يتربصن) هو إعراب

فعل الأمر.

¹ الأمثل: الأوضح.

² السرى: السير ليلاً.

واستعملت كذلك الطلب للخبر، كما في قوله تعالى: ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً﴾، وكلنا يرى أن (يمدد) عومل معاملة فعل الأمر لا معاملة الخبر.

إذن فالأصل أن يبقى الشيء على وضعه الأول، ولا عبرة للمعنى الذي ينتقل إليه؛ أي أن الإعراب يبقى للفظ كما كان. ومن أراد أن يذكر المعنى الذي صار إليه فله ذلك.

ونحن - في هذا العلم - إنما نتعامل مع الألفاظ لا مع المعاني. فحين تُنقل صيغة النهي مثلاً إلى الدعاء، نحو: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا﴾ تبقى للصيغة خواص النهي. وأوضحها إعرابه.

وحين يُنقل أسلوب النداء إلى الاختصاص، نحو قوله (ص): (سلمان منا أهل البيت) يبقى لنا أسلوب النداء، ويبقى إعرابه.

وحين تنقل جملة الاستفهام إلى التوبيخ، نحو: ﴿ألم نربك فينا وليداً﴾ تبقى لنا جملة الاستفهام.

فدائماً تبقى المعاملة مع الصور اللفظية حسب استعمالها الأول. ودائماً - كما يقولون -: العارض غير معتد به. فنقول في إعراب: (أكرم بخالد بطلاً!)¹

- أكرم: فعل أمر؛ أي فعل مضارع مجزوم بلام الأمر المستغنى عنها، استعمل في التعجب.

- بخالد: جار ومجرور.

¹ قارن بين هذا الإعراب وإعرابهم: أكرم: فعل ماض مبني على السكون لأنه جاء على صيغة الأمر.

بخالد: الباء حرف جر زائد، و(خالد): فاعل مجرور لفظاً مرفوع محلاً. بطلاً: تمييز منصوب....

- بطلاً: منصوب بنزع الخافض (من).

9.4. الجزم بـ (إن) محذوفة

تحذف (إن) الشرطية بعد:

أ- بعد الأسماء الموصولة؛ (من، ما، أي):

- (من)، قال تعالى: ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾، ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً﴾. وقال الأسيدي:

بني تُعل، لا تتكعوا العنز شربها بني ثعل! من ينكع العنز ظالم¹

- (ما)، قال تعالى: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه﴾، ﴿ما يفتح الله

للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾.

- (أي)، قال تعالى: ﴿أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنی﴾ وقال ابن همام

السلولي:

لما تمكن دنياهم أطاعهم في أي نحوٍ يميلوا دينه يمل

ب- بعد الأسماء الظروف؛ (متى، أيان، أين، أنى):

- (متى)، قال طرفة:

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد²

- (أيان)، قال أمية بن أبي عائذ الهذلي:

إذا النعجة الأذناء كانت بقفرة فأيان ما تعدل بها الريح تعدل³

والجزم بها قليل.

- (أين)، قال تعالى: ﴿أينما يوجهُ لا يأت بخير﴾، وقال ابن همام

السلولي:

أين تضربُ بنا الغداة تجدنا نضرب العيس نحوها للتلاقي¹

¹ نكع العنز شربها: منعها منه، قطعها عنه، نغصها.

² التلعة: ما ارتفع من مسيل الماء وانخفض عن الجبال.

³ الأذناء: العظيمة الأذنين.

- (أنى)، قال ليبيد:

فأصبحت أنى تأتيا تلتبس بها كلا مركبها تحت رجليك شاجر²
ثم إنني لتسهيل هذا العلم على الطلبة أفضل أن يقال في إعراب (أشباه
الحروف هذه): أداة شرط جازمة.

إنّ (إنّ) مضمرة بعد الأسماء هذه؟

إنما قلت ذلك، لأن هذه الكلمات أسماء، و(إن) من بينها هي الحرف.
وإنما العمل للحرف. وقد بينت أن الأسماء والأفعال لا تعمل بل يعمل بها.
أ- لاحظ وقوعهن معمولات، كما في قول السلولي:
لما تمكن دنياهم أطاعهم في أيّ نحو يميلوا دينه يمل
ب- ولاحظ أن هذه الأسماء تأتي ظرفاً وموصولاً، ويستعملن في
الاستفهام كما يستعملن في المجازة.
ت- ولاحظ أنهن يحملن - هنا - معنى (إنّ) معهن:
قال سيبويه: {إن حرفي الشرط والاستفهام حذفاً قبل أسماء الاستفهام
والمجازة لكثرة الاستعمال، فكان الأصل: أ أيهم تضرب؟ وإن أيهم
تضرب أضرب³}.
وقال صاحب مع الهوامع: {أدوات الشرط كلها أسماء إلا (إنّ) فإنها
حرفٌ باتفاق والباقي متضمن معناها}.

¹ العيس: جمع أعيس: الذي خالط بياضه شقره.

² الشاجر: المباعد بين شيئين.

³ في هذه الجملة وأمثالها أرى التقدير: من إن تضرب أضرب، ثم تكرر ذلك كثيراً
فاختصروا.

وقال ابن يعيش في المفصل عن جزم الشرط بعد أدوات الشرط
الأسماء: لوإنما عملت من أجل تضمنها معنى (إن). ألا ترى أنها إن
خرجت عن معنى (إن) إلى الاستفهام أو معنى (الذي) لم تعمل{.
وقال الإسترياذي: لوإنما وجب إبهام كلمات الشرط لأنها كلها تجزم
لتضمنها معنى (إن) التي هي للإبهام، فلا تستعمل في الأمر المتيقن
المقطوع به، لا يقال، مثلاً: إن غربت الشمس أو طلعت...، فجعل العموم
في أسماء الشرط الواقع بعد (إن) لأنه نوع عموم أيضاً، والشرط بعد هذه
الأسماء أيضاً كالشرط بعد (إن) في احتمال الوجود والعدم، فإنهم سلكوا
طريق الاختصار بتضمن هذه الكلمات العامة معنى (إن) إذ كان يطول
عليهم الكلام لو قالوا في: (من ضربت ضربت): إن ضربت زيدا ضربت،
وإن ضربت بكرة ضربت... إلى ما لا يتناهى. وكذا (ما، ومتى) وسائر
أخواتها{.

ث- ثم إن معنى العهد (الموصولية) يبقى واضحاً فيهن، كما في قول
أمية بن أبي السلط فالأخطل:

ولكن من لا يلق أمراً ينوبه بعدته ينزل به وهو أعزل
إن من يدخل الكنيسة يوماً يلق فيها جازراً وظباء

حيث جاءت (من) اسماً لـ (لكن، وإن). دعنا من تكلفهم بجعل الاسم هنا
محذوفاً تقديره كذا¹.

¹ غير أن كون (إن) مضمرة بعد هذه الأدوات لا يمنع من القول في الإعراب لأي
منهن: أداة جزم، والمضارع مجزوم بها.

9.5. دخول (ما) على كلمات المجازاة

إن أسماء المجازاة كثيراً ما يكن بـ (ما) توكيداً للمعنى، مثلما تكون (إن) معها.

وقد مرت شواهد على ذلك.

وتصبح (ما) المجازاة مع (ما) هذه: (مهما)، قلبوا ألف (ما) المجازاة هاء لتجانسهما ومنعاً للتكرار؛ أي لئلا تصبح: (ما ما). مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وقالوا مهما تأتتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾، وقالوا في المثل: مهما تعش ترّة، وقال زهير:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم
وتصبح (إن) معها (إما) تدغم النون في الميم، كما في قوله تعالى: ﴿فإما ترين من البشر أحداً فقولي...﴾.

وأبقوا (متى) مفصولة خطأ عن (ما) لئلا تشته بكلمة (متيماً) وهي منصوبة، ولئلا تتغير صورتها، كما في قول طرفة:

فمنهن سبقي العاذلات بشرية كميّت متى ما تُعلّ بالماء تزيد
ولم يدخلوا (ما) هذه على (من) خاصة، لم يرق لهم أن يقولوا: (من ما).

9.6. بقية أدوات المجازة

هناك أدوات غير التي ذكرتها تأتي للمجازة، هي: (حيثما، إنما، إذا، إذاما، كيف، كيفما، لو)؛ يذكرونها في أسماء الشرط الجازمة، ويذكرون لها الشواهد التالية:

- (حيثما، إنما):

حيثما تستقم يقدر لك الله نجاحاً في غابر الأزمان¹

وإنك إذما تأت ما أنت أمر به تلق من إياه تأمر آتياً²

- (إذا) تزد عليها (ما) فتصبح (إذاما). ذكروا لها بيتاً مفرداً للفرزدق

شاهداً على الجزم:

ترفع لي خندف، والله يرفع لي ناراً إذا خمدت نيرانهم تقد

والظاهر في هذا جزم الجواب: (تقد).

- أما (كيف) و(كيفما) فقد مثلوا لهما بـ (كيف تجلسُ أجلسُ)، و(كيفما

تجلسُ أجلسُ)، ولم يذكروا لهما من شاهد.

- وذكروا لـ (لو) الشاهد:

لو يشأ طار به ذو ميسة لاحق الأطلال نهد ذو خصل

وقد قال عنها في الكافية:

وجورّ الجزم بها في الشعر ذو حجة ضَعَفَهَا من يدري

ولم أذكر هذه الأدوات في الجوازم:

لأن (حيثما) بمعنى (أين) ففيها غناء عنها، ولأنه ليس لها من شاهد غير

البيت السابق المجهول القائل، الذي لا يقبل الاحتجاج به.

¹ الغابر: الباقي، وغير كل شيء بقيته وآخره.

² تلقى: تجد، تصادف.

ولأن (إذما) بمعنى (إمّا)، ولأن الجزم بها - كما قال سيبويه - لم يرد إلا في الضرورة}. وقد قال السيرافي: لما علمت أحداً من النحاة ذكرها إلا سيبويه وأصحابه}.

أما (إذا، وإذما)، فلأن سيبويه بعد أن ذكر شواهداها، قال: {فهذا اضطرار وهو في الكلام خطأ}. ثم قال: والجيد قول كعب بن زهير: وإذا ما يشاء يبعث منها مغرب الشمس ناشطاً مذعوراً¹ وأما (لو)، فلأن شاهدها وحيد ومجهول القائل، والشائع عدم الجزم بها، كما في الآية: ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾.

فهذه الكلمات تصح المجازاة بها، ولكن عملها الجزم لم يصح كما ذكرت.

ثم لأن (لو، لولا، لوما، إذا، إذما، كيف، كيفما، حيثما، لماً²) للبت كلها؛ أي لم تتضمن معنى (إن) الاحتمالي.

لاحظ دخول لام التوكيد في جواب كل من (لو، لولا، لوما). هذه اللام التي يسمونها لام الجواب.

ولاحظ تعلق (إذا، إذما، حيثما، لما) بشيء ثابت من الزمان والمكان، ومثلهن (كيف، كيفما)، تتعلقان بوضع حال ثابت من الحال.

ولهذا لم تجزم (الذي) وأخواتها في نحو: (الذي يأتيني فله جائزة) مع ملاحظة الشرط في المثال؛ لأن الجملة التي توصل بهن معلومة للمخاطب، بينما الشرط مع الجوازم لا يكون إلا مبهماً. وإنما كان الشرط مبهماً من

¹ يشبه ناقته في نشاطها بثور وحشي ناشط ذعره سبع أو صائد.

² (لما) هذه هي (لما) الحينية، نحو: ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون﴾ .

معنى (إن) موجودة أو متضمناً معناها، فخرجت بذلك (الذي) وأخواتها
عن عمل الجزم.
وكذلك خرجت الأدوات المذكورة.

9.7. المضارع بعد الطلب

أ- يجزم المضارع بعد الطلب إذا قصد الجزاء؛ أي إذا كان المضارع هو الهدف للطلب، فالطلب جيء به لذلك.

والطلب: أمر ونهي واستفهام وعرض وتمن.

- الأمر، قال تعالى: ﴿فاذكروني أنذركم﴾، ﴿وألُق ما في يمينك تلقف ما صنعوا﴾، ﴿وذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل﴾، ﴿فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له﴾. وقال عمرو بن الإطنابة:

وقولي كلما جشأت وجاشت: مكانك تحمدي أو تستريحي¹

هنا الأمر مقدر قبل (مكانك)، تقديره: أثبتني مكانك.

- النهي، كما في الأحاديث: لا تشرف يصبك سهم، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، من أكل من هذه الشجرة - يعني الثوم - فلا يقربن مسجدنا يؤذنا.

- الاستفهام، قال جابر بن جبير التغلبي:

ألا تنتهي عنا ملوك، وتنقى محارمنا؛ لا يُبوء الدم بالدم²

- أما العرض والتمني فلم أجد فيما طالعت من كتب النحو والشعر من شواهد لهما.

كما أن مجيء ذلك بعد النهي والاستفهام قليل، ليس فيهما سوى هذه الشواهد التي ذكرت؛ أما بعد الأمر فهو كثير فاش.

¹ جشأت: هنا ثارت للهرب من الخوف.

² البواء: القود، أي قتل بآخر.

ب- يرفع المضارع بعد الطلب، فيكون في وضعه الأصلي، إذا قصد حمله على اسم - طبعاً أو ضميره - في جملة الطلب لا على المجازاة، أو قصد به الاستئناف.

ففي قوله تعالى: ﴿فهب لي من لدنك ولياً يرثني﴾. (يرث) مرفوع لأنه قصد حمله على (ولياً) صفة له وتفسيراً.

وفي قوله تعالى: ﴿ذرهم في خوضهم يلعبون﴾. (يلعبون) مرفوع لأنه قصد حمله على الضمير (هم) من (ذرهم) حالاً له وتفسيراً.
وفي قوله الأخطل:

كروا إلى حرّتيكم تعمرونهما فكل حتف امرئ يجري بمقدار
(تعمرون) مرفوع لأنه قصد حمله على الضمير (أنتم) المفهوم من
الفعل: (كروا) حالاً له وتفسيراً، ولك أن تجعل رفعه على الاستئناف، غير
أن حمل الكلام بعضه على بعض أولى ليبقى مترابطاً.
في هذه الأمثلة ونحوها لم يؤت بالمضارع الذي بعد الطلب هدفاً للطلب،
لذلك ارتفع.

آراء النحاة:

1. في جازم الشرط والجزاء

1- السيرافي: كلمة الشرط لاقتضائها الفعلين اقتضاء واحداً، وربط
الجملتين إحداهما بالأخرى حتى صارتا كالواحدة. فهي كالأبتداء يعمل في
المبتدأ والخبر، ومثّل: (ظننت) و(إن) وأخواتهما.

2- الخليل والمبرد: كلمة الشرط تعمل في فعل الشرط، وهما معاً
تعملان في الجزاء لارتباطهما.

3- الأخفش: الشرط مجزوم بالأداة، والجزاء مجزوم بالشرط وحده.

4- الكوفيون: الشرط مجزوم بالأداة، والجزاء مجزوم بالمجاورة.

5- المازني: الشرط والجزاء مبنيان لعدم وقوعهما موقع الاسم، ولعدم وقوعهما مشتركين ثم مختصين.

6- وذكر الخصري في حاشيته على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك أن هنالك قول بأن جازم الجزاء هو لام الأمر مقدر، ولكنه لم يذكر صاحب هذا القول.

2. في جازم جواب الطلب¹

- الشرط المقدر.

- تضمين الجملة معنى الشرط.

- الجملة.

- لام الأمر مقدر.

- بحث كيفية الإجراءات النحوية

تكون الإجراءات النحوية:

أ- للحرف:

- إن كان عاملاً بأن نذكر معنى الحرف وعمله.

- وإن كان مهملاً بأن نذكر معنى الحرف وسبب إهماله.

ب- للفعل الماضي:

- بأن نذكر بأنه فعل ماضٍ، وأنه مبني على السكون أو الفتح أو الكسر أو الضم.

ت- للفعل المضارع:

¹ عن حاشية الخصري ص 117.

إن كان مرفوعاً نذكر أنه مضارع مرفوع فقط (دون كتابة كلمة فقط)، ثم نذكر علامة رفعه.

وإن كان مجزوماً أو منصوباً نذكر أنه مضارع مجزوم أو منصوب بالحرف (كذا)، ثم نذكر علامة جزمه أو نصبه.
ث - للاسم:

إن كان مرفوعاً نذكر أنه اسم مرفوع فقط (دون كتابة كلمة فقط)، ثم نذكر علامة رفعه.

وإن كان مخفوضاً أو منصوباً نذكر أنه اسم مخفوض أو منصوب بالحرف (كذا)، ثم نذكر علامة خفضه أو نصبه.

ثم إن كان هنالك اسم محكي عنه نذكره ونذكر سيرته.

ج - إذا كان الإعراب مقدراً نذكر سبب تقديره.

9.8. إجراءات نحوية

- 1- لمَ يَقمُ: (لم): حرف نفي وجزم، (يَقمُ): فعل مضارع مجزوم بـ (لم)، وعلامة جزمه السكون. (لم) تأخذ الجزء الماضي من زمن المضارع.
- 2- لما يَنته: (لما): حرف نفي وجزم، (يَنته): فعل مضارع مجزوم بـ (لما)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة. (لما) تأخذ الجزء القريب من الحاضر من زمن المضارع.
- 3- لا تَقرِبا: (لا): حرف نهي وجزم، (تَقرِبا): فعل مضارع مجزوم بـ (لا)، وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأمثلة الخمسة.
- 4- لتَنتبه: (لـ): حرف أمر وجزم، (تَنتبه): فعل مضارع مجزوم بـ (لـ)، وعلامة جزمه السكون.
- 5- (قَمُ): فعل مضارع مجزوم بلام الأمر المحذوفة للتخفيف، والأصل: لَقم، وعلامة جزمه السكون (وقد حذفوا مع لام الأمر تاء المضارعة).
- 6- انتبهوا: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر المحذوفة للتخفيف، والأصل: لتَنتبهوا، وعلامة جزمه حذف نون الأمثلة الخمسة (وهنا حذفوا مع لام الأمر تاء المضارعة وزادوا ألف الوصل لئلا يبتدؤوا بالساكن).
- 7- (أَجْمَلُ بالرَّبيعِ)
- أَجْمَلُ: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر المحذوفة للتخفيف، والأصل: لتَجمَلُ!، وعلامة جزمه السكون. (وقد أدوا به معنى التعجب).
- بالرَّبيعِ: (بـ): حرف خفض، (الرَّبيعِ): اسم مخفوض، وعلامة خفضه الكسرة.
- 8- فإِن نَغلب فغلابون قَدمًا
- فإِن: (إِن): حرف شرط جازم.

- نغلب: فعل مضارع مجزوم بـ (إن)، وعلامة جزمه السكون.
- فغلابون: (فَـ): رابطة لجواب الشرط، (غلابون): سيرة مرفوعة بالواو لأنها جمع مذكر سالم، وقد استغنى عن المحكي عنه لحضوره في المعنى، والأصل: فنحن غلابون.
- قدماً: ظرف زمان منصوب بنزع الخافض (في).
- 9- ﴿ذروها تأكل﴾
- ذروها: (ذروا): فعل مضارع مجزوم بلام الأمر المحذوفة للتخفيف، والأصل: لتذروا، وعلامة جزمه حذف نون الأمثلة الخمسة، (ها): ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب بنزع الخافض (ـا).
- تأكل: مضارع مجزوم لأنه جواب شرط مقدر: إن تذروها تأكل.

النحو الحق
النحو على قواعد جديدة
10- الخوافض (حروف الجر)

محمد علي رستاوي

10.1. الخوافض (حروف الجر)

الخوافض هي الحروف التالية: (اللام، الباء، في، من، إلى، عن، على، الكاف، الواو، التاء، حتى، منذ، ربّ، إيّا) تدخل على الأسماء فتخفّضها.
أ- اللام، قال تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، ﴿فصل لربك وانحر﴾.
ب- الباء، قال تعالى: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾، ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾.

ت- (في)، قال تعالى: ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾، ﴿وما ذراً لكم في الأرض مختلفاً ألوانه﴾.

ث- (من)، قال تعالى: ﴿في جيدها حبل من مسد﴾، ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾.
وجاءت (من) في الشعر مع ذي (الـ) مختصرة إلى (م)، قال: حسان
فذو الإصبع العدواني فجميل:

لما رأى بديراً تسيل جلاهما بكتائب م الأوس أو م الخرج¹
أجعل مالي دون الدنا غرضاً وما وهى م الأمور فانصدعا²
وما أنس م الأشياء لا أنس قولها وقد قربت نضوي: أمصر تريد³
ج- (إلى)، قال تعالى: ﴿وإلى ربك فارغب﴾، ﴿أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات﴾.

ح- (عن)، قال تعالى: ﴿إنهم يومئذ عن ربهم لمحجوبون﴾، ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾.

خ- (على)، قال تعالى: ﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراطٍ مستقيم﴾.

¹ جلاهما: حفافها، جوانبها.

² الدنا: العيب والدنس. الغرض: هدف الرمي.

³ نضوي: رحلتي المهزولة، أنضاه السفر: أهزله.

وجاءت (على) في الشعر مع ذي (الـ) مختصرة إلى (ع)، قال: قطري
بن الفجاءة:

غداة طغت ع الماء بكر بن وائل وعجنا صدور الخيل نحو تميم¹
د- الكاف، قال تعالى: ﴿فجعلهم كعصفٍ مأكولٍ﴾، «يوم يكون الناس
كالفراشِ المبثوثِ».

ذ- الواو؛ واو التعظيم: يكون التعظيم بها مع المعارف للقسم، قال تعالى:
﴿والعصرِ إن الإنسان لفي خسر﴾، «والتين والزيتون وطور سينين».
ويكون التعظيم بها مع النكرات للتمدح، قال لبيد في معلقته مرتين:
وكثيرةٌ غرباؤها مجهولة ترجى نوافلها ويخشي دأماها²
وجذورٍ أيسار دعوتٍ لحتفها بمغالق متشابهٍ أعلامها
ثم إن الخفض في التمدح إنما هو بالواو لا بـ (رب) المقدره كما
يقولون، لأن نسبة العمل للموجود أولى من نسبته للمفقود.

ر- والتاء في القسم، والخفض، مثل الواو، قال تعالى على لسان إبراهيم:
﴿تالله لأكيدن أئمنامكم﴾.

ز- (حتى)، قال تعالى: ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾، «فتربصوا به حتى
حينٍ»، وقال أبو قطيفة فالوليد بن أبي عقبة:

فليس إلى زيارتها سبيل ولا - حتى القيامة - من سبيل
أفلا تميل إلى (نعم) ولترك (لا) حتى الممات

س- (منذ)، قال امرؤ القيس فمجنون بني عامر:

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان³

¹ عاج على أصدقائه: مال في مسيره إليهم.

² الذام: العيب. الأيسار: صاحب الميسر، المغالق: سهام الميسر. الجذور: الذبيحة.

³ الرسم: آثار الديار، عفت: درست، انمحت. آياته: علاماته الدوال عليه.

فقلت له: لو كان حولك جيرة وعهدي بذاك الصرم منذ زمان¹
وجاءت(مذ) مختصرة من (منذ)، قال عمرو بن معديكرب فالحطيئة:
وسيفي كان مذ عهد ابن صدّ تخيره الفتى من عهد عاد²
هل تعرف الدار مذ عامين أو عامٍ دار لهند بجزع الخرج فالدام
ش- (ربّ)، قال الأعشى مرتين فنّابت قطنة:

رب رfid هرقته ذلك اليوم، وأسرى من معشر أقتال³
رب حيّ سقيتهم جرع الـ موت، وحي سقيتهم بسجال⁴
إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن عاراً عليك، ورب قتل عار
ص- (إيّا)، قال أبو عبيدة:

دعني وإيّا خالدٍ لأقطعن عرا نياطه

¹ الصرم: القطع، يعني به هنا الهجران.

² ابن صد: أحد جدود (عمرو) الشاعر.

³ الرفد: هنا القدح الضخم. أقتال: هلكى، ويروى: من معشر ضلال.

⁴ السجال: الواحد سجل؛ الدلو.

10.2. خواص هذه الحروف

10.2.1. دخولها على الأسماء وضمائرها

تدخل هذه الحروف على الأسماء وعلى كناياتها (الضمائر)، وطبعاً لا يظهر عملها على الضمائر، لأن الضمائر مبنية. ولكنهم لم يدخلوا: (منذ، مذ، الواو، الكاف، حتى، رب) على الضمائر.

لأن (منذ، ومذ) مخصصان لأسماء الزمان ولا يقدمونها عليهما، فاستبعد مجيء الضمير معها.

ولأن الواو مخصصة: للقسم بالمعرفة، أو للتمدح بالنكرة، وبهذين يبدوون الكلام، ولم يقسموا بالمخاطب بل بالمضاف له، فلم يقولوا: (وَكَ) بل قالوا: وأبيك، أو وحياتك...

ولأنهم قصرُوا استعمال التاء على القسم بلفظ الجلالة.

ولأن الكاف مع ضمير المخاطب يلجئ لاجتماع المثليين: (كَكَ) فاستغنوا عنه بكلمة (مثل) التي لها معناه.

ولأن (حتى) مخصصة للآخر أو ما يتصل بالآخر ولا يقدمونه عليها، فلم يحتاجوا للضمير معها.

ولأن (رب) مخصصة للنكرة المنافية للضمير.

ونادراً ما جاء دخول (الكاف، حتى، رب) على الضمير. قال العجاج:

نحَى الذنابات شمالاً كَثِباً وَأُمُّ أَوْعَالٍ كَهَا أَوْ أَقْرَباً¹

وروا:

فلا والله ما يلفي أناس فتى حتاك يا ابن أبي زياد²

¹ الضمير في (نحى) لحمار الوحش. الذنابات: موضع. كَثِباً: قرب. كَهَا: أي كالذنابات. أم أوعال: موضع أيضاً.

² لا يلفي: لا يجدون فتى حتى يجدوك فحينئذ يجدون الفتى.

رُبَّه فتية دعوت إلى ما يورث المجد داعياً فأجابوا

10.2.2. لحوق (ما) بعضاً منها

تلحق (ما) توكيداً: (الباء، من، عن، الكاف، رب)، فيبقى عملها، قال تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾، ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا﴾، ﴿عما قليل لتصبحن نادمين﴾. وقال عمرو بن برة فعدى بن الرعاء فحاتم الطائي:

وننصر مولانا ونعلم أنه كما الناس مجروم عليه وجارم¹
ربما ضربة بسيف صقيل بين بصرى وطعنة نجلاء²
ماوي! يا ربتما غارة شعواء كاللذعة بالميسم³

10.2.3. دخول بعض منها على الجمل

تدخل على الجمل: (كما، ربماً، حتى، منذ، مذ) فلا يظهر على الجمل عملها، قال نهشل بن حري، فأبو دؤاد، فالفرزدق، فأبو ذؤيب، فالفرزدق ثانية:

أخ ماجد لم يخزني يوم مشهد كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه⁴
ربما الجامل المؤبل فيهم و عناجيج بينهن المهار⁵
فواعجبا حتى كليب تسبني كأن أباه نهشل أو مجاشع⁶
قالت أميمة: ما لجسمك شاحباً منذ ابتذلت، ومثل مالك ينفع¹

¹ المعنى ننصر أخاناً ظالماً ومظلوماً.

² صقيل: مصقول، يريد أنه حاد. طعنة نجلاء: طعنة واسعة.

³ ماوية: زوج حاتم، منادى مرخم. شعواء: متفرقة. الميسم: آلة ترمى بالنار يكوى بها.

⁴ سيف عمرو: قصد به عمرو بن معديكرب الزبيدي، وكان سيفه يسمى الصمصامة.

⁵ الجامل: قطيع الجمال. المؤبل: المعد للقتية. العناجيج: الخيل الجياد. المهر: ولد الفرس.

⁶ (نهشل ومقاتل): آباء كرام للفرزدق.

ما زال مذ عقدت يدها إزاره فسمما فأدرك خمسة الأشبار²
ولنا أن نعتبر؛ لنسق حروف الخفض كلها في سلك واحد، أن الجملة
بعدهن على تأويل مصدر مخفوض حذفته منه (أن) لكثرة الاستعمال،
والأصل: كما أن سيف عمرو لم تخنه مضاربه. وهكذا.

10.2.4. ربطها الأسماء بالأفعال

الحروف عدا (رب) تربط الأسماء بالأفعال التي تجري لها.
ف نجد العديد منها يرتبط بالفعل الواحد، تقول: خرجتُ (من الدار، أو في
الليل، أو على الفرس، أو عن مالي، أو إلى الحديقة،...).
لكن نجد الكثير من الأفعال كأنه غلب عليه حرف واحد، فقلما يتعداه،
نحو: مر بـ...، سأل عن...، أو تمنى على....

ثم إن الأصل أن تكون هذه الحروف مادة الربط بين الأسماء والأفعال،
ولكن اللغة استغنت - مع كثرة الاستعمال - عن بعض هذه الحروف،
فظهر كأن بعض الأفعال مرتبط مباشرة بالاسم، نحو: كتبت الرسالة،
وأكرمت الضيف، وسافرت ليلاً. وهذا ما دعا النحاة للقول بأن الأفعال
قسمان:

أ- قوي يتعدى إلى الاسم بنفسه.

ب- ضعيف يتعدى إلى الاسم بوساطة حرف الجر.

10.2.5. تعيينها اتجاه الحدث

الأحرف: (الباء، من، إلى، عن، على، في) وضعت لتعين اتجاه الحدث
التي تتعلق به ف:

- (من) تعين اتجاه الحدث منطلقاً من مخفوضها.

¹ أميمة: زوج أبي ذؤيب. ابْتَدَلَتْ: بذلت نفسك لموت من كان يكفيك من بنيك.

² الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن.

- و(إلى) تعين اتجاهه آتياً نحو مخفوضها واصلها إليه.
- و(عن) تعين اتجاهه كائناً عليه مزالاً عنه.
- و(على) تعين اتجاهه كائناً فوقه مستنداً إليه.
- و(في) تعين اتجاهه داخلاً فيه مستقراً ضمنه.
- و(الباء) تعين اتجاهه ماراً به مجاوزاً له.

10.2.6. ترادفها على المعاني

هذه الحروف كثيراً ما يترادف منها على المعنى الواحد عدة أحرف:

- فنجد مثلاً: (الباء، من، عن) يأتين للبدل، نحو: ما يسرنى بها حمر النعم، ﴿لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً﴾، ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾.

- ونجد: (حتى، اللام، إلى) يأتين للانتهاء.
 - ونجد عدة أحرف منها تستعمل للقسم.
 - ونجد عدة أخرى منها تستعمل في التعليل.
- وكثيراً - على عكس ذلك - ما يتوارد الحرف الواحد على عدة معانٍ يشتهر بها أخوته:

- فنجد الباء تأتي بمعنى: (في، عن، على، إلى) نحو: ﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾، ﴿فاسأل به خبيراً﴾، ﴿إن تأمنه بقنطار﴾، ﴿وقد أحسن بي﴾.
 - ونجد اللام تتوارد على معاني كل من: (إلى، على، في، من، عن).
- وهكذا كثير منها.

فهذه الحروف: متساوية العمل، متقاربة المعاني، كثير ما ينوب بعضها عن بعض؛ يترادف منها على المعنى الواحد عدة أحرف منها، ويتوارد الواحد منها على عدة معانٍ تشتهر به أخواته.

والأصل أن يكون لكل حرف منها معنى بذاته، وكان حقه ألا يستعمل إلا فيه؛ يدل على ذلك أن كلاً منها - الآن - يغلب على معنى بذاته.

10.2.7. تقارب الكثير منها بمعانيها الأسماء

فتقارب (مثل) معنى الكاف، فكما تقول: هند مثل البدر؛ تقول: هند كالبدر.

ويقارب (فوق) معنى (على) فكما تقول: وقفت فوق السطح؛ تقول: وقفت على السطح.

وتقارب (داخل) معنى (في) فكما تقول: زيد داخل الدار؛ تقول: زيد في الدار.

وإذا قلت: أكلت من الرغيف؛ فكأنك قلت: أكلت بعض الرغيف.

وإذا قلت: الكتاب لزيد؛ فكأنك قلت: الكتاب ملك زيد.

وإذا قلت: أقبل بالشر؛ فكأنك قلت: أقبل صحبة الشر، أو مع الشر.

وإذا قلت: لا أرضى بوطني وطناً؛ فكأنك قلت: لا أرضى ببلد وطني وطناً. وهكذا كثير من هذه الحروف.

تقسيم النحاة لهذه الحروف

1- يقسم النحاة حروف الخفض إلى أصلية وزائدة وشبيهة بالزائدة:

- الأصلية لها جميع الحروف عدا (رب).

- والزائدة لها: (من، الباء، اللام) في حالات مخصوصة، يقولون في تعريفها: هي التي دخولها في الكلام كخروجها، وهي لا تؤدي معنى إلا معنى التوكيد.

- والشبيهة بالزائدة هي (رب) خاصة.

وأنا أرفض هذا التقسيم، وأرى أن أي كلمة لا يصح أن تكون زائدة:

أ- لئلا يكون في اللغة عبث.

ب- ولأنه بناء على قولهم السابق تكون: اللام المفتوحة و(إنّ) في نحو:
(لزيد مهذب، وإن زيدا مهذب) زائدتين. ولا فائل به.

ت- ولأن الحروف المذكورة تعمل ويبقى لبعضها عمل بعد حذفه،
فينتصب الاسم بنزعه، تقول: ما زيد بقائم، ثم تقول: ما زيد قائماً، وتقول:
لأخيك أكرمت، ثم تقول: أذاك أكرمت. وهذا شأنها كلها حين الحذف إلا
لام الإضافة مرتبطة بالأسماء، معها تقول: هذا كتابٌ لزيد، وتحذف اللام
فتقول: هذا كتابٌ زيدٍ، فيبقى عمل اللام.

2- ويقسم النحاة هذه الحروف إلى ملازمة الحرفية، ومنقلة إلى
الأسماء، ومنقلة إلى الأفعال:

(عن، على، قد، مذ، منذ، الكاف) في حالات عندهم تصبح أسماء؛
و(خلا، عدا، حاشا) في حالات عندهم تصبح أفعالاً.

وأنا أرفض هذا التقسيم أيضاً، فأرى أنه لا يتحول حرف - أي حرف -
عن حرفيته. ولي بحوث في تفسير ذلك.

وأنا أرفض أن تحمل كلمة - أية كلمة - هويتين.

10.3. الخفض باللام محذوفة

- المضاف إليه

للام معنى لا يشاركها به غيرها، ألا وهو النسبة التي تجمع بين الاختصاص والاستحقاق والملك، نحو: «الحمد لله»، و«الصدقات للفقراء»، وعندي كتاب للفقه، وكتابان للنحو، والدار لي.

هذه اللام إذا كان مخفوضها منسوباً إلى اسم، وقد عُلمت النسبة بينهما، حذفت ولم تعد هنالك حاجة لذكرها، لأنه لا يوجد في حروف الخفض ولا في غيرها ما يشاركها في معناها هذا مع كثرة دوران هذه اللام في هذا المعنى. وهم يستغنون عما يكثر دورانه إذا أمن اللبس.

تقول: قلم زيد، وكتاب القاضي، وضرب اللص، وثوب امرأة، و«مكر الليل»، وخاتم فضة، وضارب زيد، والضاربوه، ومعمور الدار، وحسن الوجه، والضاربا زيد، والضارب الرجل، و«مرسلو الناقة»،...، إلى آخر أمثلة المضاف إليه.

وإنما كان لهذه اللام ذلك، لأنه من مجرد¹ ما أقول: هذا كتاب للفقه، وهذان كتابان للنحو؛ أجد من يقول: أرني كتاب الفقه أو كتابي النحو، فيحذف اللام. لأن بقوله (كتاب الفقه) يعبر عن النسبة ذاتها التي في قولي: (كتاب للفقه) مزاداً عليها علمه بها. ومن مجرد أن يُقال: عند فلان منظار للنجوم؛ يمكن أن يُسأل: كيف يكون منظار النجوم؟.

¹ قال الحطّية فعروة بن الورد:

جار لقوم أطالوا هون منزله وغادروه مقيماً بين أرماس
وإن فاز سهم للمنية لم أكن جزوعاً، وهل عن ذلك من متأخر
وإن فاز سهمي كفكم عن مقاعد لكم خلف أدبار البيوت ومنظر

وهكذا نجد من الكلام ما حذف منه لام النسبة على الصورة السابقة قدراً
كبيراً جداً كثرة ما يحتاج إلى تحديده بالمنسوب إليه أو تخصيصه به.
وهذه النسبة بين الاسمين تؤخذ لأدنى علاقة بينهما.

10.4. تفصيل عن المضاف

10.4.1. المضاف يعاد إلى أصله:

يحذف من المضاف ما ضم إليه من تنوين إن كان مما نونوا، تقول: هذا كتابٌ لزيد؛ تحذف اللام لتضيف فتحذف التنوين قائلًا: هذا كتابٌ لزيد، ويحذف منه النون إن كان مما ثنوا أو جمعوا على حده¹، تقول: هذان كتابان للنحو، وهؤلاء مدرسون للتاريخ؛ تحذف اللام لتضيف فتحذف النون قائلًا: هذان كتابا النحو، وهؤلاء مدرسو التاريخ. ويعاد إليه الخفض الذي أبعد عنه إن كان ممنوعاً من الصرف، تقول: تقام الجمعة في مساجد المدينة، وتحذف اللام لتضيف فتأتي بالخفض، قائلًا: تقام الجمعة في مساجد المدينة. ويعاد إليه حرفه الذي فقده إن كان من الأسماء الخمسة، تقول: جاء أخ لك، وتحذف اللام لتضيف فتأتي بالحرف المفقود قائلًا: جاء أخوك.

10.4.2. المضاف لا تدخله (الـ)

لا تدخل (الـ) على المضاف، فلا يقال: الكتاب التلميذ، بل يقال: كتاب التلميذ، لأنه يأخذ تعريفه من المضاف إليه. ولكن المضاف إذا كان مراداً له لام الإضافة، وكان المضاف إليه معرفاً، نحو: حسن الوجه، وضارب الرجل، ومُزَّق الثوب، جاز دخول (الـ) على المضاف، فنقول: جاء الحسن الوجه، والكاتب الدرس، والكاتب درس النحو، والضاربا زيد، والضاربو زيد.

¹ على حده: نعني أنه جُمع بالواو والنون أو الياء والنون كما ثني المثني بالألف والنون أو الياء والنون.

والوجه الآخر في هذه الأمثلة هو النصب، وهو الأكثر؛ أي أن تقول:
جاء الحسنُ الوجهُ، والكاتبُ الدرسَ، والكاتبُ درسَ النحو، والضاربان
زيداً....

قال تعالى: ﴿والحافظين فروعهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً
والذاكرات﴾.

وقال رؤبة فكعب بن زهير:

هو الواهب الكومَ الصفايا لجاره يروح بها العبدان في غارب ندي
المطعمونَ الضيفَ حين ينوبهم من لحم كوم كالهضاب عشار
والمنعمونَ المفضلون إذا شتوا والضاربون علاوةَ الجبار

10.4.3. المضاف يتعرف بالمضاف إليه أو يتخصص:

يتعرف المضاف إن كان المضاف إليه معرفة، فقولنا: (كتاب) نكرة،
بينما قولنا: (كتاب زيد) يعرف الكتاب، أو يحصره في دائرة كتب (زيد).
ويتخصص المضاف إن كان المضاف إليه نكرة، فقولنا: (كتاب) نكرة،
بينما قولنا: (كتاب نحو) تخصيص لنوع الكتاب، وحصر له في دائرة كتب
النحو.

ولكن هنالك أسماء تضاف إلى المعرفة فلا تتعرف، هي: (غير، شبه،
مثل، نظير،...) وما هو بمعانيهن لسعة دلالتهن، لذلك استعملن صفات
للنكرات، تقول: مررت برجلٍ غيرِك، وجاءنا رجلٌ غيرُك. وإنما قلنا أنهم
بقين نكرات لأنهن وقعن صفاتٍ للنكرات.

وهناك أسماء تضاف إلى المعرفة فلا تتعرف، فتوصف بها النكرات،
لأنها مع إضافتها يبقى الوكد على معنى لام الإضافة، وتسمى هذه
الإضافة: (الإضافة اللفظية)، نحو: «هدياً بالغ الكعبة»، «وهذا عارضٌ

ممطرنا»، ف (بالغ) لم يتعرف، لأن القصد، (بالغاً للكعبة)، و (ممطرنا) لم يتعرف، لأن القصد: (ممطر لنا).

10.4.4. المضاف يعامل معاملة المضاف إليه في التذكير والتأنيث:

أما معاملة المضاف في التذكير والتأنيث معاملة المضاف إليه. من ذلك: «إن رحمة الله قريب من المحسنين»، حيث عوملت (رحمة) وهي مؤنثة بالتذكير فجاءت سيرتها (قريب) لا (قريبة) بسبب تذكير المضاف إليه،

وكذلك قول الأعشى: (كما شرقت صدر القناة من الدم) حيث عوملت كلمة (صدر) وهي مذكرة بالتأنيث فجاءت سيرتها (شرقت) لا (شرق) بسبب تأنيث المضاف إليه، الذي هو (قناة).

إن هذه المعاملة قليلة ومخصوصة في المضاف الذي يصح الاستغناء عنه، كما في المثالين السابقين. وهم إنما يجيؤون بها على إرادة التوسع في الكلام.

10.4.5. المضاف له موقف من المضاف إليه:

إن عموم الأسماء صالحة لأن تكون مضافاً - طبعاً - وصالحة لأن تتخلى عن ذلك، مثل: (كتاب، رجل، بقرة، شجرة، معلم،...).

ولكن هنالك أسماء لا تقع مضافاً أبداً، هي مجموعات الأسماء الغرضية، تُستثنى منها (أي) سواء كانت عهدية أم صارت وصفية أو شرطية أو استفهامية.

وهنالك أسماء تلازم الإضافة، لأن معانيها نسبية، فمدلولاتها مرتبطة بشيء تنسب إليه:

بعضها لا ينفك عنها أبداً، وهي (عند، لدى، لذن، بين، كلا، كلنا، ذو، ذات، ذوا، ذواتا، ذوو، ذوات، أولو، أولات، سوى، شبه، مثل، قاب،

وسط، قصارى، سبحان، معاذ، سائر، وحد، لبيك، سعديك، حنائيك،
دواليك).

وبعضها ينفك عنها مشعر بها، وهي: (قبل، بعد، قدام، وراء، فوق،
تحت، أمام، أول، دون، خلف، تلقاء، تجاه، إزاء، حذاء، يمين، شمال، مع،
كل، بعض، غير، جميع، حسب، أي).

10.4.6. المضاف له واقع من المضاف إليه:

صحيح أن العلاقة بين المتضايين تصح لأدنى ملابسة بينهما، لكن واقع
المضاف من المضاف إليه يغلب أن يكون ضمن الأنواع التالية:
أ- المضاف مملوك للمضاف إليه، نحو: دار الأرقم، كتاب سعد، مزرعة
أحمد.

ب- المضاف مختص بالمضاف إليه، نحو: جرس المدرسة، ريشة
رسم، منبر المسجد.

ت- المضاف مصنوع من المضاف إليه، نحو: خاتم فضة، ثوب حرير،
باب حديد.

ث- المضاف جزء من المضاف إليه، نحو: وجه القائد، مخالبا الأسد،
شعر الرأس.

ج- المضاف عامل في المضاف إليه، نحو: كاتب الدرس، مفرق
الأحباب، ممزق الثوب.

ح- المضاف عمل للمضاف إليه، نحو: كتابة القاضي، خط الأمير،
مشية السبع.

خ- المضاف واقع في المضاف إليه، نحو: «مكر الليل»، شهيد كربلاء،
موقف السيارات.

د- المضاف يحتوي المضاف إليه، نحو: يوم الجمعة، «شهر رمضان»،
فصل الربيع.

هذا إلى آخر ما يمكن التوسع به ليشمل جميع العلاقات بينهما.

10.5. اللام خافضٌ للمضاف إليه

إن الخفض في جميع أنواع المضاف إليه إنما هو باللام، فليس بعضه بغيرها، وبعضه بها، وليس بعضه بدون حرف، وبعضه بها. فكل مضاف إليه مخفوض بهذه اللام؛ لام النسبة. ذلك لأن معناها يصح في كل أنواع الإضافة. فمن التعقيد أن يُشْتَتَّ الموضوع الواحد، ومن الخطأ أن يُفَرَّق بين المضافات إليها بغير مبرر مقبول مفيد فيقال: إن ما يسمى بالإضافة اللفظية ليس على معنى حرف أصلاً؛ يقال هذا مع وجود شواهد كثيرة تظهر فيها هذه اللام التي يسمونها هنا: (لام التقوية)، ويقولون إنها زائدة. كل هذا ليبعدوها عن واقعها عن قصد أو عن غير قصد.

وهذه أمثلة عن ظهورها؛ قال تعالى: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾، ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه﴾. وقال علقمة الفحل فالحطيئة فكعب بن زهير، فعمر بن كلثوم:

والجود نافية للمال مهلكة والبخل مبق لأهليه ومذموم
الضامنون لمال جارهم حتى يتم نواهض البقل
فكم منهم من سيد متوسع ومن فاعل للخير إن هم أوعزم
ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا
وأوضح من ذلك ظهور هذه اللام في قولهم: لا أبا لك، و لا أبا لزيد،
وقول الشاعر:

يا بؤس للحرب ضراراً بأقوام.

آراء النحاة: في خافض المضاف إليه

- 1- سيبيويه، وتابعه كثير: الخافض هو المضاف (الاسم المرجع)، ولكن الإضافة عنده على معنى (اللام) أو (من).
- 2- أبو حيان: الإضافة ليست على معنى حرف ولا على نيته.
- 3- الأخفش: الخافض هو الإضافة.
- 4- الجرجاني وابن الحاجب وابن مالك وابن هشام: الإضافة على معنى (اللام) أو (من) أو (في).
- 5- وصرح ابن جني والشلوبين: إن ما يسمى بالإضافة غير المحضنة أنه على معنى اللام. وغير هذين - طبعاً - يجعل الإضافة هذه ليست على معنى حرف أبداً.
- 6- وجعل الإنطاكي صاحب كتاب (المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها) الإضافة على معنى (اللام) أو (من) أو (في) أو (الكاف).
- 7- ابن الضائع: الإضافة على معنى اللام، وهو ما **أراه**.

10.6. إجراءات نحوية

- ﴿لله ما في السموات والأرض﴾.
- لله: اللام: حرف خفض، (الله): اسم مخفوض باللام، وعلامة خفضه الكسرة.
- ما: اسم عهد (موصول) مبني على السكون في محل رفع محكي عنه، وسيرته ما تقدم.
- في السموات: (في): حرف خفض، (السموات): اسم مخفوض بـ (في)، وعلامة خفضه الكسرة، وهما العهد.
- والأرض: الواو: حرف عطف، (الأرض): اسم معطوف على (السموات) مخفوض بالواو، وعلامة خفضه الكسرة أيضاً.
- ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر﴾
- والعصر: الواو: حرف خفض وقسم، (العصر): اسم مخفوض بالواو، وعلامة خفضه الكسرة.
- إن الإنسان: (إن): حرف ينصب المحكي عنه، (الإنسان): اسم منصوب بـ (إن)، وعلامة نصبه الفتحة.
- لفي خسر: اللام: حرف توكيد مهمل، (في): حرف خفض، (خسر): اسم مخفوض بـ (في)، وعلامة خفضه الكسرة.
- وليل كموج البحر....
- وليل: الواو: حرف خفض وتمدح، (ليل): اسم مخفوض بالواو، وعلامة خفضه الكسرة.
- كموج: الكاف: حرف خفض وتشبيه، (موج): اسم مخفوض بالكاف، وعلامة خفضه الكسرة.
- البحر: اسم مخفوض بلام الإضافة المقدرة، وعلامة خفضه الكسرة.

- وَمَا أَنَسَ مِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَ....
- وما أنس: الواو: بحسب ما قبلها، (ما): اسم عهد استعمل في الشرط مبني على السكون في محل رفع محكيُّ عنه، (أنس): مضارع مجزوم بـ (إن) الشرطية المقدرة، وعلامة جزمه حذف حرف العلة.
- مِ الْأَشْيَاءِ: (م): حرف خفض مختصر من (من)، (الأشياء): اسم مخفوض بـ (م)، وعلامة خفضه الكسرة.

النحو الحق
النحو على قواعد جديدة
11- نواصب المضارع

محمد علي رستناوي

11.1. نواصب المضارع

نواصب المضارع هي الأحرف: (أن، لن، اللام، حتى، كي، إذن، أو، الفاء، الواو).

أ- (أن)، قال تعالى: ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا...﴾، ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾، ﴿ما منعك أن تسجد...﴾، ﴿ما منعك ألا تسجد...﴾. (ألاً) أصلها: (أن لا) أدغمت النون باللام، و(لا) حاجز ضعيف. وقال جرير:

رضي عن الله أن الناس قد علموا أن لا يدانينا من خلقه أحد
ب- (لن)، قال تعالى: ﴿لن يخلقوا ذباباً...﴾، ﴿لن تنفعكم أرحامكم...﴾، ﴿إنه ظن أن لن يحور...﴾، وقال الأعشى مستعملاً (لن) في الدعاء:

لن تزالوا كذلك ثم لا زلـ ت لكم خالداً خلود الجبال

ت- (اللام)، قال تعالى: ﴿ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله﴾، ﴿إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا﴾، ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله﴾، ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾، ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾، ﴿وما كان الله ليضلمهم﴾.

ث- (حتى)¹، قال تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيتك اليقين﴾، ﴿وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه: متى نصر الله﴾، ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾.

ج- (كي)، قال تعالى: ﴿فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن﴾، ﴿كي نسبحك كثيراً﴾، ﴿كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾، ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم﴾.

ح- (إذن)، قال ابن عنمة فحسان فشاها من (الإنصاف):

¹ داويت عين أبي الدهيق بمطله حتى المصيف ويغلو القعدان

اردد حمارك لا يرتع بأثنتنا إذن يردّ وقيد العير مكروب¹
 إذن - والله - نرميهم بحرب تشيب الطفل من قبل المشيب²
 لا تتركني فيهم أسيرا إني إذن أهلك أو أطيرا
 خ- (أو)، قال تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم﴾. وقال امرؤ القيس فزياد الأعجم فالحصين بن الحمام المرّي:
 فقلت له: لا تيك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا
 وكنت إذا غمزت قناة قوم كسرت كعوبها أو تستقيماً³
 ولولا رجال من رزام أعزة وآل سبيع أو أسوءك علقماً⁴
 د- (الفاء)، قال تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا﴾، ﴿من ذا الذي يقرض الله
 قرضاً حسناً فيضاعفه له﴾، ﴿لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك﴾، ﴿يا
 ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً﴾، ﴿لعله يزكى أو يذكر فتفتحه
 الذكرى﴾.

ذ- (الواو)، قال دثار بن شيبان النمري فأبو الأسود الدؤلي فالحطيئة:
 فقلت: ادعي و ادعوا، إن أندی لصوت أن ينادي داعيان⁵
 لا تنه عن خلق و تأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
 ألم أك جاركم و تكون بيني وبينكم المودة والإخاء

¹ الأثل: شجر طويل مستقيم، واحده أثلة، وجعله هنا رمزاً للكرامة.

² يتهدد أعداءه بالحرب.

³ غمز: عصر. القناة: الرمح، كعوب القناة: النواشر التي في أطراف الأنابيب.

⁴ رزام وسبيع: قبيلتان.

⁵ أندی: أرفع، والمعنى: فقلت لها ينبغي أن يجتمع دعائي ودعاؤك، فإن أرفع نداء أبعد نداء داعيين معاً.

11.2. خواص هذه الأحرف

11.2.1. اجتماعها على العمل:

- قد يجتمع من هذه الأحرف حرفان أو أكثر على المضارع، فيكون العمل: - كما وضحت في بحث العوامل - للمجاور.
- فتجتمع (أن، ولن)، قال تعالى: ﴿أحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾.
 - وتجتمع (اللام، وكي) قال عمر بن أبي ربيعة:
وطرفك إما جئتنا فاصرفنه لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظر
 - وتجتمع (اللام، وأن)، قال تعالى: ﴿وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾.
 - وتجتمع (أو، وأن)، قال لبيد:
أقضي اللبانة لا أفرط ريبة أو أن يلوم بحاجة لوامها¹
 - ولا بد أن تجتمع (اللام) مع (كي، أو أن) إذا كانت هنالك (لا)، قال تعالى: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم...﴾، ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله...﴾.

11.2.2. تناوبها المحل:

هذه الأحرف تتناوب المحل،

- فبعد فعل الكون المنفي وبعد فعلي الإرادة والأمر تُتَناوَبُ العرب بين اللام و(أن)، قال تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾، ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾؛ ﴿يريدون ليطفئوا نور الله﴾، ﴿نريد أن نأكل منها﴾؛ ﴿أمرت أن أسلم لرب العالمين﴾، ﴿أمرت لأعدل بينكم﴾.
- ويفهم من كلام الإسكافي في (الدرة) أن اللام و(أن) تتعاقبان مطلقاً.

¹ اللبانة: الحاجة، أفرط: أضيع، الريبة: التهمة.

- وبعد أي فعل من الأفعال تناوب العرب بين (اللام، وكى، وحتى) فتقول: فعلتُ لتفعلَ، أو كي تفعلَ، أو حتى تفعلَ.

- وبعد الأمر والنهي تناوب بين (اللام، والفاء، والواو)، فتقول: إفعل؛ لأفعلَ، أو فافعلَ، أو وأفعلَ، وتقول: لا تفعل؛ لئلا أفعلَ، أو فأفعل أو وأفعل.

11.2.3. تقارب معانيها:

إن هذه الأحرف متقاربة المعاني؛ عدا (لن) لأن هذه موضوعة للبدء بالكلام بالنفي، وما عداها موضوع لربط الكلام؛ كل منها يجعل ما بعده معلولاً لما قبله. وهذا واضح في (اللام) وفي (كي) ولكنه مرضي في الباقي. لاحظ:

أن معنى «قاتلوهم حتى لا تكون فتنة» يقارب: (لئلا تكون فتنة).

وأن معنى «ولا تنازعوا فتفشلوا» يقارب: (لئلا تفشلوا).

وأن معنى «ليتني كنت معهم فأفوز» يقارب: (لأفوز).

وأن معنى (نحاول ملكاً أو نموت فنعدرا) يقارب: (لأننا بذلك نموت فنعدر). وهكذا الباقي.

ثم إن هذه الأحرف (هن، ولن) يأخذن الزمن المستقبل من المضارع لاغير.

11.2.4. لا تهمل هذه العوامل:

هذه العوامل لا تهمل ما باشرت المضارع منصباً معناها عليه.

أما ما يذكرونه من شواهد على إهمال (أن) وهي تباشر المضارع، مثل قول الشاعر:

أن تقرأن على أسماء - ويحكما - مني السلام، وأن لا تشعرا أحدا

كلها شواهد مجهول قائلوها، فلا يحتج بها، وتسقط أمام الألف من شواهد عملها¹.

وقد قال عباس حسن صاحب كتاب (النحو الوافي): {الأنسب الاقتصار على الأعمال، حرصاً على الإبانة، وبعداً عن الإلباس}.
وأقول يجب الاقتصار عليه.

وأما ما رووه عن إهمال (لن) وجزمها، فشيء شاذ؛ وقع ضرورة، فلا يذكر مقابل الألف من أمثلة نصبها.

وأما ما نجده من إهمال (إذن)، نحو: «وإذن لا يلبثون خلافاً إلا قليلاً»؛ فلأنهم كثيراً ما يقصدون استقلال (إذن) عن المضارع وغيره. وقد قرئ في غير السبعة: «وإذن لا يلبثوا خلافاً»؛ بالنصب بها حين قصد انصباب معناها على (يلبثون).

ولكن هذه الأحرف تدخل على غير المضارع أو تفصل عنه؛ فتلغى أو لا يظهر عملها.

¹ لاحظ في المثال المستشهد به على إهمال (أن) حذف نون (لا تشعرا) مع أنه لم يحذفه من (تقران) مما يؤكد أن إهمال (أن) معه اضطرار.

11.3. توضيح على عمل الفاء والواو وأو

11.3.1. الفاء

تعمل الفاء إذا كانت للتعليل؛ أي إذا كان ما بعدها معلولاً لما قبلها فهي تؤدي معنى الفاء واللام: التعقيب والتعليل معاً. وغالباً يكون ما قبلها طلباً أو نفيًا أو شرطاً أو اسم حدث.

والطلب: أمر ونهي واستفهام وتمن وتحضيض.

مثاله بعد الأمر قول أبي النجم:

يا ناقَ سيرِي عنقاً فسيحاً إلى سليمان فاستريحاً¹

ومثاله بعد النهي قوله تعالى: ﴿لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾.

ومثاله بعد الاستفهام قوله تعالى: ﴿هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾.

ومثاله بعد التمني قوله تعالى: ﴿أو تقول حين ترى العذاب: لو أن لي

كرة فأكون من المحسنين﴾.

ومثاله بعد الحض قوله تعالى: ﴿لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً﴾.

ومثاله بعد النفي قوله تعالى: ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا﴾.

ومثاله بعد الشرط في قراءة ابن عباس وأبي حيوة والأعرج: ﴿إن تبدوا

ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر...﴾.

ومثاله بعد اسم الحدث قول الشاعر:

لولا توقع معتر فأرضيه ما كنت أوتر أتراباً على تربي²

¹ ناق: مرخم ناقه. العنق: ضرب من السير.

² المعتر: طالب المعروف، أترابك: من في مثل سنك.

وقد جاء النصب بالفاء إذا وجدت العلة من غير أن تسبق بطلب أو نفي أو شرط أو اسم حدث. قال الأعشى، فالمغيرة بن حبناء بن عمرو الحنظلي فطرفه بن العبد يشكري:

سأترك منزلي لبني تميم وألحق بالحجاز فاستريحا
هنالك لا يجوزني غير ذلكم ولكن سيجزني الإله فيعقبا
لنا هضبة لا ينزل الضيم وسطها ويأوي إليها المستجير فيعصما¹
وإذا لم توجد العلة لا ينصب ولو وجدت الشروط السابقة، قال تعالى:
﴿كن فيكون﴾، ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾، وقال العنبري فجميل:

غير أنا لم يأتنا برسول فرجي ونكثرت التأميلا
ألم تسأل الربع-القواء فينطق وهل يُخبرتك اليوم ببداء سَمَلق²

11.3.2. السواو

وتعمل الواو إذا كانت للمعية³، فكان ما بعدها حاضراً حين وقوع النفي أو الأمر أو النهي أو الاستفهام أو التمني أو الشرط أو اسم الحدث:
مثاله في النفي قوله تعالى: ﴿ولما يعلم الله الذي جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾، قال دريد بن الصمة:
قتلت بعبد الله خير لداته ذؤاباً، فلم أفر بذاك وأجزعا⁴

¹ كنى بالهضبة عن قومه ومنعتهم، والهضبة: الجبل.

² القواء: القفر، السملق: التي لا شيء فيها.

³ تكون الواو للمعية إذا كان ما بعدها وما قبلها أريداً لشيء واحد، تقول: اقرأ وتنتبه تفهم، أردت القراءة والانتباه معاً للفهم، أما إذا أريد هذا لشيء وهذا لشيء فهي حرف عطف.

⁴ لداته: أتراه. أجزع: يخرجني الحزن عن وقاري.

ومثاله في الأمر والنهي والاستفهام أبيات دثار وأبي الأسود والحطيئة المتقدمة.

ومثاله في التمني قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ومثاله في الشرط قول كعب بن زهير:

ومن لا يقدم رجله مطمئنة ويثبتها في مستوى الأرض يزلق¹
ومثاله مع اسم الحدث قول ميسون بنت بحدل²:

لللبس عباءة وتقرّ عيني أحب إليّ من لبس الشفوف

11.3.3. أو

وأما (أو) فتنصب المضارع إذا كان ما بعدها استمراراً لما قبلها ونتيجة له، وليس معادلاً له، تقول: لألزمك أو تقضيي حقي، فاقتضاء الحق استمرار للملازمة ونتيجة لها، قال عدي بن زيد:

سأكسب مالاً أو تقوم نوائح عليّ بليل نادباتي وعودي³

وبذلك تكون (أو) ليست لأحد الشئيين مرادياً الكلام. إنها بهذا تكون للعطف؛ كما في الآية: ﴿ستدعون إلى قوم تقاتلونهم أو يسلمون﴾.

(أن) نوع واحد، أقول:

ليست (أن) أنواعاً: مصدرية، ومخففة من (أنّ)، وتفسيرية، وزائدة. هذه التسميات على الأقل لا فائدة فيها.
لأن المسميات كلها معناها واحد، وكل منها يصح أن يطلق على الآخر.

¹ يزلق: زلقت القدم: زلت ولم تثبت. ومعنى البيت: من لم يتأهب للأمر قبل مزاولته أخطأ في تدبيره. وهذا مثل.

² ميسون: زوجة معاوية بن أبي سفيان.

³ النادبات: النساء تبكي الميت. العود: جمع عائد؛ الذي يزور المريض.

هم سموها زائدة في أماكن وجَدوها تقل فيها. وإنما قل وجُودها في هذه الأماكن لكثرة الاستعمال، مثل: «فلما أن جاءه البشير...»، إن وجُودها هنا دليل على أصلتها، لأنها فسرت (لما) وحذفها إنما كان لاستغنائهم عنها لوضوح التفسير لـ (لما) الحينية. وهم قلما يظهرون أداته¹ بعد أسماء الزمان، قال امرؤ القيس فالنابغة:

ويوم عقرت للعدارى مطيتي فيا عجباً من كورها المتحمل
أيام تخبرني نعم وأخبرها ما أكرم الناس من حاجي وأسراري
والأصل: ويوم أن عقرت...، فتكون (أن) والفعل في تأويل مصدر مضاف إلى اسم الزمان (يوم).

وهم قد سموها تفسيرية بعد ما فيه معنى القول دون حروفه، من نحو: أمرته أن اجتهد، مع أن هذا هو معناها الواضح في الجميع.

وهم قد سموها مخففةً - مخففة من (أن) - حين لم تعمل، من نحو: «علم أن سيكون منكم مرضى...». ومثل هذا لا دخل له في تسمية الحرف، إنما تأتي تسمية الحرف من معناه.

وهم قد سموها مصدرية إذا هي نصبت. والتسمية للحرف لا تكون بحسب عمله، ولا بحسب تأويله (سبكه بمصدر)، بل التسمية للحرف تكون له من معناه. هذا هو العام في تسمية الحروف.

ثم إن تسميتها ناصبةً بالمصدرية يطرح السؤال التالي: لماذا - إذن - لم تنصب (ما، ولو) مصدريتين؟

اللام نوع واحد، أقول:

¹ من إظهارها قول عبد الله بن عمر العبلي فالعباس بن مرداس:

ذكرت ناقتي البطاح فحنت حين أن وركت قبور ثمود
فما كان تهليل لذن أن رميتهم برزة ركضاً حاسراً غير ملجم

ليست اللام أنواعاً: تعليلية، وجحودية، ومآلية، وزائدة، بل هي تعليلية لا غير. لأن معنى التعليل واضح فيها جميعاً.

فالمسماة جحودية، وهي - عندهم - التي تأتي بعد (ما كان) أو (لم يكن) خاصة. فإذا أخذ لـ (كان) معناها الأصلي (ثبت ووجد) أي اعتبرناها تامة لا ناقصة. فإذا قلنا: ما كان زيد ليكذب؛ يكون المعنى: ما وجد زيد ليكذب؛ أي وجد لغير ذلك، فالتعليل في الكلام واضح، هي مثل: ما جاء زيد ليقاثل.

وأما المآلية، وهي - عندهم - التي تدل على عكس العلة؛ أي في نحو: (تاجرت لأخسر)، فإن قائلها يريد أن يقول: تجارتي كانت سبب خسارتي. فالتعليل فيها واضح. والعرب تتصرف في الكلام مع ظهور المعنى. والزائدة - عندهم - هي التي يكون ما قبلها متعدياً لما بعدها؛ أي في نحو: (أريد لأنسى نكرها...)، فليس من مانع أن الإرادة من أجل النسيان. فما دام التعليل واضح في الجميع، فتسميتها حرف تعليل فقط هو الحق، لأن بذلك:

- تكون للحرف وحدة التسمية.

- وتكون مع المسماة جحودية لا تحتاج لتقدير محذوف، ولا تحتاج لاعتبار أن اللام زائدة لدى اعتبارهم (كان) ناقصة.

- وتكون تسمية الحرف آتية من معناه لا من شيء آخر خارج عنه؛ أي آتية إليه حسب الأصول. فلم تأت له: من (ما) أو (لم)، ولا من اعتبار زيادتها، ولا من فهم عكس معناها.

آراء النحاة: في نواصب المضارع

1- الخليل: الناصب في الجميع هو (أن)، لأن - عنده - (لن، وإذن) أصلهما: (لا أن) و(إذا أن)، والباقيات - عنده - النصب على تقدير (أن) بعدهن.

2- البصريون: (أن ولن وإذن وكي مسبوقه باللام) ناصبات بأنفسهن. وما عدا ذلك فالنصب على تقدير (أن). وهذا هو الرأي السائد الذي عليه كتب النحو.

3- الكوفيون: كل الحروف التي ينتصب بعدها المضارع هي ناصبة له بذاتها. وعنه قال الغلابيني: {هو مذهب سهل خال من التكلف، وعليه مشينا في كتبنا المدرسية تسهياً على الطلاب}.

4- الفراء: الأفعال بعد الفاء والواو و(أو) منتصبة على الخلاف؛ أي أن المعطوف بعدهن صار مخالفاً للمعطوف عليه في المعنى فخالفه في الإعراب؛ فلسن بباقيات أحرف عطف.

5- الجرمي: وهو بصري، الفاء والواو و(أو) انتصب المضارع بهن لا ب(أن)؛ لأن الحروف بهذه المعاني المخصوصة مختصة بالمضارع. وعلى هذا الكسائي والزجاج والهروي وابن مضاء.

6- ثعلب: النصب بعد اللام و(كي) بهما لقيامها مقام (أن) ويرى أبو حيان والزجاج أن (كي) إذا دخلت عليها اللام فهي بمعنى (أن).

تصحيح الآراء السائدة في نواصب المضارع، أقول:

كل من هذه الحروف ناصب بنفسه. إن النصب بعد: (اللام، حتى، الفاء، الواو، أو) بهن لا ب(أن) المصدرية مقدرة بعدهن.

- لأن معانيهن هي المنصبة على الفعل لا غير، فإذا قلنا: جئنا لنتعلم؛ فإن معنى اللام الذي هو التعليل واضح انصبابه على الفعل.
- ولأن الأصل أن يكون العمل للموجود لا للمفقود.

- ولأن هذا أبسط وأبعد عن التعقيد.

- ولأنه يستحيل إظهار (أن) بعدهن إلا بتأويل بعيد يُبعد الجمل عن حقيقتها فتكون جملة أخرى لا تتكلم بمثلها العرب.

لاحظ تقديرهم لإظهار (أن) في نحو: (لا تهمل فتخسر) مثلاً: لا يكن منك إهمال فأن تخسر¹.

- ولأن ما يتضح فيه تقدير (أن) فإنه لم يعمل، كما في قوله تعالى: ﴿ومن آياته يريكم البرق﴾، ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض﴾، ﴿أفغير الله تأمروني أعبد﴾، ﴿واذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله﴾. ومثل هذا كثير.

أما تعليلهم بأن الفاء والواو و(أو) أحرف عطف، وحروف العطف - عندهم - لا تعمل مطلقاً لعدم اختصاصها - في رأيهم - بأحد المعربين: الاسم والمضارع. فهذا باطل يخالفه واقع كثير من الحروف العاملة، مثل: (إلا، يا، واو المفعول معه)، لذلك اضطروا مع هذه الأحرف إلى تعليلات لم يحصل عليها اتفاق.

ومثل هذا تعليلهم بأن (اللام، وحتى) حرفا جر، وحروف الجر - عندهم - من عوامل الأسماء، وعوامل الأسماء - في رأيهم - لا تعمل في الأفعال، والواقع يخالف ذلك مما يحوجهم إلى تعليلات كثيرة لا تقبل.

أما حجتهم بعدم دخول حروف العطف على الفاء والواو و(أو) ليؤكدوا أنهم ما يزلن حروف عطف، وبالتالي - عندهم - فالعمل لـ (أن) المضمر؛ فإن عدم دخول حروف العطف عليهن آتٍ من قبل أنهن يربطن ما بعدهن بما قبلهن، فلا محل لحروف العطف هنا.

¹ هذا مع أن الأصل في المقدر أن يكون مطرداً استعماله وعدم استعماله.

ثم إن امتناع دخول حروف العطف عليهن نظير لعدم دخول الكاف
حرف الجر على الضمائر، ولعدم دخول لام التعليل على (لا)، ولعدم
دخول لام التوكيد على أي من حروف النفي. فلم تقل العرب: (كك) ولم
تقل (للا) ولم تقل: (للم) ولا (للن)، وهنا لم تقل: (وو)....
أما حجتهم بأن النصب بـ (أن) بعد الأحرف المذكورة لأن الفعل يرتفع
بعدهن، فإنه دليل على أن معانيهن ناصبات غير معانيهن في العطف
والجر.

11.4. إجراءات نحوية

إعراب: ما كان أخوك ليخذلك.

1- عند البصريين:

ما: حرف نفي، كان: فعل ماض ناقص، أخوك: أسمها، ليخذلك: اللام لام الجحود حرف جر، يخذل: مضارع منصوب بأن مضمرة، والمصدر المؤول من (أن والفعل) في محل جر باللام، وشبه الجملة متعلق بمحذوف خبر (كان) في محل نصب، والتقدير: ما كان أخوك مريداً ليخذلك.

2- عند الكوفيين:

ما: حرف نفي، كان: فعل ماض ناقص، أخوك: أسمها، ليخذلك: اللام زائدة، يخذل: مضارع منصوب باللام، والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو والجملة من الفعل والفاعل في محل نصب خبر (كان).

3- الحق، أقول:

ما: حرف نفي، كان: فعل ماض تام، وهو سيرة مقدمة للاهتمام بها، أخوك: محكي عنه مؤخر، اللام للتعليل، يخذل مضارع منصوب باللام.

النحو الحق
النحو على قواعد جديدة
12- نواصب الاسم

محمد علي رستاوي

12. نواصب الاسم

نواصب الاسم هي الحروف:

- 1- (إِنَّ، أَنْ، كَأَنَّ، لَكِنَّ، لَعَلَّ أو عَلَّ، لَيْتَ).
- 2- (لا) النافية للجنس.
- 3- (يا، أيا، أي، أ، وا) في النداء.
- 4- (إلا، خلا، عدا، حاشا، ليس) في الاستثناء.
- 5- واو المعية.

12.1. (إن) وأخواتها

الأحرف: (إنّ، أنّ، كأنّ، لكنّ، لعلّ، ليئت) تختص بنصب الاسم محكيّاً عنه. وطبعاً تبقى السيرة - كما كانت مرفوعة.

1- (إنّ)، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ﴿وَالْعَصْر، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ﴾.

2- (أنّ)، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى﴾.

3- (كأنّ)، قال أبو الحسن الأنباري:

كأنّ الناسَ حولك حين قاموا وفود نذاك أيام الصلّاتِ

كأنّك قائم فيهم خطيباً وكلهم وقوف للصلاة

4- (لعلّ)، قال تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهُ يَحْدُثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾. و(علّ) لغة في

(لعل) من لغات كثيرة فيها، قال العجبر السلولي فسعد بن قرط:

لك الخير عللنا بها، علّ ساعةً تمر، وسهواءً من الليل تذهل¹

تربص بها الأيام، علّ صروفها سترمي بها في جاحم متسعر²

5- (لكنّ)، قال تعالى: ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله

يجحدون﴾، ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾.

6- (لييت)، قال جميل فعمر بن أبي ربيعة:

ألا لييت أيام الصفاء جديد ودهراً تولى - يا بثين - يعود³

لييت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفّت أنفسنا مما نجد

¹ سهواء: قطعة من الليل، غفوة منه.

² الجاحم: الجمر الشديد الحرارة.

³ بثين: مرخم بثينة.

12.1.1. خواص هذه الأحرف

أ- اختصاصها بالمحكي عنه:

قلت: إن هذه الأحرف تختص بالمحكي عنه، فتدخل عليه اسماً ظاهراً ومضمراً، قال تعالى: ﴿إن الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد﴾. ولكنها لا تدخل على المحكي عنه من الأنواع التالية:

- أسماء الاستفهام، وكم الخبرية، وما التعجبية.
- أسماء وقعت موقع الأفعال، نحو: لله دره فارساً، وأقل رجل يقول ذلك.

- أسماء مقصورة على معنى لا تستعمل في غيره، قصرت على الدعاء والقسم نحو: طوبى للأمين، وويل للخائن، وأيمن الله لأكرمك.
- أسماء وقعت بعد (لولا) أو بعد (إذا) الفجائية.

ولا تدخل على ما سيرته فعل مقدم عليه من نحو قام زيد ويقوم زيد.

ب- عملها في المفصول عنها:

إن وأخواتها يعملن في المحكي عنه مفصلاً عنهن بالسيرة الواجب تقديمها، كما في نحو: إن في الدار صاحبها، وفي نحو: ليت لي ناصرًا، و﴿إن لدينا أنكالا...﴾.

ذلك أن هذه الأحرف لها الصدارة، وهذا المعمول لا بد له من التأخير.

ت- لحوق النون لها مع ياء المتكلم:

تلحق جوازاً هذه الأحرف قبل ياء المتكلم النون التي يسمونها بنون الوقاية، فتقول: إنني... أو إني...، وكأنتي... أو كأني...، فنجد في القرآن: ﴿إني أنا ربك فاخلع نعليك﴾، ﴿إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾، وهذه شائع.

غير أن الأغلب مع (ليت) أن توجد النون، ومع (لعل أو عل) أن لا توجد.

ث- معاني ذوات النون مخففة هي ذات معانيهن مشددة:

معاني ذوات النون: (إن، أن، كأن، لكن) مخففات هي نفس معانيهن مشددات.

إنما المخففات كلهن لا يعملن؛ لأن معانيهن هنا تنصبّ على الجمل، والعمل لا يظهر على الجمل، بل يظهر على المفردات. ولا أستثني منهن (إن)، لأن شاهد النحاة على عملها وحيد، هو قراءة ثانية، إذ القراءة المعتمدة في الآية الشاهد هي: «إِنَّ كَلًّا لِمَا لِيُوفِينَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ» بالتشديد. ولأن بتخفيفهن لا يبقى لهن الدخول على المفردات. أما جعل البصريين ومن سار على منهجهم: (أن، وكأن) عاملتين فيبطله قولهم هم: أن اسمها ضمير الشأن محذوف، فهذا يدل على أن عملهما شيء اعتباري لا واقع له.

آراء النحاة: في (إن وأخواتها)

1. في عددها

1- سيبويه والمبرد وابن السراج: هي خمسة. يجعلون: (إن) و(أن) حرفاً واحداً. وعليه المبرد في (المقتضب)، وابن السراج في (الأصول). وهو مذهب الفراء.

2- الجرجاني والعكبري: هي ستة، وتابعهم عليه كثيرون من النحاة.

3- زاد صاحب الموضح (عسى) في لغة حملاً على (لعل) لكونها بمعناها، فهي عنده حرف مثل السيرافي وابن السراج وتغلب.

2. في عملها

1- الكوفيون: تنصب الاسم ولا ترفع الخبر، بل الخبر - عندهم - باق على رفعه قبل.

2- البصريون: تنصب الاسم وترفع الخبر، وتابعهم عليه معظم النحاة، وعليه كتب النحو الدارجة.

تعليق على بعض الآراء، أقول:

1- ليس (إنّ) و(أنّ) حرفاً واحداً - كما يرى سيبويه والمبرد وغيرهما - بل هما حرفان مختلفان. معنى (إنّ) التوكيد، ومعنى (أنّ) البيان، ولا دلالة في هذه على التوكيد. لاحظ أن (إنّ) تقع في صدر الكلام بينما تقع (أنّ) بعد كلام يحتاج إلى بيان. نقول: علمت أن زيداً قائم؛ فتبين (أنّ) وما دخلت عليه (علمت)؛ تبين العلم بها.

2- الحروف (هذه وغيرها) لا تعمل بما فيها من معنى الأفعال خاصة: (إنّ بمعنى أوكد، وكأنّ بمعنى أشبه، وليت بمعنى أتمنى،...) لأنها لو عملت بهذا السبب لعملت الحروف كلها. إذ ليس يخلو حرف من معنى الفعل، فلو عملت بما فيها من معنى لعملت الحروف كلها. هذه الفقرة ما عدا ما بين قوسين من كلام الشلوبين. وقوله حق.

3- تعمل هذه الأحرف بالمحكي عنه (المبتدأ) فقط، ولا عمل لها بالسيرة بل السيرة باقية على رفعها الأول.

ذلك أن معنى الحرف منصب على المحكي عنه وحده، وقد نقل عن الكسائي أن (إن) لتوكيد الاسم؛ أي ليست لتوكيد الجملة - ولو كانت لتوكيد الجملة لما ظهر عملها على جزء الجملة - فلو قلت: إن زيداً قائم؛ فأنت تؤكد أن (زيداً) لا عمراً ولا بكاراً ولا سواهما هو القائم، وإذا قيل: ليت الشباب يعود؛ فالقائل يتمني الشباب لا سواه أن يعود.

ثم إن هذا يجنبنا أن ننسب لعامل عمليين، ولا سيما والعمالن مختلفان؛ نصب ورفع، ولا سيما والسيرة مرتبطة بالمحكي عنه من قبل، وهي مرتفعة أصلاً من قبل. وعقلاً لا يصح أن يدعي مدع، أنه رفع شيئاً كان مرفوعاً من قبل.

4- تلحق (ما) هذه الأحرف مؤكدة معانيها فلا تعمل - لا أستثنى منها شيئاً - قال تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، ﴿إِنَّمَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُم إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، وقال ذو الرمة فالكميت:

كأنما نفضُ الأحمال ذاويةً على جوانبها الفرصاد والعنب¹
ولم أجد العبدان أقداء أعين ولكنما أقدأؤها ما ينوبها²
ولكن حكي الفراء والكسائي: إنما زيدا قائم؛ بالنصب، ونقل الزجاج (في
الجميل) أن العرب منهم من يقول: إنما زيدا قائم، ولعلما بكرة جالس،
وكذلك أخواتهما، ينصب بهن ويلغي (ما)، وجاء قول النابغة:
ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد
بالوجهين. ومشى على جواز إعمالهن ابن السراج، ووافقه بن مالك على
ذلك فقال:

ووصل (ما) بذى الحروف مبطل عملها، وقد يُبقي العمل
ويكون إعمالهن من القليل الذي يجب أن يترك لتعارضه مع الكثير
السائد.

¹ نفض الأحمال: ما تساقط من ورق الشجر. الفرصاد: التوت الأحمر.

² الأقداء: الأوساخ، جمع قذى. ينوبها: يصيبها.

وحين وصلهن بـ (ما) يكثر دخولهن على الجمل المصدرة بالفعل، وقد كان ممتعاً، قال تعالى: ﴿إنما ينهاكم الله...﴾، ﴿كأنما يساقون إلى الموت...﴾، وقال الفرزدق فامرؤ القيس:

أعد نظراً يا عبد قيس لعلما أضاعت لك النار الحمار المقيدا¹
ولكنما أسعى لمجد مؤتل وقد يدرك المجد المؤتل أمثالي²
وفي هذا تأكيد على أنهم أصبحوا داخلات على الجمل.

¹ يهجو به بأنه صاحب حمير، ويرميه بإتيانها.

² مؤتل: قديم قوي، أخذ من الأتلة: الشجر التي هي رمز القدم والقوة.

12.2. (لا) النافية للجنس، (لا) التبرئة

تختص (لا) بنصب المحكي عنه نكرة غير مفصولة عنه نافية جميع أفراد جنسه، ولهذا لا يستدرك عليها.

فإذا قلت: لا مسلمَ يشرك بالله، فأنت لا تنفي مسلماً واحداً من المسلمين عن الإشراف، إنما تنفي المسلمين كلهم عن ذلك، فقد جعلت (مسلماً) جنساً يشمل المسلمين كلهم ونفيته عن الإشراف فانتهى كلهم عنه.

إن جملة (لا مسلمَ يشرك بالله) جواب للجملة (هل المسلم يشرك بالله؟).
(المسلم) هنا - كما ترى - معرف بـ (ال) الجنس.

وهذه أمثلة على عملها «لا ريبَ فيه»، «لا إكراهَ في الدين»، «لا انفصامَ لها»، «لا شيةَ فيها»، «لا تثريبَ عليكم»، «لا تبدلَ لخلق الله»، «فلا كيلَ لكم عندي»، «لا مقامَ لكم»، «لا عاصمَ اليوم من أمر الله»، «لا ملجأَ من الله إلا إليه»، «لا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ في الحج».

وقال سلامة بن جندل:

إن الشباب الذي مجد عواقبه فيه نذُّ ولا لذاتٍ للشيب

12.2.1. هذا الحرف والعمل

أ- متى تعمل؟

إن (لا) تنصب المحكي عنه المتقدم النكرة المتصل بها. ضمن هذه الشروط تعمل في حالتين:

- إذا كانت تؤدي فيه معنى يراد منه جميع أفرادها، فقولنا: لا رجل؛ يراد منه جميع الرجال.

- إذا كانت تؤدي فيه معنى يراد منه أيّاً كان من أفرادها، كما في قول أبي محلم السعدي فأخر (من شواهد سيبويه):

ألا فتى من بني ذبيان يحملني وليس حاملي إلا ابن حمال

ألا رجلاً جزاه الله خيراً يدل على محصلة تثبيت
ف (رجلاً) هنا يقصد به أي رجل، فهو مثل قول الأعمى في النداء: يا
ماراً خذ بيدي.

والغالب على سيرة (لا) أن تكون ظرفاً أو جاراً ومجروراً، كما في
جميع الأمثلة المتقدمة.

والكثير فيها أن تحذف للعلم بها، نحو: «كلا لا وزر»، (أنا النبي لا
كذب)، (لا ضرر ولا ضرار)، والمرء يعجز لا محالة.

ب - سبب عدم تنوين معمولها

لم ينونوا هذا المحكي عنه كما رأينا في الأمثلة السابقة، لأن (لا) معه
تحمل معنى (الـ) الجنس. و(الـ) تمنع التنوين كما نعلم. ف (لا) دخلت
على الاسم مراداً به جنسه فتعرف فامتنع عن التنوين، والتنوين - كما نعلم
- علم على الجهالة. ولكن اسم (لا) لا يمتنع عن نون المثني والجمع الذي
على حده، كما لم يمتنع المعرف بـ (الـ) عن هذه النون، تقول: لا
مسلمين، ولا مسلمين، كما تقول: المسلمان والمسلمون، فتثبت النون.
أما إذا لم يقصد بها الجنس؛ فإنها تُهمل والمحكي عنه ينون. قال
الراعي:

وما هجرتك حتى قلت معلنة: لا ناقة لي في هذا ولا جمل

ولم ينونوا لنفس السبب المنادى المقصود، لأنه يصبح معرفة بـ (يا)
حين قصد بها تعيين المنادى، فتقول: يا رجل، يا رجال، يا بنات، يا زيد.
لهذا لا يجتمع (يا) مع (الـ)، كما لا يجتمع (لا) معها. وكذلك تثبت
النون هنا مع (يا)، فتقول: يا معلمان، ويا معلمون.

وبهذا يتبين أن عدم تنوين اسم (لا) وعدم تنوين المنادى المذكور لا يعني
أنهما مبنيان، وإنما يعني أنهما مُعَرَّفَتان؛ معرفتان بأداة.

أما دخول (لا) على الأعلام في قول عمر في عليّ (ع): قضيةٌ ولا أبا حسنٍ لها، وقول الراجز: لا هيثم الليلة للمطي، وقول ابن الزبير الأسيدي:
أرى الحاجات عند أبي خبيب نكدن، ولا أمية في البلاد¹
فإن هذه الأعلام ونحوها على إرادة اسم جنسٍ استغنى عنه لاشتغال العلم به، والأصل: ولا رأي أبي حسن لها، ولا حذاء هيثم للمطي، ولا حلم أمية في البلاد. فعلي (ع) اشتهر بصواب الرأي، وهيثم هذا اشتهر بالحذاء، وأمية اشتهرت بالحلم.

واستعمال العلم اسم جنس لما اشتهر به صاحبه كثير: منه قولهم: لكل فرعونٍ موسى؛ أي لكل طاغية مهلك، ومنه قول الشاعر: والناس كلهم بكر إذا شبعوا. جعل (بكر) جنساً على ما اشتهرت به هذه القبيلة؛ الذي هو التعدي.

ت- مجيء اسم (لا) مضافاً

يأتي اسم (لا) مضافاً، نحو: قضية ولا أبا حسن لها، وقول ذي الرمة:
هي الدار إذ مَيَّ لأهلك جيرة ليالي لا أمثالهن لياليا
وقول حسان موبخاً باستفهامه:
ألا طعان، ألا فرسان عادية ألا تجشؤكم خلف التنانير؟
وأذكر هنا: أن دخول همزة الاستفهام لا يغير من عمل (لا) شيئاً، قال قيس بن الملوح:

ألا اصطبارٍ لسلمي أم لها جلد؟ - إذن - ألقى الذي لاقاه أمثالي
ويقول النحاة: إن اسم (لا) هذه يأتي شبيهاً بالمضاف - وهو ما تعلق به شيء من تمام معناه - ويمثلون له بنحو: لا راغباً في الشر عندنا، ولا

¹ خبيب: هو عبد الله بن الزبير بن العوام. نكدت الحاجات: لم تقض.

كاتباً رسالة هنا، ولا قبيحاً فعله حاضر، ولا مذمومة سيرته بيننا. ولكني لم أجد لهذا النوع من شواهد؛ لا في كتب النحو التي طالعته، ولا فيما طالعت من الشعر والنثر.

ث - إعمالها وإهمالها إذا تكررت

إذا تكررت (لا) في مثل: ﴿لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله﴾
- فقد يعملونها معاً، كما في الحديث: (لا ضررَ ولا ضرارَ).
- وقد يهملونها معاً، كما في الآية: ﴿في يوم لا بيعُ فيه ولا خِلالٌ﴾.
- وقد يعملون الأولى ويهملون الثانية كما في قول ضمرة بن ضمرة:
هذا - وجدكم! - الصَّغار بعينه لا أمَّ لي إن كان ذلك ولا أبُ
- وقد يعملون الأولى ويجعلون الثانية مؤكدة للنفي تخترقه واو المعية
وبهذه الواو ينصبون، قال أنس بن العباس السلمي:

لا نسبَ اليوم ولا خلةً اتسع الخرق على الراتق¹
فهذا مثل:

فلا أبَ وابنًا مثل مروان وابنه إذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا
وبالواو أيضاً يستأنفون فيرفعون، قال ضمرة بن أبي ضمرة:
هذا لعمركم الصَّغار بعينه لا أمَّ لي إن كان ذلك ولا أبُ
- وقد يهملون الأولى ويعملون الثانية، قال أمية بن أبي الصلت:
فلا لغوٌ ولا تأثيمَ فيها وما فاهوا به أبداً مقيم

ج - تأتي (لا) في أوضاع أخرى

فتأتي حرف نفي تخترقه العوامل:

- عوامل الخفض، تقول: سافرت بلا زادٍ وعدت بلا فائدة، قال الحطيئة:

¹ اتسع الخرق على الراتق: ضربه مثلاً لتفاقم الأمر.

إذا أجر الكلب الصقيع اتقيته بأثباج لا خور ولا قفرات¹
 إذا أنفذ الميار ما في وعائه وفي كيل لا نيب ولا بكرات²
 - وعوامل الجزم، قال تعالى: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾.
 - وعوامل نصب المضارع؛ قال تعالى: ﴿ما منعك ألا تسجد﴾، ﴿كيلا
 تأسوا على ما فاتكم﴾، ﴿حتى لا تكون فتنة﴾.
 - وعوامل العطف، نحو: ما مررت بزيد ولا عمر.
وتأتي نافية للوحدة:

نحو: لا رجل في الدار ولا امرأة، قال سعد بن مالك القيسي:
 من صد عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براخ³
 وهذه يكون دخولها على الجمل لتتفي مضمونها، لأن العمل لا يظهر إلا
 على المفردات.

وهذه أيضاً تدخل الباء في سيرتها، كقول سواد بن قارب:
 وكن لي شفيحاً يوم لا ذو شفاعاة سواك بمغن عن سواد بن قارب
 وطبعاً يكون المحكي عنه مرفوعاً معها كما كان قبل، ولكن ربما نصبوا
 سيرتها على نزع الخافض الذي هو الباء، كقول النابغة الجعدي:
 وحلت سواد القلب؛ لا أنا باغياً سواها، ولا في حبه متراخياً⁴
 أي: لا أنا بباغٍ سواها....

¹ الأثباج: الظهور. الخور: الرقيقات الجلود. القفرات: القليلات اللحم.

² الميار: الذي يمتار الطعام لأهله. النيب: مسان الإبل. البكرات: صغار الأسنان.

³ صد: أعرض عن الحرب.

⁴ يذكر شدة حبه لها وعدم استطاعته الانفلات منه.

ح- تأتي (لا) بلفظ (لات)

لقد جاءت (لا) بلفظ (لات)، قال تعالى: ﴿فنادوا ولات حين مناص﴾؛ أي ولاحين مناص. وقال محمد بن عيسى التميمي:

ندم البغاة، ولات ساعة مندم والبغي مرتع مبتغيه وخيم¹
وقد جاءت (ليس) مثل (لات)، كما في قول أوس بن حجر فحسان:
هبت تلوم، وليست ساعة اللاحي هلا انتظرت بهذا اللوم إصباحي²
والقوم خلفك قد تركت قتالهم ترجو النجاة، وليس حين ذهاب³
و(لا) مثلها في دخولها على (حين كذا)، قال الفضل بن العباس:
طرب الشيخ؛ ولا حين طرب، وتصابي؛ وصبا الشيخ عجب⁴
أما مجيء الخفض بـ (لات) في قول أبي زبيد الطائي؛ في الشطر
الأول:

طلبوا صلحنا، ولات أوان فأجبنا: أن لات حين بقاء!
فتكون قد استعملت حرف خفض كما استعملت (لعل) كذلك في قول
كعب الغنوي (وطبعاً هذان استعمالان شاذان):
فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريب
وقد جاءت (لات) لغير الجنس فأهملت، روى:
لهف عليك للهفة من خائف يبغي جوارك حين لات مجير
فتكون في هذه الرواية على حد قول سعد بن مالك:

¹ البغاة: المتعدون، طالبو الحرب، جمع باغ. مرتع وخيم: مرتع يمرض من يرعى فيه.

² اللاحي: اللائم.

³ أوضحت أن (ليس) حرف، راجع فصل ليس.

⁴ التصابي: فعل الصبية.

من صد عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح
يتبين من هذا وغيره أن العرب تقول: لآحين كذا، ولات حين كذا، وليس
حين كذا.

آراء النحاة: في (لا)

1. في اسم (لا)

1- البصريون: ذهب البصريون إلى أن اسم (لا) غير المنون في نحو:
لا رجل، ولا رجال،.... مبني على الفتح في محل نصب، أو مبني على ما
ينصب به.

2- الكوفيون: ذهب الكوفيون والزجاج إلى أنه معرب وحذف تنوينه
للخفة. وبه قال السيرافي.

3- وذهب المبرد إلى أن اسم (لا) المثني والجمع على حده؛ أي في
نحو: لا رجلين، ولا مسلمين، ولا مسلمين؛ معرب، لأنه يرى أن التنثية
والجمع من خواص الأسماء يتعارضان مع علة البناء.
وقد فهم قولي عنه: إنه معرب ولم ينون للتعريف. وقد قال سيبويه:
{(لا) تعمل في ما بعدها فتنصبه بغير تنوين}.

2. في (لات حين...)

1- سيبويه: (حين) خبر (لات)، واسمها محذوف. لأنه يعتبر (لات)
تعمل عمل (كان) وأخواتها. فاضطر أن يجعله محذوفاً.

2- الأخفش: (لات) هي (لا) النافية للجنس، والتقدير: لات حين مناص
لهم. لأن خبر (لا) كثيراً ما يحذف.

3- أبو عبيده: التاء موصولة بـ (حين) لا موصولة بـ (لا)، وحكى
أنهم يقولون: تحين ثلاث.

ويلاحظ أن ما رأيته موافق لرأي الأخفش.

12.3. أحرف النداء

أحرف النداء هي: (يا، أي، أ، أيا، وا).

- 1- (يا)، قال تعالى: ﴿يا بني آدم؛ لا يفتنكم الشيطان﴾، ﴿يا قومنا؛ أجيئوا داعي الله﴾، ﴿يا صاحبي السجن...﴾، ﴿يا نوح...﴾، ﴿يا مريم...﴾، ﴿يا عباد؛ فاتقون...﴾، ﴿يا أيها النبي...﴾.

وقد جاءت (يا) بلفظ (آ)، قال السيد الحميري:

امرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية
أعظماً! لازلت من وطفاء ساكبة رويه
أي: يا أعظماً!، أو هي بمعنى وا أعظماً!

فاذا مررت بقبره فأطل به وقف المطية
وابك المطهر للمطهر والمطهرة التقية
كبياء معولة أتت يوماً لواحدتها المنية¹

2- (أي)، قال كثير عزة:

ألم تسمعي أي عزّ في رونق الضحى بكاء حمامات لهن هديل²

3- (أ)، قال امرؤ القيس فعبدت بن الطبيب:

أ جارتنا!، إن الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عسيب³

أ بني!، إني قد كبرت ورايني بصري، وفي لمصلح مستمتع⁴

4- (أيا)، قال الصلتان العبدي فقيس بن الملوح:

¹ الجدث: التربة على القبر. الحسين (ع)؛ أي الحسين بن علي (ع). الوطف: طول

الأهداب، يريد طول انسكابها. المعولة: التي تصرخ حين البكاء على فقيدها.

² رونق الضحى: أوله، لصفائه.

³ عسيب: جبل بعينه.

⁴ رايني: لم يُحقّق.

أيا شاعراً لا شاعر اليوم مثله جريز، ولكن في كليب تواضع¹
أيا جبلي نعمان! بالله، خليا نسيم الصبا يخلص إلي نسيمها²
وقد جاءت (أيا) بلفظ (هيا)، كما في قول الحطيئة فالراعي:
فقال: هيا رباه! ضيف ولا قرى بحقك لا تحرمه تا الليلة اللحم³
فأصاخ يرجو أن يكون حياً ويقول من جذب: هيا رباً⁴
5- (وا) قال ابن قيس الرقيات:
إن الحوادث بالمدينة قد أوجعني وقرعن مروتيه⁵
تبيكهم أسماء معولة، وتقول سلمى: وا رزيتيه!⁶
وروا: وا مثنياه، وا معتصماه، وا إسلاماه.

12.3.1. هذه الأحرف والعمل

هذه الأحرف هي التي تعمل في المنادى، وهي سواء في العمل، ولكن عملها النصب يكون:

أ- المنادى المضاف والشبيه به

- في المنادى الذي وصلت به تنمة: (المضاف والشبيه بالمضاف)،
نحو: يا عبد الله، يا أبا الحسن، يا حافظاً عهدَه، يا مهزوماً حقَه، يا ماراً
بنا، يا نخرأ لنا، ويا عجباً من حلها بعد رحلها... أ داراً بجزوى هجت

¹ كليب: قبيلة جريز.

² يخلص إلي: يصل إلي.

³ القرى: طعام الضيف، تا الليلة: في هذه الليلة.

⁴ أصاخ: استمع بانتباه، الحيا: المطر. الجذب: المحل.

⁵ المرو: حجارة بيض براقه تقدح منها النار، الواحدة (مروة)، وبها سميت المروة بمكة.

⁶ معولة: من العويل، البكاء. الرزية: المصيبة.

للنفس عبرة...، أي شاعراً لا شاعر اليوم مثله...، يا زيد بن سعد، ويا هند
بنة عاصم.

- في المنادى الذي بقي على جهالته، كما في قول مالك بن عمرو
العالمي: بعد أن قتل قاتل أخيه:

يا راكباً بلغن ولا تدعن بني قمير وإن هم جزعوا¹
إنه لم يقصد راكباً بعينه، إنه يريد أي راكب كان. ويمثلون لهذا النوع
من المنادي بقول الأعمى: يا رجلاً خذ بيدي، وقول الواعظ: يا غافلاً
والموت يطلبه، ويسمي النحاة هذا المنادى بالمنادى غير المقصود.

ب- المنادى المفرد المقصود

فإن لم يوصل بالمنادى شيء، ورفعت عنه الجهالة بالتوجه إليه بذاته؛
وهذا ما يسمونه بالمنادى المفرد المقصود. وتكون (يا) قد عرفت فامتنع
عنه التنوين، لأن التعريف بالأداة يمنع التنوين²، وبامتناعه عنه يشتهبه
بمنصوب (لا).

ذلك لأن صوتي: (يا، ولا) متقاربان، فعدلوا لذلك عن نصبه إلى الرفع،
فقالوا: يا زيد، يا رجل، يا رجال، يا مسلمات، يا مسلمان، يا مسلمون.
ومن هذا (أي، وأية) مع (ها أو هذا)، نحو: «يا أيها الناس...»، «يا أيُّها
النفس مطمئنة...»، وقول ذي الرمة فالأحوص:

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه³
أيهذا المخبري عن يزيد بصلاح، فذاك أهلي و مالي

¹ الجزع: عدم التماسك عند الحزن.

² لذا لم يحذفوا حرف النداء من منكر قبل النداء، نحو: رجل ومعلم...، لئلا يبقى على
تتكيره.

³ بخر نفسه: قتلها حزناً.

ت - المنادى المستغاث والمتعجب منه

أما المنادى في الاستغاثَة والتعجب فإنه مخفوض باللام دائماً، تقول: يا
للكرماء للمساكين!، ويا لشدّة الحر!.

وهذا لا يدخل في المنصوبات. فلا حاجة بنا للتعقيد، يكفي أن نقول: (يا)
حرف نداء للاستغاثَة أو للتعجب مهملة لدخولها على الحرف وما بعدها
جارٌّ ومجرور. وقد ذكرت في حال اجتماع عاملين على معمول واحد أن
العمل للمجاور منهما.

ودخول (يا) على الحروف كثير¹، قال تعالى حكاية عن مريم العذراء
على لسانها: ﴿يا ليتني مت قبل هذا﴾، وقال لبيد:

يا ربّ هيجا هي خير من دعة² يا ابن الملوك السادة الهبنقة²

ث - المنادى المندوب

أما المنادى المندوب تفجعاً، نحو: وا حسين، أو توجعاً، نحو: وا صداع
رأسى؛ فيبقى له حكمه الأول من النصب أو الرفع، لا تخرجه الندبة عن
ذلك. ولكنهم كثيراً ما يزيدون في آخر المندوب ألفاً مع هاء للسكت،
فيقولون: وا حسينا، وا صداع رأساه.

12.3.2. المنادى المضاف لياء المتكلم

- إذا كان المنادى منتهياً بحرف علة؛ فليس في ياء المتكلم إلا وجه
واحد، هو إثباتها مفتوحة، نحو: (عصاي، وادي، خليلاي، معلمي). وهذا
لها أيضاً في غير النداء.

¹ من الحروف التي تدخل عليها (يا)؛ (نعم وبئس)، وقد قررت أنهما حرفان، نحو: يا
نعم المولى ويا نعم النصير.

² الهيجا: الحرب. الدعة: الرخاء. الهبنقة: أهل الكبرياء.

- إذا كان المنادى منتهياً بحرف صحيح، مثل: (أخ، صاحب، قوم،...)؛
جاز فيه:

أ- حذف الياء وإبقاء الكسرة دليلاً على الياء المحذوفة، قال تعالى: ﴿يا
عبادِ فاتقون﴾، ﴿يا قوم أ رأيتم إن كنت على بينة من ربي﴾.
وهذا أكثر الأنواع وروداً.

ب- إثبات الياء ساكنة، قال تعالى: ﴿يا عبادي لا خوف عليكم﴾.

ت- إثبات الياء مفتوحة، قال تعالى: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على
أنفسهم...﴾.

وهذان الوجهان يكونان لها مع غير النداء.

أما نحو: ﴿يا أسفى على يوسف﴾، ﴿يا ويلتى، ليتتى لم اتخذ فلاناً
خليلاً﴾؛ فالألف - هنا - للتفجّع لأنها منقلبة عن ياء المتكلم. ولم أجد من
شاهد على نحو: يا صديقا. ولكن نص عليه النحاة.
وأما نحو: يا أم لا تغضبي؛ فليس هنا ياء للإضافة، فلا حاجة بنا
لافتراضها، وإن أشعر الكلام بها.

12.3.3. ترخيم المنادى

لإظهار نبرة الصوت بسبب انقطاع النفس بعد مد الصوت في أول
النداء؛ بسبب ذلك رحمت العرب المنادى المفرد مختوماً بالتاء أو علماً
زائداً على ثلاثة أحرف غير مركب، فقالوا: في (فاطمة، حمزة، ثقة،
حارث، جعفر): (يا فاطم، يا حمز، يا ثق، يا حار، يا جعف). قال المنخل
الهدلي، فالمتلمس، فأوس بن حجر، فليبيد، فالفرزدق:

ووجهٍ قد جلوتِ - أميمَ - صافٍ أسيل غير جهم ذي حطاط¹
يا حار! إني لمن قومٍ أولي حسبٍ لا يجهلون إذا طاش الضغابيس²
تتكرتِ منا بعد معرفة - لمي - وبعد التصافي والشباب المكرم³
يا أسم! صبراً على ماكان من حدثٍ إن الحوادث ملقيٌ ومنتظر⁴
يا مرو! إن مطيتي محبوسة ترجونداك وربها لم ييأس⁵
فهولاء الشعراء قد رخموا: (أميمة، وحات، ولميس، وأسماء،
ومروان). والترخيم كثير في الشعر القديم. وكأنه ترك بعد.

وهم في الترخيم يحذفون الحرف الأخير، وربما حذفوا معه حرف العلة
الزائد على ثلاثة، فقالوا في (عثمان، ومنصور، ومسكين): (يا عثم، ويا
منص، ويا مسك).

والأكثر في الترخيم أن يبقوا حركة ما قبل المحذوف كما هي، وربما
عاملوه معاملة نداء مستقل.

فإذا قالوا في (فاطمة): يا فاطم، بالفتح؛ فقد أبقوا ما قبل المحذوف كما
هو.

وإذا قالوا: يا فاطم، بالضم؛ فقد عاملوه معاملة نداء مستقل.
من هنا كان غير مستكثر أن يحذفوا تتوين المنادى المفرد، فقالوا: (يا
زيد، يا رجل).

¹ جلا: كشف. أسيل: طويل، غير جهم: غير متجهم. ذو حطاط: ذو بثور. يذكر أن
وجهها في غاية الجمال.

² الضغبوس: الضعيف الرأي، جمعة طغابيس.

³ تتكرت منا: تجاهلنا أن كبرت بنا السن مع طول معرفتك بنا أيام الشباب.

⁴ أسماء: من الوسامة، فالأصل: وساء. ملقي ومنتظر: واقع ومستقبل.

⁵ نداك: كرمك.

ومن هنا كانت كثرة حذفهم لياء المتكلم الصحيح الآخر، فقالوا: يا ربّ،
ويا قوم.

12.3.4. النصب بـ (يا) محذوفةً

أ- حذفها جوازاً

إذا كان المنادى منتبهاً أو في حكم المنتبه، إذ ذلك يستغنى عن (يا) مدلولاً عليها بشدة الصوت ومدّه، فجاء النداء بدونها ولكنها بقيت عاملة، لأنها مرادة ومعنى الكلام عليها، قال الشنفرى فعمر بن كلثوم فعنتره:
أقيموا (بني أمي) صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل
وما شر الثلاثة (أمّ عمرو) بصاحبك الذي لا تصبحينا
يا دار عبله بالجواء تكلمي، وعمي صباحاً (دار عبله) واسلمي¹
وهذا كثير. وفي القرآن الكريم: «ربّ اغفر لي»، «ربّنا اطمس على
أموالهم»، «يوسفُ أعرض عن هذا»، «سنفرغ لكم أيها الثقلان». وقد سمع حذف (يا) في الجنس على إشكاله، فجاء: افتدّ مخنوق، أصبح!
ليل، أطرق! كرى، أي تواضع يا كروان فقد صيد من هو أكبر منك، وفي
الحديث: ثوبي! حجر، وقال ذو الرمة فالعجاج:

بممتلك هذي! لوعة وغرام

جاري! لا تستكري عذيري سيري وإشفاقي على بعيري²

فهذا المراد منه: (يا مخنوق، ياليل، يا حجر، يا هذه، يا جارية).

ويدخل في هذا نحو: يا عبد الله وزيد، فهو على حذف (يا) كأنه قال: يا
عبد الله ويا زيد. وتكرار (يا) كثير، قال:

¹ الجواء: موضع.

² عذيري: عذري أو اعتذاري.

يا صاح يا ذا الضامر العنسي والرحل ذي الأنساع والحلس¹

ب- حذفها وجواباً (الاختصاص)

إذا كان المنادى هو المتكلم؛ فالمنادى - هنا - في غاية الانتباه، وهو إذ ذاك أبعد ما يكون عن أن ينبه نفسه، أو أن يطلب حضور ذاته. (وهذا ما يسمى بالمنصوب على الاختصاص؛ أي ما يقولون: إنه منصوب بفعل محذوف تقديره: أعني أو أخص أو نحو ذلك، وهم يقولون: إن هذا الفعل لا يظهر ولا يستعمل).

فإذا كان المنادى هو المتكلم، فإن ذلك لا حاجة لـ (يا) مطلقاً، فجاء النداء بدونها، ولكنها بقيت عاملة لأنها مرادة والكلام عليها، وهي نحو قوله (ص): (سلمان منا؛ أهل البيت)، وقول عمرو بن الأهتم فالفرزدق:

إنا -بني منقر- قوم ذوو حسب فينا سراة بني سعد وناديتها²

ألم تر أنا -بني دارم- زرارة منا أبو معبد³

وأكثر ما جاء هذا النوع بعد ضمير المتكلم عن نفسه ومعه غيره، لأنه حين نقول: (نحن، أو إننا أو...) لا يتضح المقصود بهذا الضمير حتى يذكر الجماعة المقصودة به ممن هم معروفون للمخاطب مشهور اسمهم، فيناديهم كأنه يطلب حضورهم، فيقول: نحن - آل فلان - نقول كذا ونفعل كذا.

وقد ذكر النحاة أنه يأتي بعد ضمير المتكلم عن نفسه وحده إذا كان في المخاطبين من جهله، أو إذا أراد أن يبين للمخاطبين بأية صفة يكلمهم،

¹ العنسي: الصخرة الصلبة يشبهون بها الناقة القوية. الأنساع: السيور يشدون بها

الحقائب. الحلس: ما يوضع على الدابة للركوب عليها.

² السراة: السادة. النادي: المجلس ينادون له.

³ زرارة: من بني عبد الله بن دارم من سادتهم، وبنو دارم قوم الفرزدق.

ويمثلون له بمثل: أنا - قائد الشرطة - أدعوكم للهدوء، وأنا - أيها المحافظ - أسهر على راحة الشعب.

وإنما كان المختص منادى؛ لأن النداء طلب حضور، والمختص يطلب حضوره للمخاطبين، أو قل هو يقدم نفسه لهم.

وقد قال سيبويه عن المنسوب على الاختصاص: لزعم - يعني الخليل - أن وجود (أي) في هذا الباب يدل على أنه محمول على ما حمل عليه النداء فكان هذا عندهم في الأصل أن يقولوا: (يا) ولكنهم خذلوها فاسقطوها حين أجروه على الأصل.

وقال عنه الزمخشري: {هو منادى نقل إلى معنى الاختصاص، والعارض غير معتد به}.

فيكون هذا مثل الأمر إذا استعمل في الخبر، نحو: «ومن كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً». ومثل هذا كثير.

ولهذا أخذ المختص حكم المنادى المنسوب، وأخذ حكم المرفوع إذا كان هو بـ (أي أو آية).

وهو أكثر ما يكون مضافاً، نحو: نحن - بني ضبة - أصحاب الجمل، ونحو: نحن - معاشر النحاة -...، ونحن - آل فلان -....

ويكون بـ (أي أو آية)، نحو: إني - أيها العبد - فقير إلى الله تعالى، واللهم اغفر لنا؛ أيتها العصابة.

ويكون بـ (ال) نحو: نحن - العرب - أقرى الناس للضيف. وقد شاع بين المتكلمين بالفصحى هذه الأيام: نحن - كأطباء أو نقابيين،... - أمرنا كذا، أو فعلنا كذا، أو نفعل كذا،....

آراء النحاة:

1. المنادى المفرد

- 1- الكوفيون: معرب مرفوع بغير تنوين.
 2- الفراء: مبني على الضم، وليس بفاعل ولا مفعول ولا مضاف إليه.
 - البصريون: مبني على الضم، وموضعه نصب؛ لأنه مفعول به.

2. ناصب المنادى

- 1- البصريون: ناصب المنادى فعل محذوف حذفاً لازماً لدلالة حرف النداء عليه. والأصل في (يا زيدُ، يا عبدَ الله)؛ أدعو زيداً، أدعو عبد الله، وعندهم أن المنادى المعرفة يبنى على ما يرفع به.
 2- المبرد: ناصبه حرف النداء لسده مسد الفعل. قال عنه الإستربادي: ليس ببعيد، ولأنه يمال إمالة الفعل.
 3- أبو علي الفارسي: (يا) وأخواتها أسماء أفعال تتحمل ضمير المنادى. وقرأت أن هذا نقل عن الكوفيين.
 4- الكسائي: المنادى مرفوع أو منصوب بلا عامل. والمنادى المفرد المعرفة مرفوع، يريد أنه لم يكن فيه سبب البناء حتى يبنى، فلا بد فيه من الإعراب. ثم لو أننا جررناه لشابه المضاف إلى ياء المتكلم إذا حذف ياءه، ولو فتحناه لشابه غير المنصرف، فرفعناه ولم ننونه ليكون فرقاً بينه وبين ما رفع بعامل رفع.
 5- الفراء: يقول الفراء: أصل (يا زيدُ)؛ يا زيداً، ونوي الألف فبني على الضم كالغايات: (قبل، بعد، وحيث،...).

وعنده أن المضاف فتح لوقوع المضاف إليه موقع ألف (يا زيداً).

ليس المنادى مفعولاً به، أقول:

- إن البصريين - وتبعهم كثير من النحاة - يعتبرون المنادى مفعولاً به حذف فعله وفاعله، والتقدير عندهم في (يا زيدُ): أدعو زيداً.
 إن اعتبارهم هذا فيه:

- فرض عامل غير موجود لا يظهر ولا يصح إظهاره بحال من الأحوال. هذا مع إبعاد عامل موجود ملازم للمنادى وينصب معناه عليه. وقد خالفهم المبرد - وهو واحد منهم - فقال: إن (يا) هي الناصبة نيابة عن الفعل.

والأصل ترك الأخذ بعامل مقدر مع إمكانية الأخذ بعامل موجود، ولا سيما والجملة التي تتكون بالتقدير تتنافى مع أساليب اللغة، لأن الجملة التي يقدرونها إخبارية في حين أن الجملة الأم إنشائية، فهم يعربون جملة بعيدة عن الجملة الأم.

- لأن المنادى يخالف المفعول به مخالفة واضحة، ذلك لأن المفعول به منصوب أبداً وجد فعله أم حذف.

أما هذا فإنه منصوب في حالات وغير منصوب في حالات أخرى، هذا الذي يريدون أن يحشروه في زمرة المفعول به بحسب قوانينهم، له أحكام خاصة به. وهذه الأحكام توجد بوجود أحرف النداء وتتعدم بانعدامها، ولم تأت هذه الأحكام إلا من قبل أحرف النداء، أو من قبل كونه هو منادى.

كل هذا الخطأ منهم لأنهم تمسكوا بقاعدة خاطئة، هي أن الحرف: (لا) يعمل إلا إذا اختص وضمن اختصاصه، فما اختص - عندهم - في الاسم لا يعمل في الاسم إلا الخفض، وما اختص بالفعل لا يعمل في الفعل إلا الجزم.

12.4. أحرف الاستثناء

أحرف الاستثناء هي: (إلا، خلا، عدا، حاشا، ليس)، يقصد بهن إخراج ما بعدهن مما تضمنه ما قبلهن أو تعلق به، تقول: قام القوم إلا اثنين، وعاد التجار إلا بضائعهم.

1- (إلا)، قال تعالى: ﴿فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾، ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾.

2- (خلا، عدا) قال لبيد فالنابغة:

ألا؛ كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم - لا محالة - زائل
سراته ما عدا لبانة لهق وفي القوائم مثل الوشم بالقار

3- (حاشا، أو حشا)، قال الأخطل فالجُميُّ فحسان:

رأيت الناس ما حاشا قريشاً فإننا نحن أكرمهم فعالا
حاشا أبا ثوبان، إن أبا ثوبان ليس بيكمة فدم¹
عمرو بن عبد الله، إن به ضناً عن الملحاة والشم²
حشا رهط النبي فإن منهم بحور لا تكدرها الدلاء³

4- (ليس)، في الحديث: ما نهر الدم فكلوا منه ليس السنّ والظفر، يطبع المسلم على كل شيء ليس الكذب والخيانة. وقال تأبط شراً، فالأحوص:

لا شيء أسرع مني ليس ذا عُذْرٍ وذا جناح بجنب الريد خفاق⁴
ألا صلة الأرحام أدنى إلى التقى وأظهر في أكفائه لو تكرما¹

¹ بكمة: أبكم، غير طليق اللسان. قدم: غبي بليد.

² ضناً: بخلاً. لحاه: عابه.

³ تكدرها: تعكر صفوها. الدلاء: جمع دلو، وعاء نشل الماء.

⁴ العُذْر: جمع عذرة، وهي ما أُقبل من شعر الناصية على وجه الفرس. الريد: الشمراخ الأعلى من الجبل.

فما ترك الصنع الذي قد صنعتم ولا الغيظ مني ليس جلدًا وأعظماً²
أما (لا يكون) فقد ذكرها النحاة، ولم أقف لها على شاهد، وأفضل عدم
ذكر الشاذ.

ولما كانت (غير) بمعنى (إلا)؛ فإنها تأخذ حكم ما بعد (إلا)، لأن الاسم
- دائماً - يأخذ حكم ما بعد الحرف الذي يأتي بمعناه، نحو: حضر
الطلاب غير اثنين.

ومثل (غير) في الحكم (سوى)، ولكن إعرابها مقدر، تقول: أنفقت مالي
سوى دينارين.

أما ما بعد (غير، وسوى) فمخفوض كما مر معنا بلام الإضافة المقدر

12.4.1. هذه الأحرف والعمل

1- (إلا)، إن هذا الحرف ينصب ما كان للاستثناء؛ أي ما كان لإخراج
ما بعده مما اشتمل عليه المستثنى منه أو تعلق به.

أما إن لم تكن (إلا) للاستثناء، بل كانت لنقض النفي فكان للاسم معها
حكمه بدونها؛ فهي إذ ذاك لا عمل لها. وإنما جيء بها لنقض النفي فقط.
ففي قوله تعالى على لسان الكفار: ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾، ونحوه؛ (الدهر)
محكي عنه لا مستثنى، وفي قوله: ﴿وما محمد إلا رسول﴾، ونحوه؛
(رسول) سيرة لا غير، وفي قولك: ما جاء أبوك إلا ركباً، وما قمت إلا
إجلالاً لك، لم تعمل (إلا) هنا لارتباطها بحرف النفي.

وأما إن كان الكلام قبلها مسبوقاً بنفي أو شبهه، ولم يكن للاسم معها
حكمه بدونها، ففي هذا ربما قصدوا الاستثناء فنصبوا، وغالباً ما يقصدون

¹ أدنى: أقرب. أكفاء: جمع كفاء، مثل، شبيهه.

² يقول: إن ما صنعه به وإن الغيظ من ذلك أنحلاه فلم يبق منه لذلك إلا الجلد والعظم.

المشاركة بينها فيعطفون، نحو: (لم يلتفت المارون إلا الأطفال). وكما في الآيات:

«ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك...»؛ قرأ أبو عمرو وابن كثير بالعطف، وقرأ الباقر بالاستثناء. «ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم»، «ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون»، «قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله»، «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا»، «ومن يغفر الذنوب إلا الله»؛ قرأ السبعة بالعطف فيهن، «ما فعلوه إلا قليل منهم»؛ قرأ ابن عامر بالاستثناء، وقرأ الباقر بالعطف.

وربما قصدوا المشاركة في غير المنفي، فكانت (إلا) هنا لنقض النفي، فهي تقرب من معنى (لا) العاطفة، قال الأعشى فعامر بن حارثة:

وكل أخ مفارقه أخوه - لعمرُ أبيك - إلا الفرقدان¹
وبلد ليس به أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

2- أما (خلا، عدا، حاشا)، فإنهن يستعملن أحرف خفض كما يستعملن أحرف استثناء، روي:

خلا الله لا أبغي سواك وإنما أعد عيالي شعبة من عيالكا²
تركنا في الحضيض بنات عوج عواكف قد خضعن إلى النسور³
أبنا حيهم أسراً وقتلاً عدا الشمطاء والطفل الصغير⁴
وقال الحطيئة:

¹ الفرقدان: نجان في الدب الأصغر قريبان من نجم القطب.

² أبغي: أقصد، أطلب.

³ الحضيض: موضع. بنات عوج: أي بنات خيل عوج، جمع أعوج، وهو فرس مشهور عند العرب. عواكف: مقيمات قد بطلت منعتهن.

⁴ الشمطاء: من شاب شعرها. حيهم: نصب بنزع الخافض؛ أي في حيهم.

فباست بني عيس وأفناء طيء وباست بني دودان حاشا بني نضر¹
3- وأما (ليس) فكثيراً ما تأتي حرف نفي مهماً لدخوله على الجمل،
نحو: «ليس لك من الأمر شيء»، ليس المؤمن بلعان، ليس خلق الله مثله،
ونحو قول هشام²:

هي الشفاء لدائي لو ظفرت بها وليس منها شفاء الداء مبدول
وقد تأتي نافية للجنس، كما في قول أوس:
هبت تلوم وليست ساعة اللاحي هلا انتظرت بهذا اللوم إصباحي
وقد تأتي حرف عطف، كما في قول نوفل بن حبيب:
أين المفرُّ والإله الطالب؟ والأشرم المغلوب ليس الغالب

آراء النحاة: في ناصب المستثنى

- 1- سيبويه والجرجاني: ناصبه (إلا). واختاره ابن مالك.
- 2- ابن عصفور والفارسي والشلوبين: ناصبه ما قبل (إلا) من فعل أو غيره بتعدية (إلا).
- 3- ابن خروف: ناصبه ما قبل (إلا) مستقلاً عنها.
- 4- وحكى السيرافي عن:
أ- الكسائي: أن ناصبه (أنّ) مقدرة بعد (إلا).
ب- المبرد والزجاج: أن العامل فيه (إلا) لقيام معنى الاستثناء به -
والعامل ما به يتقوم المعنى المقتضى - ولكونها نائبة عن استثنى، كما أن
حرف النداء ناب عن أنادي.

¹ عيس وطيء ودودان ونضر: أحياء من العرب. أفناء: فنون، فئات. باست فلان:
تقال للاستخفاف به.

² هشام هذا هو أخو ذو الرمة.

- ت- الفراء: أن ناصبه (إن) المخففة مركبة مع (لا).
- 5- ونقل عن الكسائي أن الناصب له مخالفته للأول.
- 6- وذكر صاحب (الجنى الداني): أن ناصبه ما قبل من كلام مستدلاً له بقولهم: القوم إخوتك إلا زيدا، ويروي هذا عن بعض المتأخرين دون أن يذكر أسماءهم.
- 7- ونقل محمد الإبطائي أن الأكثرين يقولون في نحو: (وصل المسافرون إلا أمتعتهم)؛ (إلا): حرف مشبه بالفعل، (أمتعتهم): اسمها، والخبر محذوف تقديره غير واصلة.

وهنا أقول:

نَصْبُ الْمُسْتَنْتَى إِنَّمَا هُوَ بِـ (إِلا) وَأَخْوَاتُهَا أَصَالَةٌ، لِأَنَّ مَعْنَاهَا هُوَ الْمَنْصَبُ عَلَيْهِ؛ هِيَ الدَّالَّةُ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ، وَهُوَ مَدْلُولٌ عَلَيْهِ بِهَا. وَلَيْسَ النَّصْبُ بِـ (إِلا) نِيَابَةً عَنِ الْفِعْلِ (اسْتَنْتَى)، لِأَنَّ كُلَّ حَرْفٍ لَهُ مَعْنَى فِعْلٍ: فـ (مَا) مَعْنَاهَا (أَنْفِي)، وَ(هَل) مَعْنَاهَا (اسْتَفْهَم) وَ(يَا) مَعْنَاهَا (أَنَادِي) وَهَكَذَا الْجَمِيعُ.

وليس النصب بالفعل بتوسط (إلا)، لأن الفعل لا يعمل، بل هو حيادي ماضياً، ومعمول للحرف مضارعاً. الفعل لا يعمل بنفسه ولا بواسطة غيره، لا يعمل مباشراً لغيره ولا مفصلاً عنه.

وليس النصب بـ (إن) مضمرة بعد (إلا)، لأننا بذلك ننسب العمل للمفقود ولاننسبه للموجود؛ هذا الذي ينصبُ معناه على المستثنى.

12.4.2. (إلا) تأتي حرف عطف

(إلا) في نحو: (ما قام القوم إلا أخوك)، حرف عطف، فما بعدها معطوف على ما قبلها لا أنه بدل منه كما يقولون.

- لأن هذا مثل: (ما قام القوم بل أخوك)، ومثل: (قام القوم لا أخوك)؛
فـ (إلا) في ذلك حرف عطف، كما أن (بل، ولا) المماثلتين لها من
أحرف العطف.

- لأن جعل ما بعد (إلا) بدلاً يلغي دور (إلا)، ويلغي معناها المنصب
على ما بعدها، ويخرجنا إلى عدم النظر، إذ البديل ليس له أحرف.
- لأن البديل لا بد له من ضمير يربطه بالمبدل منه - كما هو مقرر
عندهم- تقول: رعى الرئيس الحفل نائبه.

- ولأن البديل لا يخالف المبدل منه، فلا يقال: ما جاء القوم أخوك.
- ولأن البديل لا يبديل منه، فلا يقال: مررت بالقوم أكثرهم أخيك.
- ولأن البديل والمبدل منه لا يجيئان متخالفين، وهنا نجد: البديل مثبت،
بينما المبدل منه منفي¹.

وكل ما تقدم يرد في العطف، ويرد مع (إلا)، ولا يرد في البديل.

¹ وكان الكسائي والفراء يجعلان ما جعله سيبويه بدلاً هنا، يجعلانه من قبيل العطف،
وقال ثعلب كيف يكون بدلاً والمستثنى منه منفي وما بعد (إلا) موجب.

12.5. واو المصاحبة

أما الواو فإنها تنصب الاسم مقصوداً بها المصاحبة (المعية).
والمصاحبة تفرض نفسها في نحو: سرت والجبل، فالجبل لم يسر، إنما
كان مصاحباً لي.

ويفرضها المتكلم في نحو: مر القائد والجيش، عندما ينصب (الجيش)
لأنه لو أراد أن (الجيش) مر أيضاً لرفعه.

قال أسامة بن حبيب الهذلي، فمسكين الدارمي، فالراعي، فجرير:

فما أنا والسيرَ في مُتلفٍ يُبرِّحُ بالذَّكَرِ الضابِط¹
فما لك والتلددَ حول نجدٍ وقد غصتَ تهامةَ بالرجال²
أزمان قومي والجماعةَ كالذي منع الرحالة أن تميل مميلًا³
إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاكَ عَضْبَ مهند⁴
وقليلاً في هذا وأمثاله ما اعتبرت العرب المشاركة فعطفت بالواو، قال
المخبل فجميل:

يا زبرقان أبا بني خلف ما أنت - ويب أيبك - والفخرُ
وأنت امرؤ من أهل نجد، وأهلنا تهام، فما النجديُّ والمتغورُ
ما يدخل فيما تنصبه هذه الواو

- يدخل فيه قولك: (اترك المزاح والكذب)؛ فـ (الكذب) تنصبه واو
المصاحبة. لأنك لا تطلب ترك المزاح لذاته، بل تطلب تركه حين يكون

¹ التبريح: المشقة. الذكر الضابط: الجمل القوي.

² التلدد: التلبث والتحير، يحض على الهجرة إلى تهامة.

³ يحكى عن تمسكهم بالجماعة لئلا تنفلت الأمور وتخرج من أيديهم إلى الفتنة.

⁴ الهيجاء: الهياج؛ الحرب. انشقت العصا: كناية عن الفرقة. العضب: السيف القاطع.

معه كذب. ومثل هذا: طب نفساً بالفقر والعز، وتابع القراءة والانتباه، ودع العمل والتعب.

- ويدخل فيه قولهم: (أ حشفاً وسوء كيلة)، ف (سوء) تنصبه هذه الواو، لأنه قد يرضى بالحشف مع حسن الكيلة، ولا يرضى بهما معاً. وكذلك قول جرير:

أعبداً حل في شعبي غريباً! أ لؤماً - لا أبالك - واغتراباً؟¹
أراد: أ تجمع لؤماً واغتراباً؟. ومثله نحو: أ كسلاً وتفاخراً به؟، كلاهما وتمراً.

- ويدخل فيه المحذّر منه إذا كان مخالفاً للمحذّر عليه، يحذره من جمعهما أو اجتماعهما عليه، نحو: ماز! رأسك والسيف. الواو نصبت (السيف)، لأنه يقول: يا مازن! انتبه لرأسك والسيف، يأمره أن ينتبه لرأسه مع هويّ السيف عليه.

ومثله قولهم: شأنك والحجّ، وأهلك والليل، وكل شيء ولا شتيمة حُرّ.
ومثله الأثر وقول الأعشى:
إياكم وخضراء الدمن،

فإياك والميتات لا تقرّبنا ولا تعبد الشيطان والله فاعبداً²
وقد قال سيبويه في: {(رأسك والحائط): الرأس مفعول به، والحائط مفعول معه}.

وقال الإسترلابي: {ولا يمنع أن يدعى أن الواو في المحذّر منه بمعنى مع}.

¹ أ عبداً....: الهمزة للنداء. شعبي: اسم موضع.

² (فاعبدا): أمر مؤكّد بنون التوكيد الخفيفة قلبت ألفاً للوقف، والأصل: فاعبدن.

وأقول: (يجب أن يُدعى ذلك).

- ويدخل فيه نحو: «تبوعوا الدار والإيمان»، وزججن الحواجب والعيون¹، متقلداً سيفاً ورمحاً²، وإن زيداً وعمراً مسافر. في هذا ونحوه فإن النصب بالواو على المصاحبة لا بالتبعية، لأن معنى المصاحبة واضح، ولا يتعذر في ذلك كله. بينما العطف يحتاج إلى تقدير أو تأويل. والأصل أن لا يصار إلى ذلك في السعة.

- ويدخل فيه نحو: (لا رجل ولا امرأة)، ونحو: لا رجل وامرأة.

- ويدخل فيه قولهم: (جنّت وأخاك)، حين لم يذكرُوا ضميراً للمحكي عنه. أما إذا قالوا: جنّت أنا وأخوك، فإنهم يرفعون. ومنه قولك: نمت والكتاب، وأقمت والمقعد، ولهوت والهَمّ، وصلّيت والبابال، وعدت والخيبة، وجاء التجار وبضائعهم، وهجم المقاتلون وحرابهم، ولا تنه عن القبيح وإتيانه.

- ويدخل فيه أيضاً قولهم: (مررت بك وأباك)، حين لم يعيدوا الجار للعطف على الضمير المجرور. أما إذا قالوا: مررت بك وبأبيك، فهنا الخفض لا غير.

12.5.1. هذا الحرف والعمل

هذه الواو تنصب ما يليها اسماً؛ إذا أدت هذه الواو معنى مصاحبة ما بعدها لما قبلها، سواء أ فرض المصاحبة الواقع أم فرضها المتكلم.

¹ وزججن...، عجز بيت صدره: إذا ما الغانيات برزن يوماً وزججن.... زججن: رققن وأصلحن.

² متقلداً...، عجز بيت أظن صدره: جاء شقيق مصباحاً غاضباً متقلداً....

فإذا كان ما بعدها مضارعاً؛ فإنها تنصب المضارع، نحو: لا تعط وتمنّ،
وتعجبني مطالعتك وتعمل، ولا تأكل السمك وتشرب اللبن. وقد ذُكر أمرها
هذا في نواصب المضارع.

وإذا كان ما بعدها جملة؛ فلا يظهر عملها، نحو: جئت والشمس تطلعُ،
ومر أخوك وهو يبتسمُ، ووقف الجنود وقد حضر القائد. لأن العوامل لا
يظهر عملها على الجمل، بل يظهر على المفردات.

وإذا كان ما بعدها اسماً؛ لكنه مقترن مع محكي عنه في نحو: أنت
وشأنك، والغائب وحجته، والمراهقة ومشاكلها، والشيخوخة وطول الأمل؛
لم تعمل، لأنها جاءت غنى عن السيرة. ولم يذكر أحد من النحاة أنها
تنصب إلا الصميري.

آراء النحاة: في ناصب الاسم بعد واو المصاحبة

1- البصريون: الناصب له ما سبق من فعل وشبهه بتوسط الواو التي
بمعنى (مع). وهو عند الفارسي وجماعة كثيرين وسيبويه كالمفعول به
في المعنى، فمعنى (سرت والوادي) سرت الوادي.

2- أكثر الكوفيين: الناصب له المخالفة؛ مخالفة ما بعد الواو لما قبلها.
والمخالفة عندهم تنصب الظرف إذا وقع صفة أو صلة أو خبراً أو حالاً،
وتنصب المضارع في جواب الطلب.

3- الزجاج: هو منصوب بإضمار فعل بعد الواو، كأنك قلت: جاء البرد
ولابس الطيالة.

4- الأخفش وجماعة من الكوفيين: إنه انتصب على الظرفية، والواو
مهيئة للظرفية، ونظروه بمسألة (إلا) إذا كانت بمعنى (غير)، إذ يأخذ ما
بعد (إلا) نفس إعراب (غير).

5- الجرجاني: هو منصوب بنفس الواو.

- 6- محمد الإنطاكي: يعتبرُ الاسم المنصوب بقية جملته الحالية.
- 7- السيرافي وابن خروف: إذا قلت: مالك وزيداً؛ (زيداً) منصوب — (لابس)، والواو دالة عليها.

أقول:

إنَّ الناصب لما بعد الواو إنما هو الواو الحاملة معنى المصاحبة، وليس الناصب ما يتقدم الواو من فعل وشبهه بتوسطها. لأن معنى الواو هو المنصب على الاسم، ولا دخل للفعل في ذلك، فالاسم مصاحباً لما قبلها، وهي التي نصت وتتص على المصاحبة لا الفعل ولا غيره.

أما منعهم لأي حرف أن يعمل في الاسم غير الخفض؛ فهذه قاعدة هم يقولون بها؛ يفرضونها مع أن الواقع يخالفها، فـ (إلا، ويا) و(إنَّ)، وأخواتها - دعنا من تعليقاتهم الخاطئة - تعمل غير الخفض.

وأما استدلالهم على رفض أن العمل لها لعدم دخولها على ضمير المعمول، فهذا ليس بحتم، إذ ليس على كل عامل أن يعمل في ضمير معموله. وهم يذكرون كثيراً من حروف الخفض يختص بالظاهر؛ أي لا تدخل على الضمير، وهي: (منذ، مذ، حتى، الكاف، التاء، رب).

فأنا أرفض رأي البصريين: أن العامل ما يتقدم الواو من فعل وشبهه، ذلك أن هذه الواو تنصب وما ثم من فعل ولا شبهه؛ في نحو: ما أنت وزيداً؟. أما قولهم في هذا ونحوه: إن العامل محذوف تقديره: ما تكون أنت وزيداً؟. فهذا كلام منهم في جملة غير جملتنا، ثم هو ترقيع لتلهل قاعدتهم.

وأرفض رأي الكوفيين لأنهم ينصبونه على الخلاف، ويهملون الواو مع أن الواو هي التي أعطت الخلاف، فهي التي جعلت ما بعدها مخالفاً لما قبلها لا أنه مشارك له.

وأرفض رأي الزجاج لأنه يُعْمَلُ الغائب ويهمل الحاضر.
وأما رأي الأخفش والإنطاكي فكلاهما قد أحسن تعليل النصب، ولكنه أهمل أمر الواو فلم يقرر أنها هي التي تنصب.
والصواب إنما هو رأي الجرجاني.

النحو الحق
النحو على قواعد جديدة
13- النصب بنزع الخافض

محمد علي رستاوي

13.1. مقدمة

إن نزع الخافض وانتصاب ما بعده وارد كثيراً في النثر والشعر، كما في الآيات التالية:

- «وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون»؛ أي: كالوا لهم أو وزنوا لهم، لأن الكثير: كال له، لا كاله، ووزن له، لا وزنه.
- «ألا إن ثمود كفروا ربّهم»؛ أي: كفروا بربهم. نزعت الباء فانتصبت كلمة (ربّهم).

- «إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه»؛ أي: يخوف بأوليائه.
- «وأن تسترضعوا أولادكم»؛ أي: لأولادكم.
- «ولنجزيهم أحسنَ الذي كانوا يعملون»؛ أي: بأحسن عملهم.
- «واختار موسى قومه»؛ أي: من قومه.
- «أتوني زبر الحديد»؛ أي: بزبر الحديد.
- «واقعدوا لهم كلَّ مرصد»؛ أي: في كل مرصد.
- «لأفعدن لهم صراطك المستقيم»؛ أي: في صراطك المستقيم.
- «ولكن لا تواعدوهن سرّاً»؛ أي: على سر.
- «ولا تعزموا عقدة النكاح»؛ أي: على عقدة النكاح.
- «أأسجد لما خلقت طيناً»؛ أي: من طين.
- «ذكر رحمة ربك عبده زكريا»؛ أي: لعبده.
- «وعدل ذلك طعاماً»؛ أي: من طعام.

وكما في الأبيات التالية، وهي على الترتيب: (لساعدة بن جؤية الهذلي، فأبي زبيد الطائي، فحسان، فعمرو بن الأسود، فعمر بن أبي ربيعة، فالمتلمس، فجرير، فعامر بن الطفيل، فالأخطل، فالفرزدق، فامرئ القيس، فذي الرمة، فالشنفرى):

لدن بهز الكف يعسل متته فيه كما عسل الطريقَ الثعلب¹
 إن امرأً خصني عمداً مودته على التتائي لعندي غير مكفور²
 لا أسرق الشعراءَ ما نطقوا به بل لا يوافق شعرهم شعري³
 والخيل تَضْبِرُ الخبارَ عوابساً وعلى مناسمها سبائب من دم⁴
 غضبت أن نظرت نحو نساء ليس يعرفني مررن الطريقاً⁵
 آليت حبَّ العراق الدهر آكله والحب تأكله في القرية السوس⁶
 تمرّون الديارَ ولم تعوجوا كلامكم علىّ - إذن - حرام⁷
 ولأبغينكم قناً وعوارضاً ولأبغين الخيل لابة ضرغد⁸
 فحلمتها وبنو رفيده دونها لا يبعدن خيالها المحلوم⁹
 ونُبئت عبدَ الله بالجو أصبحت كراماً مواليتها لئاماً صميمها¹⁰
 فقلت: يمينَ الله، ما أنا بارح ولو قطعوا رأسي لديكِ وأوصالي¹¹

¹ لدن: لين. عسل: اهتر واضطرب. عسل الطريق: عسل في الطريق ماشياً مهتزازاً فيه.

² خصني مودته: خصني بمودته.

³ لا أسرق الشعراء: لا أسرق من الشعراء.

⁴ تَضْبِرُ: تقفز. الخبار: الوحل. المنسم: طرف الحافر. تضبير الخبار: تضبير بالخبار. سبائب: ثياب رفاق.

⁵ مررن الطريق: مررن في الطريق.

⁶ آليت حب العراق: حلفت عليه. يخاطب عمرو بن هند الملك... وأراد بالقرية الشام لكثرة حبها.

⁷ تمرّون الديار: تمرّون بها. عاج: مال.

⁸ قنا وعوارض وضرغد: جبال. اللابة: الحرة، الأرض التي لا سبخة فيها.

⁹ حلمتها: حلمت بها.

¹⁰ الجو: موضع. الصميم: خالص النسب. نبئت عبد الله: نبئت عن عبد الله.

¹¹ يمين الله: ويمين الله؛ يحلف بيمين الله على ذلك.

ألا رب من قلبي له-الله- ناصح ومن قلبه لي في الظباء السوانح¹
تحل بمنجاة من اللؤم بيتهَا إذا ما بيوت بالمذمة حلت
ونقرأ في سورة واحدة {المرسلات}: «إن الأبرار يشربون من كأسٍ كان
مزاجها كافورا»، «ويشربون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا».
ونقرأ في سورة {الواقعة}: «فسبح باسم ربك العظيم»، ثم نقرأ في سورة
{الأعلى}: «سبح اسم ربك الأعلى».
ونقرأ في سورة {المائدة}: «ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم...»، وقد قرأنا
في سورة {الفاتحة}: «اهدنا الصراط المستقيم...».

¹ الله: والله؛ يحلف بالله على ذلك.

13.2. سبب النصب عند نزع الخافض؟!!

إنما كان النصب - عند نزع الخافض - ولم يكن غيره.
لأن الرفع أصل فلا يُرجع إليه. إذ لا دلالة بالرفع على العامل المحذوف، لا سيما والرفع مختص بالمحكي عنه والسيرة.
بقي الخفض والنصب، ولكن الخفض قد اقتضى حذف التنوين من متعلق الخافض المحذوف اسماً، نحو: هذا كتابٌ زِيدٍ، بدلاً: من هذا كتابٌ لزيد، أو قد اقتضى حذف نون تشبه التنوين، نحو: هذان كتابا نحو، وهؤلاء معلمو المدرسة، بدلاً من: هذان كتابان للنحو وهؤلاء معلمون للمدرسة.
لذلك اقتضى هنا حذف الخافض النصب لثلاث تشبه الصورتان. لأن كثيراً من الأسماء تأتي على وزن الأفعال. ولأن كثيراً من الأسماء لا ينون، نحو: هذه مداخلُ المدينة، وهذه مداخلُ للمدينة.

ثم لأن النصب والخفض أخوان، لاحظ عطف كل منهما على الآخر.
1- من عطف المنصوب على المخفوض قوله تعالى: ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب، وحفظاً﴾، ﴿جاعل الليل سكناً والشمس والقمر حُسباناً﴾، ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً﴾، ﴿فامسحوا برؤوسكم وأرجلكم﴾.

2- من عطف المخفوض على المنصوب قول زهير فالأحوص فالعجاج:

بدالي أني لست مدرك ماضى ولا سابق شيئاً إذا كان آتيا
مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا ببين غرابها
كشحاً طوى عن بلد مختارا من يأسه اليأس أو حذارا

13.3. حذف الخافض القياسي

إن حذف حروف الخفض وانتصاب ما بعدها - عند النحاة - نوعان: (سماعي، وقياسي).

إن نزع الخافض في الأمثلة المتقدمة كثير ولكنه غير مطرد، وهو ما يسمونه بنزع الخافض السماعي.

ولكن هنالك حالات معينة، ضمن شروط محددة، ومن أحرف الخفض الشهيرة الكثيرة الاستعمال؛ فيها يكون نزع الخافض مساوياً لعدم نزعه، أو نزعه أكثر من عدم نزعه، طبعاً وفي حالات يكون نزعه أقل من عدم نزعه.

وهذا ما يسمونه بنزع الخافض القياسي، ويطلقون عليه اسم المفاعيل؛ المفاعيل المتعلقة بحروف الجر، وهي: 1- المفعول فيه، 2- والمفعول له، 3- والمفعول به¹. وكذلك ما يطلقون عليه اسم (التمييز، والحال، واسم كان وأخواتها).

وهي مواضع بحوثنا التالية:

وأحرف الخفض الشهيرة الكثيرة الدوران التي تُنزع فينتصب الاسم حينئذ، هي: (في، من، اللام، الباء، الكاف).

13.3.1. موضع نزع (في)

¹ ملاحظة: إن هنالك ملاحظة جديرة بالاهتمام، هي:

أ- أن جميع ما يسمونه بالمفاعيل له وجوه جائزة أو واجبة من الخفض، وتعليل ذلك سيأتي في بحوث نزع الخافض، إلا المفعول معه.
ب- وأن جميع مفاعيلهم تأتي بعد (إلا)؛ إلا المفعول معه. فلماذا؟ لأن الواو هي الناصبة هنا.

إنما تنزع (في):

- إذا كان ما بعدها اسم زمان وقع الحدث فيه، تقول: صمت يوم الخميس؛ أي في يوم الخميس، وتقول: أقيمت أسبوعاً؛ أي في أسبوع، وتقول: السفر غداً؛ أي في غد. قال تعالى: «وسبحوه بكرة وأصيلاً»، «يسبحون الليل والنهار»، «تؤتي أكلها كل حين»، «وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات».

- إذا كان ما بعدها اسم مكان جاء من مادة الحدث. طبعاً ووقع الحدث فيه، تقول: جلست مجلس زيد؛ أي في مجلسه. قال تعالى: «إنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع».

أ- تظهر (في) جوازاً

إن (في) ضمن هذه الشروط تنزع جوازاً لا وجوباً، ولذا نراها في الآيات: «واذكروا الله في أيام معدودات»، «يفتنون في كل عام»، «إنا أنزلناه في ليلة القدر»، «وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم». وإنما حذفوا (في) من اسم الزمان المذكور، لأنه لا حدث بلا زمان، فلما كثر ذلك استغنوا عن (في) لملازمتها له.

ولأنه لا حدث بلا مكان، ولكنه لم يكثر في كلامهم كثرة الحدث في الزمان، فلم يحذفوا (في) معه إلا إذا جاء من مادة الحدث فيتضح أمرها فيستغنى عنها، أو كان كلمة (مكان)، نحو: جلست مكان هذا، أو كان مقداراً بعد حدث السير، نحو: سرت ميلين.

فهذه الأشياء كثيرة في كلامهم مما جعلهم معها يستغنون عن (في). وهم كثيراً ما يستغنون عما يكثر في كلامهم متى وضح معناه في بقية الكلام.

ب- تظهر (في) وجوباً

إن (في) يجب ظهورها:

- مع الظروف إذا كان الفعل مما ينقضي شيئاً فشيئاً، نحو: بنيت البيت في سنتين، ونقحت الكتاب في أسبوعين.

- مع الظروف حين تقع أخباراً عن الذوات، نحو: نحن في رمضان. والورد في أيار¹.

- مع أسماء المكان المحصورة، نحو: (بيت، ملعب، بلد، الحجاز، البحر). تقول: نمت في كهف واسترحت في كوخ، قال تعالى: ﴿ما سلككم في سقر﴾².

- مع أسماء المكان الذي تعلق بفعل لم يشتق منه، قال تعالى: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾³.

- مع الظروف المتعلقة بمشتق من الفعل لا بالفعل، نحو: أنت ساهر في الليل، نائم في النهار. ولكم تأمر في الخلوة، وتزلف في الحضرة⁴.

ت- من المنصوب بنزع (في)

يدخل في ما ينصب بنزع الخافض (في):

1- ما ينوب عن الظروف من غير الظروف لوقوعه مضافاً للظروف، نحو: مشيت كلَّ النهار، وعدت منتصفَ الليل، وانتظرتك ثلاثَ ساعات.

¹ أما قولهم: الرُّطب شهري ربيع، والليلة الهلال؛ فنادر.

² أما قولهم: دخلت المسجد، ونزلت الشام، وسكنت الدار؛ فعلى التوسع باستعمال الأفعال (دخل، سكن، نزل).

³ أما ما جاء عنهم: أنت مني مدخل النفس؛ أي في مدخله، وهو منك مزجر الكلب، وذلك منا مناط الثريا،... قال أبو ذؤيب:

فوردين والعبوقُ مقعدَ رابئِ الـ ضرباء خلف النجم لا يتتلع

فإنهم أسقطوا منه (في) لكثرة الاستعمال.

⁴ أما إذا قلت: (مكر الليل)؛ فهذا على تقدير لام الإضافة.

2- ما يغني عن الظروف الكثيرة الاستعمال: (حين، مدة، مكان)؛ من أسماء الأحداث، لوقوعه هو المضاف إليه لهذه الظروف، نحو: عدت طلوعَ الشمس، وانتظرتك حلبَ ناقه، وجلست قربَ النافذة.

3- ما ينصب بعد استفهام لائم، كقول العجاج فجرير:
أطرباً وأنت قنّسري؟! والدهر بالإنسان دواري
أعبداً، حل في شعبي غريباً ألوماً - لا أ بالك - واغترابا؟!
يقول العجاج: أ في طرب أنت، وأنت شيخ؟، يلومه على الطرب في هذه السن. ويقال في مثل ذلك: أ فراراً يوم الزحف؟! . وهذا الأسلوب في اللوم أو التوبيخ كثير.

4- ما يذكره النحاة على أنه مفعول مطلق حذف عامله وجوباً، ويمثلون له بنحو: زيد سيراً سيراً، وما زيد إلا سيراً، وإنما زيد سيراً،... الذي فيه قال ابن مالك في ألفيته:

{كذا مكرراً وذو حصر ورد نائب فعل لاسم عين استند}
يقول ابن مالك: يحذف عامل المفعول المطلق إذا ناب المصدر عن فعل استند لاسم عين؛ أي: أخبر به عنه، وكان المصدر مكرراً أو محصوراً. يعنون بذلك: ما جاء من اسم حدث مكرراً أو محصوراً، وكان في موقع الخبر عن اسم الذات.

وإنما **قلت**: إن هذا من المنصوب بنزع (في)؛ لأن العرب إذا جاءت بالسيرة اسم حدث عن اسم ذات خفضته بـ (في)، قال تعالى: ﴿بل الذين كفروا في تكذيب﴾، ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾، ﴿وإن تولوا فإنما هم في شقاق﴾، ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل﴾، ﴿إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾.

ولك في هذا أن تعتبر اسم الحدث هو اسم الذات مجازاً للمبالغة فترفعه
سيرة له، قالت الخنساء:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبالٌ وإدبار
ولولا ما ذكرتُ لقلت: فإنما هي في إقبالٍ وإدبار.

5- ما جاء من المصادر نكرة من نحو: الإعراب لغة البيان واصطلاحاً
تغير الآخر لعامل، ونحو: يجوز كذا خلافاً لفلان؛ فإنهم في هذه الحالة
يستغنون عن (في) أبداً في التنكير ولا يستغنون عنها أبداً في التعريف،
فيقولون: الإعراب في اللغة كذا....

إن هذا منهم في الاستغناء عن الخافض مماثل لقولهم: عجبت أن قام
زيد، وقولهم: عجبت من قيام زيد.

6- هنالك ألفاظٌ مسموعة جرت مجرى المثل، كانت مخفوضة بالحرف
(في) فنزعوها منها توسعاً عند الاستعمال، لأنها تسلك طريقاً واحدة في
الكلام، هو قولهم: أحقاً أنك كذا، وظناً منك أن الأمر كذا، وغير شكٍ أنه
كذا، وجهدُ رأيي أن...، وهكذا. قال الممزق العبدى، فالمتقرب العبدى،
فابن أبي ربيعة:

أحقاً- أبيت اللعن- أن ابن فرتتى على غير إجرامى بريقي مشرقى¹
أجدك ما يدريك أن رباً ليلة إذا الشمس في الأيام طال ركودها²
أالحق أن دار الرباب تباعدت أو انبت حبل أن قلبك طائر³
وقد نطقوا بـ (في)، قال أبو زيد الطائي، فكثير، فأخر:

أفي حق مواساتي أخاكم بمالي، ثم يظلمني سريس¹

¹ ابن فرتتى: يراد به اللئيم. بريقي مشرقى: من شرق بريقه أو بالماء إذا غص.

² الركود: السكون، أراد وقت شدة الحر.

³ انبت حبل المودة: انقطع.

أ في الحقّ هذا أن قلبك ظالم صحيح، وقلبي في هواك سقيم²
أ في الحقّ أني مغرم بك هائم وأنك لا خلّ هواك ولا خمر²

أمر (في) وغيرها، أقول:

إن جميع ما ذكرتُ من جواز ووجوب ظهور (في) معروف في كتب النحو كلها، وشواهد ذلك كثيرة جداً.

وهنا أورد ما قال ابن يعيش في شرح المفصل في بحث المفعول فيه، قال: {اعلم أن الظرف في عرف أهل هذه الصنعة ليس كل اسم من أسماء الزمان والمكان على الإطلاق، بل الظرف منها ما كان منتصباً على تقدير: (في)، واعتباره بجواز ظهورها معه، فنقول: قمت اليوم، وقمت في اليوم. فـ (في) مرادة وإن لم تذكرها}.

ولجميع النحاة أقوال مثل هذا أو قريباً منه.

وإنما قصدت مما ذكرت من جواز ظهور (في) ووجوبه، وما سأذكره من ظهور حروف الخفض وعدم ظهورها فيما يلي؛ قصدت أن أبين أن ما يسمونه {المفعول فيه، المفعول له، والمفعول به، والحال، والتمييز، وخبر (كان وأخواتها)، وخبر (ليس) و(ما) ونحوهما} إنما هي جميعاً منصوبات بنزع الخافض، وما هن بمعمولات للفعل بدلالة جواز ظهور الخافض معهن في بعض الصور، ثم كثرة ظهوره أو وجوب ظهوره في صور أخرى.

آراء النحاة: في ناصب الظرف (أمامك)

إذا قلت: (زيد أمامك)؛ فناصب (أمامك) عند:

¹ السريسي: الضعيف الذي ليس له من ناصر.

² هائم: لا يدري أين يتجه.

- 1- البصريين: فعلٍ محذوف، ففي (زيد أمامك)، (أمامك) يقدرُون قبله: (استقر)، وبعضهم يقدر: (مستقر).
- 2- الكوفيين: ينصب على الخلاف.
- 3- ثعلب: ينصب، لأن الأصل عنده: (زيد حلَّ أمامك).
ومن الواضح أنه منصوب بنزع الخافض (من). لاحظ أنه كما يقال: (زيد أمامك)؛ يقال: (زيد من أمامك).
والشواهد على ذلك كثيرة.

13.3.2. موضع نزع (من)

تُزَع (من) من نوعين من المخفوضات التي تختص بخفضها.

أ- أسماء الجهات وشبهها

أسماء الجهات وشبهها هي: (فوق، تحت، عل، دون، قدام، أمام، وراء، خلف، يمين، شمال، عند، حيث، هنا، الآن، قبل، بعد، لدن، ثم، جانب).
فنرى من شواهد نزعها الآيات: «أرسلنا قبلك»، «ظلمات بعضها فوق بعض»، «وكان وراءهم ملك»، «فمن تولى بعد ذلك»، «وواعدناه جانبَ الطور»، «قد جعل ربك تحتك سرياً»، «لكي لا يعلم بعد علم شيئاً»، «فمن بدله بعد ما سمعه»، «كلاً منها رغداً حيث شئتما». (حيثُ) مبنية على الضم.

ونرى من شواهد ذكرها الآيات: «أرسلنا من قبلك»، «غرف من فوقها غرف»، «فيكونوا من ورائكم»، «توليتم من بعد ذلك»، «أنس من جانبِ الطور»، «تجري من تحتها الأنهار»، «كنا من قبل ندعوه». (قبلُ) هنا مبنية على الضم، «فناداها من تحتها»، «لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً»، «لنبدلنهم من بعد خوفهم أمناً»، «كلاً من حيث شئتما».

وقد نزع لبيد (من) مع كلمة (دون) وذكرها معها في بيت واحد، فقال:

فإن لم تجد من دونِ عدنانِ والداً ودونَ معد؛ فلتزك العوازل¹
فالعرب تقول لي دونك مُعين، ولي من دونك معين. وهكذا مع بقية
أسماء الجهات وشبهها.

ب- أسماء الذوات المتعلقة بأسماء عامة

الأسماء العامة هي: (الأعداد، والقياسات، وأشباههن، وما أبهم فاحتاج
إلى تفسير).

هذه الأسماء يستدعي البيان أن يذكر بعدها اسم ذات يكون هو أحد
محتملاتها. وحقه أن يخفض بـ (من) البيانية.

فنرى من شواهد نزعها: «رأيت أحد عشر كوكباً»، «له تسع وتسعون
نعجة»، كم صفحة كتابك؟، «وفجرنا الأرض عيوناً»، وكفى بالشيب
واعظاً، وأكرم بحمزة بطلاً!، و«له ملء الأرض ذهباً».

(أريد بالأمثلة المتقدمة جميع ما يذكره النحاة أمثلة للتمييز).

وقد نزع الحطيئة (من) وذكرها في البيت التالي، فقال:

لحاك الله ثم لحاك حقاً أباً، ولحاك من عمٍ وخال
فالعرب تقول: لحاك الله أباً، وتقول: لحاك الله من أب. وهكذا مع بقية
الأسماء العامة.

ت- ظهور (من)

أما ظهور (من) مع أمثلة هذا النوع؛ فغير مسموع مع بعض ولكنه
مدلول عليه، ومسموع بكثرة مع بعض، ومسموع بغالبية مع بعض، ولم
يسمع غيره مع بعض.

¹ وَزَعَهُ: كفه ومنعه وحبسه. العوازل: اللائمات.

1- فلم يسمع مع الأعداد من (11) إلى (99)، لأنهم اكتفوا عن ذلك بقولهم مثلاً: لي عشرون من الكتب. ويستدل على (من) مع بقية الأعداد بنحو: «فخذ أربعة من الطير».

يلاحظ أنهم مع التكرير يستغنون عن (من)، فيقولون: عندي عشرون كتاباً، ومع التعريف لم يستغنوا عنها.

ويلاحظ أنهم مع التعريف جمعوا العدد وخفضوه بـ (من) ومع التكرير أفردوه ونصبوه - كما قال سيبويه -: {حذفوا الألف واللام وصيروه إلى الواحد وحذفوا (من) استخفافاً، كما قالوا: هذا أول فارس، وإنما يريدون: هذا أول من الفرسان}.

أما مع (كم)؛ استفهم بها أو أريد بها الأخبار، فمسموع ظهور (من)، قال تعالى: «سل بني إسرائيل: كم آتيناهم من آية». وقال الفضل¹ بن العباس المطلبي يرثي زيد بن علي (ع)، فعمر بن أبي ربيعة:

فكم من والدٍ لأبي حسين من الشهداء أو عمّ قَتيل!

فكم من قَتيلٍ لا يبياء به دم ومن غلق رهناً إذا لفه مني²

هذا؛ ثم إن العرب تتصرف في المراد من (كم) في حالها تصرفاً يختلف عن تصرفهم في المراد من العدد.

2- وسمع بكثرة مع المقادير وأشباهها، وبعد ما فسر إجماله، تقول: عندي لترٌ من حليب أو لترٌ حليب، كما تقول: عندي لترٌ حليباً، وتقول: لي هكتارٌ من أرض، وبرميل من نפט، وأقمت جداراً من إسمنت، وكفى بالشيب من واعظ، وأكرم بعليٍّ من منازل!، قال تعالى: «يحلون فيها من

¹ كان الفضل سيد بني هاشم يومئذ.

² يبياء به: يقتل به، يقتل بدلا منه. غلق الرهن: امتنع فكاكه. مني: منسك من مناسك الحج.

أساور من ذهب»، وقال الحطيئة، فبكر بن الأسود¹، فقيس بن الملوح مرتين. فامرؤ القيس، فعمر بن أبي ربيعة:

طافت أمامة بالركبان آونة يا حسنها من قوام ما ومنقبا²
تخيره ولم يقبل سواه فنعم المرء من رجلٍ تهام³!
فقلت تعست ويحك من غراب وكان الدهر سعيك في تباب⁴
إذا عبتها شبهتها البدر طالعاً وحسبك من عيب بها شبه البدر
فيالك من ليلٍ كأن نجومه بكل مغار الفتلٍ شدت بيذبل⁵
قتلت باطلاً على غير ذنب إن لله درها من قتيل⁶
3- ولم يسمع غير ظهورها مع (كأي، وكائن). وهما بمعنى (كم)
الخبرية، قال تعالى: ﴿وكأي من دابة لا تحمل رزقها﴾، ﴿وكأي من قرية
أهلكناها﴾، وقال المرار بن المنقذ فعمر بن الأهم:

وكائن من فتىٍ سوءٍ تراه يعلك هجمة حمراً وجونا⁷
وكائن من مصيف لا تراني أعرس فيه تسفني الحرور⁸
وكذلك الموصولات التي لم تعرف صلاتها؛ فلم يسمع فيها غير ظهور
(من)، كقوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمةٍ فمن الله﴾؛ أي والذي بكم....

¹ بكر بن الأسود هو المعروف بابن شعوب، و(شعوب) أمه.

² المنقب: هو ما غطي مكان النقاب من الوجه.

³ تهام: تهامي، منسوب إلى (تهامة).

⁴ تباب: هلاك. تعس: أصابته التعاسه: الشر، وهذا دعاء.

⁵ مغار: محكم، شديد. يذبل: اسم جبل.

⁶ قتيل: مقتولة، فعيل بمعنى مفعول، يستوي فيه المذكر والمؤنث.

⁷ التعليك: حسن القيام على الشيء. الهجمة: مائة من الإبل. الجون: السود.

⁸ عنى أنه يواصل السير في الحر فلا يستريح في آخر الليل.

وهنا أورد ما قاله سيوييه في (باب ما ينصب نصب (كم) إذا كانت منونة في الخبر والاستفهام) - مما يدل على نزع (من) - قال: {وذلك ما كان من المقادير، نحو قولك: ما في السماء موضع كف سحاباً، ولي مثله عبداً، وما في الناس مثله فارساً، وعليها مثله زبداً. وذلك أنك أردت أن تقول: لي مثله من العبيد، ولي ملؤه من العسل، وما في السماء موضع كف من السحاب فحذف ذلك تخفيفاً}، يعني أن حذف (من) كان تخفيفاً.

وقال في الباب الذي يليه: (باب ما ينصب نصب الاسم بعد المقادير): {وذلك قولك: ويحه رجلاً، والله دره فارساً، وحسبك به رجلاً، وما أشبه ذلك، وإن شئت قلت: ويحه من رجل، وحسبك به من رجل، والله دره من رجل؛ فتدخل (من) كدخلها في (كم) توكيداً}.

يتبين مما قدمت في هذا الباب أن كل ما يسمونه بالتمييز أنه منصوب بنزع الخافض (من).

وبذلك نتخلص من دعوى أن عامله في بعض الاسم وفي بعض الجملة، وقد رأينا أن الاسم لا يعمل، وأن الجملة لا تعمل، لأنه ليس لأحد منها انصباب معنى في الذي يسمونه منصوباً بالعامل المدعى.

13.3.3. موضع نزع حرف التعليل

إنما يحذف هذا الخافض إذا كان ما بعده اسم حدث قلبي وقع وقت وقوع الحدث الذي في جملته وكان هو لنفس صاحب الحدث. تقول: جئت طلباً للعلم؛ أي: لطلبه، وأسرعُ خوفَ أن يفوتك القطار؛ أي: من خوف ذلك.

قال تعالى: ﴿إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي﴾، ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشيةً إملاق﴾، ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾، ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت﴾.

وقال حاتم الطائي، فالنابغة، فالحارث بن هشام فالعجاج:
وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأصفح عن شتم اللئيم تكريماً
وحلت بيوتي في يفاع ممنع يخال بها راعي الحمولة طائراً¹
حذاراً على أن لا تصاب مقادتي ولا نسوتي حتى يمتن حرائراً²
فصفحت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم أسود
يركب كل عاقر جمهور مخافةً وزعل المحبور³
وإنما صح نزع الخافض؛ لأن ما ثمَّ عاقل يقوم بعمل إلا لعله جذباً أو
دفعاً، يفعل لرجاء كذا أو من خوف كذا. إن مجيئه مع كل فعل اقتضى -
حين وضوح المعنى وأمن اللبس- التخفف منه.

قال سيبويه مُدلاً على حذف هذا الخافض، بعد أمثلة: {فعلت ذلك حذاراً
الشر، وفعلت ذلك مخافةً فلان)، وبعد شواهد بأبيات (حاتم والنابغة
والحارث والعجاج)، قال: {فهذا كله ينصب كأنه قيل: لم فعلت كذا وكذا،
فقال: لكذا وكذا، ولكنه لما طرح اللام عمل فيه ما قبله}.

وأقول لما طرح اللام انتصب بطرح اللام.

أ- ظهور حرف التعليل جوازاً

إن جميع المعجلات - مجردات من (ال) والإضافة، أو مقرونات بـ
(ال)، أو مضافات - يجوز خفضها بأحد أحرف التعليل، التي هي:
(اللام، ومن، والباء). غير أن:

1- خفضها مقرونات بـ (ال) غالب بل واجب، لأنه ليس لدى النحاة
على حذف حرف التعليل معها إلا شاهد مجهول القائل، هو:

¹ اليفاع: ما ارتفع من الأرض. (طائراً): أراد به هنا بعيداً.

² المقادة: الطاعة والانقياد.

³ يصف ثوراً وحشياً يركب كل صعب لنشاطه. الزعل: النشاط. المحبور: المسرور.

لا أقعد الجبنَ عن الهيجاء ولو توالى زمر الأعداء¹
أما ظهوره فشائع، قال تعالى: ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾،
﴿يتخبطه الشيطان من المس﴾، ﴿وتراهم يعرضون عليها خاشعين من
الذل﴾ وقال بشار:

ليس يعطيك للرجاء ولا للـ خوف، لكن يلذ طعم الثناء
2- وخفضها مضافات مستفيض، قال تعالى: ﴿وإن منها لما يشقق فيهبط
من خشية الله﴾، وقال الأعشى:

وهل يمنعني ارتياد البلا د من حذر الموت أن يأتين²

3- وخفضها مجردات كثير، قال العجاج:

من أمكم لرغبة فيكم ظفر ومن تكونوا ناصريه ينتصر

ب- ظهور حرف التعليل وجوباً

أما إذا كان التعليل يفقد شرطاً؛ فلا بد من حرف التعليل؛ أي فظهوره
واجب.

فما فقد اسم الحدث، كقوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض
جميعاً﴾، هنا خُفِضَ ضمير المخاطبين بلام التعليل، ومثله قول امرئ
القيس:

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
فالضمير ليس باسم حدث واسم التفضيل ليس باسم حدث؛ لهذا جيء
معهما باللام.

وما فقد وقوعه وقت وقوع الحدث لجملته، كقول امرئ القيس:

¹ الهيجاء: الحرب. لا أقعد الجبن: لا أقعد من الجبن، وهو الخوف.

² ارتياد البلاد: الذهاب إليها والتجول فيها.

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى النوم إلا لبسة المتفضل¹
فإن (النوم) وإن كان علة لخلع الثياب، ولكن زمن الخلع سابق لزمن
النوم.

وما فقد كونه لصاحب الحدث، كقول أبي كبير الهذلي:
وإني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بالله القطر
فإن الـ (ذكرى) علة للعرواء وزمنهما واحد، ولكن اختلف صاحباها.
وهكذا نجد حرف التعليل ونجد حذفه في قوله تعالى: «لتركبوها وزينة»،
وقوله: «زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً».

ونجد في الآتين: «وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون»، «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى
ورحمة وبشرى للمسلمين».

لاحظ وجود اللام مع (تبين) والتخفف منها مع (تبياناً)، ولاحظ أنه
يعطف على ما فيه حرف التعليل بدون حرف التعليل منصوباً. وعكس
ذلك وارد أيضاً.

ثم إن حرف التعليل لأبد منه مع الفعل المبني للمجهول، نحو: يُقام
لإجلال العلماء، ويُستاء من نفاق العظماء.

يتبين بما تقدم أن كل ما يسمى بـ (المفعول لأجله) منصوب بنزع اللام.
فمثلاً (حلماً ورهباً) في قول أبي أذينة اللخمي:

إن تعف عنهم تقول الناس كلهم لم يعف حلماً ولكن عفوه رهباً
منصوبان بنزع الخافض ولا حاجة لتسميتهما - طبعاً وأمثالهما -
مفعولاً لأجله.

¹ نضت: خلعت. لبسة المتفضل: تعنى ثوب النوم؛ أي هي متجردة إلا من آخر ثيابها.

ت- من المنصوب بنزع حرف التعليل

1- ما يطلب منه التثنية ليفعل أو لا يفعل، نحو: الصلاة الصلاة، المروءة والنجدة، الأسد الأسد، رأسك والسيف. لأن الأصل: انتبه لـ...، فكان الحذف اختصاراً عند سرعة النطق مدلولاً عليه بنبرة الصوت. فكل ما يسميه النحاة منصوباً على التحذير والإغراء، إنما هو منصوب بنزع حرف التعليل.

2- (منأً وفداء) في قوله تعالى: ﴿فشدوا الوثاق فإما منأً بعد وإما فداء﴾، لأن الأسر إما للمن وإما للفداء. ومنه قول الشاعر:
لأجتهدن: فإما درء مفسدة تُخشى، وإما بلوغ السؤل والأمل
لأنه يجتهد لدرء مفسدة أو بلوغ مسألة؛ أي فما هذا بمفعول مطلق حذف فعله كما يدعون.

3- (ابتغاء) في قوله تعالى: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾؛ أي فعل ذلك لطلب ثواب ربه؛ أي فما هذا بمنصوب على الاستثناء المنقطع كما يدعون.

13.3.4. موضع نزع لام الاختصاص

تنزع هذه اللام مع كل ما يبدو أن الفعل واقع على الاسم؛ أي في كل ما يسمونه: (المفعول به)، نحو: ضرب زيداً عمراً، وعمراً ضرب زيداً، ونحو: زيد ضارب عمراً، ضرب زيداً عمراً شديداً.

يلاحظ أن هذا المنصوب لا يكاد يضارعه واحد من المنصوبات في كثرة وروده. من هنا كان الاستغناء الكبير عن لامة. ولكنها ربما ظهرت: كما في قوله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾، في مقابل: ﴿وإذ بوأنا بني إسرائيل﴾. وقوله: ﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾، في مقابل: ﴿قد

سمع الله قول التي تجادلك». وقوله: «فيكيدوا لك كيداً»، في مقابل: «إن كان لكم كيد فكيدون». وقول الفرزدق:

وجدَّ القنا الهندي فيكم طعانه وضرب يدهدي للرؤوس موارد
في مقابل قول عمر بن كلثوم:

يدهدون الرؤوس كما تدهدي حزاورة بأبطحها الكرينا
وكما في قول ابن ميادة فعلقمة الفحل فليلي الأخيالية:

وملكت ما بين العراق ويثرب ملكاً أجار لمسلمٍ ومعاهد
إذا أحم الواشون للشر بيننا تبلى رسَّ الحب غير المكذب¹
أحجاجُ لا تعطي العداة مناهمُ ولا الله يعطي للعداة مناهها
وتظهر هذه اللام ظهوراً مساوياً لعدم ظهورها مع كثير من الأفعال،
مثل: (شكر، ونصح،...)، كقوله تعالى: «فاشكروني ولا تكفرون»، في
مقابل قوله: «أن اشكر لي ولوالديك».

أ- ظهور هذه اللام جوازاً

- تظهر هذه اللام جوازاً بشكل كثير مع الاسم مقدماً على الفعل المتعلق
به، كما في الآيتين: «والذين هم لربهم يرهبون»، «إن كنتم للرؤيا
تعبرون».

- وتظهر كذلك حين يكون الاسم المخفوض بها متعلقاً بالوصف أو
المصدر، مقدماً عليهما كان أو مؤخراً، كما في الآيات: «والذين هم للزكاة
فاعلون»، «والذين هم لفروجهم حافظون»، «والذين هم لأماناتهم وعهدهم
راعون». «سماعون للكذب، أكالون للسحت». وكما في قول عباس بن

¹ الرس: الثابت الراسخ. يقول: إذا مشى الواشون النمامون بيني وبينها وعذلوني على
حبها؛ كان ذلك دافعاً لي على المتابعة فيه.

مرداس، فخفاف بن ندبة، فريد بن الصمة، فكعب بن زهير يمدح علياً
(ع):

خفاف!، أما تزال تجر ذيلاً إلى الأمر المفارق للرشاد
أبى الشتم أني سيد وابن سيد مطاعين في الهيجا مطاعيم للحم
وما كان في حرب اليحامير من دم مباح وجدع مؤلم للمعاطس
مُقاومٍ لطغاة الشرك يضربهم حتى استقاموا ودينُ الله منصور
ب- ظهور هذه اللام وجوباً

- وتظهر وجوباً إذا كان الاسم مرتبطاً باسم تفضيل أو المصدر الدعائي
أو بفعل التعجب، تقول: زيد أحب الناس لي، وما أحرث فلاناً للأرض!
وأحفظ بمحمد للفقهاء، وسقيا لأيام الصبا، قال حسان يرثي النبي (ص)
فالمخبل القيني فابن المقبل:

مصدقاً للنبیین الأولى سلفوا وأبذل الناس للمعروف للجادي
ولم أرَ مثل الفقر أوضع للفتى ولم أرَ مثل المال أرفع للنذل
بلينا بهجران ولم أرَ مثلنا من الناس إنسانين يهتجران
أشد مصافاة وأبعد عن قلبي وأعصى لوأش حين يلتقيان
ذلك لأن أفعال التفضيل، وفعل التعجب يُجرُّ ما بعدهما حتماً بما كان يجر
به أصلاً، تقول: زيد أعزف الناس عن الباطل، وما أجرأ الجاني على
الفساد!.

ثم إن هذه اللام كثيراً ما تحذف ويبقى عملها مع المشتقات (الوصف
والمصدر) كما هي مع الاسم؛ أي في نحو: كتاب زيد. إن هذه اللام هنا
تكون منوية فيخفزون بها، نحو: «مرسلو الناقة»، «والمقيمي الصلاة»،
«وبالغ الكعبة»، ونحو: «سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام». إن العرب
في هذا تقول: أنت ضارب زيد، وأنت ضارب لزيد، وأنت ضارب زيداً.

ت- من المنصوب بنزع اللام هذه

1- ما يسميه النحاة بالمنصوب على الاشتغال، نحو: زيداً ضربته، وبكراً لا تمرر به، وعمراً أكرمت أباه، وبشراً لم أستم أخاه، وعبدالله كسوت ابنه ثوباً، والتجارة شاركت رجلاً يتقنها،...، وقوله تعالى: ﴿جنات عدن يدخلونها﴾، ﴿والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليماً﴾، ﴿والقمر قدرناه منازل﴾.

فهذه كلها منصوبة بنزع اللام؛ كأنك قلت: لزيد ضربته، ولبكر لا تمرر به، وهكذا.... وليس ناصبها فعل مقدر كما يقول البصريون، وليس ناصبها الفعل المتأخر كما يقول الكوفيون. وقد تقدم أن العرب تقول: زيداً ضربته¹، ولزيد ضربته. وتقول أيضاً: زيداً ضربته.

2- قولهم: إن تأتني فأهل الليل والنهار، فهذا على تقدير: إن تأتني فأهل الليل...، أي فأهل الليل وأهل النهار تأت.

3- قولهم: مررت بزيد الحسن الوجه.

وذلك لأن (الحسن) من فعل لازم - كما يقولون - فلا يتعدى إلا بالحرف.

4- قولهم: (مررت بزيد وحده، وهذا زيد وحده)، هذا على تقدير: مررت بزيد لوحده، وهذا زيد لوحده. وهكذا.

آراء النحاة:

1. في (ضرب زيد عمراً)

1- البصريون: الفعل وحده هو الذي رفع (زيد) ونصب (عمراً)، وتابعهم عليه الكثير.

¹ عن النوع هذا ونحوه، قال سيبويه: النصب كثير، والرفع أجود.

2- الكوفيون: الفعل (ضرب) والاسم (زيد) معاً نصباً (عمرأ). وبعض الكوفيين يذهب إلى أن الاسم (زيد) هو الذي نصب (عمرأ).

3- خلف الأحمر: معنى المفعولية هو الذي نصب (عمرأ) فالعامل عنده معنوي.

4- هشام صاحب الكسائي: إذا قلت (ظننت زيدا قائماً)، ينصب (زيداً) بالتاء، و(قائماً) بالظن.

وقد قلت: إن (عمرأ) منصوب بنزع الخافض؛ اللام، والأصل في جملتنا: ضرب زيد لعمر؛ بدليل ظهور اللام.

2. في (زيداً ضربته)

1- البصريون: ناصب (زيداً) فعل مقدر من نوع الفعل الظاهر؛ لأن الفعل الظاهر - عندهم - اشتغل عنه بضميره.

2- الكوفيون: ناصبه نفس الفعل المظهر، لأن الضمير في المعنى هو المظهر ذاته.

13.3.5. موضع نزع الباء

إنما تنزع الباء إذا كان ما بعدها سيرة أخذت مكانها سيرة أخرى، فنابت عنها في تأليف ركني الجملة. وذلك مثل: جاء زيدٌ ركباً، وظل عمرو نائماً، وعلمت بكرأ مسالماً، وليس عبدالله موافقاً، وما هند موافقةً، وأخوك في الدار مقيماً، وما بالك صامتاً، وضربي الغلام مسيئاً.

{أريد بهذه الأمثلة جميع ما يذكره النحاة أمثلة: للحال، ولخبر (كان) الناقصة وأخواتها، ولخبر ما حمل على (ليس)}.

إن الأصل في الأمثلة السابقة: زيد ركب، وعمرو نائم، وبكر مسالم، وعبدالله موافق، وهند موافقة، وأخوك مقيم، وأنت صامت، والغلام مسيء. وشاهد ذلك معلومة.

أ- ظهور هذه الباء

إنما تظهر الباء إذا كانت بعد النفي وشبهه.

كما في الآيات التالية: «لست عليهم بمسيطر»، «وما الله بغافل عما تعملون»، «ألم يروا بأن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر».

وكما في قولهم: لا خير بخير بعده النار.

وكما في قول: دريد بن الصمة، فالشنفرى، فالمعري، فالقحيف، فسواد

بن قارب، فزهير، فالفرزدق، فعلي (ع):

دعاني أخي والموت بيني وبينه فلما دعاني لم يجدي بقعد¹
وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم، إذ أجشع القوم أعجل²
جهل الديانة من إذا عرضت له أطماعه لم يلف بالتماسك³
فما رجعت بخائبة ركاب حكيم بن المسيب منتهاها
فكن لي شفيحاً يوم لا نو شفاعاة بمغن فتياً عن سواد بن قارب⁴
تقي نقي لم يكثر غنيمة بنهكة ذي قربي ولا بحقلد⁵
تقول إذا اقلولى عليها وأفردت ألا هل أخو عيش لذيد بنائم⁶
فلا الدنيا بباقية لحي ولا حي على الدنيا بباقي

¹ قعدد؛ على وزن (قنفذ): القاعد عن الحرب، فلا يحارب أبداً.

² أجشع القوم: أحطهم، أطمعهم.

³ يقول: المتدين المتمسك بدينه يبقى متمسكاً أبداً فلا يلفى متفككاً، بل يبقى متمسكاً تجاه ما يمكنه من المحرمات.

⁴ فتياً: شيئاً مهماً قل.

⁵ الحقلد: الضعيف، والمعنى أنه لا يكثر أمواله بأخذها من أقربائه ولا من الضعفاء.

⁶ اقلولى: تقلب متملماً وارتفع. أفردت: سكنت عياء ولم تتكلم.

والعرب تقول: خرجت فإذا زيد واقفاً، وتقول: خرجت فإذا زيد بواقف.
ومن لا يدخل الباء لا ينصب.

ولعدم إزاحة السيرة في نحو: (قائم زيد في الدار)؛ أي حين يقدمونها؛
يمنتعون عن نصب (قائم)، بينما جاء النصب في نحو: (زيد قائماً في
الدار)، وفي نحو: (زيد في الدار قائماً).

وقد جاء النصب حين تقدر الباء هذه في نحو: (كان زيد هو الفاضل)،
فيصح مع النفي أن تقول: (ما كان زيد هو بالفاضل). وقد امتنع النصب
فوجب الرفع في نحو: (كان رجل هو الفاضل)، وجاء النقل عن العرب
بعدم دخول الباء في نفي هذه العبارة، فلا يقال: (ما كان رجل هو
بالفاضل).

وبنو تميم لا يقولون إلا (ما زيد قائم)؛ أي لا يدخلون الباء في خبر (ما)
ولا ينصبونه.

لاحظ الربط بين النصب ونزع الباء.

يتبين مما ذكرت أن ما يسمى بخبر (ليس)، وخبر (ما) الحجازية، وخبر
(كان) وأخواتها، والحال؛ كلها منصوبة بنزع الباء هذه لا أنها منصوبة بـ
(ما، وليس) والفعل الناقص والفعل التام. على الترتيب.

لأن (ما، وليس) حرفان يدخلان لنفي مضمون الجمل، فلا يعملان.

ولأن الأفعال لا تعمل بل يُعمل بها.

وعلى هذا فالباء التي تظهر في النفي وشبهه ليست بزائدة - كما يقولون
- بل هي أصلية استغنى عنها تخفيفاً لكثرة الاستعمال، ولم تعد تظهر إلا
مع النفي من أجل التشديد لإظهار المعنى الأصل.

وقد ذكرت أنه لا يصح أن نقول عن كلمة تظهر وتختفي في جملتها:
إنها زائدة، بل الحق أن نتساءل إذا اختفت؛ لماذا اختفت؟.

ب- من المنصوب بنزع الباء

- 1- (ما أشجع خالدًا!، وما أصبر بالخنساء!)، الأصل في هذا: ما أشجع بخالد!، وما أصبر بالخنساء!؛ فـ (خالدًا) و(الخنساء) منصوبان بنزع الباء، بدليل ظهورها في قول الشاعر:
- خليلي! ما أحرى بذي اللب أن يرى صبوراً، ولكن لا سبيل إلى الصبر
لأن التعجب هنا واقع على (ذي اللب)، و(أن يرى) بدل منه.
- 2- (عليك زياداً): لأن العرب تقول: عليك زياداً، و عليك يزيد. من الأول الآية: ﴿عليكم أنفسكم﴾، ومن الثاني الحديث: (عليكم بسنتي).
- 3- قول العباس بن مرداس لخفاف بن نديّة:

أبا خراشة! أما أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع¹

لأن الأصل: أما أنت بذي نفر؛ أي: أن أنت بذي نفر تفخر عليّ؛ أي: تفخر على لأن أنت بذي نفر.

- 4- (رميته سهماً، وضربته عصاً). لأن الأكثر أن يقولوا: رميته بسهم، وضربته بعصا. في هذا النوع لم ينزعوا الباء فيما لم يشتهر الفعل به، مثل: ذبحته بسكين أو بالسكين: فلا بد من ذكر الباء في هذا.

13.3.6. موضع نزع الكاف

تنزع الكاف إذا كان ما بعدها اسم حدث جيء به للتشبيه، نحو: لا تسر سيرَ الجهلة؛ أي: لا تسر كسيرهم، وتقول: تكلمت كلامَ المحموم، ولهوت عبثَ الأطفال.

¹ أبو خراشة: هو خفاف بن نديّة، وندبة: أمه، الضبع: أنثى الضباع، والذكر ضبعان، وعن هنا بـ (الضبع): السنين المجذبة.

هذه الكاف نزعوها تارة، كما في الآية: ﴿وهي تمرُّ مرَّ السحاب﴾، وفي قول الأعشى، فالنابغة، فامرؤ القيس، فأبو كبير:

وفي كل عام له غزوة تحُت الدوابر حتَّ السَّفن¹
إذن فعاقبني ربي معاقبةً قرت بها عين من يأتيك بالفند²
إذا قامتا تزوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت برياً القرنفل³
ما إن يمس الأرض إلا منكب منه وحرف الساق طيَّ المحمل⁴

أ- ظهور الكاف

وأثبتوها تارة أخرى، كما في الآية: ﴿ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض﴾، وفي قول الأعشى مرتين، فعلقمة مرتين، فقيس بن الخطيم، فالمنخل:

وما إن على جاره تلفة يساقطها كسقاط الغبن⁵
يشق الأمور ويجتاحها كشق القراري ثوب الردن
وقد وعدتك موعداً لو وقت به كموعود عرقوب أخاه بيترب⁶
رأين شياهاً يرتعين خميلة كمشي العذارى في الملاء المهذب⁷

¹ تحُت: تقشر. الدابر: ما حاذى مؤخر الرسغ من الحافر، والجمع دوابر. السَّفن: آلة يقشر بها.

² الفند: الكذب، أي بالكذب عليّ.

³ تزوع المسك: انتشرت رائحته. الريا: الرائحة الطيبة.

⁴ المحمل: محمل السيف، يقول: انه خميص البطن فلا يمس الأرض منه إلا منكبه وحرف ساقه.

⁵ الغبن: ما قطع من أطراف الثوب فأسقط. القراري: الخياط.

⁶ يترب: بالمشاة، موضع قريب من اليمامة. عرقوب: رجل أصبح مضرب المثل في الإخلاف بالوعد لقصة له مشهورة.

⁷ دمت الرمل: لينه.

تمشي كمشي الزهراء في دمت الرمل إلى السهل دونها الجرف
ولثمتها فتتنفست كتنفس الطيبي البهير

ب- من المنصوب بنزع الكاف

1- قولهم: لعبدالله صوتٌ صوتٌ بلبل، ومثّل له ابن مالك في ألفيته
بقوله: {لي بكا بكاء ذات عضلة}، ومثّل له الزمخشري بقوله: {له دق دقّك
بالمحاز حب القلقل}، ومنه قول النابغة مرتين:

مقذوفة بدخيس النحض بازلها له صريفٌ صريفٌ القعو بالمسد¹
لها بعد إسناد الكليم وهدئه ورنه من بيكي إذا كان باكيا
هديرٌ هديرٌ الثور ينفض رأسه يذب بروقيه الكلاب الضواريا²
ويجعل النحاة هذا المنصوب - خطأ - مفعولاً مطلقاً.

إن اسم الحدث هذا مراداً به التشبيه ضمن هذين الشرطين لا يجوز فيه
إلا النصب على نزع الكاف. فإذا كان الثاني مراداً به الأول فالرفع على
التفسير، وهذا نحو: له علمٌ علمٌ الفقهاء، وله رأيٌ رأيٌ الجهلاء.

2- قولهم: هذا القول لا قولك، أو هذا القول لا قولاً كاذباً. أو هذا القول
غير قول ضعيف، معنى (هذا القول لا قولك): هذا القول الصادق لا
كقولك الكاذب. وهكذا....

3- قولهم: له عسل ملء جرة، وعليه دين شعر كلب، أي له عسل كملء
جرة. وهكذا....

¹ مقذوفة: مرمية؛ أي فيها ذلك. الدخيس: لحم باطن الكف. النحض: اللحم. البازل:
البعير، إذا خطر نابيه وانشق بدخوله في السنة التاسعة. الصريف: الصياح،
التصويت. القعو: البكرة. المسد: الحبل المفتول.

² الكليم: المكلوم، المجروح. الروق: قرن الثور. الضواري: كلاب تهاجم بضراوة.

4- قولهم لمن لا يوثق بمواعيده: مواعيدَ عرقوب، وقولهم: لمن لا يؤبه لغضبه، غضبَ الخيل على اللحم. أي ذلك منه كهذا.

5- قولهم: إنما أنت شربَ الإبل، وما أنت إلا سيرَ البريد، معناه: ما أنت إلا كسير البريد.

فحذف الكاف فيما تقدم واضح، لأن معنى التشبيه واضح، فلا حاجة لتقديرات مطولة ومعقدة لا لزوم لها.

6- قول الشاعر:

أ في السلم أعياراً جفاءً وغلظةً وفي الحرب أشباهَ النساءِ العوارك¹
أ في الولايم أبناءً لواحدةً وفي العيادة أولاداً لعلات²
أي: أ تكونون في السلم كالأعيار؟. وهكذا....

ثم إنه في كل ما تقدم حين يريدون التشبيه ينصبون بنزع الخافض، وحين يريدون التفسير يرفعون.

7- قولهم: كر عليّ أسداً؛ أي: كر كأسد. ومثله: سقط المصطرعان عدليّ عير. ومن هذا قول المتنبي: ركبت الناس بعرانا. ومنه قول العجاج: حتى إذا اصطفوا له جدارا. ومنه قول الشاعر:

بدت قمراً، ولاحت خوط بان، وفاحت عنبراً، ورننت غزالا³
ويجعل النحاة هذا المنسوب - خطأً - حالاً.

- ومنه قول النابغة فإمام بن أقرم:

¹ الأعيار: جمع عير، الحمار. العارك: الامرأة الحائض، والجمع عوارك، من عركت الامرأة تعرك عروكاً وعراكاً.

² أولاد العلات: الأخوة للأب من أمهات شتى.

³ الخوط: الغصن الناعم. العنبر: مادة صلبة إذا سحقت أو أحرقت نشرت راحة طيبة، والعنبر يطلق على حيوان بحري يفرز مادة العنبر.

لعمري - وما عمري عليَّ بهينٍ لقد نطقت بطلاً عليَّ الأفاعع
أفاعع عوف، لا أحاول غيرها وجوه قرود تبتغي من تجادع¹
طليق الله لم يمنن عليه أبو داوود وابن أبي كثير
ولا الحجاجُ عينيَ بنتِ ماء تقلب عينها حذر الصقور²
ومنه قول الشاعر:

وما الدهر إلا منجوانا بأهلة وما صاحب الحاجات إلا معذبا
أي كمنجوان³.

¹ وجوه قرود: أي كوجود قرود. وهؤلاء الأفاعع: أفاعع بني تميم. تجادع: تشاتم بجدع الأنف.

² كان الحجاج حبس الشاعر فتحيل حتى استنقذ نفسه دون أن يمن عليه أحد. بنت ماء: طير ماء وهي منسلقة الأجنان وكان الحجاج كذلك.

³ المنجوان: دولاب الماء.

13.4. ناصب المفعول به

- إذا كانت الباء متعلقة بالأفعال مما يدل على حركة ودفع؛ مثل: (أذاع، ألقى، أقال، أهوى، أدلى، أدى، طوّح، دفع، رمى، حذف،...) . تقول اللغة: أذاع الخبر وأذاع به، ورضي الشيء، ورضي به،... وهكذا. قال تعالى: ﴿قد صدّقت الرؤيا﴾، ﴿وصدّقت بكلمات ربها﴾.

ولو مضينا في البحث والاستقراء لضاق بنا المجال، منها: (أخذ، هزّ، مسح، كفى، عرف، علم، دري، جهل، أحس، أمسك،...)، قال تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾، ﴿وهزي إليك جذع النخلة﴾، ﴿وظفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾، وكفى بالمرء أن يحدث بكل ما سمع... وهكذا. فاللغة تقول: أخذ بزمام الفرس، وأخذ زمام الفرس....

وبهذا يتضح أن اللغة العربية تعدي الفعل إلى ما توصل به؛ تعديه بنفسه أو تعديه بالباء، أو تعديه باللام، مما يؤكد أن ما يسمى بـ (المفعول به) ما هو إلا منصوب بنزع الباء أو نزع اللام كما قد مر في البحث السابق: المنصوب بنزع لام الاختصاص.

عن هذه الباء يقول النحاة: إنها تزداد قياساً في مفعول (علمت، وعرفت، وجهلت، وسمعت، وتيقنت، وأحسست،...) .

آراء النحاة:

1. في ناصب خبر (ما) الحجازية

1- ذهب الكوفيون إلى أن (ما) في لغة أهل الحجاز لا تعمل في الخبر، وهو منصوب بنزع الخافض.

2- وذهب البصريون إلى أنها تعمل في الخبر، وهو منصوب بها.

2. في باء (أشجع يزيد)

1- سيبويه والبصريون: الباء الزائدة في الفاعل.

2- الفراء والزجاج: زائدة مع المفعول به، والفاعل ضمير المخاطب.

3- ابن كيسان: زائدة مع المفعول به، والفاعل ضمير الشجاعة.

4- صاحب رصف المعاني: الباء ليست زائدة، والهمزة للصيرورة.

5- الزمخشري: الباء ليست زائدة، والهمزة للتعدية.

رد القول بزيادة الباء

قال النحاة: (إن الباء تأتي زائدة)، وذكروا لها عدة مواقع، وفصلوا أن منها: واجب الزيادة، ومنها مقيس الزيادة، ومنها كثير الزيادة ولكنه غير مقيس، ومنها قليل، ومنها اضطرار.

- فهي - عندهم - زائدة واجبة في (أفعل به) في التعجب. وواضح أن حذفها يفسد المعنى، ويخرج الكلام عن التعجب. وجعلها زائدة بعيد حتى عن قواعدهم في الزيادة، ثم هو تعقيد نحن في غنى عنه. فإذا جعلنا (أفعل) فعل أمر استعمل في غير معناه الأصلي؛ استعمل للتعجب، اتضح أنها غير زائدة.

- وهي - عندهم - زائدة مقيسة في فاعل (كفى)، وفي خبر (ما، وليس). وواضح أن الفاعل في «كفى بالله شهيداً» ونحوه؛ أنه محذوف لدلالة الحال عليه؛ أي كفى الواقع شهيداً بالله، فهو مثل: «توارت بالحجاب»؛ مقصودة الشمس.

أما قولهم: إنها زائدة في خبر (ما، وليس) فهذا خلاف الأصل، لأن وجود الكلمات هو الأصل، وحذفها هو المخالف للأصل، فإذا قال الأسود بن يعفر: وخالدٌ يحمد أصحابه، وعلمنا أن العرب تقول: وخالدٌ يحمده أصحابه، فخطأ أن نقول: إن الهاء زائدة في مقال العرب، فإذا وجدت كلمة فلا يسأل لماذا وجدت، فإذا ظهرت واختفت سئل: لماذا اختفت.

- وهي - عندهم - كثيرة الزيادة مع المفعول به، ولكنها غير مقيسة،
ومن أمثلتهم: «وهزي إليك جذع النخلة»، «فليمدد بسبب»، «ومن يرد فيه
بالحاد»، ولا سيما مع مفعول (عرف) وشبهها. وسبب ذلك عندهم؛ أنه
يقال: عرفت بالأمر، وعرفت الأمر، وعلمت به، وعلمته.
وكذلك هنا يقال: كان الأولى أن يتساءلوا: لم حذفت الباء؟ بدلاً من القول
بزيادتها. والعرب كثيراً ما تحذف إذا وضح المعنى مع الحذف، لأن
البلاغة عندهم الإيجاز.

- وهي - عندهم - قليلة الزيادة في المنفيات من الأخبار المزاحة عن
مواقعها، كما في قول الشنفرى فسواد بن قارب فالفحيف العقيلي:
إذا مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم
وكن لي شفيحاً يوم لا نو شفاعنة بمغن فتيلاً
فما رجعت بخائبة ركاب
ومن شواهد (معني اللبيب):

كائن دُعيت إلى بأساء داهمة فما انبعثت بمزؤود و لا وکل¹
فإن وجودها في النفي وعدم وجودها في الإثبات هو مدعاة التساؤل، لقد
استغنوا عنها في الإثبات لكثرة الاستعمال.
وأما زيادتها - عندهم - في الاضطراب؛ فنحو قول امرئ القيس، فعمرو
بن ملقط، فعلي بن عيسى:

ألا هل أتاها - والحوادث جملة-: بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا²
مهما لي الليلة مهما ليه أودى بنعلي وسرباليه³

¹ المزؤود: المزعور. الوكل: العاجز.

² تملك: اسم أمه. بيقر: خضع، طأطأ رأسه.

³ أودى بالشيء: ذهب به، أهلكه.

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد¹
وواضح أنه لا حاجة بنا لأن نجعلها زائدة؛ إذا قلنا: إن الفاعل هنا
مستغنى عنه لدلالة الحال عليه. فامرؤ القيس يقول: أتأها الخبر بأن...،
وعمر بن ملقط يقول: أودى السرى بنعلي. أما فاعل (تنمي) فهو ضمير
عائد على الأنباء.

¹ اللبون: التي نزل اللبن في ضرعها، جمع لبُن ولبائن، وابن لبون ولد الناقصة إذا
استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة؛ لأنها ولدت غيره فصار لها لبن.

13.5. أخيراً المنصوب بالفعل

بقي من المنصوبات منصوب واحد لا يتضح عليه أنه يخضع لأمر الحرف؛ إلا أن يقال: إن معنى الحرف (إن) الذي هو التوكيد موجود فيه فهو عامل فيه.

هذا المنصوب هو ما يسمى بالمفعول المطلق في نحو: ضربت ضرباً، وضربت ضرباً شديداً، وضربت ضربتين.

هذا وحده نستطيع القول أنه معمول للفعل، عمل فيه الفعل، لأنه من مادته. وهو بذلك سهل التعرف عليه.

هذا وحده هو المفعول الحقيقي. فإذا قلت (أكلت أكلاً)؛ فأنا الذي فعلت الأكل حقيقة، وكان هذا الأمر تحصيل حاصل، إنما جئت بالاسم (أكلاً) لأفهم أن ذلك وقع حقيقة، وأن ليس للسامع أن يتوهم غير ذلك.

أما بقية المفعولات المقيدة بالحرف (المفعول به، والمفعول فيه، والمفعول له) فإن تسميتها مفعولات إنما هي على سبيل المجاز.

فإذا قلت (ركبت دراجة) فأنا لم أفعل (الدراجة) بل الذي فعلته هو الركوب.

وإذا قلت: (جئت صباحاً) فأنا لم أفعل (الصباح) بل الذي فعلته هو المجيء في الصباح، فالصباح إنما وقع فعل المجيء فيه.

وإذا قلت: (قمت إجلالاً لك) فأنا لم أفعل (الإجلال) بل الذي فعلته هو القيام من أجل إجلالك، إنما الإجلال وقع فعل القيام من أجله.

ومثل هذا يقال عن (المفعول معه) علماً بأن كثيراً من النحاة قد أخرجته من المفعولات. وهو من بينها مقيد بالظرف.

فمن هنا يصح أن نجعل الفعل عاملاً في الاسم (الاسم المسمى بالمفعول المطلق) في بعض حالاته فقط، يصح ذلك لأن معنى الفعل منصب مباشرة

عليه، وهما من مادة واحدة؛ فيسهل القول بأن الفعل عامل فيه، وإن كان الذي فعل الفعل إنما هو العامل فيه (الفاعل).

آراء النحاة: في عدد المفاعيل

عند:

- 1- البصريين: خمسة، هي: المفعول المطلق، والمفعول به، والمفعول فيه، والمفعول معه، والمفعول معه.
 - 2- الزجاج: أربعة، لأن المفعول معه عنده مفعول به حذف فعله، فهو - عنده - على تقدير: (لابس) ونحوه.
 - 3- الكوفيين: ثلاثة، لأن المفعول له - عندهم - قسم من المفعول المطلق، والمفعول معه - عندهم - منصوب على الخلاف.
 - 4- السيرافي: ستة، لأنه زاد مفعولاً آخر سماه المفعول منه، ومثل له بالآية: «واختار موسى قومه سبعين رجلاً».
 - 5- الجوهري: ستة، لأنه عد المستثنى مفعولاً سماه المفعول دونه.
 - 6- وفي (الأشباه والنظائر): قال الخوارزمي: {المفاعيل في الحقيقة ثلاثة، أما المنصوب بمعنى اللام. وبمعنى (مع) فليس مفعولين}.
- وقال ابن السراج: {إن بابي المفعول له والمفعول معه نصبا على الاتساع. إذ كان حقهما ألا يفارقهما حرف الجر، ولكنه حذف، ولم يجريا مجرى الظروف في التصرف وفي الإعراب وفي إقامتهما مقام الفاعل، فدل ترك العرب لذلك أنهما بابان وضعا في غير موضعهما وأن ذلك اتساع منهن فيهما، لأن المفعولات كلها تقدم وتؤخر وتقام مقام الفاعل وتقع مبتدأ وخبراً}.

وقال السهيلي: {الفعل لا يعمل في الحقيقة إلا فيما دل عليه لفظه،
كالمصدر والفاعل والمفعول به، وما عدا ذلك إنما يصل إليه الفعل بواسطة
الحرف}. فالمفاعيل عنده اثنان.

- ثم إني **بينت** أن ما يسمى بالمفعول معه منصوب بالواو لا غير، وأن
ما يسمى بالمفعول به والمفعول فيه والمفعول له منصوبات بنزع الخافض،
وأما ما يسمى بالمفعول المطلق فهو الذي يفعله الفعل أو صاحب الفعل.

النحو الحق
النحو على قواعد جديدة
14- النواسق؛ حروف العطف

محمد علي رستاوي

14.1. النواسق؛ حروف العطف

النواسق هي الحروف: (الواو، الفاء، ثم، إلا، حتى، أي، أو، أم، بل، لكن، لا) تدخل على ما بعدها فتتسقها مع ما قبلها.

1- (الواو)، قال تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

2- (الفاء)، قال امرؤ القيس فزهير:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل¹
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذا ضريرتموها فتضرم²

3- (ثم)، قال أوس بن حجر فزهير:

لنا صرخة ثم إسكاته كما طرقت بنفاس بكر³
فتعركم عرك الرحا بثقالها وتلقح كشافاً ثم تتج فتتم⁴

4- (إلا)، قال تعالى: ﴿ما فعلوه إلا قليل منهم﴾، ﴿لم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم﴾.

5- (حتى)، روى:

جود يمينك فاض في الخلق حتى بائس دان بالإساءة دينا⁵
قهرناكم حتى الكماة؛ فأنتم تهابوننا حتى بنينا الأصاغر⁶

¹ سقط اللوى: منتهى ما التوى من الرمل. الدخول وحومل: موضعان.

² تضرى: تستعر وتقوى ضراوتها.

³ طرقت الحامل: نشب جنينها في بطنها فعسر خروجه.

⁴ الثقال: جلد ونحوه يبسط تحت الرحا عند الطحن. تتج: تلد توأمين.

⁵ دان: هنا اتخذ.

⁶ الكماة: لابسو عدة الحرب.

6- (أي)، نحو: هذا عسجدٌ؛ أي ذهبٌ، وركبت أتاناً؛ أي حماراً، وكتبت بيراغ؛ أي قلمٍ. وإنما كانت (أي) حرف عطف؛ لأنها تجعل للمفسر حكم المفسر. وكون (أي) حرف عطف مذهب الكوفيين، وتبعهم السكاكي من المشرق، وأبو جعفر بن صابر من المغرب، وقال عباس حسن عن مذهبهم: {ورأيهم حسن وواضح لا ضرر في الأخذ به}.

7- (أو)، نحو: {لبثنا يوماً أو بعضَ يومٍ}، {ففدية من طعامٍ أو نسكٍ}، {ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك}، وقال عمر بن كلثوم:

وسالفتي بلنطٍ أو رُخامٍ يرن خشاش حليهما رنيناً¹

8- (أم)، نحو: {وإن أدري أ قريبٌ أم بعيدٌ ما توعدون}، وقال أشجع بن عمرو السلمي:

ما ضرَّ من قصد ابن ليلي راغباً بالسعد - حل به - أم النحس
9- (بل)، نحو: جاء زيدٌ بل عمرو، وقال تعالى: {وقالوا: كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا، قل: بل ملة إبراهيم حنيفاً}؛ أي قل: لا تكونوا هوداً... بل ملة إبراهيم. ورووا:

لو اعتصمت بنا لم تعتصم بعدا بل أولياء كفاة غير أوغاد
وما انقلبت إلى خورٍ ولاكُشفٍ ولا لثامٍ غداة الروع أوراغ
بل ضاربين بحسك البيضٍ إن لحقوا شمُّ العرائن عند الموت لُذاع
وجهك البدر لا بل الشمس لو لم يقض للشمس كسفةً أو أفول
10- (لكن)، نحو: ما زيد شجاعٌ لكن كريمٌ، ولا تهن ضعيفاً لكن متكبراً، قال تعالى: {ما كان محمدٌ أباً أحد من رجالكم ولكن رسولَ الله}.

¹ السالفتان: صفحتا العنق. البلنط والرخام: حجارة بيض. خشاش الحلي: خشته، صوته.

في نحو: (ولكن رسولَ الله العطف بـ (لكن)؛ لأن معناها هو المنصب على المعطوف، ولمجاورتها له - وقد سبق أن بينت أنه إذا اجتمع عاملان على معمول فالعمل للمجاور - وكذلك في نحو: (لا بل عمراً) العمل لـ (بل).

11- (لا)، قال حاجب بن زرارة، فكعب بن زهير، فابن الدمينة:
قتلنا به خير الضبيعات كلها ضبيعةً قيس لا ضبيعةً أضجماً¹
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده فتنجو - إذا كان النجاء - وتسلم
هجرت اجتناباً لا ملالاً ولا قلى أميمة مهجورٌ إلى حبيب²
وتأتي (ليس) بمعنى (لا) العاطفة، كما في قول مقل بن حبيب فليبد:
أين الهروب؟ والإله الطالب والأشرم المغلوبُ ليس الغالبُ
وإذا جوزيت قرضاً فاجزه إنما يجزي الفتى ليس الجمل
(ليس) في قولهم: قبضتُ عشرة ليس غير؛ حرف عطف بمعنى (لا)،
فأنا قبضت عشرة لا أكثر ولا أقل.

وتأتي (غير) بمعنى (لا) العاطفة أيضاً فتأخذ حكم ما بعد (لا) كما في الآية: ﴿اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾؛ أي: صراط المنعم عليهم لا المغضوب عليهم.

¹ قيس وأضجم: قبيلتان، والأضجم في اللغة: المائل.

² القلى: البغض.

14.2. (إما، أي، إلا، بل، حتى)

ذكر كثير من النحاة (إما) الثانية في نحو: «إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً»، في حروف العطف. وخالفهم ابن كيسان وأبو علي الفارسي وابن مالك؛ تخلصاً من دخول عاطف على عاطف. وقد ذكرت أنها لغو؛ لأنها مكررة والعطف للواو. أما دخول العاطف على العاطف فوارد، تقول العرب: جاء زيد لا بل عمر، وتقول: ما جاء زيد ولكن عمرو. ولم يعدد البصريون (أي) من حروف العطف. جعلوا ما بعدها عطف بيان لما قبلها، لم يعدوها بحجة أنها لا تشرك الثاني مع الأول. والملاحظ أن (بل، لكن، لا) مثلها في ذلك. وجعل البصريون وكثير غيرهم (إلا) في نحو: (ما قام القوم إلا اثنان) بدلاً. ولا نظير لهذا، لأن البديل والبيان لا يكونان بالحروف. ولم يعدد بعض النحاة (بل) من حروف العطف؛ جعلوا ما بعدها بدل غلط مما قبلها. قال: وبدل الغلط بدونها غير فصيح، أما معها ففصيح مطرد في كلامهم. وذهب آخرون إلى أن (حتى) ليست من أحرف العطف، قالوا: لأنها غاية.

آراء النحاة: في عامل التابع

إن عامل التابع عندهم فيه تفصيل:

1. الصفة والتوكيد وعطف البيان

- 1- سيبويه: العامل فيها هو العامل في المتبوع. وعليه السيرافي والزمخشري وابن الحاجب وغيرهم كثير.
- 2- الأخفش: عاملها معنوي، كما في المبتدأ والخبر، وهو كونها تابعة. ونسب أيضاً إلى الخليل.

3- بعض النحاة: عامل التابع - هنا - مقدر، وهو من جنس عامل المتبوع.

إن كثير من كتب النحو تذكر هذا الرأي؛ ولكن لم أجد في أي منها مَنْ ذكر هذا البعض باسمه. إنما يقول: قال بعضهم، فقط.

2. البدل

- سيبويه: العامل فيه هو العامل في المبدل منه وعليه الكثير.

2- الأخفش: العامل فيه مقدر من جنس عامل المبدل منه، وعليه الرماني والفرسي وأكثر المتأخرين.

3. عطف النسق

1- سيبويه: العامل فيه هو العامل في المعطوف عليه بواسطة حرف العطف.

2- الفرسي وابن جني: العامل فيه مقدر من جنس العامل في المعطوف عليه.

3- بعضهم: العامل حرف العطف بالنيابة.

14.3. أحرف العطف والعمل

إن أحرف العطف لا يخرجن عن عملهن ما استعملن بمعنى المشاركة داخلات على المفردات. وقد مضى لكثير منهن استعمالات بمعان أخرى. وهن - طبعاً - لا يظهر عملهن إذا دخلن على الجمل أو على الحيادي. إن جميع هذه الأحرف تشترك المعطوف مع المعطوف عليه في الحكم ضمن شيء، إنما ذلك الشيء لكل حرف منها بحسب معناه هو. والعربي يسمح بهن أجواء المشاركة - إن صح هذا التعبير - طويلاً وعرضاً وارتفاعاً.

فجعل الواو والفاء و(ثم) للمشاركة ضمن الزمن؛ لبيان زمن المعطوف من المعطوف عليه: الواو لنفس الوقت، والفاء لما بعده بقليل، و(ثم) لتراخيه عنه.

وجعل (إلا، حتى، أي) للمرتبط بالمشارك: (أي) لمفسره، و(إلا) لبعض المشاركين معه، و(حتى) للمتطرفين منهم.

وجعل (أو، أم) لمقابل المشارك: (أو) لشبيهه المشارك، و(أم) لضده. وجعل (بل، لكن، لا) لمعارض المشارك: (بل) للمصحح عنه، و(لكن) للمتوهم أنه منه، و(لا) للبديل عنه.

من هنا كانت هذه الأحرف هي العاملة؛ أشركتهما في المعنى فأشركتهما في الإعراب.

إن هذه الأحرف عاملة بنفسها، لأن معناها هو المنصب على المعطوف.

فإذا قلت: (جاء زيد فعمره)، فإن الفاء هي التي دلت على أن (عمره) شارك (زيداً) في المجيء وعلى أنه بعده بقليل.

وإذا قلنا: (جاء زيد لا عمرو)؛ فإن (لا) هي التي دلت على عدم مجيء (عمرو) مع إثبات المجيء لـ (زيد).
وإذا قلنا: (جاء زيد أخوك)؛ فإن (أخوك) تفسير لـ (زيد)، وهذه مهمة (أي)، لقد استغنى عنها لكثرة الاستعمال.

هنا أريد أن أقول:

1- ليس العامل في المعطوف هو العامل في المعطوف عليه بواسطة الحرف، بل العامل هو الحرف نفسه؛ الحرف هو الذي أعطى الجمع بينهما؛ أعطى التعقيب، وأعطى التراخي، وهو الذي حدد البعض من المتبوع،....
2- وليس العامل في المعطوف مقدراً من جنس العامل في المعطوف عليه، بل العامل هو الحرف الموجود لفظاً ومعنى.
3- وليس العامل في المعطوف هو حرف العطف بالنيابة عن عامل المعطوف عليه، بل هو العامل بالأصالة.
وهذا القول ينطبق على المعطوفات جميعاً ظهر الحرف أو استغنى عنه.
4- التوابع كلها، وهي ما يسميه النحاة بالنعت والبدل والتوكيد وعطف البيان وعطف النسق أو الشركة - كلها معطوفات عاملها الحرف. هذا الحرف: ظاهر فيما يسمى بعطف النسق أو الشركة، ومضمر في بقية التوابع، وقد يظهر فيها.
وذلك لأن معنى الحرف واضح ومنصب على المتبوع في الحالتين، وإنما يكون عمل كلمة في كلمة أخرى إذا انصب معناها عليها.
أما قولهم: إن حروف العطف لا تعمل لأنها لا تلزم أحد القبيلين؛ الأسماء، والمضارع. إن هذا القول يخالف الواقع. وليست قاعدتهم هذه آية في كتاب الله لا يجوز مخالفتها.

14.4. العطف بـ (أي) محذوفة¹

لما كانت (أي) للتفسير، وكان من ضمن معناها هذا: البيان والإيضاح والتوكيد - والعرب معنيون بهذه كثيراً في كلامهم - لذلك استغنوا عن (أي) فحذفوها لوضوح دلالة الكلام عليها ببقاء عملها ولارتباط الكلمات المفسرة بالكلمات المفسرة، فتأتي إثرها مباشرة.

فإذا قلت: جاء جارك أحمدُ فهذا معنى: جاء جارك؛ أي أحمد، وإذا قلت: كتبت بيراغِ قلمٍ، فهذا معنى: كتبت بيراغٍ؛ أي قلم، وإذا قلت: فهمتِ الدرسَ خلاصتهُ؛ فهذا معنى: فهمتِ الدرس؛ أي خلاصته.

وكذلك إذا قلت: هذه القصيدة لحبيبِ الشاعرِ، فهذا معنى: هذه القصيدة لحبيب؛ أي الشاعر.

وكان لـ (أي) ذلك:

أولاً: إذا كان المفسر اسماً جامداً

إذا كان المفسر يراد له البيان، لأن المتكلم معه خاف اللبس على السامع، أو خاف أن يظن في كلامه مبالغة. أو يراد له التحديد؛ لأن المتكلم أراد أن

¹ ذكر محمد الإبطاكي أنه { فيقال (اشتريت قباناً ميزاناً) كما تقول مظهراً حرف التفسير: (اشتريت قباناً أي ميزاناً). }.

وذكر عباس حسن بعد مثاله { هذا خاتم لجين أي فضة. أنه في هذه الصورة يتعين عطف البيان أو بدل الكل، إذ لا يقع سواهما بعد (أي) التفسيرية. }

وذكر مصطفى الغلاييني { ومن عطف البيان ما يقع بعد (أي، وأن) التفسيريتين. غير أن (أي) تُفسر بها المفردات والجمل، و(أن) لا يُفسر بها إلا الجمل المشتملة على معنى القول دون أحرفه. تقول: (رأيت لبتاً، أي أسداً) و(أشرت إليه، أي: اذهب). وتقول: (كتبت إليه، أن: عجل بالحضور) }

يتوخى الدقة في كلامه، ولئلا يحسب السامع أن الكلام على المجاز؛ فإنه يفسره باسم جامد.

- الأول: إذا أُريد البيان، نحو: جاء زيد؛ جارك، ومررت بأخيك؛ سعد، ورأيت سعاد؛ بنت الخياط، وهجم خالد لينا؛ أسداً.
وعليه يستشهد بنحو:

«اهدنا الصراطَ المستقيم؛ صراطَ الذين أنعمت عليهم»، «أما ربِّ العالمين؛ ربِّ موسى وهارون»، «يسقون من ماء؛ صديد»، «في الوادي المقدس؛ طوى».

في هذه الشواهد:

(الصراط المستقيم) فُسرَ بـ (صراط المنعم عليهم)، و(رب العالمين) فسر بـ (رب موسى وهارون)، و(ماء) فسر بـ (صديد)، و(الوادي المقدس) فسر بـ (طوى). وهذا التفسير للبيان،

- والثاني: إذا أُريد التحديد، نحو: قرأت الكتاب؛ تليته أو أكثره أو كله، وجاء زيد؛ نفسه، ومررت بهند؛ عينها، وتعرفت على القبيلة؛ صغيرها وكبيرها، وتعرفت على القوم؛ أجمعين، ودخلت الدار؛ مضافتها، وأعجبت بالجارية؛ حديثها.

وعليه يُستشهد بنحو:

«ولله على الناس حج البيت؛ من استطاع إليه سبيلاً»، «قتل أصحاب الأخدود؛ النار ذات الوقود»، «ويسألونك عن الشهر الحرام؛ قتال فيه»، وقوله (ص): إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية، وولد صالح يدعو له، وعلم ينتفع به.

في هذه الشواهد:

(الناس) فسر بالمستطيع منهم، و(الأخدود) فسر بالنار التي فيه، و(الشهر الحرام) فسر بالقتال فيه، والثلاث فسرت بالصدقة الجارية والولد الصالح والعلم النافع. وهذا التفسير للتحديد.

وإنما لا يذكر حرف العطف (أي) في أغلب هذه الأماكن، وهي ما يسمون بها المفسر للشيء بـ (عطف البيان والبدل والتوكيد)، لأن التابع هو ذات المتبوع، فلما كثر تفسير الشيء بذاته أو بما يتصل به أو بما يحدده استغنى عن حرف التفسير. والبلاغة عندهم الإيجاز.

وقد نص النحاة على أن عطف البيان يصح معه أبداً أن تظهر (أي) تقول - حسب أقوالهم-: جاء زيد أخوك، أو تقول: جاء زيد؛ أي أخوك، وتقول: مررت بغضنفر أسد، أو تقول: مررت بغضنفر؛ أي أسد، وتقول: ركبت أتاناً حمارة، أو تقول: ركبت أتاناً؛ أي حمارة.

ثانياً: إذا كان المفسر صفة

إذا كان المفسر يراد له التوضيح أو التخصيص، لأن المتكلم أراد أن يفرزه فيزيل عنه الشبوح، أو أراد أن يحصره في دائرة أضيق؛ فإنه يفسره باسم صفة.

ذلك أنه لما كانت الصفة في المعنى هي الموصوف بذاته لم يعد هنالك من حاجة لإظهار (أي) مع كثرة مجيء ذلك، بل كثيراً ما يحذفون الموصوف وقيمون الصفة مقامه. وهذا عندهم كثير، مثل:

قوله تعالى: ﴿وله الجواري المنشآت في البحر كالأعلام﴾، ﴿إذ عُرض عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾، ﴿وعندهم قاصرات الطرف أتراب﴾؛ أي وله السفن الجواري، وعُرض عليه الخيول الصافنات، وعندهم نساء قاصرات الطرف.

وقول امرئ القيس فالمنخل فأبي ذؤيب:

أَيَقْتَلْنِي وَالْمَشْرِفِي مَضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زَرْقِ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ¹
رِبَاءِ شَمَاءٍ لَا يَأْوِي لِقَلْتِهَا إِلَّا السَّحَابُ وَإِلَّا الْأُوبُ وَالسَّبِيلُ²
وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قِضَاهُمَا دَاوُودَ أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغِ تَبِعَ³
(المشرفي) أَي السيف المشرفي، و(مسنونة) أَي سهام مسنونة، و(رباء
شماء) أَي قمة رباء شماء، و(مسرودتان) أَي درعان مسرودتان. وهذا
كثير جداً.

وأكثر من هذا فربما صار ذكر الموصوف معها مستكرهاً، كأن تقول:
الفرس، والراكب، والصاحب، والطالب، والأبطح، والأجرع، والأطلس،
والأرقط، والورقاء، والعرفاء،.... كل هذا وأمثاله لا يحسن معه أن تذكر
الموصوف، فلا تقول: جاء الرجل الفارس، ولا تقول نزلنا المكان الأبطح،
ولا تقول: سمعنا هديل الحمامة الورقاء.

ذلك لأن الصفة والموصوف شيء واحد - هما الشيء ذاته - فلا داعي
لذكر حرف التفسير، ولا سيما المفسر هنا كثيراً ما يحذف.
ومن هنا كان حذف (أي) التفسيرية وإبقاء عملها، فهي حرف منوي باق
معناه وباق عمله.

وواضح أن الصفة تتضمن حقيقة الموصوف وحالاً من أحواله.
وهنا تجب مطابقة المفسر مع المفسر، تقول: رجل طويل هناك، والرجل
الطويل هناك، وهند الجميلة جاءت، والهندان الجميلتان جاءتا، والهندات
الجميلات جنن، والزيدان المهذبان عندنا، والزيدون المهذبون عندكم،

¹ المشرفية: سيوف منسوبة إلى (شارف). الغول: التي تغتال الناس؛ أي تأخذهم على
غرة.

² رِبَاءٌ: يُرْبَأُ فَوْقَهَا. قَلْتِهَا: رَأْسُهَا. الْأُوبُ: أَوْبُ النَّحْلِ. السَّبِيلُ: الْقَطْرُ حِينَ يَسِيلُ.

³ قِضَاهُمَا: فَرَعٌ مِنْهُمَا. الصَّنَعُ: الْحَاقِقُ فِي الْعَمَلِ.

وتقول: مررت برجل طويل، وأن رجلاً طويلاً مرّ بنا، وتقول: من الهندين اللطيفتين أخذت الكتاب، وإلى الزيدتين المحبوب سلوكهما أعطيته. فيلاحظ التطابق بينهما في العدد والجنس والنوع والإعراب، ذلك أنهما شيء واحد؛ ثانيها فسّر أولهما.

14.5. العطف بـ (بل) محذوفة

ينص جميع النحاة على أن ما يسمى بـ (البدل المباين)، الأولى فيه أن يؤتى بـ (بل) معه.

ويقسم هذا البدل عندهم إلى:

بدل غلط: إذا سبق اللسان المتكلم إلى المبدل منه.

بدل نسيان: إذا ذكر المتكلم المبدل منه عن نسيان ثم تذكر فعاد للتصحيح.

بدل إضراب أو بداء: إذا أراد المتكلم المبدل منه ثم تخلى عنه.

في هذا البدل:

بدلاً من أن تقول: قرأت مجلةً صحيفةً؛ قل قرأت مجلةً بل صحيفةً.

وبدلاً من أن تقول: سافرت إلى بيروت طرابلس؛ قل: سافرت إلى بيروت بل طرابلس.

وبدلاً من أن تقول: الجيد ديوان حافظ شوقي، قل: الجيد ديوان حافظ بل شوقي

فيكون البدل المباين - في حال عدم ذكر (بل) - معطوفاً بـ (بل).
و(بل) إذا ذلك منوية.

وطبعاً البدل في قسمه الآخر - غير المباين - معطوف بـ (أي)، وقد تقدم ذلك.

14.6. أوجه أخرى مع النسق

1- إذا جاء العطف على محكي عنه بـ (إنَّ، أنَّ، لكنَّ) بعد السيرة (خبرهن)؛

جاز نصبه بالعطف على المحكي عنه (اسمهن)،
وجاز رفعه على الابتداء به، فهو من جملة مستأنفة جديدة، نحو قوله
جل وعز: ﴿إن الله بريء من المشركين ورسوله﴾؛ أي: ورسوله بريء
منهم.

2- إذا جاء بعد (ما) الخبر منصوباً - و(ما) هذه هي التي يسمونها (ما)
الحجازية - وعطف عليه بعاطف يقتضي الإيجاب أي عطف عليه بـ
(بل) أو (لكن)؛ يجب رفع المعطوف على الاستئناف بجعله سيرة لمحكي
عنه محذوف هو ضمير للمحكي عنه الأول، تقول: ما زيد قائماً بل قاعداً؛
أي بل هو قاعد.

وإذا كان العاطف غيرهما، فالأكثر النصب على العطف، كأن تقول: ما
زيد قائماً ولا قاعداً.

3- إذا قالوا: مررت بهم ثلاثتهم؛ فبنو تميم يُجرونه على الأول: خفضاً
ونصباً ورفعاً، فهو عندهم على التفسير بـ (أي). أما الحجازيون
فينصبونه دائماً، فهو عندهم على نزع الخافض على حد قول الشاعر:

أنتني تميم قضَّها وقضيضها تمسَّح حولي بالبقيع سبالها¹

والأصل أنتني بقضها وقضيضها. لأن العرب تقولها بالباء وبدون الباء.

4- إذا جاء العطف بـ (بل، لا بل، لكن)؛ جاز لك العطف؛ وجاز لك
الرفع على أن ما بعدهن سيرة لمحكي عنه استغني عنه بدلالة ما تقدم

¹ سبالها: لهاها الطويلة.

عليه، كما في الآية الكريمة: ﴿وقالوا: اتخذ الرحمن ولداً - سبحانه - بل
عباد مكرمون﴾؛ أي بل الملائكة عباد مكرمون.
والمعرفة والنكرة بعدهن في ذلك سواء.

14.7. نعت اسم (لا) النافية للجنس

يقول النحاة: إن نعت اسم (لا) النافية للجنس يجوز فيه الرفع والنصب مطلقاً، تقول: لا رجلَ ظريفٌ هنا، أو تقول: لا رجلَ ظريفاً هنا، وتقول: لا عملٌ في قرينتنا منتجٌ، أو تقول: لا عملٌ فيها منتجاً، وتقول: لا أختٌ علمٌ محبوبٌ بينكم، أو تقول: لا أختٌ علمٌ محبوباً بينكم، وتقول: لا امرأةٌ صاحبةٌ برٍّ في هذا الحي، أو تقول: لا امرأةٌ صاحبةٌ برٍّ فيه.

وأقول: إن اسم (لا) هذه أصبح علماً على أفراد جنسه جميعاً، فما كان يصح أن يكون نعتاً للاسم قبل دخول (لا) عليه يصبح الآن خبراً عنه¹، فيكون مرفوعاً بالأصل، ويصح فيه أن ينصب. يصح فيه الوجهان كما صح في نحو: (زيد في الدار قائمٌ)، أو (زيد في الدار قائماً). أعني بهذا أن خبر (لا) يكون نصبه بنزع الخافض الذي هو هنا الباء. وهو مثل، قوله تعالى: ﴿إن المتقين في جنات ونعيم، فاكهين﴾، أو مثل قوله تعالى: ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون﴾. حيث يجوز في ذلك الرفع على أنه خبر (إن) والنصب على أن الخبر هو الجار والمجرور.

ويقول النحاة: {إن نعت اسم (لا) إذا كانا مفردين متصلين؛ يجوز فيه البناء على الفتح، فتقول مثلاً: لا رجلَ ظريفٌ هنا}.

وأقول: إن نعت اسم (لا) هذا يقصد به نفي جنسه هو، فيترك تنوينه كما ترك تنوين الاسم المنفي جنسه قبل. انصبَّ التعريف عليه هو فلم ينون. فكأنه قال لا ظريفٌ هنا.

¹ لأن صفة المعرفة لا يصح أن تكون نكرة، بل حين عرفت النكرة وأصبحت اسماً لـ (لا) أصبح ما كان صفة خبراً.

14.8. تابع المنادى

إذا جاء العاطف بعد المنادى؛ فالأصل أن تنصب تابع المنصوب، وترفع تابع المرفوع، فنقول: يا أهل الدار الكرام، ويا هذا الرجل.¹ ولكنهم عاملوا بعض المعطوفات معاملة نداء مستقل لئلا تلتبس النكرة المقصودة بغير المقصودة، فنقول: يا زيد ورجل؛ إذا قصدت التعريف، ونقول: يا زيد ورجلاً؛ إذا قصدت التتكير. وكذا: يا عبدالله ورجل، ويا عبدالله ورجلاً. وكذلك: يا زيدٌ وعبدالله، ويا زيدٌ أخانا، ويا عالمٌ زيدٌ، ويا ذا المال بكرٌ.

ومعنى معاملتها معاملة نداء مستقل؛ هو أنهم عاملوها كأن (يا) تكررت ثانية، فقولك: يا زيد ورجل؛ كأنك قلت: يا زيد ويا رجل. وجاءوا بالنصب بعد الرفع في تابع المرفوع، فقالوا: يا زيد والضيف أو الضيف، ويا زيد المهدب أو المهدب، ويا قوم أجمعون أو أجمعين. ولكن الرفع أكثر - تبعاً للأصل - من النصب. ولا يجب نصبه إلا إذا كان مضافاً مجرداً من (الـ)، كما في: يا سعدُ قائدَ الجيش، ويا سعدُ أخانا. نصبوه على أنه منادى جديد، ولم يرفعه لئلا يوهم أنه كلام آخر. وإعادة حرف النداء كثيرة في كلامهم مع وجود حرف العطف ومع الاستغناء عنه، قال حميد بن ثور الهلالي فالأعشى:

فيا طيب رياها ويا برد ظلها إذا حان من حامي النهار ودوق
يا هوذ يا خير من يمشى على قدم بحر المواهب للوراد والشرا¹

¹ هوذ: مرخم (هوذة)، وهو هوذة بن علي الحنفي. الشرا: السواء، أي للوراد وغيرهم على السواء.

14.9. التوابع شيء واحد

قد يقال: لم جعلت التوابع شيئاً واحداً؟. **فأقول:** ولم نفرق الشيء الواحد؟، لم نجعل الشيء الواحد أشياء؟. ويقال: وهذه الفوارق بينها! **فأقول:** لا فوارق بينها، وإن كان ثم فوارق؛ فهي فوارق مفتعلة لا تثبت عند التدقيق. هي كالحدود بين الأقطار العربية.

ولبيان ذلك سأذكر المراد من كل من التوابع بحسب ما نص عليه النحاة، ثم ندقق في ذلك. فليدهم:

- النعت: تابع جيء به لتقليل الاشتراك الواقع في متبوعه المنكر، وإزالة الاشتراك العارض في متبوعه المعرف. فإن لم يكن في متبوعه اشتراك فهو للثناء أو للترحم أو للذم؛ ولهذا حكم آخر غير التبعية. إذن: النعت يجاء به لتخصيص متبوعه أو لتوضيحه. فمؤداه هو بيان المتبوع

- عطف البيان: - وهذا عند كثير منهم يُردُّ إلى البديل - وهو عند من يفرده تابع جيء به لتوضيح متبوعه. فهو مثل النعت إنما هو غير مشتق بينما النعت مشتق أو مؤول بمشتق. وقد يقال جيء به لإزالة الغموض عن متبوعه. ويلاحظ، أن مؤدى المقالين واحد؛ هو بيان المتبوع.

- البديل: تابع جيء به لإزالة التعميم في متبوعه؛ فهو يفرزه ويميزه، فمؤداه أيضاً بيان المتبوع.

- التوكيد: تابع جيء به لإزالة الاحتمال في متبوعه؛ فهو يفرزه ولا يتعداه، فمؤداه أيضاً بيان المتبوع.

إن توضيح المتبوع؛ هو إزالة الغموض عنه، هو نفس إزالة التعميم منه، هو نفس إزالة الاحتمال فيه، هو نفس تقليل الاشتراك فيه.

إذن فهذه التوابع شيء واحد الغرض منها هو بيان المتبوع، فقولهم: هذا للتوضيح، وهذا لإزالة اللبس، وهذا لدفع التوهم. كلٌّ من هذه العبارات

يمكن أن توضع مكان الأخرى، وكذلك كل من التوابع يمكن أن يقبل التعريف الذي للآخر.

لقد فرق النحاة هذا الشيء الواحد، ولكنهم لم يستطيعوا أن يضعوا حدوداً فاصلة بينها إلا حدوداً شكلية من اللفظ فلم يستطيعوا في كثير من الأحيان تمييز بعضها عن بعض.

ولنأخذ أمثلة تبين الوحدة بين جميع التوابع:

فإذا قلت: مررت بأخيك زيد؛ وهذا التابع عند البعض عطف بيان، وعند البعض بدل. وإذا قلت: مررت بأخيك الشاعر، فإن هذا التابع عند الجميع نعت.

ولكن ألا تلاحظ معي أن المتكلم بعد أن ذكر كلمة (أخيك) تبادر إليه أنه أشكل على سامعه بذلك، أو أن سامعه لم يظهر عليه معرفة هذا الأخ، فأراد أن يوضح له أو يبين أيّاً من أخوته هو، لأن له عدداً من الأخوة، فأوضح ذلك أو بينه أو أتى ببديل عنه أو فسّره بقوله: (زيد) أو (الشاعر) أو بما شاء.

وإذا قلنا: إن قومك أكثرهم هنا، وهذا عندهم بدل. وإذا قلنا: إن قومك كلهم هنا، وهذا عندهم توكيد.

ولكن ما لا شك فيه أن المتكلم بعد أن ذكر (قومك) تبادر إليه أن في كلمته إشكالاً أو فيها عدم دقة أو...، فأوضح ذلك أو جاء ببديل منه، أو فسّره، فقال: (أكثرهم) مرة أو (كلهم) مرة بحسب الواقع.

وكذلك إذا قيل: جاء زيد نفسه، وهذا عندهم توكيد، وإذا قيل: جاء زيد أبو صالح، وهذا عندهم بدل أو عطف بيان، وإذا قيل: جاء زيد المهذب، وهذا عندهم نعت.

ولكن في هذه الأمثلة نلاحظ أن المتكلم حين ذكر (زيد) تبادر إلى ذهنه أن السامع قد يكون لم يعرف معرفة تامة من (زيد) هذا، فأوضح فيما بعد أو قل فسّر مقصوده من (زيد) بما رآه مناسباً.

إن كل ذلك يرجع للتفسير تفسيراً رآه المتكلم لأمر ما. وإن أداة التفسير معروفة هي الحرف (أي)، وبذلك نتخلص من كثرة التسميات وكثرة التعقيدات التي لا ضرورة لها، وبذلك نسهّل على طلابنا دراسة النحو ونيسره.

ثم لاحظ في نحو: (يا زيدَ زيدَ الخيل)، أن الجمهور يجيز أن تكون (زيدَ) الثانية بدلاً أو بياناً، وأن ابن مالك يجيز فيها أن تكون توكيداً أيضاً، وأن السيرافي يجيز فيها أن تكون نعتاً أيضاً.

14.10. وحدة التوابع

توكيداً لوحدة التوابع أذكر أقوال بعض النحاة في ذلك:

قال ابن هشام في تذكرته: {عطف البيان والنعت وبدل الكل من الكل والتوكيد فيها بيان متبوعها}.

قال ابن الدهان في الغرة: {من المقارنة بين الوصف والبدل نجد أن الصفة موضحة كما أن البدل موضح}.

قال ابن يعيش في شرح المفصل: {اجتمع في البدل ما افترق في الصفة والتوكيد، لأن فيه رفع لبس كما في الصفة، وفيه رفع مجاز وإبطال للتوسع الذي كان يجوز في المبدل منه. ألا ترى أنك إذا قلت: جاءني أخوك؛ جاز أن تريد كتابه أو رسوله، فإذا قلت: (زيد) زال ذلك الاحتمال كما لو قلت: نفسه أو عينه}.

ولابن جني في الخصائص؛ {أن الزيادي سأل أبا الحسن (الأخفش) عن قولهم: (مررت برجل قائم زيد أبوه): أبدل هو أم صفة؟ فقال أبو الحسن: لا أبالي بأيهما أجبت. ثم قال ابن جني: وهذا يدل على تداخل الصفة والبدل}.

وقد ذكر صاحب البسيط وابن يعيش {أن عطف البيان والصفة؛ إن كلاً منهما يبين المتبوع. وقالوا: إن البدل والبيان كلاً منهما عبارة عن الأول}.

وقد ذكرت أن كثيراً من النحاة منهم الإسترباذي وصاحب الأجرومية عدوا عطف البيان من البدل، جعلوهما قسماً واحداً هو البدل.

وقال العلامة الرضي: {أنا إلى الآن لم يظهر لي فرق جلي بين بدل الكل من الكل وعطف البيان، بل ما أرى عطف البيان إلا البدل}.

يتبين من هذه الأقوال وغيرها، ومن الإمعان في تعريف التوابع؛ أنها أجمعُ شيء واحد.

تم الكتاب بحمده وشكره تعالى،
أنهيت تصحيح وتنقيح هذه النسخة بتاريخ: 6-4-2010م
محمد علي رستاوي

أهم المراجع

المؤلف	الكتاب
الخليل بن أحمد الفراهيدي	الجمال في النحو
سيبويه	الكتاب
ابن جني	الخصائص
ابن الأنباري	الإنصاف في مسائل الخلاف
أبو علي الفارسي	المسائل العضديات
أحمد زيني دحلان	الازهار الزينية
جلال الدين السيوطي	البهجة المرضية في شرح الألفية
العدوي	حاشية العدوي على شذور الذهب
رضى الدين الإستراباذي	شرح الكافية في النحو
محمد محي الدين عبد الحميد	سبيل الهدى في تحقيق شرح قطر الندى
محمد الدمياطي (الخضري)	حاشية الخضري على شرح ابن عقيل
	لألفية ابن مالك
ابن هشام	مغني اللبيب
شرح الجاربردي،...	مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط
ابن يعيش	شرح ابن يعيش على المفصل للزمخشري
جلال لدين السيوطي	همع الهوامع في شرح جمع الجوامع
الحسن بن قاسم المرادي	الجنى الداني في حروف المعاني
هادي عطية مطر الهلالي	الحروف العاملة في القرآن

المحيط (في أصوات العربية ونحوها محمد الإنطاكي وصرفها)	
جامع دروس اللغة العربية	مصطفى الغلاييني
النحو الوافي	عباس حسن
المورد النحوي	فخر الدين قباوة
دروس في المذاهب النحوية	د. عبدو الراجحي
(صفحة لغة) مجلة العربي	محمد يونس خليفة
الكامل في اللغة والأدب	المبرد
النوادر	أبو علي القالي
قواعد اللغة العربية	الشيخ محمد علي طه الدرة